الدكتور خليل صابات

أستاذ الصحافة المساعد بجامعة القاهرة

تاريخ الطباعة
في الشرق العربي

الطبعة الثانية



١٩٦٦

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

تاريخ الطباعة
فى الشرق العربى

مقدمة الطبعة الأولى

لكل أمة من أمم العالم الغربى تاريخ لنشأة الطباعة فيها وتطورها ، وفى دور الكتب العالمية عشرات المؤلفات التى تحكى قصة دخول اختراع جوتنبرج هذه الدولة أو تلك ، والصعاب التى اعترضت الأولين فى إرساء قواعده والعوامل الاجتماعية والسياسية المختلفة التى ساعدت على نموه وازدهاره .

غير أن تاريخ الطباعة فى الشرق العربى لم ينل بعد العناية التى يستحقها ، فرأينا أن نقوم بمحاولة لعلها تسد هذا الفراغ فى مكتبتنا العربية . والفكرة الأساسية التى قامت عليها دراستنا هى أن تاريخ الطباعة ركن هام لتاريخ الشرق الحديث لأنه يصور لنا بوضوح مدى تطور عقلية الحاكمين والمحكومين فى هذا الشرق ، والصراع الذى نشب فيه بين العلم والجهل وبين الحرية والكبت وبين التقدم والرجعية . كما أن انتشار وارتقاء الفن المطبعى فى الشرق العربى يعودان إلى توافر عوامل أربعة : اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية .

ولكتابة تاريخ الطباعة فى مصر رجعنا إلى وثائق وزارة الحربية الفرنسية الخاصة بحملة بونابرت على مصر وإلى مقالات البير جيس وراوول كانيڤى المنشورة فى مجلة المجمع العلمى المصرى وإلى كتاب فرانسوا شارل رو « بونابرت حاكم مصر » وإلى مقالات توفيق إسكاروس فى مجلة الهلال بعنوان « تاريخ الطباعة فى وادى النيل » ، وإلى بحث الدكتور أبى الفتوح أحمد رضوان ، وعنوانه « تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ فن الطباعة وانتشاره فى مصر وبلدان الشرق » . وإلى « تاريخ الوقائع المصرية » ويتعرض فيه مؤلفه الدكتور إبراهيم عبده لتاريخ مطبعة بولاق . ورجعنا فى دراستنا إلى تلك الأبحاث وغيرها وإلى محفوظات عابدين العربية والتركية وإلى محفوظات القلعة ووزارة المالية ومطبعة بولاق . وقد عاونتنا هذه الوثائق فى تصحيح واستكمال بعض ما جاء فى أبحاث من سبقونا فى هذا المضمار .

كما استعنا بصحيفة الوقائع المصرية . وكان تقويم النيل لأمين سامى، خير عون لنا على استجلاء بعض الحقائق الخاصة بتاريخ الطباعة فى مصر .

واعتمدنا فى تأريخنا للطباعة فى العراق على المقالات التى نشرها المرحوم روفائيل بطى فى مجلة لغة العرب خلال سنتى ١٩٢٦ و ١٩٢٧ . واتصلنا أيضاً خلال إقامتنا ببغداد بالأستاذ كركيس عواد ، أمين مكتبة مديرية الآثار القديمة فى بغداد ، حيث قدم لنا سيادته المطبوعات القديمة التى أخرجتها المطابع العراقية . وزرنا عدداً من المطابع القديمة والحديثة . وسهلت لنا وزارة الداخلية العراقية مهمة عمل إحصاء دقيق بعدد مطابع العراق وتاريخ تأسيسها . واستعنا بأبحاث عبد المولى الطريحى التى نشرت فى مجلة المشرق ، ومجلة لغة العرب ، وبمقالات الأب لويس شيخو فى مجلة المشرق . وفى بغداد يعتبر الأستاذ حسين جميل أحد الوزراء السابقين من الثقات فى تاريخ الطباعة ببلاد الرافدين فى الربع الثانى من القرن العشرين .

أما الطباعة فى سوريا فإننا لم نجد سوى مؤرخ واحد يهتم بعض الشىء بنشأتها فى هذا القطر العربى وهو الأب لويس شيخو . فكان علينا إذن أن نسعى إلى إتمام ما بدأه هذا الباحث . وكان السبيل الوحيد إلى بلوغ هدفنا هو التنقيب فى دار الكتب الظاهرية بدمشق عن الكتب المطبوعة فى المطابع السورية . واتصلنا بالمرحوم « محمد كرد على » وكان رئيساً للمجمع العلمى السورى، والسيد محمد صالح الحيلانى مؤسس مطبعة الترقى ، والسيد وجيه بيضرن مؤسس مطبعة ابن زيدون ، والسيد محمد شريف الأسطى أول من اشتغل بالحفر على الزنك بدمشق ، والأستاذ نصوح بابيل نقيب الصحفيين ، والسيد رشاد الداوودى أحد مديرى مطبعة الجمهورية السورية السابقين . كما قمنا بزيارة مختلف مطابع دمشق .

أما فى لبنان فقد وجدنا الأب لويس شيخو أول من أرّخ للطباعة فى هذا البلد العربى . وظلت الطباعة بلبنان بدون مؤرخ يعنى بتدوين التطور الذى أصابها حتى سنة ١٩٤٩ حيث وضع الأب يوسف نصر الله كتاباً باللغة الفرنسية عنوانه « المطبعة فى لبنان » . وعلى الرغم من الأبحاث التى قمنا بها فى دار الكتب اللبنانية

والمكتبة الشرقية ومحفوظات دير مار يوحنا الصابغ ومحفوظات الرهبانية المخلصية وغيرها من محفوظات الأديرة ، فإننا لم نضف إلى ما جاء فى مؤلف الأب نصر الله إلا القليل من المعلومات .

وكان أمامنا بعد ذلك أن نحاول كتابة تاريخ للطباعة فى فلسطين والأردن فرجعنا إلى ما دونه شاهين مكاريوس فى هذا الموضوع ونشره فى مجلة المقتطف وإلى ما سطره الأب شيخو فى مجلة المشرق وإلى المعلومات التى استيقناها من الرهبان الفرنسيسكانيين بالقدس . كما تفضل سيادة ميخائيل عساف مطران الروم الكاثوليك فى عمان بأن أرسل لنا بحثاً وافياً عن الطباعة فى الأردن .

وعالج الطباعة فى اليمن الدكتور ر . ب . سارجنت فى بحث قيم عنوانه « الأدب العصرى فى الجنوب الغربى لشبه جزيرة العرب » نشرته له مجلة الأدب والفن سنة ١٩٤٤ .

وعاوننا فى كتابة تاريخ الطباعة فى المملكة العربية السعودية سفارة المملكة العربية السعودية بالقاهرة . كما زودتنا المطابع الأهلية الهامة بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة بمعلومات تعد وافية بالغرض عن حال الطباعة فى تلك البلاد .

وأخيراً فقد اعتمدنا فى تأريخنا للطباعة فى الكويت على الدكتور إبراهيم عبده وعلى بعض أصدقائنا وطلبتنا الكويتيين .

وإننا ننتهز هذه الفرصة لنقدم وافر شكرنا للسادة الذين تفضلوا بمعاونتنا فى هذا البحث . وإننا نرحب كل الترحيب بكل تصحيح يرسل إلينا ، لنسجله شاكرين فى الطبعة الثانية إن شاء الله .

خليل صابات

القاهرة فى ١٠ يناير سنة ١٩٥٨



مقدمة الطبعة الثانية

كنا قد توقفنا فى تأريخنا للطباعة فى الشرق العربى ، حين نُشر كتابنا هذا لأول مرة ، عند سنة ١٩٥٢ أو بعدها بقليل . ورأينا حين طُلب إلينا إعادة نشره ، بعد أن نفدت طبعته الأولى أو كادت ، أن نعاود البحث فى بعض المخفوظات وأن نطلع على المؤلفات الجديدة التى تمس موضوع دراستنا من قريب أو من بعيد وأن نتصل بالمهتمين بفن الطباعة وتطوره فى بلاد الشرق العربى . كما تكرم علينا بعض الذين قرأوا الطبعة الأولى ببعض ملاحظاتهم فأوليناها شديد عنايتنا . وقد واصلنا دراسة تطور الطباعة فى الشرق العربى إلى سنة ١٩٦٥ معتمدين فى ذلك — كلما أمكن — على أوثق المصادر . ولم يفتنا فى هذه المرة أن نؤرخ للطباعة فى البحرين وفى قطر وأن نسجل التقدم الكبير الذى حققه هذا الفن فى هذين القطرين العربيين ، على الرغم من حداثة عهد الطباعة فيهما بالنسبة لغيرهما من البلاد العربية .

لقد دخل على صناعة الطباعة مستحدثات وتحسينات عدة منذ أن ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب . ورأت بعض بلاد الشرق العربى أن تدخلها على مطابعها ، فى حين فضلت بلاد عربية أخرى ، بناء على خطط التنمية التى رسمتها لاقتصادها أن تهتم بتخفيض سعر المطبوع لتضعه فى متناول أكبر عدد ممكن من القراء مضحية إلى حد ما بالكيف فى سبيل الكم .

وعلى أى حال ، فيمكن أن يقال الآن : إن صناعة الطباعة فى الشرق العربى لمن الصناعات المزدهرة التى لا تلجأ إلى الاستعانة بالخبراء الأجانب إلا فيما ندر . وقد أنشأت بعض بلاد هذا الشرق مدارس لتعليم الطباعة تتخرج فيها أجيال جديدة من الطابعين المتقنين لفنهم ، القادرين على المضى فى هذه الصناعة قدماً إلى حد الكمال .

ويجدر بنا ، ونحن نقدم لهذه الطبعة ، أن نشكر كل من تفضل بمعاونتنا فيها ، فلولاهم لما رأت النور وما اشتملت على كل هذه التفاصيل . وإننا نرجو منهم ومن المهتمين بالطباعة عموماً أن يوافونا بملاحظاتهم على هذه الطبعة الجديدة ، كى نعمل بها فى الطبعة القادمة إن شاء الله. . .

خليل صابات

القاهرة فى أول أكتوبر ١٩٦٥

الباب الأول

نشأة الطباعة في العالم



يرجح المؤرخون أن يكون الصينيون والكوريون قد عرفوا الطباعة بالحروف المتفرقة فى أواسط القرن الحادى عشر للميلاد . أما فى أوربا فقد بدأت الطباعة بالألواح الخشبية La xylographie . وكانت الصفحة المراد طبعها تكتب بحروف مقلوبة على لوح من الخشب بعد تسوية سطحه وتنعيمه . وكان العامل أو الفنان يقوم بحفر أجزاء الخشب الخالية من الكتابة . وفى نهاية هذه المرحلة كانت الحروف تظهر بارزة على اللوحة ، فيقوم العامل بتحبيرها ويضع عليها الورقة التى يراد طبعها ويمرر عليها أسطوانة ، فتظهر الكتابة واضحة على الورقة .

وظل الإنسان المتحضر يتبع هذه الطريقة فى الطباعة ، إلى أن ظهرت المطبعة بالمعنى الحقيقى فى منتصف القرن الخامس عشر .

ويعود تأخر هذا الاختراع حتى هذا التاريخ ، إلى أسباب عدة أهمها أن الإنسان لم يكن يشعر بالحاجة إلى هذه الآلة الجديدة . يضاف إلى ذلك أن طرق الاتصال — (كالكتاب والجريدة والإعلان) التى نعتبرها اليوم من ضروريات الحياة — لم تكن فى العصور القديمة والوسطى ذات أهمية تذكر . فقد كان الإنسان يعيش فى جماعات صغيرة . وكان يتناقش فى المسائل السياسية والتجارية فى الميادين العامة ، وكان يمارس العلوم والفنون مشتركاً مع غيره من أفراد جماعته ، لا يتعداهم إلى جماعة أخرى إلا فيما ندر . وهكذا لم تكن المطبعة عاملا ضرورياً لتبادل الأفكار والآراء .

والأسباب التى دعت إلى اختراع المطبعة نجدها فى القرن الخامس عشر ، حيث بدأ النظام الإقطاعى يتداعى وهبت الشعوب تطالب بالوحدة وأخذت العقول تبحث عن نور المعرفة وأخذ الفرد يشعر بوجوده وبحاجته إلى أشياء جديدة تغذى عقله وفكره . لقد اجتاحت أوربا حمى حب المعرفة ، فأصبحت القراءة من الأمور التى لا يمكن الاستغناء عنها ، لا سيما قراءة الآداب القديمة التى حملها العلماء وفروا بها بعد فتح القسطنطينية وسقوط الإمبراطورية الرومانية الشرقية .

ولم يعد إنتاج النساخ كافياً لحاجات الجمهور المتعطش للمعرفة ، وخاصة بعد أن ارتفع سعرهم وعلا مركزهم وازدادت أرباحهم زيادة كبيرة ، وأضحى

المخطوط أثمن هدية تقدم فى ذلك العصر .

لقد أصبحت الحاجة ملحة إلى إيجاد طريقة ميكانيكية للنسخ ، النسخ بدون خطأ ، النسخ إلى ما لا نهاية .

ويعتقد البعض أن حفارى الخشب كانوا أول من فكر فى اختراع المطبعة ، عندما طبعوا فى ألمانيا سنة ١٤٠٠ أوراق اللعب . ولم تلبث هذه الطريقة أن انتقلت من صناعة ورق اللعب إلى صناعة الصور المقدسة . وقد أدى نجاح هذه التجارب الأولى إلى مضاعفة عدد الكتب المطبوعة بالألواح الخشبية . وأول كتاب مطبوع بهذه الوسيلة ظهر فى أوربا سنة ١٤٢٠ . ويرجح المؤرخون اختفاء هذا النوع من الطباعة حوالى سنة ١٤٩٠ .

ودعت عيوب الطباعة بالألواح الخشبية إلى التفكير فى حفر كل حرف على حدة . فأمكن بهذه الطريقة جمع الحروف المتفرقة لتكوين الكلمات فى تناسق تام . فإذا ما فرغ من طبع الكتاب استخدمت هذه الحروف ذاتها فى طبع كتاب أو كتب أخرى .

ولكن ما اسم مخترع الطباعة بالحروف المتفرقة ؟ وأين ومتى اخترعت ؟

ليس ثمة أصعب من الإجابة على هذا السؤال بدقة . ذلك أن المحاولات الأولى لاختراع المطبعة كانت تجرى فى تكتم شديد مخافة أن يدرك الناس الفرق بين ما ينتج عن طريق هذا الفن الجديد وبين ما يكتبه الناسخون . فالطباعة لم تكن فى أول أمرها إلا محاولة آلية ، الغرض منها تقليد عمل الناسخين وبيع الكتب المطبوعة على أنها منسوخة . ولم يكن هؤلاء المقلدون يكتبون أسماءهم ولا تاريخ الطبع أو مكانه على كتبهم ، خوفاً من أن يكشف أمرهم فتضيع عليهم الأرباح التى كانوا يجنونها من وراء هذا التدليس .

وإلى وقت قريب كان مؤرخو الطباعة يعتقدون أن يوحنا جوتنبرج قد فكر أول الأمر فى حفر حروف الأبجدية على رؤوس قطع خشبية منشورية الشكل وظل هذا الاعتقاد سائداً إلى أن جاء من يثبت أن الطباعة بالحروف المتفرقة أو المتحركة لم تمر أبداً بهذه المرحلة ؛ فقد تبين عملياً استحالة ضم هذه الحروف بعضها إلى بعض .

أما الحقيقة التي لا تقبل الشك فهى أن يوحنا جوتنبرج صنع حروفه الأولى من النحاس . وكانت الحروف الجديدة تصف فى خط مستقيم وتوزع أو تفرق فى سهولة عند الفراغ من الطبع . ولما كانت تكاليف صنعها باهظة ، وكان حفرها يستغرق وقتاً طويلا ، فقد فكر جوتنبرج فى سبكها .

وترجع محاولته الأولى إلى سنة ١٤٣٦ . وكل شيء يدل على أن هذه المحاولات وضعت موضع التنفيذ منذ ١٤٥٠ . ومن المؤكد أن الطبعات الأولى لكتاب « مرآة الخلاص » قد جمعت بالأحرف المسبوكة فى قوالب من الرمل المهذبة بالمنقش ، وهذا ما يفسر كثرة العيوب فى تلك الحروف. غير أنها سرعان ما تلاشت بين عامى ١٤٥٣ و ١٤٥٥ ، عندما فكر بطرس شويفر Schoiffer فى صنع أمهات (قوالب) من النحاس . وأول كتاب دينى سبكت حروفه سبكاً كاملا ، طبع فى مدينة منتز سنة ١٤٥٩ .

وكانت المطبوعات الأولى شديدة الشبه بالمخطوطات ، مما دعا بعض الطابعين إلى بيعها على أنها مخطوطة . ويمكن أن يقال إن عامل الغش كان، إلى حد ما ، الباعث على اختراع المطبعة . ولكن عندما شرعت المطبعة فى استخدام الحروف الرومانية مكان الحروف القوطية سهل على الناس التمييز بين المخطوط والمطبوع .

ويجمع مؤرخو المطبعة على أن جوتنبرج هو الذى اخترع الطباعة بالحروف المتفرقة . وقد بدأ تجاربه الأولى فى مدينة ستراسبورج بالاشتراك مع أندريه دريتزهن André Dritzhen وشخصين آخرين . وفى سنة ١٤٤٥ انتقل جوتنبرج إلى مدينة منتز مسقط رأسه ، حيث تعاقد مع يوحنا فوست على سبك حروف فى أمهات مصنوعة من الرصاص والنحاس . وأول كتاب طبع بهذه الحروف هو التوراة ذات الاثنين والأربعين سطراً الذى بدأ جوتنبرج فيه حوالى سنة ١٤٥٠ . وفى هذه الأثناء تعرف بطرس شويفر بفوست شريك جوتنبرج ومموله . وبدأ شويفر يجرى ، بمساعدة فوست ، تجارب تمكن على أثرها من صنع حروف من الرصاص بعد صبها فى قوالب من النحاس . وقد جاءت هذه الحروف واضحة دقيقة فضلا عن سرعة صنعها .

أما جوتنبرج فإن معينه كاد أن ينضب من كثرة المحاولات التى بذلها فى

سبيل تحسين اختراعه . وبدأ اليأس يتسرب إلى نفس مموله فوست وأخذ الخوف يداخله من أجل ماله .

وفى سنة ١٤٥٦ بيعت بمدينة باريس نسخة من التوراة ذات الاثنين والأربعين سطراً ، مطبوعة على ورق مصقول ، بحوالى ألفى فرنك . وعلى الرغم من رخص ثمنها ، فإن الناس لم يقبلوا على شرائها . بيد أن هذه النتيجة لم ترض جشع فوست الذى بادر إلى حل الشركة القائمة بينه وبين جوتنبرج . وهكذا أصبح فى مدينة منتز مطبعتان إحداهما لجوتنبرج والأخرى لفوست وشريكه الجديد شويفر .

وفى ١٧ يناير سنة ١٤٦٥ منح رئيس الأساقفة ، أدولف دى ناسو ، جوتنبرج لقباً من ألقاب الشرف وأجزل له العطاء ، وطلب إليه أن يتبعه إلى مقره الرسمى فى « إلتفيل » وهى مدينة صغيرة على مقربة من منتز ، فقبل جوتنبرج عن طيب خاطر وحمل معه مطبعته . وقد توفى أبو الطباعة فى منتز خلال شهر فبراير من سنة ١٤٦٨ .

أما فوست فقد نجح فى صناعته الجديدة مما حفزه على طلب المزيد من الربح ، فقر رأيه على السفر إلى باريس ليبيع كتب التوراة المطبوعة على أنها مخطوطة . وقد جازت الحيلة على عملائه الفرنسيين ، ولكن ما لبثوا أن داخلهم الشك ، وظنوا أن فى الأمر سحراً ؛ إذ كيف يستطيع إنسان ، مهما أوتى من مهارة ، أن ينسخ هذا العدد الكبير من الكتب ، بحيث تأتى كلها على نسق واحد لا فرق بينها ألبتة ! وخشى فوست أن تثبت عليه جريمة السحر ، وهى جريمة كان عقابها فى ذلك العصر الإعدام حرقاً . واجتمع برلمان باريس من أجل ذلك ، وبعد مناقشة طويلة ، أصدر حكمه ببراءة فوست من تهمة السحر ، حيث ثبت لأعضائه أن كتب التوراة سالفة الذكر ، ما هى إلا ثمرة اختراع جديد لم يكن قد عرف بعد فى باريس . غير أن هذا الحكم لم يعف فوست من تهمة الغش ، لأنه حاول أن يلقى فى روع مشترى كتبه أنه يبيع لهم كتباً مخطوطة ، فهب هؤلاء يطالبون بفرق الثمن . ولم ينقذ فوست من هذه المشاكل التى تراكمت عليه إلا الموت . فقد قضى نحبه فى ١٤٦٦ .

ويعود سبب انتشار الطباعة فى أوربا إلى كارثة حلت بمدينة منتز . فقد

شجر خلاف بين أميرين على كرسى الأسقفية انتهى بحرق منتز سنة ١٤٦٢ ، فتعطلت مطبعة فوست وشويفر ورأى عمالها أن الفرصة سانحة لترك منتز والهجرة إلى بلاد أوربا ليشتغلوا بالطباعة فيها لحسابهم الخاص . وهكذا تفرق عمال فوست وشويفر فى أنحاء أوربا وأخذ كل منهم يدعى أنه هو أول من اخترع الطباعة . وكادت الحقيقة تضيع بين أصوات المتخرصين من أهل هذا الفن ومريديهم .

وحمل فن الطباعة بالحروف المتفرقة إلى إيطاليا ، عاملان كانا يشتغلان عند جوتنبرج . فقد نزلا فى دير سوبياكو وطبعا كتباً فى الأجرومية اللاتينية . وكان الناس فى ذلك العصر يعتبرون الطباعة مهنة شريفة لا تحط من قدر من يمارسها بل تزيده علواً وشرفاً فى نظرهم . ودليلنا على ذلك أن أحد النبلاء افتتح لنفسه مطبعة فى روما حوالى سنة ١٤٧٠ .

وانتشرت المطابع بعد ذلك فى البلاد التى كوّنت فيما بعد المملكة البروسية . فظهرت المطبعة فى برسلو سنة ١٤٧٥ وفى غيرها من المدن البروسية .

وتطورت الطباعة تطوراً سريعاً فى السنوات الثلاثين الأخيرة من القرن الخامس عشر ، وأصبح عدد المطابع ينوف على المائتين بما فى ذلك مطابع الأديرة . وقد بقى من هذا العدد حوالى الخمسين إلى سنة ١٥٠٠ . وأدخلت على الفن المطبعى تحسينات كثيرة . فقد حصل أحد الإيطاليين فى سنة ١٤٩٨ على امتياز طبع النوتات الموسيقية بحروف متفرقة مسبوكة .

وعرفت إنجلترا الطباعة فى سنة ١٤٧٤ ، بفضل وليم كوكستون الذى نزل بدير وستمنستر ، بعد أن تعلم الطباعة فى ألمانيا ؛ وأخذ ينشر الكتب المختلفة ويبيعها لأبناء وطنه . ويلاحظ أن مطبوعات كوكستون كانت أقل جودة من مطبوعات زملائه فى القارة الأوربية ؛ فالحروف القوطية كانت رديئة الصنع والصور المحفورة على الخشب كانت بدائية . ولم يكن فى إنجلترا حتى نهاية القرن الخامس عشر إلا ثلاث مطابع واحدة فى لندن ، والاثنتان الأخريان فى أكسفورد وسانت البانز .

وكانت أنفرس أول مدينة فى بلجيكا عرفت الطباعة . وأول كتاب ظهر فيها يعود تاريخه إلى عام ١٤٧٢ . ودخلت المطبعة بعد ذلك مدينتى لوڤان وبروج .

وتعتبر أوترخت أول مدينة هولندية عرفت المطبعة . فقد أخرجت سنة ١٤٧٣

« تاريخ العهدين القديم والجديد » . وما لبثت الطباعة أن ازدهرت فى هذا الجزء من أوربا .

ورأت مدينة فيينا أول مطبعة سنة ١٤٨٢.فقد حضر إليها بعض الطابعين المتجولين وطبعوا فيها بعض الكتب التى كانت تلقى رواجاً .

أما بولندا فقد عرفت الطباعة متأخرة بالنسبة لسائر البلاد الأوربية ويعود سبب ذلك التأخر إلى بعدها عن المراكز التى انبثقت منها الحضارة فى حوالى منتصف القرن الخامس عشر . وتأسست أول مطبعة فى وارسو سنة ١٥٧٨ أى بعد اختراع المطبعة بحوالى مائة وثلاثين سنة . ودخلت الطباعة الدانمرك والسويد فى أواخر القرن الخامس عشر . ولم تعرفها النرويج إلا سنة ١٦٤٤ على الرغم من قربها من السويد والدانمرك .

وإن انتقلنا إلى إسبانيا ، وجدنا أنها مارست الفن المطبعى منذ سنة ١٤٧٤ . ولم ينته القرن الخامس عشر حتى كانت معظم المدن الإسبانية تطبع كتبها بالحروف المتفرقة . وعرفت البرتغال هذا الفن بعد جارتها إسبانيا بوقت قليل .

وظهرت الطباعة فى تركيا فى أواخر القرن الخامس عشر بالحروف العبرية . فقد أحضر أحد العلماء اليهود إلى الآستانة مطبعة وحروفاً عبرية لينشر بها كتب الديانة الموسوية . وخشى السلطان بايزيد الثانى أن يستفيد رعاياه المسلمون من الاختراع الجديد ، فما كان منه إلا أن أصدر فى سنة ١٤٨٥ أمراً يحرّم على غير اليهود استخدام فن جوتنبرج . ولما جلس السلطان سليم الأول على عرش آل عثمان رأى أن يجدد فى عام ١٥١٥ أمر والده الخاص بالمطبعة ، خوفاً من أن ينساه الناس بمضى الوقت . أما المطبعة بالحروف العربية والتركية فلم يعرفها الأتراك إلا فى الثلث الأول من القرن الثامن عشر .

وبينما كانت الطباعة فى أوربا تتقدم بخطى سريعة خلال القرن السادس عشر ، وبينما كانت المطابع تنشر الكتب باللغات الشرقية والغربية المختلفة ، كانت بلاد المشرق لا تزال فى طور النسخ . وكان الرهبان فى الأديرة الشامية يقسمون أوقاتهم بين الصلاة والأعمال اليدوية ونسخ الكتب الدينية . وإن لبنان هو أول بلد عربى يعرف الطباعة ؛ فقد جلب دير قزحيّا فى سنة ١٦١٠ مطبعة وحروفاً

سريانية من روما ، وطبع بها كتاب المزامير ، وهو الكتاب الوحيد الذى طبع فى هذه المطبعة ، إذ أنه لم يعثر لها على مطبوعات أخرى غير هذا الكتاب . ولا يذكر المؤرخون الذين كتبوا عن تلك المطبعة شيئاً عن قصة اختفائها . وأكبر الظن أن أصحابها أهملوها بعد أن رأوا سيل الكتب المطبوعة فى روما يتدفق عليهم دون عناء ويوزع على كنائسهم دون مقابل ، فضلا عن جودة طبعها وحسن إخراجها . يضاف إلى ذلك أن أرض لبنان لم تكن مهيئة بعد لتقبل فن جوتنبرج ، فلما جاءها لفظته ، ولكن إلى حين . ومن هنا نرى أن الطباعة لا يمكن أن تزدهر إلا فى البيئة التى تتفاعل معها . وقد ظل لبنان بعد اندثار مطبعته الأولى أكثر من مائة سنة بدون مطبعة .

أما المطبعة العربية فإنها عرفت فى لبنان بفضل الشماس عبد الله زاخر الذى أنشأ فى دير مار يوحنا الصابغ مطبعة كاملة المعدات استطاعت أن تطبع أول كتاب لها فى سنة ١٧٣٣ .

وكانت حلب المدينة السورية الأولى التى استخدمت المطبعة . وإلى البطريرك اثناسيوس دباس يعود فضل إنشائها فى سنة ١٧٠٦ ، وأول كتاب طبع فيها هو كتاب المزامير . ولم تعش هذه المطبعة إلا سبع سنوات . ولا تزال الأسباب التى دعت إلى تعطيلها مجهولة ، ولو أننا نعتقد أن أصحابها وجدوا أنها تكلفهم أكثر مما يستطيعون وأن فى إمكانهم الحصول على المطبوعات الدينية من مقاطعة الأفلاق دون بذل أى مجهود . ويبدو لنا أيضاً أن مطبعة حلب لم تجد التربة الصالحة لنموها وازدهارها ، شأنها فى ذلك شأن مطبعة دير قزحيا فى لبنان . فعلى سوريا إذن أن تنتظر وتنتظر طويلا لترى الطباعة قد رسخت أقدامها فيها واستتب أمرها .

أما مصر ، فإنها لم تعرف الطباعة بالحروف المتفرقة إلا خلال الحملة الفرنسية ، أى من سنة ١٧٩٨ إلى سنة ١٨٠١ كما سنرى فيما بعد .

وعرف العراق المطبعة سنة ١٨٣٠ . وفى السنة ذاتها دخلت الطباعة فلسطين . وأمر السلطان عبد الحميد الثانى بإنشاء مطبعة فى صنعاء باليمن سنة ١٨٧٧ . وبعد ذلك بخمس سنوات أسست الحكومة العثمانية مطبعة بالحجاز .



الباب الثانى

الطباعة فى تركيا
نشأتها وتطورها



الفصل الأول

المحاولة الأولى

١٤٨٥ — ١٨٠٠

عرفت تركيا الطباعة قبل غيرها من بلاد الشرق الأدنى والأقصى ، وبعد اختراعها بحوالى أربعين سنة . وعلى الرغم من تصدى سلاطين آل عثمان لها فى أول الأمر ، فقد مضت قدماً فى طريقها واستطاعت بعد كفاح مرير أن تفرض نفسها وتوطد أقدامها حاملة مشعل العلم والعرفان لتضىء به أنحاء الإمبراطورية المظلمة .

أما السبب الذى حدا بسلاطين آل عثمان إلى الوقوف فى وجه المطبعة والتصدى لنشاطها فهو الخوف من أن يعمد أصحاب الغايات والأغراض إلى الكتب الدينية فيحرفوها ويشوهوها[١] . يضاف إلى ذلك أن المطبعة يمكنها أن تخفض أثمان الكتب فتجعلها فى متناول أكبر عدد ممكن من الناس فيحل العلم محل الجهل . على أنه لا يخفى على أحد أن الأمة المتعلمة تأبى الضيم ويصعب حكمها حكماً استبدادياً .

وإلى اليهود المقيمين فى الآستانة يعود فضل إدخال الفن المطبعى إلى تلك المدينة . فقد قدم إليها فى أواخر القرن الخامس عشر[٢] أحد علمائهم ويدعى الربى إسحق جرسون وأحضر معه مطبعة وحروفاً عبرية لينشر بها كتب الديانة اليهودية المخطوطة التى كان يصعب الحصول عليها لقلة عدد الناسخين اليهود وارتفاع أسعار المخطوطات .

وخشى السلطان بايزيد الثانى أن يستفيد رعاياه المسلمون من الاختراع الجديد ، فما كان منه إلا أن أصدر فى سنة ١٤٨٥[٣] أمراً يحرم على غير اليهود استخدام

---

(١) لويس شيخو : تاريخ فن الطباعة فى المشرق ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، العدد الرابع ١٥ شباط سنة ١٩٠٠ ص ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) فؤاد أفرام البستانى ، الشماس عبد الله زاخر ، مجلة المسرة ، عدد ممتاز ، تموز ١٩٤٨ ص ٣٩٩ .

فن جوتنبرج . ولما جلس السلطان سليم الأول على العرش رأى أن يجدد فى سنة ١٥١٥[١] أمر والده الخاص بالمطبعة ، خوفاً من أن ينساه الناس بمضى الوقت .

وعلى الرغم من تشدد السلطات فى تنفيذ هذا الأمر ، فقد استطاع المهيمنون على هذه المطبعة أن ينشروا بعض الكتب العربيه بالحرف العبرى ، مثل التوراة العربيه ترجمة سعيد الفيومي ، فقد طبعت سنه ١٥٥١ بالأحرف العبرية[٢] .

وكان لتلك المطبعة أطيب الأثر فى نشر الآداب العبرية وترقيتها ، فقد استطاعت خلال ثلاثة قرون أن تطبع أكثر من مائة كتاب فى مختلف العلوم والفنون ، ولو أن معظمها اختص بعلاج المسائل الدينية وشرح ما غمض منها . ولم تظل المطبعة على حالتها الأولى ، بل أخذت ترتقى وتتسع يوماً بعد يوم . وجلبت لها الطابعات والحروف الجديدة بفضل عناية كبار رجال الطائفة الإسرائيلية فى الآستانة . وكان لهم نفوذ كبير عند أصحاب السلطان[٣] .

وقدمت مطبعة إسحق جرسون أول ما قدمت للمكتبة العبرية كتاباً ألفه إسرائيلى يدعى يوسيفوس بن كربون عن تاريخ اليهود . وقد فرغ من طبعه سنة ١٤٩٠ . ولم يقتصر نشاط المطبعة العبرية على المؤلفات الدينية فحسب بل تعداها إلى الكتب الأدبية والفقهية والتاريخية والطبية والجدلية . وظلت تلك المطبعة تغذى المكتبة العبرية بمختلف التصانيف إلى أن توقفت عن العمل فى أواخر القرن الثامن عشر . وهكذا مضت أول مطبعة [٤] عرفها الشرق الأدنى بعد كفاح دام ثلاثة قرون ، أدت خلالها أجل الخدمات لا لليهود فحسب بل للأتراك أنفسهم ؛ فقد لمسوا عن قرب فوائد الطباعة وأخذوا يعملون ما فى وسعهم حتى نجحوا هم أيضاً فى إنشاء مطبعة فى الثلث الأول من القرن الثامن عشر .

---

(١) المصدر السابق ص ١٧٥

(٢) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤٤ ، الجزء الرابع القاهرة ١٩٣٧

(٣) C. Brockelmann : Hist. des Peuples et des Etats Islamiques, Paris 1949, p. 267 et sq.

(٤) يقال إن أحد أحفاد جرسون حط رحاله فى القاهرة حيث طبع بالعبرية بين سنة ١٥٦٢ وسنة ١٥٦٦ . راجع S.H. Steinberg : Five Hundred Years of Printing, Edinburgh 1955, p. 79.

وقد عرفت البلاد العثمانية المطبعة العربية بفضل مسعى سعيد أفندى ابن سفير تركيا بباريس ، محمد أفندى المشهور بيكرمى سكز جلبي . وكان سعيد أفندى ، الذى أصبح فيما بعد صدراً أعظم ، بصحبة أبيه فى عاصمة فرنسا ، فشاهد المطابع ولمس منافعها العديدة عن قرب . ولما قفل راجعاً إلى الآستانة بادر بالاتصال برجال الأدب والعلوم والفنون وفاتحهم فى أمر إنشاء مطبعة فرحبوا جميعاً بالفكرة . وكان فى الآستانة وقتئذ إبراهيم أفندى المجرى المشهور بإبراهيم أغا أنكروسى ، وهو رجل يمتاز بذكاء حاد ، وخبرة فى الرياضيات والعلوم والفنون[١] ، وكانت له منزلة عند كبار رجال الدولة واعتنق الإسلام[٢] . وطار صيته ككاتب وأنعمت عليه الحكومة العثمانية براتب قدره تسعة وتسعون درهماً من الفضة مكافأة له على الخدمات التى كان يؤديها لها . وكان الأتراك يسمون تلك المكافأة « متفرقة دركاه عالى » فأصبح إبراهيم المجرى يعرف بإبراهيم متفرقة نسبة إلى تلك المكافأة . وكان من الطبيعى أن يعرض سعيد أفندى أمر إنشاء المطبعة على رجل مثل إبراهيم متفرقة ، وأن يطلب إليه أن يبحث معه الأمر ويدرسه من كل نواحيه . وقال إبراهيم إن فى استطاعته أن يضع المشروع موضع التنفيذ إن زود بما يحتاج إليه من مال . فما كان من سعيد إلا أن كتب تقريراً شاملا رفعه لإبراهيم باشا صهر السلطان ورجاه فيه أن يسعى فى منحه ترخيصاً بطبع كتب الحكمة واللغة والتاريخ والطب والهيئة وسائر الفنون ، على أن يتعهد بعدم طبع كتب التفسير والحديث والفقه والكلام[٣] .

وقبل صدور فرمان الموافقة على الترخيص ، كان شيخ الإسلام عبد الله أفندى قد أفتى فى سنة ١١٢٩ هـ (١٧١٦ م) بجواز استخدام الطباعة فى الحدود المذكورة . غير أن أحداً من الأتراك أو من رعايا الدول الأجنبية لم يجرؤ على تأسيس مطبعة قبل أن يصدر الفرمان العالى موقعاً بالخط الشريف إلى سعيد أفندى وزميله إبراهيم متفرقة بالترخيص لهما بإنشاء مطبعة يطبعان عليها ما يرغبان من

(١) تاريخ جودت باشا ، ترجمة عبد القادر أفندى الدنا ، المجلد الأول ، ص ٨٢ ، مطبعة جريدة بيروت سنة ١٣٠٨ هـ .

(٢) De Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman, Paris 1839, p. 195 et sq.

(٣) تاريخ جودت ، ص ٨٢ .

الكتب عدا تلك التى تعنى بالتفسير والحديث والفقه والكلام . وهنا شمر الشريكان عن ساعد الجد . وبعد جهد دام سنوات ، تأسست أول مطبعة عربية فى الآستانة وزودت بحروف وقوالب سبكها إبراهيم متفرقة بنفسه .

وفى سنة ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م) أخرجت المطبعة عدداً لا بأس به من الكتب وبخاصة ما كان الطلبة فى حاجة ماسة إليه مثل كتب اللغة . وقد ساعد إنشاء تلك المطبعة على تقدم العلوم والمعارف فى عصر تميز بتأثره بعادات الغرب وبتمشى السياسة العثمانية مع السياسة الأوربية . وإن ألقينا نظرة على مطبوعات الآستانة الأولى لاحظنا ميل أولى الأمر إلى تنوير أذهانهم بالمعارف ، فهم يهتمون بالمؤلفات التى تعنى بدراسة أصول العلاقات الفارسية التركية والدول الغربية التى تهتم بالملاحة البحرية .

وأول كتاب أخرجته المطبعة ، كان ترجمة قاموس وانقولى ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م) إلى اللغة التركية . ويتألف هذا القاموس من مجلدين . وبيعت النسخة منه بخمسة وثلاثين قرشاً من عملة ذلك العهد . وقد طبع فى أول القاموس نص الفتوى والفرمان العالى والتقاريظ المحررة على التقريظ الذى رفعه سعيد أفندى إلى أصحاب الشأن . ولم يقتصر عمل المطبعة على نشر الكتب ، فقد قام إبراهيم متفرقة بحفر وسبك حروف فرنسية وطبع خريطة للبحر الأسود وأخرى لبحر قزوين . وكتبت الأعلام الجغرافية باللغتين التركية والفرنسية .

ولما توفى إبراهيم أفندى سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٤ م) خلفه على إدارة المطبعة إبراهيم أفندى القاضى ، فأعاد طبع قاموس وانقولى وغيره من الكتب التى كانت الحاجة ماسة إليها . غير أنه لاحظ كثرة أخطائها المطبعية ورداءة حروفها ، فقرر تلافى هذا النقص ، ولكن المنية عاجلته قبل أن يشرع فى تنفيذ إصلاحاته وتنظيم مطبعته التى بدأت الفوضى تدب فى أركانها . ولما كان رجال الحكومة فى شغل شاغل عن الطباعة وأحوالها ، فقد توقفت عن العمل حوالى عشرين سنة[١] ، لأن الحكومة العثمانية لم تجد من الوقت ما يسمح لها بالتفكير فى الإذن لشخص آخر ليتولى أمور المطبعة .

---

(١) Brocchi : Giornale delle Osservazioni.. Vol. I, p. 174 et 175 et Brocchi : Giornale Esteso in Egitto, Nella Siria E. Nella Nubia, Vol. I, Bassano 1841, p. 174-175

وأعيد فتح المطبعة سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) وقامت بطبع تاريخ صبحى وتاريخ عزى سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) وغيرهما من الكتب التى يلاحظ أنها لم تطبع طبعاً متقناً ، فقد جاءت فيها عدة أخطاء ؛ وعلى العموم فإن المستوى الفنى لتلك المطبعة انخفض بعد وفاة مؤسسها إبراهيم متفرقة . يؤيد ذلك ما نشرته صحيفة لوكوربيه عن زيارة الشيخ محمد الفاسى لمطبعة الحملة الفرنسية بالقاهرة وعن إعجابه الشديد بها . وكان الشيخ المذكور قد شاهد مطبعة الآستانة ، ولكنه لم يجد فيها عمالا فى مهارة ودقة عمال « المطبعة الأهلية »[1].

وقد فكر أصحاب الشأن فى تجديد حروف المطبعة تجديداً شاملا وطلبوا إلى عبد الرحيم أفندى أن يشرف على صب الحروف الجديدة بنفسه . وكان ذلك فى خلافة السلطان الغازى سليم خان الثالث (١٧٨٩ — ١٨٠٧)، فقد تأسست فى عهده مطابع جديدة فى إسكدار وقمبرةخانه وطبع فيها حوالى خمسة وأربعين كتاباً .

ولما كان الترخيص الممنوح لسعيد أفندى وزميله إبراهيم متفرقة لا يجيز طبع كتب الدين ، فقد ظلت المطبعة مدة طويلة لا تطبع مثل تلك الكتب خوفاً من اعتراض المعترضين . غير أن علماء أصول الفقه لم يلبثوا أن رجعوا عن قرارهم السابق وأفتوا بجواز طبع كتب الشرع استناداً إلى القضية المسلم بها وهى : الأمور بمقاصدها ، فسمحوا على هذا الأساس بتجليد المصحف الشريف كى لا تتبعثر أوراقه وتضيع .

وكان للسلطان الغازى سليم خان الثالث الفضل كل الفضل على نشر المصنفات العربية فى دار السعادة . فقد كان مشغوفاً بالآداب ، الأمر الذى جعله يهتم بالمطبعة ويوليها الشىء الكثير من عنايته ورعايته .

تلك هى حال الطباعة فى تركيا حتى مطلع القرن التاسع عشر . وهى حال لا تحسد عليها إذا قورنت بما تم للطباعة من تقدم فى أوربا ، لا سيما فى فرنسا وإيطاليا . ولا شك أن الظروف التى أحاطت بالأتراك حكومة وشعباً هى التى حالت دون تقدم الطباعة وانتشارها ؛ فإن هذا الفن لا ينمو ولا يزدهر إلا فى البيئة التى تتجاوب معه .

(١) Courrier de l'Egypte, 24 Pluviose An IX (13-2-1801).

الفصل الثانى

السير فى الركب*

١٨٠٠ – ١٩٦٥

مضت الطباعة فى تركيا تتعثر تارة وتتقدم تارة أخرى . وبلغ عدد ما نشر من المؤلفات العربية بين سنة ١٨٠٠ وسنة ١٨٣٠ أكثر من أربعين كتاباً . وساهم فى هذه الحركة عدد من الولاة النابهين .

ويصف السائحان ميشو وبوجولا(١) مطبعة الآستانة وصفاً دقيقاً خلال زيارة أحدهما لها فى سنة ١٨٣٠ . لقد نقلت المطبعة من سكوتارى إلى العاصمة حيث خصص لها بناء واسع الأرجاء كان حماماً عمومياً فيما مضى . وتشمل المطبعة قاعة للتصحيح يجلس فيها المستخدمون على الأرض ويقومون بعملهم وهم على هذا الوضع . وفى قاعة ثانية حسنة الإضاءة واسعة ركبت أربع طابعات استوردت من باريس ، وفى جانب آخر من تلك القاعة استلقى ستة من منضدى الحروف على الأرائك وأخذوا يجمعون حروف أحد الكتب . وقد سبكت الحروف فى الآستانة وجلب الورق من تريستا فى إيطاليا . ويبدو مما شاهده أحد السائحين أن عمل المطبعة قليل جداً بالنسبة لإمبراطورية مترامية الأطراف .

ولم تكن الحكومة التركية تمنح المطبعة أية إعانة مالية تسمح لها باستخدام عمال مهرة وباستيراد طابعات حديثة .

إن الأتراك لا يرون فى المطبعة إلا اختراعاً غربياً يجب الحذر منه . وإن مقاومة فئة النساخ للمطبعة حالت دون نجاحها . يضاف إلى ذلك عقلية الأمة نفسها التى ترتاب فى كل شىء جديد . ولكن يبدو أن الأحوال أخذت تتغير قليلا ، فبدأ العلماء يقنعون أنفسهم بأن المطبعة إن لم تأت بنفع فهى لا تسبب ضرراً . وهكذا

(١) Michaud et Poujoulat; Correspondance d'Orient (1830-1831) T. III, Lettre LIV, Bruxelles 1841, pp. 83, 84 et 85.

سمح للمطبعة السلطانية بطبع كافة الكتب المتعلقة بالدين عدا القرآن نفسه .

ويقول السائحان إن مدير المطبعة يجهل التقدم الذى طرأ على صناعة الطباعة فى أوربا . وهكذا كتب على هذا الفن فى تركيا أن يظل متأخراً عنه فى البلاد الأخرى حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

وكان فى الآستانة فى حوالى سنة ١٨٣٠ مطبعة أنشأها اليونانيون وأخرى أسسها الأرمن ومطبعة ثالثة كانت لليهود .

ولم يكن فى الآستانة فى الثلث الأول من القرن التاسع عشر أية رقابة على المطابع . وسبب هذا التساهل من قبل الحكومة العثمانية يعزى إلى قلة عدد المطابع وندرة مطبوعاتها . ولو فرض جدلا وطبع كتاب يخالف سياسة الحكومة ومعتقداتها فإنه من السهل معرفة المطبعة التى طبع ذلك الكتاب فيها ، سواء كان مطبوعاً فى الآستانة أو فى غيرها من المدن العثمانية .

ولما رأت الحكومة ضرورة تنظيم المطابع ، أصدرت فى سنة ١٨٥٧ « نظاماً » يطبق على جميع المطابع فى أنحاء الإمبراطورية العثمانية . وتفرض المادة الأولى من ذلك « النظام » على من يريدون فتح مطبعة « أن تتحقق كيفياتهم بمعرفة مجلس المعارف والضبطية ثم يحصل بعد ذلك الاستئذان من مقام الصدارة العظمى العالى بمضبطة من المجلس المذكور ويعطى لهم بذلك سند يحوى المأذونية من جانب الضبطية[١] .

ولا تعفى الحكومة الأجانب من هذا النظام ، فالمادة الرابعة منه تحتم على من يرغب منهم فى فتح مطبعة أن يتوجه بطلبه إلى نظارة الخارجية لتمنحه سنداً « يحوى الترخيص » .

ولم يقتصر نشاط المطبعة السلطانية على طبع الأوراق الرسمية لدواوين الحكومة المختلفة ، بل قامت منذ سنة ١٨٦٠ بطبع الصحيفة الأسبوعية السياسية التى أنشأها فى تلك السنة الأديب اللبنانى المعروف أحمد فارس الشدياق . وظلت « الجوائب » تطبع فى المطبعة السلطانية عشر سنوات إلى أن قرر صاحبها سنة ١٨٧٠ أن ينشئ لها مطبعة خاصة زودها بأحدث أدوات الطباعة . ولم يمض على تلك المطبعة وقت

---

(١) رياض شمس : حرية الرأى ، الجزء الثانى ، ص ٥٩٣ ، مطبعة دار الكتب المصرية .

طويل حتى غدت من أشهر مطابع الآستانة والشرق العربى[١] .

وإلى سليم بن أحمد فارس الشدياق يعود فضل ازدهار « مطبعة الجوائب » ، فقد كان مديرها وروحها العاملة . والمكتبة العربية مدينة لأحمد فارس الشدياق ومطبعته بتلك الثروة الأدبية التى كانت مدفونة فى خزائن كتب الآستانة لا يعرف الناس عنها شيئاً حتى هيأ الله لها مطبعة الجوائب التى طبعتها ونشرتها فى الآستانة وكافة الولايات العثمانية . وتمتاز حروف تلك المطبعة بالجمال والدقة وندرة أخطاء مطبوعاتها .

وكان اليهود أيضاً أول من أنشأ مطبعة فى سلانيك ، فقد جلبوا إليها مطبعة بالحروف العبرية فى أوائل القرن السادس عشر ونشروا عدة كتب دينية وعلمية .

وفى مطلع القرن التاسع عشر ، أنشئت مطابع فى إسكدار وأزمير وقمبره خانه ، غير أن نشاطها لم يكن يتجاوز المؤلفات الدينية المكتوبة بالتركية إلا فيما ندر .

ولم يكن ينتظر لتلك المطابع وغيرها رواج يذكر ، فالحياة الاجتماعية والثقافية لا وجود لها إلا عند النخبة المنتقاة وكان انتشار الصحف محدوداً لرقابة الدولة عليها من ناحية ، ولكثرة عدد الأميين من ناحية أخرى .

كان لابد إذن من توفر ثلاثة عوامل لانتشار الطباعة فى تركيا وازدهارها ، ورقيها ألا وهى : الانتعاش الاقتصادى وتعميم التعليم وحرية نسبية للصحافة أو على الأقل حكومة تؤمن بقوة الصحافة فتعنى بها من وجهة نظرها ، كما حدث فى تركيا الكمالية وإيطاليا الفاشستية وألمانيا النازية .

وهكذا كتب على فن جوتنبرج فى تركيا أن يتقدم ببطء إلى أن تم إلغاء السلطنة فى أول نوفمبر ١٩٢٢ وإعلان الجمهورية فى ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣ وانتخاب مصطفى كمال باشا أتاتورك الذى بادر بإسقاط الخلافة فى سنة ١٩٢٤ وفصل الدولة عن الدين وإلغاء المحاكم الشرعية واتخاذ القبعة لباساً للرأس بدلا من الطربوش واستخدام الحروف اللاتينية بدلا من العربية فى كتابة اللغة التركية . . وكان لابد للرئيس الجديد للدولة من مطابع تنشر مبادئه وتقنع الأتراك بها . وكان أن أنشأت الحكومة مطابع على أحدث طراز جلبت معداتها من أوربا . وأقبلت مطابع

(١) فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ، بيروت ١٩١٣ ص ٦١ .

الأفراد ودور النشر على تجديد معداتها بحيث أصبحت المطبوعات فى تركيا قبيل الحرب العالمية الثانية لا تقل جودة عن المطبوعات الأوربية والأمريكية؛ وقد توقف تقدم الفن المطبعى خلال هذه الحرب وبعدها بقليل ، ثم تابع سيره بإدخاله كل مستحدث جديد يظهر فى السوق .

الباب الثالث

الطباعة فى لبنان



الفصل الأول

نشأة الطباعة فى لبنان

١٦١٠ – ١٨٣٤

سعت الكنيسة الكاثوليكية الغربية منذ الثلث الأخير من القرن السادس عشر فى ضم الكنيسة الشرقية إليها . فأرسل البابا إلى المشرق راهبين يسوعيين للاتصال بالطائفة المارونية . وظل الراهبان سنة كاملة درسا خلالها حالة لبنان الدينية والاجتماعية ، ثم قفلا راجعين إلى روما بصحبة تلميذين أحدهما من لبنان والآخر من قبرص . واقترح الراهبان على البابا قبول الشبان الذين يرشحون أنفسهم للكهنوت تلاميذ فى الكليات الإكليريكية بروما ، وتأسيس مطبعة فى تلك المدينة لنشر الكتب العربية والسريانية ، التى تحتاج إليها الكنيسة المارونية . ووافق البابا على الاقتراحين .

ومن المرجح أن تكون المطبعة البابوية قد بدأت عملها فى سنة ١٥٨٣[١] . أما مطبعة الراهبين اليسوعيين ، فقد جهزت بالحروف العربية والسريانية وتم لها طبع النص العربى من كتاب التعليم المسيحى فى سنة ١٥٨٠[٢] .

وعاد أحد الراهبين ، ويدعى الأب اليانو ، إلى لبنان حيث مكث فيه سنتين ، قام خلالهما بتأسيس بعض المدارس الصغيرة وطالب رؤساءه بنشر الكتب الدينية المختلفة نزولا على رغبة رجال الكنيسة المارونية . واستجابت مطبعة مديتشى آخر الأمر ونشرت سنة ١٥٩٤ كتاب خدمة القداس باللغة السريانية[٣]. وقامت مطبعة « جاك لونا » بروما بطبع كتاب الدياكونيكون وفيه الترجمة العربية لأكثر الصلوات وظهر عن هاتين المطبعتين عدة كتب أخرى .

---

(١) J. Nasrallah : L'imprimerie au Liban, p. XVII.

(٢) الأب لويس شيخو : الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، مجلة المشرق ، الجزء الحادى والعشرون من ص ٦ إلى ص ٦٩ .

(٣) Schnurrer : Bibliotheca Arabica, p. 240.

وإن جميع الذين درسوا الحالة الفكرية فى لبنان فى تلك الحقبة من تاريخه يجزمون بأن التقدم الذى أصاب تلك البقعة من الشرق العربى ، إنما يعود إلى البعثات التى أرسلت إلى روما لتأتى منها بأطيب الثمار بما نقلت إلى بلادها من علوم وفنون ، وبما أنشأت من مدارس لتعليم اللبنانيين القراءة والكتابة . وقد استطاعت تلك النخبة من الرهبان إقناع البطريرك المارونى بتأسيس أول مطبعة فى لبنان بدير قزحيا وبإنشاء مدرسة سيدة حوقة الإكليريكية .

ولم يقتصر نشاط الدعاية الكاثوليكية على الطائفة المارونية فحسب ، بل تعداها إلى الطائفتين السريانية والكلدانية . وبدأت مساعى البابوات فى ضم هاتين الطائفتين منذ القرن السادس عشر . وقامت عدة عقبات فى سبيل تلك الوحدة . وكان لابد للمعنيين بها من رجال الكنيسة الكاثوليكية بروما ، أن يتوسلوا بطرق الدعاية المختلفة لحمل المترددين من زعماء هاتين الطائفتين على الانضمام للكرسى البابوى . وقد لعبت المطبعة دوراً كبيراً فى تحقيق هذا الاتحاد . ويمكن لمؤرخ الطباعة فى لبنان أن يؤكد أن اللبنانيين كانوا سيظلون جاهلين للطباعة مائة سنة أخرى على أقل تقدير ، لولا الدعاية التى قام بها الكرسى الرسولى بينهم ، ولولا تلك البعثات التى أرسلت منهم إلى روما خلال القرن السادس عشر .

مطبعة دير قزحيا

١٦١٠

يقع دير قزحيا ، أقدم أديرة لبنان ، جنوبى طرابلس وشمالى قرية إهدن .. وكان الدير يتألف من قبو صغير ودهليز وقاعة للاجتماعات وكنيسة صغيرة . ومطبعة ذلك الدير هى أول مطبعة عرفها لبنان . ويرجع تاريخ إنشائها إلى العشر السنوات الأولى من القرن السابع عشر . ويقال إن بعض رهبان الطائفة المارونية قد جلبوها معهم بعد أن انتهت مدة بعثتهم فى روما سنة ١٦١٠ . وكانت حروف

[illegible]

[illegible]

صفحة من كتاب مزامير مطبعة قزحيا

تلك المطبعة سريانية . ولم يعرف المؤرخون من مطبوعاتها سوى كتاب المزامير الذى طبع فيها سنة ١٦١٠[1] .

ويزعم المطران أسطفان عواد السمعانى أن كتاب مزامير قزحيا طبع سنة ١٥٨٥ لا سنة ١٦١٠ . على أن الأبحاث التى قام بها المؤرخون فى جميع المكتبات التى تحتفظ بالكتب المطبوعة قديماً لتدل على أن المزامير التى يشير إليها هذا المطران ليس لها وجود إطلاقاً . وعلى أى حال ، فإن الحالة الفكرية فى لبنان لم تكن تستدعى وجود مطبعة قبل القرن السابع عشر . ولا نعتقد أن الكرسى الرسولى يبعث إلى لبنان بمطبعة فى وقت لم تكن القراءة والكتابة قد انتشرت فيه انتشاراً كافياً . ثم إن المطبعة لابد لها من أيد خبيرة متمرنة تقوم بسبك الحروف وتنضيدها وتوضيب الصفحات . وتلك أمور لم يكن اللبنانيون يعرفون عنها شيئاً . أما طلبة البعثات ، فقد كانوا يفضلون العمل فى مطابع روما حيث كانت جميع وسائل العمل متوفرة لديهم .

ومهما يكن من أمر ، فقد كتب لمطبعة قزحيا ألا تعيش طويلا . إذ لم يعثر لها على مطبوعات أخرى غير كتاب المزامير المذكور . إن المؤرخين الذين كتبوا عن تلك المطبعة لا يذكرون شيئاً عن قصة اختفائها . وأكبر الظن أن أصحابها أهملوها بعد أن رأوا الكتب المطبوعة فى روما ترسل إليهم بدون عناء وتوزع على كنائسهم بلا مقابل ، فضلا عن جودة طبعها وحسن إخراجها . إن أرض لبنان لم تكن مهيأة بعد لتقبل فن جوتنبرج ، فلما جاءها لفظته ولكن إلى حين . ومن هنا نرى أن الطباعة لا يمكن أن تزدهر إلا فى البيئة التى تتفاعل معها . وقد ظل لبنان بعد اندثار مطبعته الأولى أكثر من مائة سنة بدون مطبعة .

وفى أواخر القرن السابع عشر بذلت عدة محاولات لنقل مطبعة أحد الرهبان الموارنة من روما إلى لبنان . ولكنها باءت جميعها بالفشل . وكل ما أمكن عمله فى هذا الشأن ، هو نقل المطبعة إلى مالطا حيث ظلت فى تلك الجزيرة بدون عمل .

ويبدو أن روما كانت تفضل هذا الوضع الذى يسمح لها بمراقبة كل الكتب الدينية الشرقية التى يراد طبعها ، فلا تقر منها إلا ما تراه متفقاً والمبادئ الدينية التى

---

(١) تحتفظ المكتبة الشرقية التابعة لجامعة القديس يوسف ببيروت بنسخة من هذا الكتاب .

تؤمن بها والتى تعمل على ترويجها بين أبناء الطوائف الشرقية .

وقام أثناسيوس مطران ماردين السريانى بجمع التبرعات فى أوربا وأمريكا والهند فى سنة ١٦٨٥ لبناء دير لطائفته . وكان يهدف إلى تأسيس مطبعة فى ذلك الدير . لكن البطريرك صرفه عن تحقيق فكرته . وانتهى الأمر بشراء دير للطائفة بروما[١].

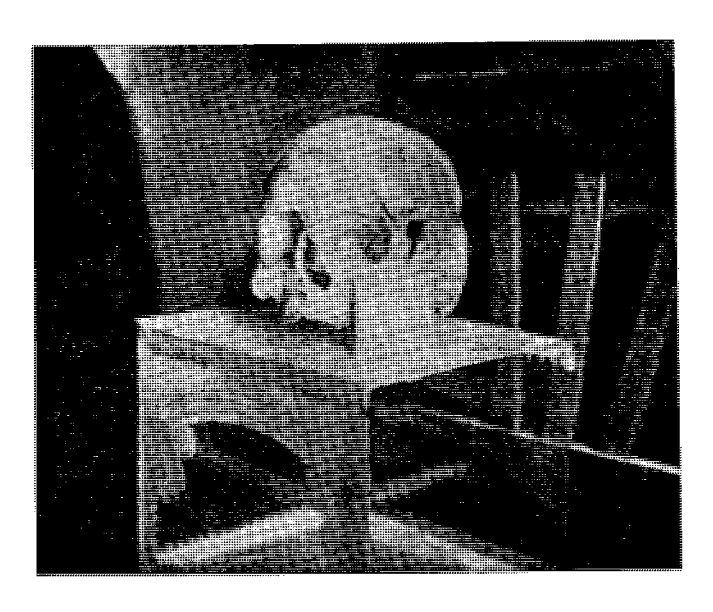
مطبعة دير مار يوحنا الصابغ بالشوير
١٧٣٣

يعود فضل إنشاء أول مطبعة عربية فى لبنان بدير مار يوحنا الصابغ إلى الشماس عبد الله زاخر .

وُلد عبد الله بن زخرية صايغ ، المشهور بعبد الله زاخر ، بمدينة حماه سنة ١٦٨٠ . وبدت عليه أمارات النجابة والذكاء منذ نعومة أظفاره . وما لبث أن نبغ فى الصناعة التى يمارسها والده ، ألا وهى الصياغة . وفى سنة ١٧٠١ ترك عبد الله مدينة حماه وذهب إلى حلب حيث درس اللغة العربية على الشيخ سليمان النحوى ودرس الفلسفة والعلوم الكنسية على أحد القساوسة .

وكان زاخر فى أول الأمر على علاقة طيبة بالبطريرك الدباس الذى لم يكن قد أعلن عداءه بعد للكنيسة الكاثوليكية . وظل عبد الله زاخر فى خدمته بعض الوقت حيث نسخ له بعض المخطوطات وألف له بعض الكتب وأشرف على مطبعته وأكمل ما ينقصها من معدات[٢] . وظلت الصلات طيبة بين زاخر والدباس إلى سنة ١٧٢٠ حين دب النزاع بين الكاثوليك والأرثوذكس فى الربع الأول من القرن الثامن عشر ، واحتدم الجدال بين الكنيستين . وكان لزاخر فى تلك الحركة القدح المعلى فمضى ينافح عن الكثلكة ويذود عن مبادئها . وكان لموقفه هذا أطيب الأثر فى روما فعرضت عليه وظيفة هامة فى جمعية نشر الإيمان . غير أن صاحبنا آثر البقاء فى

(١) الفيكونت فيليب دى طرازى : أصدق ما كان عن تاريخ لبنان ، الجزء الثانى ص٣١٦، ٣١٧.
(٢) انظر تاريخ مطبعة البطريرك دباس فى الجزء الخاص بالطباعة فى سوريا .



جمجمة عبد الله زاخر مؤسس مطبعة دير مار يوحنا الصابغ

حلب ليهاجم الأرثوذكس فى عقر دارهم مما أحفظهم عليه .

وبلغ عبد الله زاخر ذروة المجد فى سنة ١٧٢٢ حين بدأ الأرثوذكس يرون فيه العدو الأول فاستصدروا فى حقه الفرمان الهميرنى الذى يقضى بقطع رأس « الشقى المثلث اللعنة عبد الله زاخر » . ففر هارباً إلى لبنان حيث استقر به المقام آخر الأمر فى دير مار يوحنا سنة ١٧٢٨[١] .

وبدأ زاخر يعد العدة لإنشاء مطبعة جديدة يستخدمها فى نشر الكتب الدينية . وتم له تركيبها فى سنة ١٧٣١ . وإن كل ما فى هذه المطبعة من آلات وحروف ومسابك ومصفات ومحابر ومكبس ونقوش وزخارف من صنع الزاخر نقشاً وحفراً وسبكاً فى الخشب والنحاس والرصاص[٢] . وأمضى زاخر حياته فى دير الشوير بين تأليف الكتب وطبعها إلى أن وافته منيته فى ٣٠ أغسطس سنة ١٧٤٨ .

---

(١) الشماس عبد الله زاخر الراهب ، نشرة الرهبانية الباسيلية الحلبية ، العدد ٩ — ١٠ أيلول سنة ١٩٤٨ ص ١٦ .

(٢) فؤاد أفرام البستانى ؛ الشماس عبد الله زاخر ، مجلة المسرة عدد ممتاز ، تموز ١٩٤٨ .

المطبعة :

لقد كان زاخر من هؤلاء الذين يصلحون لأى عمل يكلفون به . فهو فنان بارع فى الصياغة والحفر وصنع الساعات[1] والتصوير والكتابة . وقد يتبادر إلى الذهن أن عبد الله زاخر دخل سلك الرهبنة . والحقيقة أنه لم ينذر النذور الرهبانية الأخيرة ولكنه عاش عيشة الرهبان .

شرع زاخر فى إنشاء مطبعته فى زوق مكايل ؛ فاتصل بأحد الصياغ ليمده بالأدوات اللازمة ويساعده بعض الشيء . أما الآلات التى كان فى حاجة إليها فقد جلبها من حلب . وأخذ فى صنع الأمهات وفى صب الحروف واتخذ نموذجاً له حروف مطبعة جمعية نشر الإيمان بروما ؛ وهى حروف شديدة الشبه بخطوط ناسخى الكتب الدينية . ويقال إن زاخر صنع أيضاً المصفات ذات الأحجام المختلفة والملازم والملاقط . كما قام بحفر الكليشهات الخشبية والنحاسية المختلفة . وقد نجح فى تحضير نوع من الحبر الثابت ، الشديد السواد . أما آلة الطباعة فقد أوصى زاخر الأب فروماج اليسوعى بإحضارها من أوربا .

ولما عاد عبد الله زاخر من زوق مكايل سنة ١٧٣١ واستقر بدير مار يوحنا ، نقل إليه مطبعته التى لم تكن قد اكتملت أجزاؤها بعد . غير أن المصائب التى نزلت بالرهبنة الشويرية الناشئة حالت دون استخدام المطبعة قبل سنة ١٧٣٣ . وقد تعطلت بعد ذلك لبضعة أشهر ثم استأنفت نشاطها سنة ١٧٣٤ فأخرجت ثمانمائة نسخة من كتاب « ميزان الزمان » .

ويقول الرحالة فربى الذى زار لبنان بين سنة ١٧٨٣ وسنة ١٧٨٥ وقضى بعض الوقت فى دير الشوير ، إن « زاخر كان يعرف فوائد المطبعة ، وبفضل شجاعته استطاع أن يحقق مشروعاً ذا أركان ثلاثة وهى الكتابة وصب الحروف والطباعة . ويعود فضل نجاحه إلى ذكائه وماله ومهارته فى الحفر ، تلك المهارة التى اكتسبها حين كان صائغاً . لقد كان الصائغ فى حاجة إلى شريك فواتاه الحظ برجل شاطره أهدافه . فقد دعاه أخوه (كذا) الذى كان رئيساً لدير مار يوحنا للنزول عنده

(١) فى متحف دير مار يوحنا الصايغ ساعة من صنعه .

فقبل الدعوة . ومنذ ذلك الحين تحرر زاخر من كل عمل آخر ومضى ينفذ مشروعه . وبفضل نشاطه ودأبه استطاع أن يطبع ابتداء من سنة ١٧٣٣ مزامير داود (كذا) فى مجلد واحد . وبلغت حروفه من الدقة والجمال درجة جعلت أعداءه أنفسهم يقبلون على شراء كتبه . . وهى كخط اليد فى سمك ورفع فلا تبدو نحيلة مفككة كالحروف العربية المصنوعة فى روما[١] » .

لقد وقع فولنى فى خطأين عندما حدثنا عن مطبعة مار يوحنا . فزاخر ليس شقيق رئيس الدير ولم يقم بطبع مزامير داود فى سنة ١٧٣٣ . ولكن إذا تركنا هذين الخطأين جانباً ، وجدنا أن فولنى يعطينا فكرة طيبة عن زاخر وفنه الذى ليس له مثيل فى بلاد المشرق كلها . أما قاعدة الحروف التى ابتدعها زاخر فتتطلب وجود تسعمائة صندوق ومنضدة طولها ثمانية عشر قدماً توضع عليها تلك الصناديق . وعلى الشخص المكلف بتنضيد الحروف أن يزرع تلك المنضدة ذهاباً وإياباً عشرات المرات باحثاً عن الحرف الذى يريده[٢] .

وبدأت المطبعة تعمل بصفة منتظمة ابتداء من سنة ١٧٣٤ . وكان يساعد زاخر تلميذه سليمان قطان وبعض رهبان الدير . ولما كان زاخر المالك الشرعى للمطبعة ، فقد قسمت أرباحها بينه وبين الرهبنة الشويرية . ولما شعر زاخر بدنو أجله عزم على ترتيب أمور مطبعته ، فأوصى فى سنة ١٧٤٦ لابن أخيه لطف الله سمعان زاخر بجزء من ثروته على أن يتنازل عن حقوقه فى المطبعة والكتب التى لعمه . وفى التاسع والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٧٤٨ ، أملى عبد الله زاخر على سليمان قطان وصيته . وهى تقضى بإعطاء المطبعة وأدواتها ومقرها للرهبنة الشويرية على أن يشرف سليمان قطان على إدارتها .

وبعد ثلاث عشرة سنة من تاريخ تحرير الوصية دب الخلاف بين مدير المطبعة الجديد والدير . وكان لهذا الخلاف أثره على حركة الطبع . فقد توقفت المطبعة تماماً حوالى السنتين ، ثم استأنفت نشاطها بعد أن تم الصلح بين المتخاصمين وكان يعمل فى المطبعة ستة رهبان تخصص ثلاثة منهم فى الطبع واثنان فى

---

(١) Volney, (C.F.) : Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783, 1784 et 1785, Tome II pp. 174, 190.

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

تنضيد الحروف بينما تفرغ راهب واحد ليتعلم السبك .

ويبدو أن حالة المطبعة بدأت تسوء بعد وفاة منشئها عبد الله زاخر . فلما زارها فولني فى أواخر القرن الثامن عشر وجد فيها « أربعة رهبان يشتغلون فى الطبع وأربعة أخرين يعملون فى قسم التجليد ويخلص من ذلك إلى الحكم بأن المطبعة فى اضمحلال [١] وأنه يخشى عليها أن تتوقف عن العمل . فالإقبال على شراء الكتب ضعيف باستثناء المزامير التى يستخدمها المسيحيون فى تعليم أبنائهم القراءة والكتابة ويعاد طبعها بين الحين والآخر . إن نفقات المطبعة باهظة ، فالورق يستورد من الخارج والعمل يجرى ببطء ، ولكن بشىء من العناية يمكن تلافى العقبة الأولى . أما البطء فهو عيب متأصل . . » ويرجع فولنى سبب عدم رواج الكتب إلى سوء اختيار موضوعاتها . فبدلا من ترجمة مؤلفات ذات فائدة عملية تعين على إيقاظ الحاسة الفنية عند العرب جميعاً دون تفرقة ، فإنهم لا يترجمون إلا كتباً فى التصوف لا تنفع إلا المسيحيين [٢] . وقد تحقق ما تنبأ به فولنى بعد زيارته للمطبعة بخمس عشرة سنة . فقد توقفت عن العمل من سنة ١٧٩٧ [٣] إلى سنة ١٨٠٢ .

وإن المتصفح لقائمة الكتب التى طبعت فى تلك المطبعة منذ تأسيسها حتى سنة ١٨٣٤ يحكم على أن نشاطها كان ضعيفاً . مما يدل على أن الحالة الفكرية فى لبنان لم تكن تدعو إلى الإكثار من المطبوعات ، خاصة خلال القرن الثامن عشر ، حينما اقتصر إنتاج المطابع اللبنانية على الكتب الدينية المختلفة .

وفى سنة ١٨٢٣ حدث أول انشقاق فى الرهبنة الشويرية بين البلديين والحلبيين فأخذ الفريق الأول المطبعة وقسم التجليد واحتفظ الفريق الآخر بدير مار إلياس فى زحلة وما يتبعه من ممتلكات . مما يدل على الأهمية الكبرى التى كانت للمطبعة فى نظر الفريقين المتنازعين .

---

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٣) W.G. Brown : Reisen in Africa, Aegypten und Syrien, Leipzig, 1800, p. 568.

دلنا على هذا المرجع أحد رهبان دير مار يوحنا الذين يجيدون الألمانية .

مطبعة القديس جاورجيوس

١٧٥١

هى أول مطبعة عرفتها بيروت . وكان مقرها دير القديس جا رجيوس . أسسها الشيخ يونس نقولا الجبيلى الملقب بأبى عسكر ، سنة ١٧٥١ ، لخدمة طائفته الرومية الأرثوذكسية التى كان يرأسها فى ذلك العهد المطران إيوانيكوس اليونانى . وكان الشيخ يونس واسع الثراء محباً لطائفته ، يعمل لخيرها . ولما شاهد الفوائد العائدة من إنشاء المطبعة الشويرية التابعة لرهبان الروم الكاثوليك ، سعى جهده لشراء مطبعة لطائفته . وقد كلل مسعاه بالنجاح . ثم أوصى بصنع حروف تشبه حروف المطبعة الشويرية التى كانت ، كما رأينا ، تمتاز بالوضوح والجمال والإتقان .

وأول كتاب خرج من مطبعة القديس جاورجيوس ، هو كتاب « المزامير » وقد تم طبعه سنة ١٧٥١ ويقع فى ٣٦٧ صفحة من القطع الصغير عدا مقدمة من ثلاثين صفحة[١] . وبعد ذلك بسنتين ، أى فى سنة ١٧٥٣ صدرت طبعة ثانية من الكتاب نفسه . وإن الدلائل جميعها تدل على أن نشاط المطبعة كان ضعيفاً للغاية . وعلى الرغم من الجهود التى بذلها منشئها فقد توقفت عن العمل بعد تأسيسها بمدة وجيزة ، إذ أن بيروت لم تكن فى منتصف القرن الثامن عشر فى حالة تسمح لها بدفع هذه المطبعة إلى الأمام ، وقد توفى صاحبها ، المدعو أبو عسكر ، فى سنة ١٧٨٧ . وظلت عاصمة لبنان بدون مطبعة إلى أن جلب المبشرون الأمريكيون مطبعتهم فى سنة ١٨٣٤ .

وقد سار النسخ جنباً إلى جنب مع الطباعة . وكان الرهبان فى الأديرة يشتغلون

(١) الأب لويس شيخو : تاريخ فن الطباعة فى المشرق ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، العدد الحادى عشر ، حزيران سنة ١٩٠٠ ، ص ٥٠٢ .

فى نسخ كتب الصلاة ، مثلهم فى ذلك مثل زملائهم فى أديرة أوربا . وتحتفظ مكتبات الأديرة اللبنانية بعدد كبير جداً من هذه الكتب المخطوطة التى كانت تباع بسعر معقول .

مطبعة دير قزحيا الثانية

١٨٠٨

بدأ نشاط هذه المطبعة فى أوائل القرن التاسع عشر . ويعود فضل إنشائها إلى الراهب سيرافيم حوقا الشوشانى البيروتى . فقد أحضرها معه من روما سنة ١٧٨٢ . ووضعت المطبعة أول الأمر بدير مار موسى الدوار إلى أن أفرد لها مكان بدير قزحيا .

وفى أثناء وجودها بدير مار موسى طبعت الشحيم بالحرف الأسود السريانى . ويقول الأب نعمة الله الكفرى إنه فى عهد الأب أغناطيوس بليبل الرئيس العام للدير نقلت المطبعة إلى قزحيا حوالى سنة ١٨١٥[١] . ويرجح الأب لويس شيخو أن يكون نقلها قد تم قبل ذلك التاريخ بعشر سنوات ويبرهن على صحة ما يقول بأنه توجد نسخة من الشبيه مطبوعة بدير قزحيا سنة ١٨٠٨ .

وفى سنة ١٨٢٠ رأى رئيس الدير أن يخصص لها مكاناً منفصلا . فبنى لها قبواً ركبت فيه آلاتها وشيد طابقاً فوقه خصص لتخزين المطبوعات ولتجليد الكتب . وقد زارها الرحالة ج . بوركهارت سنة ١٨٢٢[٢]. وكانت عجلتها من الخشب . أما الحبر فكان يوزع على حروفها بمحابر من جلد . غير أن العجلة الخشبية لم تلبث أن استبدلت بعجلة صغيرة من الحديد[٣] . وكان معظم إنتاج قزحيا كتباً دينية طبع بعضها عدة طبعات .

(١) الأب نعمة الله الكفرى : تاريخ دير مار أنطونيوس ، المشرق ، السنة الرابعة ، ص ٨٧٣ .
(٢) الأب لويس شيخو ، المشرق ، السنة الثالثة ، ص ٢٥٧ .
J. Burckhardt : Travels in Syria and Holy Land, 1822, p. 22.
(٣) الأب نعمة الله الكفرى ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها .



الفصل الثانى

رسوخ الطباعة

١٨٣٤–١٨٦٩

المطبعة الأمريكية ببيروت

١٨٣٤

لله مطبعــة بحســن طباعها   أحيت عظام الكتب وهى رميم

الشيخ أحمد عباس الأزهرى

للمطبعة الأمريكية ببيروت قصة طويلة يجدر بمن يؤرخ للطباعة فى الشرق العربى أن يوليها الشىء الكثير من عنايته . فهى ثانى مطبعة تنشأ بمدينة بيروت ورابع مطبعة عرفها لبنان . ونستطيع أن نقول إن الفن المطبعى بمعناه الصحيح لم ترسخ أقدامه فى لبنان إلا حين قرر المبشرون الأمريكيون نقل مطبعتهم من مالطا إلى بيروت فى سنة ١٨٣٤ .

ويعود تاريخ تأسيس تلك المطبعة إلى سنة ١٨٢٢ ، حين اتخذ المبشرون الأمريكيون جزيرة مالطا قاعدة لنشاطهم فى الشرق الأدنى . ولما كانت الطباعة وسيلة للدعاية لا يمكن الاستغناء عنها ، فقد قرر مجلس الإرسالية فى أمريكا تأسيس مطبعة فى تلك الجزيرة لتعنى بنشر الكتب والكراسات للتبشير بدين المسيح حسب المذهب البروتستانتى . ولما كان هؤلاء المبشرون لا يفقهون شيئاً فى أمور الطباعة ، فقد اكتنف مشروعهم فى أول أمره صعاب كثيرة ما لبثوا أن قضوا عليها بقوة إيمانهم وبجدهم وعملهم المتواصل .

واهتم هؤلاء المبشرون أول ما اهتموا بترجمة نشرات التبشير المكتوبة باللغة الإنجليزية . وأول مطبوع صدر عن مطبعة مالطا الأمريكية رسالة عنوانها

« السبت » . وتبعتها رسائل أخرى نشرت باللغات الإنجليزية واليونانية والإيطالية والأرمنية والتركية وأرسلت نسخ منها إلى مصر وسوريا واليونان . وقد حالف النجاح تلك المطبوعات ، مما شجع أصحاب الشأن على زيادة العناية بمطبعتهم فقرروا توسيعها ومضاعفة الاهتمام بها . ونشرت المطبعة بعد ذلك الكتب المدرسية المختلفة . واشتغل مصححاً فيها الكاتب اللبنانى المعروف أحمد فارس الشدياق قبل أن يعتنق الإسلام . واستمرت المطبعة فى عملها اثنتى عشرة سنة أخرجت خلالها ٣٥٠ ألف نسخة من كتب وكراريس(١) .

وما أن حلت سنة ١٨٣٣ حتى قر رأى المرسلين الأمريكيين على نقل المطبعة من مالطا إلى أزمير . وقد تم هذا النقل فى شهر ديسمبر من السنة نفسها . إلا أن فرعا من المطبعة ظل فى مالطا إلى سنة ١٨٤٢(٢) . وفى ٨ مايو سنة ١٨٣٤ نقل القسم العربى من المطبعة إلى بيروت حيث تخصص فى نشر المطبوعات العربية وتوزيعها على الناطقين بالضاد فى أنحاء الشرق العربى .

وصلت المطبعة الأمريكية إلى بيروت فألفت لبنان فى حالة ثقافية لا يحسد عليها . فالأمية متفشية بين السكان والمدارس نادرة ، وإن وجدت فهى عبارة عن كتاتيب صغيرة ملحقة ببعض المساجد والكنائس لا تروى غليلا .

ويصف أحد المرسلين الأمريكيين بيروت فى ذلك العهد فيقول : « إن بيروت المدينة مبنية من الطين والحجر الرملى ، وهى مظلمة رطبة وأسواقها ضيقة قذرة ، وفى الشتاء قلما تجف أوحالها ، وهى مبلطة منذ القديم ، وكل ذلك بدون ترتيب والبلاط غير متناسب فى الحجم وبين الواحدة والأخرى فجوات . وقذارة المدينة ورطوبتها فى الشتاء وحرها فى الصيف يحيلها غير صالحة للعيال(٣) » . ولم يكن فى المدينة سوى ثلاثة مساجد كبيرة وعدد من المساجد الصغيرة وأربع كنائس . أما عدد السكان فلم يكن يزيد على خمسة آلاف نسمة .

ولما وصلت المطبعة من مالطا ، وضعت فى قبو البناء الذى شيده القس برد سنة ١٨٣٠ بجوار مدرسة البنات الأمريكية لإيواء المرسلين وإقامة الصلاة فى أيام

(١) العيد المئوى لنقل المطبعة الأمريكانية إلى بيروت ص ٣٥٢ .

(٢) J. Richter : A history of protestant mission.., 1910, pp. 106-185.

(٣) العيد المئوى لنقل المطبعة الأمريكانية إلى بيروت ، ص ٤ .

الآحاد . وكانت المطبعة « صغيرة حقيرة »[١].

ولم يكن نشاط المطبعة فى أول الأمر متصلا ، فقد توقفت سنة ١٨٣٥ لعدم وجود الفنيين ، وتعطلت مرة أخرى بين سنة ١٨٣٩ وسنة ١٨٤١ بسبب الاضطرابات التى وقعت فى بيروت وغيرها من المدن اللبنانية والسورية فى أواخر عهد الاحتلال المصرى لتلك البلاد ، فرحل المبشرون الأمريكيون عن بيروت بعد أن أصبحت ميدان حرب مستعرة بين الجيوش المصرية بقيادة إبراهيم باشا والجيوش العثمانية تؤازرها الأساطيل الإنجليزية والنمساوية والتركية التى أخذت تضرب المدينة بقنابلها ليل نهار لمدة سبعة أيام فتهدم عدد كبير من أبنيتها . ولما وضعت الحرب أوزارها بجلاء جيوش إبراهيم باشا عن البلاد ، عاد المرسلون الأمريكيون إلى مقرهم ببيروت فألفوا المطبعة على ما هى عليه لم تمسسها يد .

وشعر المرسلون منذ سنة ١٨٣٦ أن الحروف التى يستعملونها فى مطبعتهم رديئة ، وكانوا يطلقون عليها اسم « حروف لندن » ، فتعهد الدكتور عالى سمث بإصلاحها وسافر إلى ليبزج بعد أن حمل معه نماذج من خطوط بعض مشاهير الخطاطين فى مصر والآستانة والشام . وقد تم له صنع الحروف العربية الجديدة ذات الحركات وطبعت بها أول ما طبعت كتب المطالعة والتعليم المسيحى ومبادئ النحو للشيخ ناصيف اليازجى وغيرها من الكتب . فكانت أول مطبعة تسبك الحرف العربى المشكول المعروف « بالأمريكانى » .

ولم يقتصر نشاط الإرسالية الأمريكية ببيروت على الطباعة ، بل أخذت تنشئ المدارس فى أنحاء لبنان ، وحذت حذوها سائر الإرساليات التى نزلت فى تلك البلاد وزاد طلب الناس للكتب . واستمرت المطبعة الأمريكية حتى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر تزود لبنان وسوريا بالكتب المدرسية والعلمية والدينية . ولم يقتصر الأمر على هذا بل أخذت تزود أيضاً المطابع التى أنشئت فى ذلك العهد بالحروف . وظلت المطبعة الكاثوليكية المنافسة للأمريكيين ونشاطهم الدينى فى البلاد ، تستعمل حروف المطبعة الأمريكية زهاء خمس عشرة سنة .

---

(١) شاهين مكاريوس ، المعارف فى سورية ، المقتطف الجزء السابع من السنة السابعة ، شباط ١٨٨٣ .

وإلى المطبعة الأمريكية ببيروت يعود فضل طبع الكتاب المقدس طبعاً أنيقاً خالياً من الأخطاء . وقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى مارس سنة ١٨٦٥ . وساهم فى ترجمته وضبطه وإخراجه عالى سمث وبطرس البستانى وكرنيليوس فان دياك والشيخ ناصيف اليازجى والشيخ يوسف الأسير الأزهرى . أما كتاب العهد الجديد ، فقد انتهت المطبعة من طبعه فى سنة ١٨٦٠ .

وبقيت المطبعة تدار باليد حتى سنة ١٨٦٠ حيث جلب لها محرك بخارى .

وساهمت المطبعة الأمريكية فى نشر الصحف والمجلات ، فقامت فى سنة ١٨٥١ بطبع مجلة « مجموع فرائد » باللغة العربية[1] . وكان لها الفضل أيضاً فى نشر أول صحيفة مصورة فى الشرق العربى ، فأصدرت فى سنة ١٨٦٣ صحيفة « أخبار عن انتشار الإنجيل » .

ويمكن اعتبار المطبعة الأمريكية فى هذه الفترة من حياتها من أكبر مطابع لبنان ، إن لم تكن أكبرها جميعاً . وكان نشاطها مضرباً للمثل . وكانت طباعتها نموذجاً يحتذيه أصحاب المطابع فى بلاد العروبة .

المطبعة الكاثوليكية ببيروت

١٨٤٨

استطاع المبشرون الأمريكيون بوساطة مطبوعاتهم المختلفة أن يغزوا قلوب اللبنانيين ويضموا إلى مذهبهم عدداً كبيراً منهم . وكان لابد لليسوعيين الكاثوليك أن يضموا إلى حظيرتهم أكبر عدد ممكن من المؤمنين ، وإلا فقدوا وفقدت الكثلكة معهم ثمار عمل دام أكثر من قرنين تمكنوا خلالهما من بث الدعوة لمذهبهم وكسب العدد الكبير إلى صفوفهم .

كان المبشرون الأمريكيون أو البروتستانت يذرعون لبنان طولا وعرضاً ،

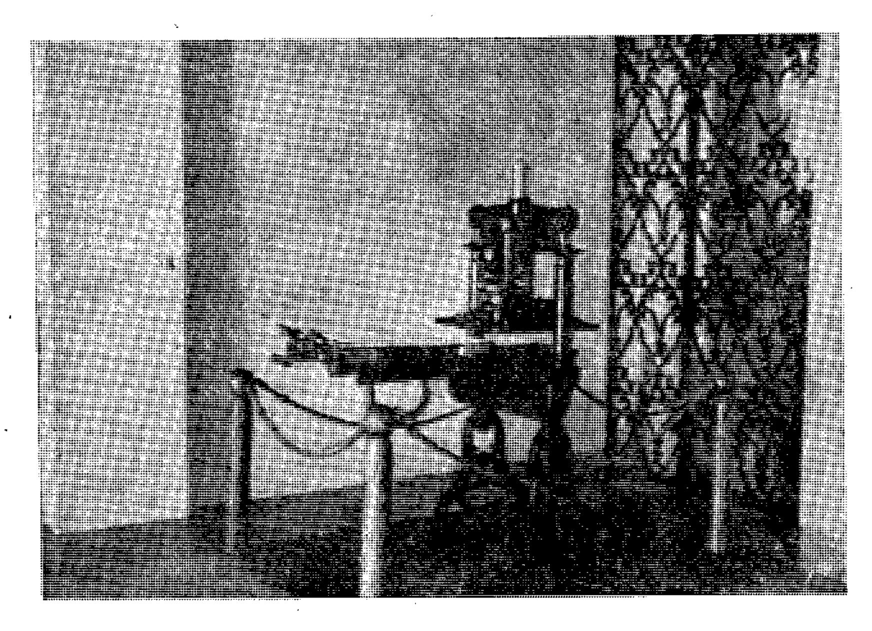
---

(١) الفيكونت فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩١٣ ص ٥٣ .

يوزعون منشوراتهم ويؤسسون المدارس لتعليم الناس القراءة والكتابة . وكان على اليسوعيين الكاثوليك أن يفعلوا على الأقل مثلما يفعل منافسوهم . فقاموا يواجهون الدعاية بالدعاية ويقارعون الحجة بالحجة مضحين بكل شىء فى سبيل الوصول إلى ما يبتغون . لقد أرسل الأمريكيون مبشرين زودوهم بالمال واختاروهم من بين رجالهم النجباء الأذكياء ، فلم يسع الكاثوليك إلا أن يبعثوا إلى لبنان بمرسلين على ثقافة واسعة ودراية تامة بأعمال الدعاية الدينية . واستقر الرأى على إرسال الرهبان اليسوعيين .

ولما كانت الدعاية لا تستقيم بدون مطبعة ، فقد جلب هؤلاء الرهبان مطبعة حجرية صغيرة من نوع الأوتوجراف ، وهى ثالث مطبعة عرفتها بيروت . ويعود تاريخ وصولها إلى شهر أكتوبر من سنة ١٨٤٨ . وقد ألحق بها قسم للتجليد . غير أنه سرعان ما تبين عدم لياقتها للعمل الضخم الذى أعدت له . فتوقفت عن العمل بعد أن قامت بطبع النشرات والمؤلفات الدينية والعلمية التى يبلغ عددها تسعة .

وفى سنة ١٨٥٣ مر الكونت دى تريمون [1] ببيروت وهو فى طريقه إلى القدس



طابعة استخدمت فى المطبعة الكاثوليكية فى عهدها الأول

(١) Le Comte de Trimons.

فقابل رئيس الإرسالية اليسوعية الذى حدثه عن ضرورة إنشاء مطبعة كاثوليكية تنافس مطبعة الأمريكيين وتقلل من حدة نشاطهم . واقتنع الكونت بوجهة نظر محدثه وتبرع بمبلغ ستة آلاف فرنك ليشترى بها اليسوعيون مطبعة كاملة المعدات ويطبعوا عليها كتاب « الاقتداء بالمسيح » ويوزعوه مجاناً على الناس . وفى سنة ١٨٥٤ تم للمطبعة الجديدة إخراج ذلك الكتاب من ألفى نسخة . وقامت فى السنة نفسها بطبع عدة مؤلفات دينية . أما المطبعة الصغيرة ، فقد أرسلت إلى قرية « غزير » حيث قامت بطبع عدد من الكتب الأدبية .

ولم تمض سنة على ظهور « الاقتداء بالمسيح » حتى سعى المهيمنون على شئون المطبعة فى جلب حروف لاتينية يجمعون بها نصوص المؤلفات الفرنسية . وأول ما طبع بتلك الحروف كتاب فى مبادئ اللغة الفرنسية ظهر سنة ١٨٥٦ . وطبعت المطبعة أيضاً بالتركية والإيطالية للأهالى ولجمرك بيروت[١] . وفى السنة نفسها تسلمت الإرسالية اليسوعية مطبعة ثانية هدية من اللجنة الفرنسية لمدارس الشرق .

وتمكنت الطابعتان على الرغم من صغر حجمهما من نشر ثلاثمائة وخمسين ألف نسخة لثلاثين كتاباً خلال أربع سنوات .

وأصيبت المطبعة الكاثوليكية بنكسة أثر حوادث سنة ١٨٦٠ . ولكن ما لبث أن عاد إليها نشاطها ونقلت إلى البناء الذى شيد لها خصيصاً فى حى الصيفى وكانت تشغل قبل ذلك ثلاث غرف . أما عدد العمال فقد زاد إلى الأربعين . كما أضيف لها طابعة ثالثة وسكين لقطع الورق وآلة أخرى لصقله .

وأصدرت المطبعة فى عهدها الجديد صحيفة المجمع الفاتيكانى التى أنشئت للدفاع عن مجمع الفاتيكان . وهى أول صحيفة تصدر عن هذه المؤسسة .

واستخدمت المطبعة الكاثوليكية عند تأسيسها حروفاً عربية مسبوكة فى باريس . ولكن سرعان ما تبين عدم صلاحيتها فاستبدلت بحروف مسبك المطبعة الأمريكية سنة ١٨٦٨ .

أما عن علاقة الحكومة العثمانية بتلك المطبعة فقد كانت طيبة فى أكثر

(١) S. Ronzevalle S.J. : L'imprimerie catholique de Beyrouth et son œuvre en Orient, 1854-1903, Relations d'Orient, 1903, fasc. suppl. 143, p. 23.

الأوقات ، والدليل على ذلك أنه لما صدر قانون المطبوعات فى سنة ١٨٥٧ طلب متصرف بيروت سرًّا إلى حكومته بالآستانة أن تبين له السياسة التى يجب أن يسير عليها حيال المطبعة الكاثوليكية والصحيفة التى تصدر عنها ، فالأولى تعمل بدون ترخيص والثانية تنشر بدون إذن من السلطات الرسمية ، فأجيب بأن يعتبرهما مرخصتين .

* * *

نهضت الآداب العربية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر نهضة مباركة وخطت خطوات واسعة نحو الكمال . وكان ذلك بفضل ازدياد عدد المدارس والكليات فى بيروت والجبل . وقام بأعباء تلك النهضة المدارس الإكليريكية الشرقية . يضاف إليها المدارس التى قام بإنشائها الرهبان . وكان لتلك المؤسسات التعليمية على اختلاف مذاهبها فضل تخريج كهنة مثقفين ثقافة عالية ونشر العلوم والمعارف بين طبقات الشعب اللبنانى . وقام بطرس البستانى فى سنة ١٨٦٣ بتأسيس أول مدرسة أهلية ببيروت . وبعد ذلك بثلاث سنوات أنشأ غريغوريوس يوسف بطريرك الطائفة الملكية الكاثوليكية مدرسة يوحنا الذهبى الفم المعروفة باسم المدرسة البطريركية .

أما الإرسالية البروتستانتية الأمريكية فقد أسست منذ سنة ١٨٣٤ مدرسة عاليه لتخريج المبشرين . وفى السنة نفسها افتتحت الإرسالية أول مدرسة للبنات فى لبنان كما أنشأت عدداً كبيراً من المدارس الابتدائية فى مختلف أنحاء لبنان . وفى سنة ١٨٦٦ افتتح دانيال بليس[١] فى رأس بيروت الكلية السورية البروتستانتية لتكون نواة للجامعة الأمريكية .

ولما أسس الأمريكيون كليتهم السورية البروتستانتية نقل اليسوعيون مدرستهم من قرية غزير إلى بيروت وبدأوا يضعون أساس جامعة القديس يوسف .

وساهمت الراهبات فى تأسيس مدارس البنات ففتحت راهبات القديس منصور مدرستهن فى سنة ١٨٤٧ ، وبعد ذلك بسنة قامت راهبات القديس يوسف بتأسيس مدرسة للبنات وفى سنة ١٨٦٨ أنشأت راهبات الناصرة مدرسة ثالثة للبنات

---

(١) Daniel Bliss

وتبعهن راهبات القلب المقدس وأخوة المدارس المسيحية (الفرير) وكثيرون غيرهم .

وطبيعى أن تصبح بيروت ، وقد تأسس فيها هذا العدد الضخم من المدارس ، مركزاً ثقافياً يقصده العرب من كل حدب وصوب . ونستطيع أن نقول بلا تردد إن المنافسة التى نشأت بين البروتستانت والكاثوليك والأرثوذكس خلال القرن التاسع عشر أفادت لبنان ثقافياً فائدة كبرى ، ولو أنها خلقت فيه النعرة الطائفية . . . فتقدمت الطباعة ونشطت الصحافة ، وتأسس عدد كبير من المطابع ، ونذكر منها المطبعة السورية ، وهى رابع مطبعة أنشئت فى بيروت وأول مطبعة يملكها فرد . أسسها فى سنة ١٨٥٧ صاحبها خليل الخورى مدير المطبوعات السابق لطبع جريدته « حديقة الأخبار » وهى أول صحيفة شعبية عربية فى الشرق العربى ، ولو أن الحكومة التركية جعلتها جريدتها الرسمية . وكانت تحرر فى بادئ الأمر باللغة العربية ثم أصبحت تنشر باللغتين العربية والفرنسية منذ سنة ١٨٧٠ . وأحضرت أدوات هذه المطبعة من فرنسا وإنجلترا . أما الحروف فقد جلب بعضها من المطبعة الكاثوليكية . وقد أدت مطبعة خليل الخورى أجل الخدمات لقراء العربية فى لبنان وسوريا خاصة وبلاد الشرق العربى عامة .

ولم يكد خليل الخورى ينتهى من تأسيس مطبعته حتى حذا حذوه إبراهيم نجار ، فقد أنشأ فى سنة ١٨٥٨ المطبعة التى عرفت فيما بعد باسم المطبعة الشرقية . وجلب لها آلاتها وأمهاتها من فرنسا أثناء إقامته بها بعض الوقت . وأكثر مطبوعات تلك المطبعة الأوراق الرسمية والتجارية . أما الكتب التى طبعت فيها فهى قليلة ، نذكر منها « تاريخ سلاطين بنى عثمان» لإبراهيم نجار. وقد تم طبعه فى سنة ١٨٥٨ . وفى سنة ١٨٦٣ توفى منشئ المطبعة ، وكان قد أوصى بها إلى أخيه حنا نجار وإلى مطران بيروت المارونى طوبيا عون على أن يأخذ الأول قسماً من الحروف وأن يكون نصيب الثانى المطبعة وسائر أدواتها . وتسلم حنا نجار نصيبه من الحروف وابتاع مطبعة اختار لها مكاناً فى ساحة البرج وأطلق عليها اسم المطبعة الشرقية . وكانت معظم مطبوعاتها تجارية .

ويجدر بنا أن نذكر المطبعة العمومية التى أنشأها ببيروت سنة ١٨٦١ يوسف ابن فارس بن يوسف الخورى الشلفون . وكان قد تدرب على الطباعة أثناء عمله

كمنضد للحروف فى المطبعة السورية . وقامت هذه المطبعة بنشر الكتب الأدبية والروايات ، وتخصصت فى المطبوعات التجارية والرسمية .

وفى سنة ١٨٦٣ طلب إليه داود باشا أول متصرف جبل لبنان أن يساعده فى تأسيس مطبعة رسمية فى بيت الدين مركز المتصرفية ، فلبى الشلفون الطلب . وترك المطبعة العمومية مؤقتاً ليتفرغ للمطبعة اللبنانية . ولما انتهى من مهمته عاد إلى بيروت وأخذ يوسع مطبعته ويجلب لها الأدوات والمعدات الجديدة .

ورأى الرهبان المخلصيون أن يؤسسوا مطبعة لهم فى بيروت فنفذوا فكرتهم فى سنة ١٨٦٥ . وكان مركز المطبعة فى عهدها الأول مبنى الوكالة المخلصية . ولا تزال فى أعلى مدخل الدور الأراضى من البناء اللوحة الرخامية المنقوش عليها « المطبعة المخلصية سنة ١٨٦٥» . ونشرت المطبعة فى أول أمرها عدداً من الكتب الدينية كان أولها كتاب «متن المزامير» . واهتم المهيمنون على شئونها بالكتب الأدبية أيضاً ، فطبعوا « طوق الحمامة فى مبادئ النحو » للشيخ ناصيف اليازجى ، وهو أول كتاب أدبى طبع فى تلك المطبعة .

وفى سنة ١٨٦٥ أيضاً أنشأت طائفة السريان الكاثوليك ببيروت مطبعة تشبه حروفها العربية الحروف المصنوعة فى النمسا . واقتصر نشاطها على المطبوعات التجارية والنشرات . غير أنها طبعت بعض الكتب مثل « كتاب أصول القراءة العربية والتهذيبات الأدبية » للقس لويس الصابونجى .

ورأت سنة ١٨٦٥ فى بيروت مطبعة ثالثة هى المطبعة الوطنية . وقد أسسها جرجس شاهين واشترى آلاتها ومعداتها من أوربا . وفى سنة ١٨٦٨ أدخل مؤسس المطبعة شريكاً يدعى جرجس الغرزوزى . إلا أن هذه الشركة لم تدم طويلا .

ولما شاهد خليل سركيس النجاح الذى أصاب المطابع اللبنانية ، قام فى سنة ١٨٦٧ بإنشاء مطبعة المعارف وجلب لها حروفاً من المطبعة الأمريكية ومن بلاد الإنجليز . واشترك بعد ذلك بسنة واحدة مع المعلم بطرس البستانى لاستثمارها .

وإن انتقلنا إلى خارج بيروت ألفينا عدداً من المطابع يبرز هنا وهناك مثل مطبعة شرفه ومطبعة بيت الدين ومطبعة دير سيدة طاميش ومطبعة إهدن .

وقد أسس مطبعة شرفه البطريرك السريانى بطرس جروه السابع فى سنة ١٨١٦ ،

وتتألف المطبعة من طابعتين إحداهما حجرية وهما من صنع إنجلترا . أما الحروف وأمهاتها فهي عربية وسريانية . وبلغ ثمن تلك المطبعة عشرين ألف فرنك ذهب . وفي مارس سنة ١٨٢٠ أرسل له البارون سيلفستر دي ساسي من باريس حروفاً سريانية سميكة ومعها أمهاتها . ووضع البطريرك المطبعة في دير مار أفرام وأوقف عليها عيناً ثابتة ليضمن لها البقاء .

واتهم البطريرك بأنه على اتفاق مع البروتستانت وبأنه أحضر المطبعة لينشر مؤلفاتهم ، ثم جاء الدروز إلى الدير فنهبوه في سنة ١٨٤١ واستولوا على المطبعة الحجرية وحملوها معهم أو حطموها . أما مطبعة الحروف فإنها لم تمس بسوء وأنقذت معها أمهات الحروف السريانية . وبعد حوالي عشر سنوات نقلت المطبعة إلى دير شرفه حيث ظلت معطلة إلى أن نقلها الأب صابونجي إلى بيروت في سنة ١٨٦٥ وزودها بالحروف السريانية والعربية والتركية . وهكذا كتب لهذه المطبعة أن تنتج بعد تأسيسها بخمسين سنة ، فطبعت مجلة « النجاح » و « الأصول العربية والتهذيبات الأدبية » وغيرها من المؤلفات التي وضعها الصابونجي .

وفي سنة ١٨٥٢ تأسست أول مطبعة في بيت الدين ، وهي مطبعة حجرية . صاحبها حنا الأسعد ويعرف أيضاً باسم حنا أبي صعب . ونشرت تلك المطبعة بعض الكتب ، نذكر منها كتاب « شرح المعلقات » للزوزني .

أما مطبعة بيت الدين الثانية ، فهي مطبعة رسمية أنشئت في عهد داود باشا متصرف جبل لبنان ، في سنة ١٨٦٧ . وقام بتركيب المطبعة وتنظيم أمورها يوسف الشلفون . وسميت بالمطبعة اللبنانية . وكانت تقوم بطبع الجريدة الرسمية الأسبوعية . وزودت المطبعة في بادئ الأمر بحروف المطبعة الكاثوليكية القديمة . واستخدمت بعد ذلك الحروف الأمريكية . ثم قام حنا بك الأسعد بابتكار حروف جديدة أرسلت إلى النمسا لتصنع لها أمهات . وأول كتاب خرج من مطبعة بيت الدين الرسمية هو « كليلة ودمنة » . وقد تم طبعه في سنة ١٨٦٨ .

وفي سنة ١٨٥٥ كلف رهبان دير سيدة طاميش إبراهيم الديواني بأن يبتاع لهم مطبعة كاملة المعدات وورشة للتجليد . وساهم دير قزحيا في شراء هذه المطبعة[1] .

(١) الأب نعمة الله الكفري : تاريخ دير مار أنطونيوس الملقب بقزحيا ، المشرق ، السنة الرابعة ، ص ٨٧٥ .

وكانت تستورد حروفها من مسابك بيروت . ويبدو أن نشاط تلك المطبعة كان محدوداً للغاية .

وفى سنة ١٨٥٩ أسس رومانوس يمين وشريكه الخورى يوسف الدبس مطبعة فى إهدن . وقام الشريك الأول بحفر حروفها وسبكها . وجلبت لها حروف من مسبك المطبعة الأمريكية فى بيروت . وأول كتاب صدر عن مطبعة إهدن هو « القلب المستحق » تأليف الأب يوحنا بطرس بينامونتى اليسوعى وترجمة المطران جرمانوس فرحات . وتلا ذلك الكتاب عدة كتب دينية أخرى .

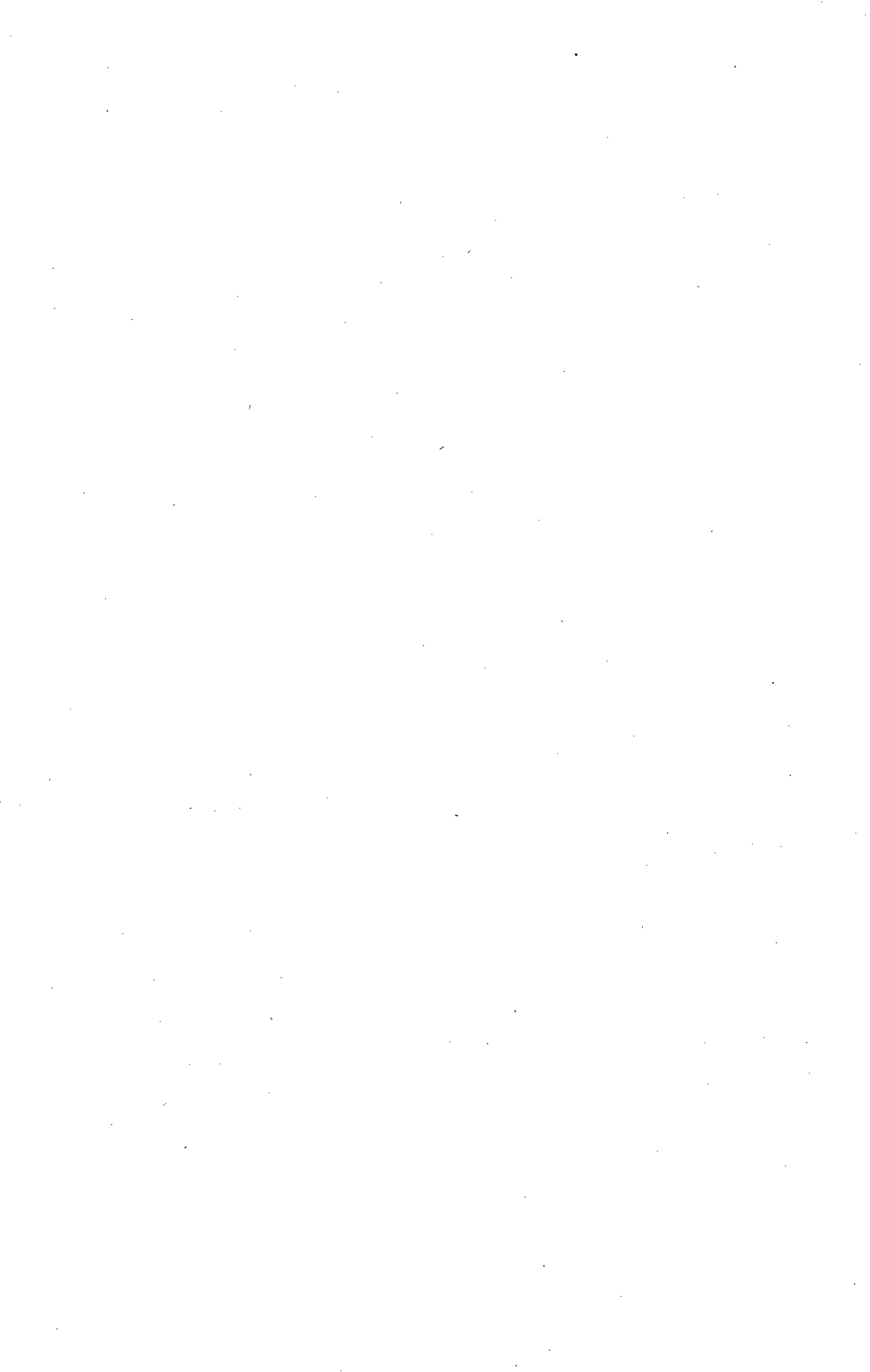
* * *

لم تكن المطابع إذن وقفاً على مدينة بيروت ، بل إن عدداً لا بأس به من مدن لبنان وقراه وجد منذ منتصف القرن التاسع عشر أنه فى حاجة إلى هذا الفن لنشر الكتب المختلفة والصحف والمطبوعات التجارية . وكان لرجال الدين الفضل الأول فى إنشاء دور الطباعة فى الجبل ، ولو أنهم لم يصادفوا النجاح الذى صادف زملاءهم فى بيروت ، ذلك أن مطابع الأديرة اقتصرت فى إنتاجها أو كادت تقتصر على الكتب الدينية العربية والسريانية . وهى كتب فتر الإقبال على شرائها وغدت مطابعها لاتنهض بأعبائها المالية فنقل بعضها إلى بيروت وبيع الباقى هنا وهناك .

أما مطابع الأفراد فأخذ النشاط يدب فى أركانها لتهافت اللبنانيين على قراءة المجلات والقصص والكتب العلمية والأدبية والمدرسية .

ويلاحظ على مطابع الجبل التى أنشئت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أنها لم تعش طويلا لأن دخلها لم يكن يغطى مصروفاتها ولأن منافسة مطابع بيروت لها كانت شديدة . ومما هو جدير بالذكر أن بيروت أصبحت مركز النشاط التجارى والمالى والحركة العلمية والفكرية فى لبنان .

وبعد افتتاح قناة السويس فى سنة ١٨٦٩ أصبحت مصانع النسيج فى أوربا تستورد الحرير من الصين والهند بأسعار أرخص بكثير من الحرير اللبنانى لانخفاض سعر الشحن . فكسدت تجارة الحرير وصناعته فى الجبل . وأخذ سكانه ينزحون من القرى ميممين وجوههم شطر بيروت ليستقروا فيها أو ليرحلوا منها إلى مصر أو أمريكا طلباً للرزق .



الفصل الثالث

تقدم الطباعة وكفاحها ضد السلطات

١٨٧٠ – ١٩١٨

تأثرت الطباعة بعض الشيء من جراء الكساد الذى حل بلبنان عقب افتتاح قناة السويس ، وبدأت الحركة المطبعية تنتقل رويداً رويداً من الجبل وبيروت إلى الإسكندرية والقاهرة وبورسعيد كما سنرى ذلك مفصلا فى الجزء الخاص بمصر من هذا البحث . إلا أن الكساد لم يكن العامل الوحيد فى إغلاق عدد من المطابع هناك ، بل إن المحتل العثمانى بدأ يتوجس خيفة من سيل المطبوعات اللبنانية ، فأخذ يفكر فى طريقة لكبح جماحها . ولكن على الرغم من هذه العقبات الاقتصادية والسياسية ، فقد مضى الفن المطبعى فى لبنان حثيثاً بفضل مسايرة المطابع الكبرى لكل ما هو حديث ، فجلبت المحركات البخارية والآلات السريعة وتضاعف الإنتاج .

واستمرت مطبعة قزحيا تعمل بآلاتها القديمة إلى سنة ١٨٧١ إذ جلب الأب دنيال الحدثى مطبعة أخرى اشتراها من رومانوس يمين الإهدنى . وإلى جانب الكتب الدينية قامت قزحيا بطبع المؤلفات المدرسية مثل « الكراسة فى مبادئ المطالعة السريانية » و « مورد التحقيق فى أصول الجراماتيق » . وقد انتهى نشاط تلك المطبعة فى سنة ١٨٩٧ بعد أن قدمت للطائفة المارونية عدداً لا بأس به من الكتب .

أما مطبعة دير مار يوحنا بالشوير فقد ظلت محتفظة بوسائلها القديمة ، على الرغم من التحسينات التى أدخلت على الفن المطبعى فى الغرب والشرق خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر . غير أن سجلات الدير تشير إلى شراء طابعة جديدة وسكين وبعض الأدوات الأخرى من أوربا فى سنة ١٨٦٨ .

بيد أن مطبعة بتلك الاستعدادات الفنية لا يمكن لها بأى حال من الأحوال أن تقاوم منافسة المطابع التى أنشئت ببيروت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

وهكذا قضى على أول مطبعة عربية فى لبنان بألا ترى نور القرن العشرين ، فتوقفت عن العمل فى سنة ١٨٩٩ بعد أن كافحت أكثر من قرن ونصف قرن من الزمن . وما زال دير مار يوحنا الصابغ يحتفظ بأدواتها وبحروفها ومسابكها فى البناء الذى أنشىء لها فى عهدها الأول .

وبعد أن تعطلت مطبعة القديس جاورجيوس حوالى مائة سنة عادت إلى نشاطها فطبعت عدة كتب دينية . غير أنه تبين للمهيمنين على شئونها أن أدواتها وحروفها لم تعد تفى بالغرض الذى أنشئت من أجله وأنها لو تركت على حالها بدون تجديد فلن تستطيع الصمود أمام منافسة مطابع بيروت الحديثة . فقر الرأى فى سنة ١٨٨١ على شراء أدوات وحروف جديدة . وأعادت الجمعية الخيرية للروم الأرثوذكس تنظيم إدارة المطبعة وطبعت فى سنة ١٨٨٢ لائحة من نماذج حروفها العربية والإفرنجية . وظلت المطبعة فى نشاطها ثلاث عشرة سنة فطبعت عدداً من الكتب والمجلات نذكر منها مجلة ديوان الفكاهة لسليم شحادة وسليم طراد ومجلة الهدية وجريدة التقدم للشلفون وطاسو .

وتعطلت المطبعة مرة أخرى حوالى خمسة وعشرين عاماً وبيعت آدواتها لإبراهيم بك الأسود فى بعبدا . وهكذا توقفت أول مطبعة أنشئت فى بيروت ، ولكن توقفها فى هذه المرة سببه شدة منافسة المطابع الأهلية .

ولم يصب المطبعة الأمريكية ببيروت ما أصاب شقيقاتها من التدهور . ففى سنة ١٨٧٠ طبعت أول مجلة عربية للأولاد وهى « كوكب الصبح المنير » . وطبعت فى السنة نفسها النشرة الأسبوعية . وقد عمل إبراهيم سركيس مديراً للمطبعة ومصححاً لها ، فقام بهذه المهمة خير قيام إلى أن توفاه الله فى ١٠ أبريل سنة ١٨٨٥ .

وعدا المطبعة ذات الحروف المتفرقة ، كان لدى دار الطباعة الأمريكية طابعة حجرية قامت بطبع الخرائط والأطالس والمصورات الطبية المختلفة التى كان يستخدمها الأمريكيون فى مدارسهم وجامعتهم . وفى سنة ١٨٧١ شيد للمطبعة بناء جديد بجانب الكنيسة الإنجيلية .

وظلت المطبعة الأمريكية تتقدم بخطى واسعة حتى بداية الحرب العالمية

الأولى . فلم تستطع أية مطبعة أخرى أن تنال منها . وتعتبر الفترة بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٩١٤ العصر الذهبي لها . وخلال الحرب العالمية الأولى توقفت جميع مطابع بيروت ولبنان عن العمل تقريباً ما عدا المطبعة الأمريكية التى ظلت مستمرة فى نشاطها .

أما المطبعة الكاثوليكية فى بيروت فقد أدخل عليها عدة تحسينات كالمحرك البخارى الذى أقيم له، بمناسبة وصوله، حفل كبير ألقيت فيه الكلمات المناسبة والقصائد العامرة . وكانت قوة ذلك المحرك البخارى ثلاثة أحصنة واستبدل فى سنة ١٨٧٨ بمحرك آخر قوته سبعة أحصنة . وبعد جهود دامت عشرين سنة ، استوردت المطبعة محركاً ثالثاً قوته اثنا عشر حصاناً .

وأصدرت المطبعة الكاثوليكية مجلة « البشير » ابتداء من سنة ١٨٧٠ بدلا من صحيفة المجمع الفاتيكانى .

وجلبت المطبعة حروفاً صنعت أمهاتها فى الآستانة وأخذ المشرفون عليها يحسنونها إلى أن تم لهم ابتكار قاعدة جديدة جمعت بها أصول الكتاب المقدس . وتقدمت المطبعة الكاثوليكية بخطى سريعة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وحرصت إدارتها على تزويدها بكل مستحدث فى هذا الفن حتى غدت فى عداد أكبر مطابع الشرق العربى وأكثرها استعداداً . وقد ألحق بها ورشة للحفر على النحاس ومكبس مائى وورشة لضنع ورق الكرتون وجلبت لها أدوات تذهيب الكتب وآلة طباعة تقوم بطبع وجهى الفرخ .

ونشرت المطبعة الكاثوليكية المؤلفات فى جميع العلوم والفنون . وساعدت كبار أدباء لبنان كالبستانى والشرتونى واليازجى والفاخورى وفرحات فى طبع كتبهم . وكان للآباء الأساتذة بجامعة القديس يوسف فضل نشر الكتب القديمة وجعلها فى متناول الجميع . كما صدر عن تلك المطبعة منذ سنة ١٨٩٨ مجلة المشرق التى أدت للعلوم الشرقية وللمستشرقين أجل الخدمات .

وحذت مطبعة اليسوعيين حذو المطبعة الأمريكية ، فقامت بطبع الكتاب المقدس طبعاً متقناً ، بعد أن قام الأب روديه[١] بنقله إلى اللغة العربية عن أصليه

---

(١) A. Rodet

العبرى واليونانى . وصححه وصاغ أسلوبه الشيخ إبراهيم اليازجى . وصدرت الطبعة الأولى من ذلك الكتاب فى سنة ١٨٧٦ وعرض فى معرض باريس الذى أقيم سنة ١٨٧٨ ونالت المطبعة عليه المدالية الذهبية .

وفى سنة ١٨٧٥ نقلت المطبعة من المكان الذى شيد لها إلى البناء الذى أعد لها بجوار جامعة القديس يوسف . واقتنت قسماً للتصوير الشمسى وجلبت طابعة حجرية تنقل عليها الصور المأخوذة فتوغرافيا . فأمكن بتلك الطريقة طبع الكتاب المقدس بحرف دقيق جداً . وزودت المطبعة أيضاً بمطابع حديثة صنعت فى أمريكا كما اشتريت معدات حديثة لقسمى التجليد والسبك .

وظلت العلاقة طيبة بين المطبعة ورجال الحكومة العثمانية فى هذه الفترة من حياتها . ففى سنة ١٨٨٨ صدر عن الآستانة أمر يقضى بإغلاق كل مطبعة لم تنل ترخيصاً رسمياً بإنشائها . غير أن الوالى عزيز باشا ، على أثر زيارته للمطبعة أعطاها التصريح المطلوب ، دون أن يتخذ ضدها أى إجراء (١).

ولم ينقض القرن التاسع عشر إلا وأصبح فى إمكان المطبعة الطبع بعشر لغات شرقية عدا اللغات الأوربية وارتفع عدد عمالها إلى الثمانين ، بعد أن كان ثلاثين فى سنة ١٨٧٥ وستين فى سنة ١٨٨١ .

وقد أنشئت فى هذه الفترة مدارس كثيرة نذكر منها مدرسة الملائكة للروم الأرثوذكس التى تأسست فى سنة ١٨٧٥ . وفى السنة نفسها قام أحد الإسرائيليين بإنشاء مدرسة لطائفته . وحذا حذوه فى السنة التالية المطران يوسف دبس فافتتح مدرسة الحكمة . وقامت إميلى سرسق بإنشاء مدرسة للبنات فى سنة ١٨٨٠ .

وكان لابد أن تتألف الجمعيات والنوادى الأدبية فى هذا الجو العلمى الجديد . ونمت بيروت بسرعة مما جعلها ميناء سوريا الأول وعاصمتها التجارية . فقرر الباب العالى فى سنة ١٨٨٨ أن يجعل منها ولاية قائمة بذاتها . وشجع الامتياز الذى نالته بيروت دون سائر المدن السورية على خلق حياة فكرية وسياسية عبرت عنها الصحف أصدق تعبير .

لم تعد المطابع القديمة إذن تفى بالغرض المحدود الذى أنشئت من أجله

---

(١) S. Ronzevalle, op. cit., pp. 38 et 39.

فتأسست مطابع جديدة وبدأت المطابع القديمة تجدد من معداتها لتتمكن من مجابهة الطلبات المتزايدة التى كانت ترد إليها .

ومضت المطبعة الكاثوليكية قدماً نحو الكمال إلى أن اندلعت نار الحرب العالمية الأولى . ولما كانت مؤسسة فرنسية فقد صادرتها الحكومة التركية وتوقف نشاطها خلال الحرب .

وإن انتقلنا إلى المطبعة السورية ألفيناها فى أواخر القرن التاسع عشر تنشر عدة مؤلفات أدبية مثل ديوان المتنبي الذى قام بتحقيقه المعلم بطرس البستانى . وطبعت أيضاً الروايات التى ألفها سليم بسترس وخليل الخورى وتمثيلية عايدة لسليم نقاش وبعض المؤلفات فى القانون . وقد أدت المطبعة السورية أجل الخدمات لقراء اللغة العربية فى لبنان وسوريا خاصة وبلاد الشرق العربى عامة . وتوقف نشاطها تماماً فى سنة ١٩١١ .

وقامت المطبعة العمومية فى عهدها الجديد بنشر أربع صحف هى : جريدة الزهرة التى صدرت فى سنة ١٨٧٠ لنشر الأخبار ، وقد أغلقت بعد ذلك بسنتين لأسباب سياسية . وطبعت أيضاً مجلة « النحلة » للقس لويس صابونجى . وفى السنة نفسها أصدر يوسف الشلفون جريدة النجاح وطبعها فى مطبعته ؛ وهى جريدة إخبارية سياسية كانت تصدر مرة واحدة فى الأسبوع ثم مرتين إلى أن أصبحت يومية لتكون أول صحيفة يومية عرفتها الديار الشامية . وقد عاشت إلى سنة ١٨٧٤ . وصدر عن تلك المطبعة أيضاً جريدة التقدم .

وفى سنة ١٨٧١ عقد الشلفون شركة مع رزق الله خضر لنشر الكتب الدينية والأدبية ولم تدم تلك الشركة طويلا ، فقد باع الشريك الأول نصيبه إلى الشريك الثانى الذى اتخذ المطران يوسف الدبس شريكاً جديداً له . وأصبحت المطبعة تعرف منذ ذلك الحين باسم المطبعة العمومية الكاثوليكية . ومن أهم مطبوعاتها « تاريخ سورية » للمطران يوسف الدبس .

وأسس الشلفون فى سنة ١٨٧٤ مطبعة جديدة أسماها المطبعة الكلية . وقد استأجرتها بضع سنوات لجنة جمعية القديس جاورجيوس لطائفة الروم الأرثوذكس ولما توفى صاحبها فى سنة ١٨٨٥ انتقل امتياز المطبعة وجريدة التقدم إلى ابنه .

وبعد أن قامت المطبعة المخلصية بطبع عدة أعداد من مجلة النحلة ، اضطرت إلى التوقف عن العمل للظروف الصعبة التى اجتازتها . وبيع جزء من معداتها إلى خليل البدوى صاحب جريدة الأحوال . أما الجزء الباقى فقد ظل فى المطبعة إلى أن بيع فى سنة ١٩٠٠ .

أما المطبعة السريانية فقد نقلت إلى دير الشرفة فى لبنان لتستأنف نشاطها فى طبع الكتب الدينية .

وفى سنة ١٨٨٠ افتتح حنا الغرزوزى مطبعة جديدة أطلق عليها اسم « المطبعة اللبنانية » . وقد عملت هذه المطبعة زهاء عشر سنوات ثم بيعت إلى يوسف صادر صاحب المطبعة العلمية .

وقد فسخت فى سنة ١٨٧٦ الشركة القائمة بين خليل سركيس وبطرس البستانى على إدارة مطبعة المعارف . فأسس الأول المطبعة الأدبية بينما احتفظ الثانى بالمطبعة إلى سنة ١٨٨١ حين أغلقت . وقامت المطبعة بنشر « قطر المحيط » والجزء الثانى من « محيط المحيط » لبطرس البستانى .

وفى سنة ١٨٧٤ أنشأ عبد القادر القبانى فى بيروت مطبعة جلب لها معداتها من لندن . وقامت فى سنة تأسيسها بطبع صحيفة « ثمرات الفنون » . ولما اتسعت أعمال المطبعة اشترى لها صاحبها محركاً بخارياً . وطبعت هذه المطبعة ، وكانت تعرف بمطبعة جمعية الفنون ، كتاب الهجاء لتعليم الأطفال وضعه صاحبها . وقد آل أمر المطبعة فى مطلع القرن العشرين إلى يوسف صادر الذى اشترى أدواتها وأضافها إلى مطبعته المعروفة بالمطبعة العلمية .

وفى سنة ١٨٧٦ أنشأ خليل سركيس المطبعة الأدبية . وكان لتلك المطبعة فضل صنع الحرف الإسلامبولى . وقد أعد أبهاته إبراهيم اليازجى . أما الحرف الفارسى فقد حفر أبهاته المعلم قسطنطين البيطار الدمشقى . وصنع الحرف الثلث الكبير نجيب سركيس . وشكلت بعض تلك الحروف . كما زودت المطبعة بحروف أفرنجية مختلفة الأشكال والأنواع .

واشترى خليل سركيس طابعتين سريعتين تداران بالبخار لطبع الكتب والجرائد وطابعتين صغيرتين تداران بالقدم . وكان عملهما مقصوراً على المطبوعات التجارية .

وقامت المطبعة بطبع جريدة « لسان الحال » منذ ظهورها فى سنة ١٨٧٧ ومجلة المشكاة . وكان خليل سركيس أول من استحضر مسابك حروف على الطراز الجديد . وفى سنة ١٨٩٥ حدث حريق فى المطبعة دمر قسماً كبيراً منها .

وفى سنة ١٩١١ اضطر منشىء المطبعة الأدبية إلى اعتزال العمل أثر مرض تصلب الشرايين . فسلم إدارة المطبعة إلى ابنه رامز[١]. وظلت المطبعة الأدبية فترة طويلة فى مقدمة مطابع بيروت . وكان لها فضل نشر عدد كبير من المؤلفات .

وبفضل مسبك تلك المطبعة ومسبكى المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأمريكية لم تعد المطابع الوطنية فى حاجة إلى استيراد الحروف العربية من الغرب أو من الآستانة . وإن بعض الحروف المحفورة بأيد لبنانية كحروف إبراهيم اليازجى صادفت نجاحاً وإقبالا منقطعى النظير فى مصر وأمريكا[٢] . فقد حفر هذا الأخير حروفاً يمكن وضعها فى مبدأ الكلمة وفى وسطها أو فى نهايتها . وقد اتخذت تلك الحروف أساساً لصنع الآلات الكاتبة العربية .

وأنشأ محمد رشيد الدنا فى سنة ١٨٨٥ « مطبعة بيروت » وقد اشترى آلاتها وأدواتها من المطبعة الكاثوليكية . وطبع فيها سنة ١٨٨٦ صحيفته « بيروت » التى كانت تصدر مرتين فى الأسبوع ثم أصبحت تصدر مرة واحدة . وقام على تحريرها سليم عباس الشلفون . وجلبت المطبعة بعد ذلك مسبكاً كامل العدة للحروف الإسلامبولية . وظهرت عن تلك الدار كتب واسعة الفائدة نذكر منها « تاريخ جودت » .

ولم تفكر الحكومة العثمانية فى تأسيس مطبعة ببيروت إلا فى سنة ١٨٨٥ . وهى أول مطبعة رسمية عرفتها تلك المدينة . وقد جلبت أدواتها من باريس . أما حروفها فقد تم شراء جزء منها من مسبك المطبعة الكاثوليكية وجلب الجزء الآخر من الآستانة . أما النقوش وما إليها فقد استوردتها المطبعة من ألمانيا . وابتداء من سنة ١٨٨٨ أخذت المطبعة تنشر جريدة « بيروت » الرسمية المحررة باللغتين التركية والعربية . وإلى جانب ذلك كانت المطبعة تقوم بإعداد مطبوعات الحكومة المختلفة .

---

(١) الفيكونت فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثانى ص ١٢٩ — ١٣٧
(٢) شبلى شميل : مجلة المسرة ، سنة ١٩٤٧ ص ٣٤١ .

وأشرف على تركيب المطبعة راهب يسوعى رفض أن يتناول أى أجر على عمله . فكافأته الحكومة التركية بإهدائه ساعة ذهبية وأرسلت إلى الرهبان اليسوعيين خطاب شكر .

ويلاحظ فى هذه الفترة انخفاض عدد المطابع اللبنانية . ففى حوالى سنة ١٨٨٥ بدأ الباب العالى يغير من سياسته المنطوية على اللين والتسامح إزاء المطابع إلى سياسة شديدة قاسية ، فكان يفرض على المطبعة أن ترسل الكتاب المراد طبعه إلى الآستانة لمراجعته والموافقة على نشره . وفرض الأتراك على الصحافة رقابة لم يعرف لها مثيل قبل ذلك التاريخ . وكان لتلك الإجراءات أسوأ الأثر على عدد من المطابع فاضطرت إلى التوقف عن العمل . ولكن الاضطهاد وحده لا يكفى سبباً لإغلاق هذا العدد الكبير من المطابع . فقد ثبت أن الحالة الاقتصادية لم تكن على ما يرام مما دعا عدداً كبيراً من أبناء لبنان إلى الهجرة . وطبيعى والحالة الاقتصادية هذه ، أن يقل الطلب على المطبوعات التجارية والكتب الأدبية . وفضلا عن ذلك فإن المطابع كانت زائدة عن الحاجة فكان لابد من احتدام المنافسة بين دور الطباعة فيسقط منها ما لا يستطيع البقاء ويصمد ما لديه القدرة على الصمود . وهكذا سقط فى الميدان وعجز عن متابعة السير عدد من المطابع نذكر منها المطبعة الشرقية ومطبعة حنا نجار والمطبعة اللبنانية الأولى التى اشتراها سليم نقولا مدور وأطلق عليها اسم المطبعة السليمية . ولكنها ما لبثت أن نقلت إلى دمشق فى سنة ١٨٨٢ حيث عرفت باسم المطبعة الحفنية . أما المطبعة اللبنانية الثانية فقد بيع قسم منها إلى يوسف صادر وبيع القسم الآخر إلى مطبعة الآداب لأمين وخليل الخورى .

وقد تأسست المطبعة الأخيرة فى سنة ١٨٩٠ . واشترى لها صاحباها آلة تدور بالبخار من مطبعة المعارف ثم جلبا إليها طابعة سريعة من باريس خصيصاً للمطبوعات التجارية . وكانت جريدة الأحوال تطبع فيها أول الأمر . وقد اتسعت أعمال مطبعة الآداب حتى بلغ عدد عمالها سبعة وعشرين . وفى سنة ١٨٩٨ انقسمت المطبعة إلى قسمين ، أرسل أحدهما إلى الإسكندرية وعرف باسم مطبعة الآداب أيضاً فى حين ظل الثانى ببيروت وكان أغلب مطبوعاته قصصاً وروايات .

وهكذا ترى أن المحنة التى مرت بمطابع الكتب سنة ١٨٨٥ وما بعدها لم تحل

دون تأسيس بعض المطابع عاش بعضها إلى أن شاهد نور القرن العشرين بينما اختفى البعض الآخر لأسباب مالية بحتة .

وأهم هذه المطابع وأكثرها نشاطاً مطبعة الفوائد . فقد أنشأها خليل البدوى فى سنة ١٨٩١ لطبع جريدته « الفوائد » . وأخذت تطبع منذ أكتوبر سنة ١٨٩١ جريدة الأحوال التى كانت تصدر مرتين فى الأسبوع ثم أصبحت تظهر يومياً منذ سنة ١٨٩٣ . وهى أول جريدة يومية ظهرت فى الأقطار الشامية « بإرادة سنية » . وطبعت المطبعة أيضاً مجلة « الرئيس » الشهرية .

واقتنت مطبعة الفوائد محركاً يدور بالكيروسين . وهو أول محرك من نوعه تقتنيه مطبعة فى لبنان . وصدر عنها عدة مؤلفات باللغات العربية والتركية والفارسية واليونانية والفرنسية . واشترت فى سنة ١٨٩٦ مسبكاً خاصاً بها . وفى سنة ١٩٠٠ شيد لها صاحبها بناء فخماً على شارع المرفأ الكبير يتكون من أربعة طوابق . وظلت تلك الدار فى مقدمة دور الطباعة فى سوريا ولبنان إلى أن اضطر صاحبها لظروف عائلية إلى بيعها لقيصر بوبز فى أوائل عام ١٩١٠ .

وفى سنة ١٨٩٣ رخصت الحكومة لمحمد سليم الأنسى صاحب جريدة روضة المعارف بفتح مطبعة أطلق عليها اسم المطبعة الأنسية . وكانت هذه المطبعة فى أول أمرها تستخدم الحروف الأمريكية ثم استبدلت بالحروف الإسلامبولية . واشترى لها صاحبها حروفاً فرنسية من باريس . ولما زاد العمل فى المطبعة جلبت لها طابعة تدور بالبخار . ويمكن اعتبار تلك المؤسسة من بين المؤسسات المطبعية الكبيرة التى ظهرت فى لبنان فى أواخر القرن الماضى . وقد ساهمت مساهمة طيبة فى نشر الكتاب العربى وجعله فى متناول الجميع .

تلك هى حالة الطباعة فى بيروت حتى نهاية القرن التاسع عشر . ويلاحظ أن اللبنانيين استطاعوا بفضل جهودهم الشخصية أن ينهضوا بهذا الفن نهضة مباركة . وإن كانت المطبعة الأمريكية قد استعانت بمسابك ليبزج لصنع حروفها ، فإن المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأدبية تمكنتا من صنع قاعدتين جديدتين للحروف العربية تفضلان القاعدتين الأمريكية والإسلامبولية . وكانت مطابع القاهرة والإسكندرية تستورد حروفها من المسابك اللبنانية ، فلما منعت الحكومة التركية

تصدير الحروف من بيروت قامت مجلة الهلال فى عددها الصادر فى ١٥ يناير سنة ١٨٩٤ تشكو من هذا القرار وترجو ولاة الأمر الأتراك أن يعدلوا عنه . وهكذا ظل لبنان زهاء نصف قرن يزود أبناء العروبة بحروفه الجميلة .

ولم تكن مطابع بيروت تكتفى بتوزيع مطبوعاتها فى لبنان ، بل كانت توزعها أيضاً فى دمشق وحمص وحماه وغيرها من المدن السورية . وكانت العراق تستورد كتبها من لبنان أيضاً . ولم تخل المكاتب المصرية من المطبوعات اللبنانية .

ونستطيع أن نقول إن لبنان ظل سيد الطباعة فى الشرق العربى حتى أواخر القرن التاسع عشر إذ بدا له منافس خطير فى مطابع مصر . ومهما يكن من أمر الطباعة فى لبنان فى الربع الأول من القرن العشرين ، فإنه لا يسعنا إلا الاعتراف بفضل ذلك القطر على نشر الكتاب العربى فى الشرق والغرب على حد سواء .

وبلغ عدد مطابع بيروت فى سنة ١٩٠٣ ست عشرة مطبعة عدا بعض المطابع الثانوية التى تخصصت فى طبع الأوراق التجارية المختلفة[١] . وهو عدد كبير إن قيس بعدد سكان بيروت فى ذلك العهد . ونتج عن كثرة المطابع لون من المنافسة أفاد قراء اللغة العربية ، فقد انخفض سعر المطبوعات جميعاً وأصبحت الكتب المفيدة فى متناول الصغير والكبير .

أما خارج بيروت فإن حال الطباعة لم يكن على ما يرام ابتداء من الثلث الأخير من القرن التاسع عشر . فقد ضعف نشاط مطبعة دير الشرفه إلى أن توقفت عن العمل فى سنة ١٨٩٦ . وحاول البطريرك السريانى أن يبعثها من جديد فى سنة ١٩٠١ فزودها بطابعة جديدة اشتراها من باريس وابتاع لها حروفاً أفرنجية وعربية وسريانية ويونانية وقرر إنزالها إلى بيروت . واستصدر البطريرك فرماناً بتأسيس المطبعة السريانية . ولكن خوفه من المضايقات والرقابة جعله يعدل عن مشروعه فظلت المطبعة حيث كانت .

وانتقلت مطبعة بيت الدين إلى دير القمر حيث نشرت الحرف الأول من القاموس الفرنسى العربى الذى وضعه فضول البستانى . وفى سنة ١٨٧٣ أمر رستم باشا بإعادة المطبعة إلى بيت الدين حيث زودت بحروف جديدة من مسبك المطبعة

---

(١) S. Ronzevalle : op. cit. p. 30.

الأمريكية . واهتمت منذ ذلك الحين بنشر الكتب المدرسية والمطبوعات التجارية والحكومية . وتوقفت عن العمل فى مطلع القرن العشرين .

وتوقفت مطبعة دير سيدة طاميش حوالى سنة ١٨٨٢ وبيعت معداتها وحروفها العربية بعد عدة محاولات بذلت لإحيائها . وبيعت مطبعة إهدن إلى دير قزحيا .

وإذا لاحظنا أن مطابع اختفت فى هذه الفترة فقد قامت مكانها مطابع أخرى إذ أنشأ إبراهيم بك الأسود المطبعة العثمانية فى بعبدا مركز متصرفية لبنان سنة ١٨٩١ ، وهى أول مطبعة فى لبنان تتأسس بإرادة سنية . وكان يعمل فيها خمسة وعشرون شخصاً . وهو عدد لا بأس به بالنسبة لمطابع ذلك العهد . وكان فى المطبعة طابعة تدور بالبخار عدا طابعات صغيرة أخرى . وظهر عن تلك المطبعة صحيفة « لبنان » لإبراهيم بك الأسود ومجلة « المنار » ومجلة « الشمس » . وظلت صحيفة « الصفا » تطبع فيها مدة طويلة .

وعرفت مدينة طرابلس فن الطباعة فى سنة ١٨٩٣ بفضل محمد كامل البحيرى الذى أسس « مطبعة طرابلس » وجلب لها طابعة تدار بالبخار . وكانت تصدر عنها صحيفة « طرابلس الشام » الأسبوعية . ولما زاد الإقبال على المطبعة شيد لها صاحبها فى سنة ١٨٩٧ بناء فخماً على شارع التل فى الجهة الجنوبية الشرقية من قصر الحكومة .

وأنشأ خليل طنوس باخوس المطبعة اللبنانية ببعبدا فى سنة ١٨٩٤ وجهزها بكل ما يلزمها من أدوات ومعدات . وقامت تلك المطبعة بطبع صحيفة الروضة وعدد قليل من الكتب . وأسس الشقيقان فيليب وفريد الخازن مطبعة الأرز فى قرية جونيه ، طبعا فيها صحيفة « الأرز » . وأنشأ عبود أبو راشد وأنطون كنعان المطبعة الشرقية بالحدث سنة ١٩٠٠ . وكانت مطبوعاتها متقنة .

ومن الملاحظ على المطابع التى أنشئت خارج بيروت فى أواخر القرن التاسع عشر أنها لم تعش طويلا لأن دخلها لم يكن يغطى مصروفاتها ولأن مطابع بيروت نافستها منافسة شديدة باستعداداتها الفنية ورخص أسعارها .

وتأسس فى بيروت قبيل الحرب العالمية الأولى عدد من المطابع الصغيرة كمطبعة الثبات لإسكندر الحورى ومطبعة النجاح والمطبعة الأهلية ومطبعة الانتصار ومطبعة

المنار . وتعتبر مطبعة النجاح أول مطبعة يهودية أسست فى بيروت وفى لبنان . ولم تعش مطبعة المنار إلا سنة واحدة . ولم يبرز من تلك المطابع سوى المطبعة الأهلية التى كانت تزود المدارس الإسلامية بالكتب والأدوات الكتابية .

وأنشئت فى الجبل مطبعتان الواحدة فى الحدث والثانية فى زحلة وكانت كلاهما تعرف باسم المطبعة الشرقية . وفى سنة ١٩١٠ انتقلت المطبعة الأولى إلى بيروت .

وكان من آثار ثورة تركيا الفتاة التى قامت سنة ١٩٠٨ أن ألغيت إلى حين الرقابة التى أخذت بخناق الجميع ، فأصبح الناس على اختلاف طبقاتهم يهتمون بالسياسة . وتكونت النوادى والجمعيات السياسية وارتفع عدد الصحف . وقد تأسس فى بيروت خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٠٨ وسنة ١٩١٢ تسع وأربعون جريدة وست وعشرون مجلة . وصدرت مجلة واحدة ، وجريدة واحدة فى صيدا وثمانى جرائد وثلاث مجلات فى طرابلس وثمان وعشرون جريدة وإحدى عشرة مجلة فى الجبل[١] . ونتج عن ذلك ظهور مطابع جديدة فى بيروت والجبل خاصة بعد أن ألغت الحكومة التركية القانون الصادر فى سنة ١٨٨٥ والذى يلزم كل من يرغب فى تأسيس مطبعة ، أو جريدة أن يحصل على تصريح بذلك .

وبلغ عدد المطابع التى أنشئت فى بيروت والجبل حوالى الثلاثين . ولكن سياسة جمعية الاتحاد والترقى التى كانت تهدف إلى صبغ كل شىء بالصبغة التركية وسياسة تركيا الفتاة الاستعمارية أعادتا الإجراءات الصارمة التى فرضت على المطابع فى سنة ١٨٨٥ . فعطلت الحكومة عدداً كبيراً من الصحف وقدمت أصحابها للقضاء ووضعت المدارس والمطابع تحت الرقابة المشددة . واضطر الرجال الأحرار إلى الالتجاء لمصر وأوربا حيث استأنفوا كفاحهم فى الدفاع عن استقلال بلادهم . وكان لتلك الإجراءات التعسفية أثرها على مطابع بيروت فأغلق بعضها أبوابه . أما مطابع الجبل فظلت تتمتع بحرية واسعة .

وقد توقف فى تلك الحقبة مطبعتان قديمتان هما مطبعة بيروت فى سنة ١٩٠٩ والمطبعة السورية فى سنة ١٩١١ . ولم تكن للمطابع الجديدة التى أنشئت فى تلك

---

(١) J. Nasrallah : op. cit., p. 78.

الفترة الأهمية ذاتها التي كانت للمطابع القديمة . فقد كان أغلبها يحتوى على طابعة واحدة وصندوق أو صندوقين للحروف .

وظلت المطبعة الأمريكية والمطبعة الكاثوليكية فى مقدمة المطابع القديمة من حيث جودة الإخراج وتنوع المطبوعات . واستمرت المطبعة الأدبية والمطبعة العلمية تطبعان المؤلفات العديدة المختلفة . أما مطبعة الفوائد ، فقد اقتصر نشاطها فى وقت من الأوقات على طبع جريدة الأحوال التى أصبحت تصدر مرتين فى الأسبوع ابتداء من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٨ وأخذ اسم الجريدة يطغى على اسم المطبعة شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تعرف « بمطبعة الأحوال » .

وتأسس خارج بيروت خلال تلك الفترة عدد كبير من المطابع لا سيما فى الجبل . ويعود فضل تأسيس أكثر تلك المطابع إلى الصحف ولو أن حياتها كانت قصيرة إن استثنينا المطبعة البولسية التى أصبحت اليوم من مطابع لبنان الكبرى . فقد أسسها فى حريصا المطران جرمانوس معقد سنة ١٩١٠ . وكان الغرض من إنشائها طبع مجلة المسرة لسان حال طائفة الروم الملكيين الكاثوليك . وفى أكتوبر سنة ١٩١٤ ألحق بالمطبعة ورشة للتجليد . وكان المطران جرمانوس معقد يقوم بنفسه بتنضيد الحروف وإدارة الطابعة . وتخصصت المطبعة فى طبع الكتب الطقسية باللغتين العربية واليونانية والكتب المدرسية ونوتات الموسيقى البيزنطية التى تجلب حروفها من أثينا .

الحرب العالمية الأولى

كان للحرب العالمية الأولى أسوأ الأثر على لبنان ثقافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً . فبعد دخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ألغى الباب العالى نظام الحكم الذاتى الذى كان يتمتع به الجبل وطبق عليه النظام الذى كان مفروضاً على سائر الإمبراطورية . وأغلقت أكثر المدارس أبوابها وفرضت الرقابة على الصحف وعطل بعضها وتوقف عدد كبير من المطابع عن العمل كما صودر البعض منها . وأقفلت المطبعة العثمانية والمطبعة الأنطونية منذ السنة الأولى من الحرب . وتبعهما بعد ذلك

مطابع أخرى . ونالت المطبعة الكاثوليكية من غضب الحاكم الشيء الكثير . فقد صودرت آلاتها وأرسل بعضها إلى دمشق وبعبدا في حين ظل الباقي في بيروت . ونقلت مطبعة زحلة الفتاة إلى الحجاز وأعدم أصحاب بعض المطابع وأبعدوا عن البلاد واقتصرت أعمال المطابع التي كتب لها البقاء على المطبوعات التجارية . وقامت مطابع الحكومة بطبع المؤلفات ونشرها . وعلا نجم المطبعة العصرية خلال الحرب العالمية الأولى فقد استمرت تطبع صحيفة البلاغ ، وهي من الصحف النادرة التي سمح لها بالبقاء . وفي مارس سنة ١٩١٨ رخص لصاحبها بإصدار مجلة الفتاة .

تلك هي حال الطباعة في لبنان خلال الحرب العالمية الأولى . ولكن على الرغم من العقبات التي اعترضت طريق هذا الفن بسبب الظروف السياسية والاقتصادية ؛ فقد استطاع اللبنانيون أن ينهضوا من كبوتهم ويسيروا قدماً في ركب الحضارة العالمية التي حيل بينهم وبينها عبثاً .

الفصل الرابع

نهضة بعد كبوة

١٩١٩ – ١٩٣٩

أعلنت الهدنة فى الحادى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ وانطلق الفكر من عقاله محلقاً فى سماء الحرية بعد أن ظل حبيس الذل والاضطهاد أربع سنوات . وأضيئت مشاعل الثقافة فى لبنان ولمع نور المدنية وشمل التقدم كل ناحية من نواحى الحياة وانتشر التعليم وازدهر . وكان من الطبيعى أن يسير الفن المطبعى فى هذا الركب .

ومما يلاحظ على العهد الجديد كثرة مطبوعاته الفرنسية بسبب الانتداب الفرنسى . وكان لهجرة الأرمن إلى لبنان أثر كبير على الطباعة ، فقد تأسست عدة مطابع أرمنية وزاد الاهتمام بالمطبوعات التجارية تبعاً لنمو البيوتات التجارية وازدهارها ونشاط أعمال المصارف والشركات المختلفة وانتشار السيما . وكثرت المطابع التجارية التى تطبع البطاقات الشخصية والسجلات والكراريس والإعلانات التى توزع باليد أو تلصق على الجدران .

ونهضت فى بيروت المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأميريكية والمطبعة الفرنسية . وبادرت المطبعتان الأولى والثانية إلى استيراد الآلات الطباعية الحديثة من أوربا ، وأمريكا . واستأنفت بعض المطابع الأهلية نشاطها . أما المطابع الصغيرة التى أسست قبل الحرب لطبع الدوريات ، فقد اختفت نهائياً وحل محلها مطابع جديدة أكثر استعداداً . واقتفت مطابع الجبل أثر مطابع بيروت فاستأنف بعضها نشاطه كما توقف البعض الآخر نهائياً ليحل محله مطابع جديدة .

ولم يكن إعادة فتح المطبعة الكاثوليكية بالأمر السهل ، ذلك لأنه كانت قد صودرت منها كل الآلات عدا طابعة كبيرة لم يستطع الأتراك نقلها . وكان أحد الرهبان قد تمكن من إخفاء الأبهات والأمهات وأجهزة التصوير ووضعها

فى مكان أمين لا تصل إليه يد الحكومة التى اعتبرت المطبعة الكاثوليكية ملكاً للأعداء وقضت بمصادرتها .

ولما وضعت الحرب أوزارها بدأت المطبعة الكاثوليكية العمل من جديد . وكان عدد عمالها عشراً يقومون بإدارة آلات الطباعة بقوة سواعدهم لاختفاء المحرك البخاري الذى كان اليسوعيون قد ابتاعوه قبل الحرب . ولكن ما لبث المشرفون على المطبعة أن اشتروا لها محركاً صغيراً يدار بالبترول قوة حصانين ثم أضيف إليه محرك جديد ظل يدور حتى سنة ١٩٣٠ حين استبدلت كل المحركات القديمة بمحركات كهربائية حديثة[1] . وازداد نشاط المطبعة بتوالى الأيام وعادت صحيفة المشرق إلى الظهور فى سنة ١٩٢٠ واحتفلت المطبعة فى سنة ١٩٢٨ بعيد تأسيسها الخامس والسبعين .

واحتفلت المطبعة الأمريكية فى سنة ١٩٢٢ بمرور مائة سنة على تأسيسها فى مالطا ونشرت فى تلك المناسبة كتيباً ضمنته تاريخها وأعمالها . وجلبت تلك الدار فى هذه السنة مطبعة أوتوماتيكية وآلة لينوتيب لتنضيد الحروف ، وهى أول آلة من نوعها عرفها لبنان . ولم يحل الغرض الأساسى الذى من أجله أنشئت تلك المطبعة دون أن تخصص جزءاً من نشاطها للكتب المدرسية والأدبية والتاريخية والاجتماعية . ومن الملاحظ أنه ابتداء من سنة ١٩٢٢ زاد اهتمام تلك المطبعة بالكتب العلمانية . ويجدر بنا أن نذكر من بين مطبوعات تلك الحقبة « البستان » ، وهو قاموس عربى من جزءين تأليف الشيخ عبد الله البستانى . وقد فرغت المطبعة منه فى سنة ١٩٣٠ .

وساعد المندوب السامى الفرنسى الآباء الكبوشيين فى تزويد مطبعتهم بالآلات والمعدات الجديدة . وصدر عن هذه المطبعة دوريتان فرنسيتان هما « اوريان » التى احتجبت سنة ١٩٢٤ و « لاسيرى » . وقامت أيضاً بطبع الترجمة العربية لبعض الكتب الفرنسية . كما اهتمت بطبع الإعلانات وأعمال المساحة التفصيلية ومطبوعات دار المندوب السامى . وأوكل إليها طبع الأسعار الجديدة على طوابع البريد القديمة .

---

(١) Les Jésuites en Syrie, 1831-1931, Université St. Joseph VI : Les Oeuvres de prese de Beyrouth, Paris, p. 65.

واستأنفت مطبعة الفوائد نشاطها عقب إعلان الهدنة وازدادت أعمالها بفضل الجهود التي بذلها صاحبها ، خاصة بعد أن أصبحت الصحيفة التي تصدر عنها تظهر مرتين في اليوم . وكان يشتغل في تلك المطبعة ما لا يقل عن مائة عامل . ولما نفي صاحبها خليل بدوى في سنة ١٩٢١ توقفت عن العمل ثم استأنفت نشاطها تحت إدارة سمعان فرح الذي أنشأ صحيفة يومية باسم « صدى الأحوال » . وفي سنة ١٩٢٨ عاد خليل بدوى من منفاه ليتسلم مطبعته .

ولما كانت المطبوعات التجارية تأتي بأرباح أوفر من تلك التي تجنى من طبع الكتاب ، فقد عنيت بها مطابع كثيرة مثل مطبعة الثبات ومطبعة التوفيق . أما المطبعة الأدبية التي ظلت تعمل طوال الحرب فقد خف نشاطها في تلك الحقبة . وكفت منذ سنة ١٩١٨ عن طبع الكتب الفرنسية وقلت مطبوعاتها العربية واستغرق طبع صحيفة « لسان الحال » كل مجهودها .

أما مؤسس مطبعة النجاح فقد أصدر ابتداء من أول سبتمبر سنة ١٩٢١ جريدة العلم الإسرائيلي . وفي سنة ١٩٢٥ نشرت تلك المطبعة أول كتاب يطبع في لبنان بالحروف العبرية ، وهو عبارة عن كتاب مطالعة للصغار .

وانتقلت إدارة مطبعة الحكومة المعروفة بمطبعة الولاية الكائنة ببيروت والمطبعة الرسمية ببعبدا إلى دار المندوب السامي في بيروت . وقد أخذ من هاتين المطبعتين طابعتان أضيفتا إلى مطبعة جان دارك للآباء الكبوشيين . وكان آخر ما نشرته المطبعة الرسمية قبل أن تغلق أبوابها ، الجريدة الرسمية الجديدة « لبنان الكبير » ، وكان ذلك في سنة ١٩٢٠ . واشترت دار المندوب السامي مطبعة جريدة بيروت الفرنسية فتجمع لديها ثلاث مطابع أضافت إليها مطبعة حجرية وبعض المعدات الطباعية الأخرى وجعلت منها مطبعة واحدة أطلقت عليها اسم « مطبعة جيش الشرق » ؛ وكانت تعرف أيضاً باسم « مطبعة المندوب السامي » . وقامت تلك المطبعة بنشر مطبوعات الجيش ومطبوعات دار المندوب السامي وسلسلة خرائط لسوريا ولبنان مختلفة المقاييس . ولأسباب مالية وإدارية انقسمت المطبعة إلى شعبتين ، عرفت الشعبة الأولى باسم « مطبعة جيش المشرق » في حين أطلق على الشعبة الثانية « مكتب طبوغرافية جيش المشرق » . ونشرت المطبعة الأولى مطبوعات

الجيش ومطبوعات دار المندوب السامى . أما المطبعة الثانية فقد اهتمت بطبع الخرائط .

واستأنفت مطبعة القديس بولس بحريصا نشاطها فى الخامس والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩١٩ وجددت حروفها . وفى نوفمبر من السنة نفسها عادت مجلة المسرة إلى الصدور . وحتى سنة ١٩٢٠ لم تكن تلك المطبعة قد أخرجت أى مؤلف باللغة الفرنسية . وفى سنة ١٩٢٦ جلب لها طابعة جديدة مقاس ٦٠ × ٩٠ وفى سنة ١٩٢٨ اشترى لها طابعة أخرى مقاس ٧٠ × ١٠٠ وعدا الإنجيل وبعض كتب الصلاة الطقسية نشرت المطبعة كتباً تبحث فى تاريخ طائفة الروم الملكيين الكاثوليك . وفى سنة ١٩٣٦ شيد الجناح الشرقى لدير البولسيين وكان للمطبعة نصيب من هذا التوسع .

ومما يجدر ذكره أن جميع المطابع التى أسست بعد سنة ١٩٢٠ كانت مزودة بالحروف الإفرنجية بخلاف المطابع التى أنشئت قبل سنة ١٩١٤ والتى كانت حروف أغلبها عربية .

واهتمت مطبعة الأدب بطبع أشغال دار المندوب السامى الفرنسى . فقامت من سنة ١٩٢٢ إلى سنة ١٩٢٦ بطبع الجريدة الرسمية باللغة الفرنسية ونشرت سلسلة من المؤلفات المدرسية لحساب مطبعة صادر . غير أن أكثر مطبوعاتها كانت تجارية . وكان يعمل فى تلك المطبعة أربعون عاملا يشتغل نصفهم بالنهار والنصف الآخر بالليل . وكانت المطبعة تقوم أيضاً بطبع إعلانات الحوائط ذات الحروف الكبيرة المصنوعة من الخشب أو من الرصاص .

وكانت جمعية الروم الأرثوذكس ببيروت قد قررت فى سنة ١٩١٤ تجديد مطبعة القديس جاورجيوس فأوصت على شراء طابعة من أوربا ولكن قيام الحرب حال دون تركيبها والاستفادة منها . وظلت أجزاؤها مفككة حتى سنة ١٩٢١ حين ركبت وبدأت عملها تحت إدارة جرجى عطية . وصدر عنها ابتداء من ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢١ صحيفة « الهدية اليومية » . وبعد ذلك بسنتين اشترتها مطرانية الروم الأرثوذكس ببيروت ثم باعتها إلى المطران فوتيوس خورى الذى استخدمها فى طبع جريدته « العين » التى صدرت فى أبريل سنة ١٩٢٩ . غير أن صاحبها الجديد

لم يلبث أن تخلص منها بعد بضعة أشهر من شرائها ولكنه احتفظ بالحروف .
وعلى الرغم من أن هذه المطبعة كانت مزودة أيضاً بالحروف الإفرنجية ، فإنها لم تطبع إلا كتباً عربية نذكر منها الجزءين الأخيرين من « تنوير الأذهان فى تاريخ لبنان » لإبراهيم الأسود .

وأسس عمر منيمنة « المطبعة الوطنية » فى دمشق سنة ١٩١٩ ثم نقلها إلى بيروت بعد ذلك بثلاث سنوات . وفى سنة ١٩٢٧ انقسمت هذه المطبعة إلى قسمين : قسم أخذه خليل منيمنة وأسماه « المطبعة الوطنية » فى حين احتفظ عمر منيمنة بالقسم الآخر وأطلق عليه اسم « مطبعة منيمنة » . وكان جل اهتمام المطبعة الوطنية موجهاً إلى نشر الجرائد . فطبعت جريدة « الأحرار » فترة من الوقت قبل أن تنشأ لها مطبعة خاصة بها ، وجريدة الحرية لجرجى عوض وجريدة العهد الجديد التى كانت تحرر باللغتين العربية والفرنسية معاً ، وجريدة الراية . وقامت أيضاً بطبع بعض المجلات مثل مجلة « الخدر » لعفيفة صعب و « الحياة الجديدة » لحبوبة حداد .

وأنشأ يوسف صيقلى سنة ١٩٢٢ مطبعة تجارية تخصصت فى طبع علب السجاير وطوابع التمغة كما نشرت أيضاً بعض الصحف .

ولم تكن « المطبعة الوطنية » المطبعة الوحيدة التى انتقلت من دمشق إلى بيروت . فقد أنشئت مطبعة قوزما بدمشق سنة ١٩١٩ لتطبع طوابع بريد فيصل الأول ملك سوريا . ثم انتقل بها غطاس وميشيل قوزما إلى بيروت سنة ١٩٢٤ . وتخصصت فى عمل الأظرف والمطبوعات الحكومية والتجارية . كما طبعت مجلة « صوت الحق » فى سنة ١٩٢٣ ومجلة « مينرفا » فى السنة نفسها ومجلة « الحارس » ومجلة ألف ليلة وليلة فى سنة ١٩٢٨ . وقامت المطبعة إلى جانب ذلك بطبع بعض الكتب الفرنسية وعدد آخر كبير من المؤلفات العربية المدرسية وغيرها .

وأصلح فريد مدور ناظر المدرسة الابتدائية الملحقة بالجامعة الأمريكية مطبعة كانت موجودة فى هذه الجامعة منذ سنة ١٩١٨ وأسس مدرسة لتعليم الفن المطبعى . وأطلق على المطبعة اسم « المطبعة الاستعدادية » . وظلت تعمل إلى سنة ١٩٣٣ فنشرت بعض الروايات المسرحية والكتب المدرسية ومطبوعات الجامعة الأمريكية المختلفة .

ويلاحظ على مطابع الدوريات فى لبنان أنها على الرغم من إنشائها لنشر

الصحف والمجلات فقد قبلت طبع الكتب والمطبوعات التجارية المختلفة .

وأنشىء فى طرابلس بعد الحرب العالمية الأولى أربع مطابع ، كما تأسس عدد من المطابع فى بعض القرى الكبيرة انتقل بعضها إلى بيروت .

وظلت الوكالة المخلصية بدون مطبعة حوالى خمس وعشرين سنة . فوجه الدير النداء تلو النداء إلى جميع أبناء الرهبانية المنتشرين فى أنحاء العالم أبهى إليهم فيه شدة حاجة الدير إلى مطبعة . وقد لبى أحد الرهبان الموجودين فى أمريكا النداء وأرسل طابعتين مستعملتين . وقد وصلتا إلى دير المخلص الواقع شرقى مدينة صيدا فى أواخر شهر مايو سنة ١٩٢٥[١] . ولم يكتف ذلك الراهب بما أرسله فقد بعث بعد ذلك بكمية كبيرة من الحروف العربية والإفرنجية . وأصبحت المطبعة مهيأة للعمل ابتداء من شهر يولية سنة ١٩٢٦ . ثم ابتاع الدير كمية أخرى من الحروف العربية والإفرنجية . ولما أدخلت الكهرباء إلى الدير فى سنة ١٩٢٩ تقرر إدارة الطابعة الكبيرة بها . وبدأت أعمال المطبعة تتسع منذ ذلك الحين فاستعانت ببعض العمال من غير الرهبان . ومنذ سنة ١٩٣٧ أصبحت المطبعة المخلصية تطبع بانتظام مجلة « الرسالة » .

ومن الملاحظ أن الفن المطبعى فى لبنان أخذ يتقدم منذ حوالى سنة ١٩٣٠ . وإن الذى يتصفح كتاباً طبع بعد الحرب العالمية الأولى ويقارن بينه وبين كتاب طبع قبل تلك الحرب يرى الفرق واضحاً بين المطبوعين . لقد وصل الفن المطبعى فى لبنان إلى ما يقرب من الكمال من حيث تنضيد الحروف وتوضيب الصفحات .

وكان للمهاجرين اللبنانيين بعض الفضل على تقدم هذا الفن ، فقد أخذوا يرسلون إلى ذويهم طابعات حديثة وآلات لتنضيد الحروف ساهمت فى تقدم الطباعة فى وطنهم الأصلى . ولكن بقى على هذا الفن من جهة أخرى أن يخطو خطوات فى سبيل الوصول إلى الدقة فى اختيار الألوان وتوزيعها وفى فن الإخراج . ويعود هذا النقص إلى عدم وجود الفنيين القادرين على القيام بهذا العمل وانتفاء الوسائل المؤدية إليه . ونستطيع أن نقول إن الطباعة بدأت منذ الثلث الثانى من القرن العشرين تبحث عن الجمال الفنى . وساهمت الصحافة مساهمة فعالة فى هذا المضمار إذ بدأت تطبع غلافاتها بالألوان . وتقدم الزنكغراف تقدماً ملحوظاً . ولكن الطبع بالألوان الأربعة كان لا يزال فى حاجة إلى مزيد من العناية .

---

(١) من محفوظات دير المخلص .

الفصل الخامس

العهد الجديد

١٩٣٩–١٩٥٢

لم يحل إعلان الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ بين لبنان والطباعة ، كما حدث خلال الحرب العالمية الأولى . فالمدارس وكليات الجامعة لم تغلق أبوابها يوماً واحداً وظلت الصحف تصدر كالمعتاد . إلا أن الظروف السيئة التى مرت بفرنسا حالت دون استيراد الكتب المدرسية الفرنسية . وظهر خطر هذا النقص واضحاً عند بدء العام الدراسى فى سنة ١٩٤١ . فتأسست شركة مساهمة لبنانية للنشر أطلقت على نفسها Les Lettres Françaises أي الآداب الفرنسية ، تحت إشراف المفوضية العامة لفرنسا المحاربة فى المشرق[1] . وكان غرض تلك الشركة « طبع ونشر جميع المؤلفات التى تهدف إلى تنمية الثقافة الفرنسية والصداقات الفرنسية فى العالم . » كما ينص على ذلك قانونها الأساسى .

وتكونت الشركة فى الثامن والعشرين من شهر يناير سنة ١٩٤٢ واستطاعت أن تقدم فى العام الدراسى الذى يبدأ فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢ معظم المؤلفات التى كانت الحاجة ماسة إليها . ونجح ذلك المشروع كل النجاح بفضل تآزر المشرفين عليه وتعاون أصحاب المطابع الكبرى فى بلاد المشرق . وساهم فى طبع تلك الكتب حوالى ثلاثين مطبعة فى الجزائر ومصر وفلسطين ولبنان . وأنتجت تلك المطابع مجتمعة ما لا يقل عن مليونى نسخة من المؤلفات الفرنسية المختلفة والكتب المدرسية وكتب الأدب الفرنسى والنصوص والفلسفة وغيرها من المؤلفات . وقامت مطابع لبنان عامة ومطابع بيروت خاصة بطبع أكثر من مليون نسخة من تلك الكتب وزعت فى أنحاء الشرق الأوسط وتونس والجزائر والمغرب وفى البلاد التى عرفت فيما بعد بمالى والجابون وكونجو برازافيل وتشاد والكمرون وكونجو ليوبولدفيل

(١) J. Nasrallah; op. cit. pp. 102-142.

وكالدونيا الجديدة وجزر الأقيانوس وفيتنام ولاووس وكمبوديا وجزيرة مدغشقر .

وكانت المطابع اللبنانية إلى ما قبل تأسيس تلك الشركة فى حالة مالية لا تحسد عليها . فقد قل الطبع لقلة الورق وارتفاع أسعاره . وبدأ القلق يساور أصحاب المطابع وعمالها . ولكن دار « لى لتر فرانسيز » أنقذت الموقف وبدلت الحال . فقد أوجدت ورقاً وعملا للمطابع كلها . وأثرى بعض أصحاب المطابع بعد أن كادوا يصفون أعمالهم فى أوائل عام ١٩٤٠ .

وهناك أيضاً عامل آخر ساعد على رقى الطباعة وتنشيطها ألا وهو مطبوعات الدعاية . فالشرق الأدنى واقع فى مركز استراتيجى وحيوى جعل الدول المتحاربة جميعاً تخطب وده . وكان لابد من القيام بدعاية قوامها النشرات والكراسات التى تطبع بكميات كبيرة وتوزع هنا وهناك . وغدت تلك المطبوعات مصدر رزق كبير لم يكن أصحاب المطابع فى لبنان يحلمون به . يضاف إلى ذلك تجارة الورق التى ضاعفت أرباح المشتغلين بالطباعة وحسنت مركزهم المالى بحيث أصبحوا قادرين عند سنوح الفرصة على تزويد مطابعهم بما يلزمها من آلات حديثة . وكان لذلك الانتعاش المفاجئ أثره فى عمال المطابع القدامى ، فقد بادروا إلى الاستقالة من أعمالهم ، وأخذ كل واحد منهم يؤسس مطبعة بالمكافأة التى أخذها من صاحب المطبعة الذى كان يعمل فيها . وكانت تلك المطابع عبارة عن طابعة وبضعة صناديق للحروف ما لبثت أن اتسعت أعمالها وأصبح بعضها اليوم فى مقدمة مطابع بيروت .

وكان عمال المطابع قد أسسوا نقابتين للدفاع عن مصالحهم . وقد ألغتهما السلطات عقب إعلان الحرب العالمية الثانية . وظل العمال بدون نقابة حتى نوفمبر سنة ١٩٤٨ حين أسس أعضاء النقابتين المنحلتين بالاشتراك مع العمال الجدد نقابة عمال المطابع والمجلدين . وقد وافقت عليها الحكومة . إلا أن عدد العمال المنتمين لهذه النقابة كان قليلا .

وأسس أصحاب المطابع فى سنة ١٩٤٤ نقابة أطلقوا عليها اسم « نقابة اتحاد أصحاب المطابع فى لبنان »[١] . ويعود فضل إنشاء تلك النقابة إلى السادة جورج

---

(١) تفضل السيد أنطون خليفة سكرتير النقابة وصاحب مطبعة خليفة بإطلاعى على أوراق ومحفوظات النقابة .

جدعون صاحب مطبعة جدعون وأنطون خليفة صاحب مطبعة خليفة وألبرت الريحانى صاحب مطبعة صادر وريحانى ووجيه طباراه صاحب مطبعة طبارة وجورج عازار صاحب مطبعة عازار وعبد القادر عيتانى صاحب مطبعة عيتانى ومصطفى فتح الله صاحب مطبعة الكشاف والأب كورون مدير المطبعة الكاثوليكية فى ذلك الوقت .

واختار المؤسسون مدينة بيروت مركزاً للنقابة التى تعمل على « درس الشئون والقضايا المتعلقة بالطباعة وفروعها بغية تحسين هذا الفن ونموه فى البلاد وصيانة مصالح القائمين عليه ورفع مستوى حرفتهم وتحسين حالة عمالهم المعنوية والتوسط لحل جميع الخلافات والشكاوى وتقرير التدابير اللازمة لهذه الغاية فى ظل القوانين المرعية الإجراء[١] » .

وتعرف المادة الرابعة من قانون النقابة الأساسى أصحاب المطابع بأنهم « جميع الأشخاص الذين يتعاطون الطباعة وفروعها والذين يديرون محلات الحفر على الزنك والتجليد وجميع المتخذين إحدى هذه الحرف تحت عنوان أو شركة تجارية » .

وقد أصدرت هذه النقابة نشرة بالفرنسية شبه دورية تعنى بالمسائل المطبعية فى لبنان ، عاشت من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٧ ثم توقفت عن الصدور[٢] .

ولا نجد ما نقوله عن المطابع القديمة التى أنشئت فى بيروت شيئاً يستحق الذكر . فقد أغلق بعضها أبوابه وحلت مطابع جديدة محلها ، بل فاق عددها عدد المطابع المغلقة . وعلى الرغم من الانتعاش الذى أصاب الفن المطبعى اللبنانى فقد أغلقت بعض المطابع وانتقل بعضها من الجبل إلى بيروت . وبيعت طابعات مستعملة إلى بعض المطابع الدمشقية .

وعلى أثر إعلان الحرب العالمية الثانية ، انتقلت مطبعتا جيش الشرق إلى بحمدون المحطة ثم عادتا إلى بيروت بعد الهدنة التى وقعتها حكومة المرشال بيتان مع ألمانيا سنة ١٩٤٠ . وأصبح المكتب الطبوغرافى يعرف باسم مطبعة القسم

(١) المادة الثانية من قانون النقابة الأساسى .
(٢) قدم لنا هذه المعلومات الأستاذ شعيب أحمد الدربى مدرس فن الطباعة بدار الأيتام الإسلامية ببيروت .

الجغرافى . وفى سنة ١٩٤١ أغلقت المطبعة وصفى الورق المخزون ونقلت الآلات إلى القسم الجغرافى . وقد أعيد فتح المطبعة بعد ذلك بوقت قصير عندما هزم الجنرال دانس أمام قوات فرانسا الحرة ، واتخذت اسم « مطبعة القوات الفرنسية الحرة » . وقامت تلك المطبعة بطبع المنشورات والكراسات ومطبوعات الجيش والمفوضية الفرنسية . ولما اقتربت جيوش روميل من العلمين فى سنة ١٩٤٢ نقلت المطبعة إلى قرية سوق الغرب حيث ظلت إلى سنة ١٩٤٣ ثم عادت إلى مقرها فى السراى الكبرى (مقر الحكومة) . وفى سنة ١٩٤٦ نقلت المطبعتان إلى فرنسا وبيعت بعض آلاتها القديمة فى بيروت .

ومن المطابع الكبيرة التى أسست بعد الحرب العالمية الثانية نذكر مطبعة الرهبانية الشويرية . فقد قررت تلك الرهبانية فى سنة ١٩٤٧ إنشاء مطبعة جديدة بعد أن توقفت المطبعة القديمة عن العمل فى سنة ١٨٩٩ . فسافر إلى الولايات المتحدة لهذا الغرض أحد رهبان الدير واتصل بأبناء الطائفة الملكية الكاثوليكية المقيمين هناك وجمع منهم التبرعات لشراء أدوات المطبعة . وقد تم ابتياع أول طابعة فى أبريل سنة ١٩٤٨ . وتبلغ زنتها ثلاثة عشر طناً شحنت من ثغر فيلادلفيا إلى بيروت . واشترت بعد ذلك ثلاث قطع أخرى من شيكاجو . وقدم سلوم مكرزل صاحب جريدة الهدى التى تصدر فى نيويورك طابعة حديثة يبلغ ثمنها ألفاً ومائتى دولار . وبلغت حصيلة التبرعات ثمانية عشر ألفاً وستمائة وواحداً وتسعين دولاراً . وافتتح وزير البريد والبرق والأنباء المطبعة رسمياً فى الخامس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٥٠ ومنح الأرشمندريت حاطوم مؤسسها مدالية الاستحقاق اللبنانى الفضية ذات السعف . وتقع المطبعة فى الطابق الأرضى من عمارة الرهبانية الشويرية الكائنة فى ساحة النجمة ببيروت[١].

وفى استطاعتنا وقد بلغت الطباعة فى لبنان بعد الحرب الثانية مستوى عالياً أن نقسم المطابع إلى دور للنشر ومطابع عادية ومطابع تجارية ومطابع للصحف .

والمقصود بدور النشر المطابع التى لا تطبع المؤلفات لزبائنها فحسب ، ولكنها

---

(١) استقينا هذه المعلومات من سيادة الأرشمندريت ديمتريوس حاطوم باعث مطبعة الشوير ، ومديرها .

تنشر لحسابها مؤلفات أو سلسلة من المؤلفات تعرضها على جمهور القراء . وكان فى لبنان ما يقرب من عشر دور من هذا النوع ، بعضها فى بيروت وبعضها الآخر فى الأقاليم . وأهم دور النشر فى العاصمة ، المطبعة الكاثوليكية والمطبعة الأمريكية ودار الكشاف وصادر وريحانى . وفى الأقاليم نذكر مطبعة القديس بولس ومطبعة المرسلين اللبنانيين ومطبعة دير المخلص .

والمطبعة الكاثوليكية من أهم المطابع وأنشطها فى الشرق العربى . وبفضل استعدادها الفنى الكامل استطاعت القيام بمختلف الأعمال المعقدة . ويمكن أن يقال إن طبع المؤلفات وخاصة مؤلفات الآداب العربية ما زال من أهم مواد اختصاصها . وتنقسم مطبوعات هذه الدار إلى دينية ومدرسية وأدبية وعلمية وفنية ومطبوعات للدعاية والإعلان . واعتمدت عليها دور النشر بباريس ولندن والجزائر وأستنبول وطهران وعمان ودمشق فى طبع المؤلفات الشرقية ذات القيمة العلمية . وتقوم أقسام المطبعة التجارية بتزويد بلاد الشرق العربى عدا مصر بمختلف المطبوعات الهامة كطوابع البريد وجوازات السفر ودليل التليفونات . وأدخلت طباعة الأوفست منذ سنة ١٩٣٥ ثم اشترت طابعة أوفست أخرى فى سنة ١٩٤٥ للطبع بلونين فى آن واحد . وفى سنة ١٩٥٠ أضافت طابعة أوفست ثالثة للطبع بلون واحد ؛ ويمكن استخدامها للطبع بأربعة ألوان . وليس فى المطبعة الكاثوليكية قسم للروتغرافور[١] . وكان أول عهد المطبعة الكاثوليكية بآلات تنضيد الحروف فى سنة ١٩٤٢ ، فقد اشترت من مصر أربع آلات مستعملة ماركة لينوتيب . فتكون المطبعة الأمريكية قد سبقتها بعشرين سنة إلى اقتناء هذا النوع من الآلات ، وفى سنة ١٩٤٥ أنشئت أبنية المطبعة الجديدة ، إلى جانب الأبنية القديمة فى شارع هوفلين ببيروت . واتضح للآباء اليسوعيين فى سنة ١٩٥١ أن المسبك الشرقى التابع للمطبعة لم يعد يغطى مصاريفه ، فباعوه إلى السيد حسيب درغام مع السماح له بإبقائه فى مكانه بالمطبعة الكاثوليكية بعض الوقت .

وفى المطبعة اليوم حروف لاتينية من كافة الأشكال كما توجد حروف عربية

---

١) حديث مع المسيو أندريه برسو المدير الفنى للمطبعة فى سنة ١٩٥٢ .

وسريانية وكلدانية وقبطية وأثيوبية وعبرية ويونانية وأرمنية . وهى من أكبر مطابع لبنان . ومطبوعاتها الفنية تضاهى المطبوعات التى تخرجها مطابع الغرب من حيث الدقة وتوزيع الألوان .

وقد بدأت هذه المطبعة تشعر منذ سنة ١٩٥٠ بوطأة منافسة دور النشر الأخرى التى تطبع كتبها بأسعار شعبية تتيح للطبقتين الوسطى والفقيرة أن تنهلا من مختلف الثقافات بعد أن كانت وقفاً على الطبقة التى تدفع الثمن بسخاء .

وإذا انتقلنا إلى المطبعة الأمريكية ألفينا مطبوعاتها موزعة بين الكتاب المقدس والكتب الدينية ، وبين الكتب المدرسية وكتب الشعر والروايات والأخلاق والصحة الاجتماعية واللاهوت . كما طبعت مجلة الجامعة الأمريكية التى تعرف باسم « الكلية » . ومجلة « النشرة » . وقامت إلى جانب ذلك بطبع معظم المطبوعات الشرقية للجامعة الأمريكية . وانتشر عملاء تلك المطبعة بين الجزائر والمغرب وتونس وليبيا وإيران والهند وأستراليا والبرازيل والولايات المتحدة ودول أمريكا الجنوبية وجزر الفيليبين ومختلف الدول الأوربية وسوريا وفلسطين . وفى استطاعة المطبعة أن تطبع كتباً باللغات الفارسية والأرمنية والعبرية واليونانية إلى جانب العربية والفرنسية والإنجليزية . وقد توقف المسبك عن العمل منذ سنة ١٩٤٨ .

وقامت دار الكشاف لصاحبها مصطفى فتح الله بنشر الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية . وهى فى الوقت نفسه تعنى بطبع الكتب التى يقوم بتأليفها علماء وأدباء لبنان وسوريا والعراق وفلسطين . وكتبها منتشرة فى أنحاء الشرق العربى وفى شمال أفريقيا . وقد نشرت بعض الكتب باللغات الفرنسية والإنجليزية والكردية .

وتنقسم مطبوعات دار صادر وريحانى للطباعة إلى كتب تنشرها الدار وكتب تطبع لحساب العملاء . وتقوم تلك الدار إلى جانب ذلك بطبع عدد من الروايات والدوريات مثل مجلة « الأديب » . وفى سنة ١٩٤٨ اشترت مكتبة صادر كمية من الحروف العربية محاولة بعث مطبعتها التى تأسست سنة ١٩٢٢ . وكان العمال فى أول الأمر يصفون الحروف فى المكتبة . أما الملازم فكانت تطبع على مطابع المدينة . وقد أصبح للمكتبة اليوم مطبعة كاملة المعدات .

وإن انتقلنا إلى الأقاليم ألفينا دور النشر فيها ملكاً للرهبان . وأهم هذه الدور مطبعة القديس بولس أو المطبعة البولسية . ففى سنة ١٩٤٩ أنشئ فيها قسم لطباعة الأوفست وورشة للفوتوغرافور . وعدا الكتب الدينية المختلفة تقوم المطبعة بنشر سلاسل مختلفة من الكتب المدرسية فى التاريخ والجغرافيا والعلوم والنحو وفق برنامج وزارة التربية الوطنية اللبنانية[١] . والمطبعة البولسية من المطابع القليلة فى لبنان التى لا تهتم بالربح المادى .

وتقوم مطبعة المرسلين اللبنانيين إلى جانب طبع مجلة الرهبانية المسماة « المنارة » بنشر سلاسل من الكتب المدرسية والمؤلفات الفرنسية والإنجليزية والعربية والسريانية فى الأدب والتاريخ وخدمة القداس والقانون الكنسى . ومن أهم مطبوعاتها القاموس السريانى العربى المسمى « القطوف الدانية » .

ويصدر عن المطبعة المخلصية مجلة « الرسالة » منذ سنة ١٩٣٣ ومجلة « النحلة » منذ سنة ١٩٤٠ والنشرة الرعوية لأبراشية صيدا ودير القمر الملكية منذ سنة ١٩٣٩ والتقويم الطقسى منذ سنة ١٩٣٩ . وأخرجت المطبعة منذ سنة ١٩٢٧ إلى ١٩٥٢ كتباً ومطبوعات مختلفة باللغات العربية والفرنسية والإيطالية يزيد عددها على مائتين . ومما يذكر عن هذه الدار أنها تبيع مطبوعاتها بأسعار زهيدة . وأمامها مشروع ضخم لتجديد آلاتها ومعداتها[٢] .

ويعرف الأب نصر الله المطابع العادية بأنها المطابع التى يتجه نشاطها إلى طبع المؤلفات والتى تقبل مختلف المطبوعات التجارية . وإن أغلب المطابع التى تأسست فى بيروت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تدخل تحت هذا المدلول . وأقدم هذه المطابع مطبعة جدعون وتليها مطبعة جان دارك التى اشتراها طنوس فى سنة ١٩٣٩ ، وتقوم بطبع مختلف المؤلفات الفرنسية والمطبوعات التجارية . ومن أهم هذا النوع من المطابع اللبنانية مطبعة نصار للفوتغرافور التى تأسست سنة ١٩٤٦ وحلت محل شركة الطباعة والنشر وقامت بطبع عدد من الجرائد

---

(١) استقينا هذه المعلومات من السيد مترى نعمان وكيل المطبعة ومن محفوظات المطبعة نفسها بحريصا .

(٢) استقينا هذه المعلومات من الأب ألفونس صباغ رئيس دير المخلص .

الفرنسية والعربية . وطبعت دار المكشوف بعض مؤلفاتها فى هذه المطبعة . ومن الملاحظ أن أغلب مطابع بيروت من هذا النوع وكان يبلغ عددها حوالى العشرين فى سنة ١٩٥٢ .

أما المطابع التجارية فإنها تقوم على وجه العموم بإنجاز المطبوعات الصغيرة التى يحتاج إليها التجار والمصارف والشركات . غير أن بعض تلك المطابع مزود بمعدات تسمح له بطبع المؤلفات والدوريات إلى جانب مطبوعاته المعتادة . وكان عدد مطابع هذا النوع فى بيروت لا يقل عن أربعين مطبعة فى سنة١٩٥٢ وأقدم تلك المطابع مطبعة عيتانى التى تأسست سنة ١٨٨٣ ومطبعة « عازار » التى أنشئت فى سنة ١٩٠٤ . وأوكلت الحكومة اللبنانية إلى المطبعة الأولى طبع قسم كبير من مطبوعاتها . واختصت هذه المطبعة بعمل السجلات والكراسات والدفاتر . وتخصصت مطبعة ريشة فى الطبع الملون كالطوابع والأسهم وعلب السجاير وتتلقى الطلبات من الأردن وفلسطين . وتقوم مطبعة جميل بطبع علب الكرتون ، وفى سنة ١٩٤٨ أضيفت إليها مطبعة دائرية (روتاتيف) بلونين تطبع حوالى عشرة آلاف نسخة أو فرخ فى الساعة الواحدة . وأخذت مطبعة كريسو الحجرية منذ سنة ١٩٤٥ تجدد آلاتها فاشترت مطبعة أوفست وبعض المعدات الطباعية الأخرى . ولكنها ظلت متخصصة فى إنجاز المطبوعات التجارية . وطبعت مطبعة (الإتقان) بالألوان سيناريوهات الأفلام وعلب الكرتون. وتخصصت مطابع عسكر إخوان بطباعة علب المستحضرات الطبية بالألوان . أما المطبعة التجارية فإنها تطبع إعلانات الحائط الملونة . وتمتاز مطبعة عبد الرحمن بوعيرن بطبع ورق التغليف والورق الشفاف لتغليف الموالح . واهتمت مطبعة عز الدين بالطباعة البارزة .

وقد أنشئت مطابع الصحف أول الأمر لطبع الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية ، ولا تقبل تلك المطابع طبع الكتب إلا فيما ندر . ولكنها تقوم إلى جانب عملها الرئيسى بإنجاز المطبوعات التجارية التى تكلف بها . وكان يوجد فى بيروت وحدها ما لا يقل عن عشرين مطبعة من هذا النوع فى سنة ١٩٥٢ وأقدمها مطبعة الإقبال التى سميت منذ سنة ١٩٤٨ بمطبعة الهدى . وكانت مطبعة صحيفة « لوريان » l'Orient أهم مطابع الدوريات ، وفى سنة ١٩٤٩ أدخلت جريدة (الحياة)

أول آلة طباعة نصف دوارة (روتاتيف) من طراز دوبلكس . وفى سنة ١٩٤٤ أسس إميل البستانى داراً للنشر أسماها « دار الطباعة والنشر الشرقية » . وكان غرضه منها طبع المؤلفات والجرائد والمجلات وجميع أنواع المطبوعات . غير أنها لم تطبع فى الواقع إلا صحفاً مثل « آسيا » و « الأخبار » و « الأنباء الأخيرة » و « الانتقاد » و « شئون اقتصادية » و « الخبير » . وكانت تلك الدار تستخدم مطبعة هرموش إلى سنة ١٩٤٦ . ثم اشترى البستانى مطبعة أضاف إليها آلة لينوتيب فى سنة ١٩٤٨ . ولإدارة الاستعلامات الأمريكية مطبعة فى بيروت منذ سنة ١٩٤٤ . وتخرج عن هذه المطبعة نشرات الدعاية والكتيبات التى تقوم تلك الإدارة بتوزيعها فى الشرق الأوسط .

ولا تهتم المطابع خارج بيروت إلا بالمطبوعات التجارية والدوريات . ويندر أن تخرج تلك المطابع مطبوعات باللغات الأجنبية .

وعلى الرغم من كثرة المدارس الثانوية والعالية فى طرابلس ، فإن الحياة الفكرية فيها خاملة . ويكفى دلالة على هذا الخمول المطبوعات التى تصدر عن تلك المدينة . ومطابعها مطابع تجارية قبل كل شىء ، لا تعنى بطبع الكتب العلمية إلا فيما ندر . وقد أنشئت بعض مطابعها لنشر الجرائد والمجلات الصغيرة . وتتميز مدينة طرابلس بأن مطابعها كلها فى شارع واحد يعرف باسم « حى المطابع » . ولم يكن عدد مطابعها يقل عن العشر فى سنة ١٩٥٢ .

وفى صيدا مطبعة العرفان والمطبعة العصرية وغيرهما من المطابع الصغيرة ، وفى مرجعيون مطبعة صغيرة تدار بالقدم لأشغال المدينة . وما زالت فى زحلة مطبعتان وهما مطبعة زحلة الفتاة ومطبعة الراسى . وتوجد مطبعة فى إحدى قرى سهل البقاع وأخرى فى البطرون ، ولكنها مطابع صغيرة ونشاطها محدود .

المطابع الأرمنية :

وقام الأرمن بدور هام فى تقدم الطباعة فى لبنان . ولم تزدهر الطباعة الأرمنية بلبنان عامة وببيروت خاصة إلا منذ سنة ١٩٢٠ . فإن الأحداث التى وقعت فى أرمنيا بعد الحرب العالمية الأولى اضطرت الأرمن إلى ترك ديارهم والالتجاء إلى

البلاد المجاورة . وأقام عدد كبير منهم فى المدن اللبنانية . ولم يلبث هؤلاء المهاجرون أن نظموا أنفسهم ففتحوا المدارس وأسسوا الصحف وألفوا الكتب . وكان لا بد إذن من إنشاء مطابع خاصة بهم زودت بالحروف الأرمنية والعربية والإفرنجية . واستطاعت تلك المطابع أن تنجز المطبوعات التجارية وأن تطبع مختلف الكتب والدوريات العربية والفرنسية .

وفى سنة ١٩٣١ أهدت جمعية الإغاثة فى الشرق الأوسط(١) إلى سهاك الثانى كاتوليكوس كيليكيا معدات مطبعة صغيرة . وهى عبارة عن طابعة صغيرة تدار بالقدم وسكين وحروف إنجليزية وضعت كلها فى أنطلياس بالقرب من بيروت . وزودت فى السنة نفسها بحروف أرمنية وجلبت لها فى سنة ١٩٤٠ طابعة كبيرة . وتقوم تلك المطبعة بطبع مجلة « هاسك » ومعناها بالأرمنية « السنبلة » . كما تطبع غيرها من المجلات . وتنشر إلى جانب ذلك الكتب المدرسية والدينية والتاريخية .

وأنشىء فى الوقت نفسه عدد من المطابع الأرمنية فى أنحاء لبنان . نما بعضها وازدهر ، فى حين لم يعش بعضها الآخر طويلا . وكان يوجد فى بيروت سنة ١٩٥٢ ما لا يقل عن عشرين مطبعة أرمنية . وأغلبها يقوم بطبع الصحف الأرمنية والعربية . كما يقوم بإنجاز المطبوعات التجارية .

إلا أن هذه المطابع الأرمنية على الرغم من وفرتها بالنسبة إلى عدد الأرمن الذين استوطنوا لبنان ، فإنها لم تصل إلى المستوى الذى وصلت إليه مطابع اللبنانيين . وقد أثبت الأرمن أنهم طابعون مهرة وسابكو حروف متفوقون وحفارو زنك ممتازون . وقلما نجد مطبعة فى لبنان لا تستفيد من فنهم .

الزنكغراف :

وكان فى لبنان ما لا يقل عن ثلاثين ورشة للحفر سنة ١٩٥٢ معظمها فى بيروت . وحتى تلك السنة كانت أعمال الهليوجرافور تنفذ فى القاهرة .

ومما هو جدير بالذكر أن مطبعة دير مار يوحنا الصابغ بالشوير كانت أول

(١) The Near East Relief.

مطبعة فى لبنان تستخدم الكليشهات المحفورة محلياً . وكان صاحبها ومنشئها الشماس عبدالله زاخر يقوم بحفرها بنفسه ، تارة على الخشب وتارة على النحاس . وهذه الكليشهات محفوظة فى متحف المطبعة الكائن بالدير المذكور . ولم تكن المطبعة تكتفى بما كان يحفره لها زاخر وغيره من معاونيه ، بل كانت ترسل أحياناً فى طلب بعض هذه الكليشهات من روما عاصمة الكثلكة . وتحتفظ المطبعة بأكثر من كليشيه حفر فى روما خلال القرن السادس عشر . ويبدو لنا أن مطبعة نشر الإيمان كانت ترسل كليشهاتها القديمة إلى مطبعة الشوير لتستخدمها فى طبع الصور .



الفصل السادس

الطباعة اليوم

١٩٥٣ – ١٩٦٥

قفز الفن المطبعي فى لبنان[١] خلال هذه الحقبة من تاريخه قفزات واسعة وسريعة إلى الأمام ، فلم يكن فى هذا القطر العربى حتى سنة ١٩٥٢ سوى طابعة واحدة نصف دوارة كانت جريدة (الحياة) قد اقتنتها فى سنة ١٩٤٩ . أما اليوم فقد ارتفع عددها إلى ست طابعات من ماركتى دوبلكس السويسرية وكوسار الإنجليزية . وفى سنة ١٩٥٤ أدخلت جريدة (الحياة) أول آلة لسبك العناوين (لدلو) وأول آلة حفر الكترونى (كليشوجراف) للأنماط الظلية . ولم يمض على هذا التجديد سنتان حتى ضمت هذه الجريدة إلى قسم الحفر فيها جهازاً ألكترونياً لحفر الأنماط الخطية .

وفى مجال حروف الطباعة ابتكر الدكتور أديب أبو غزالة حروفاً مختصرة قام بتنفيذها الخطاط نبيه الجارودى بعد أن أدخل عليها بعض التعديل . واستعملت فى آلات اللينوتيب ذات المخزن الواحد سنة ١٩٥٩ ، الأمر الذى مكن المطابع الصغيرة من اقتناء آلات اللينوتيب ، ذلك أن عدم وجود مخزن إضافى فى هذه الآلة يخفض سعرها ٤٠٪ . والمعروف أن لآلات تنضيد الحروف السطرية (اللينوتيب) العربية العادية مخزناً إضافياً . أما أحرف الأنترتيب فقد نزلت إلى السوق سنة ١٩٦٠ .

كما ابتكر المهندس المعمارى نصرى خطار (الحروف العربية الموحدة) قام مسبك الحروف الشرقية ببيروت بحفر أمهاتها وسبكها ونزلت إلى السوق سنة ١٩٦٠ . وتعاقد صاحب هذه الحروف مع شركة أنترتيب كى تحفر أمهات حروفه وتزود

---

(١) استقينا أغلب ما جاء عن هذه الحقبة من تاريخ الطباعة فى لبنان من الأستاذ شعيب أحمد الدربى مدرس فن الطباعة بدار الأيتام الإسلامية ببيروت ، فله خالص الشكر والامتنان .

بها آلاتها ، واشترت جريدة (النهار) طاقماً منها تستعمله على مدى ضيق فى عدد يوم الأحد . وتستخدم مجلة (الطباعة) هذه الحروف فى جمع بعض عناوينها . لقد خفضت الحروف الموحدة عدد الحروف المطبعية إلى أدنى حد ممكن ، فبدلا من مئات الأشكال المستعملة حالياً (وفقاً لموقع الحرف فى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها أو بقائه منفرداً) وضع نصرى خطار لكل حرف شكلا موحداً لا يتغير بتغير موقعه من الكلمة ، ويؤمن مبتكر هذه الحروف بأن حرفه الموحد الجديد سوف ينتشر إن عاجلا فآجلا .

ونشطت نقابة أصحاب المطابع نشاطاً ملحوظاً فى السنوات الخمس الأخيرة . ففى يوليو ١٩٦٠ أصدرت مجلة (الطباعة) مطبوعة على ورق مصقول وبالألوان وفيها كل ما يهم المشتغل بالطباعة . وترسل النقابة هذه المجلة الفنية العلمية المفيدة إلى كل المهتمين بالطباعة فى الدول العربية .

وإذا عدنا إلى المطبعة الأمريكية ثانى مطبعة أنشئت فى بيروت وجدنا أن إدارتها قد انتقلت فى سنة ١٩٦١ من المرسلين الأمريكيين إلى الوطنيين ، وقد أصبحت فى عهدة السينودوس الإنجيلى الوطنى فى سوريا ولبنان وتم تسجيلها باسم (المطبعة الإنجيلية الوطنية) فى بيروت وتسلم إدارتها رزق الله الحلبى . وهى لا تزال تطبع « كل ما ترى فيه تمجيداً لله وتنويراً للعقول والأذهان وتعزيزاً للغة العربية[١] » . وقد جهزت فى سنة ١٩٦٢ بآلات مطبعية حديثة وأدخلت عليها تحسينات جمة .

ومضت المطبعة الكاثوليكية قدماً فى مضمار الطباعة الراقية ، فقد أصبح لديها اليوم ست طابعات أوفست اثنتان فيها تطبعان لونين معاً والأربع الباقية تطبع لوناً واحداً . وفى قسم تنضيد الحروف الآلى أربع آلات مونوتيب وسباكتان وآلة مونوفوتو وصلت أخيراً . وكان عدد عمال هذه المطبعة ١٢٠ فى سنة ١٩٦٠ فأصبح عددهم اليوم ١٦١ بما فى ذلك رؤساء الأقسام والكتبة والفنيون . وأهم ما تنشره المطبعة الكاثوليكية سلسلة القواميس العربية والفرنسية والإنجليزية والسريانية البالغة ستة عشر

---

(١) مجلة الطباعة عدد تشرين أول (أكتوبر) ١٩٦٤ نقلا عن نبذة كتبها لهذه المجلة السيد رزق الله الحلبى .

قاموساً وستظهر قريباً سلسلة المعاجم الموسوعية ذات الموضوعات العلمية المختصة [١].

وفى ١٤ سبتمبر ١٩٦٢ صدر فى لبنان قانون للمطبوعات معدلا للقانون رقم ٤ الصادر بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٥٢ ؛ وقد جاء فى مادته الأولى أن « المطبعة والصحافة والمكتبة ودار النشر والتوزيع حرة ، ولا تقيدّ هذه الحرية إلا فى نطاق القوانين العامة وأحكام هذا القانون » . وتنص المادة ١٢ على أنه « لا يجوز لأحد أن يملك أو يدير مطبعة دون أن يقدم لوزارة الإرشاد والأنباء والسياحة تصريحاً بذلك ، وكل مخالفة لأحكام هذه المادة يعاقب مرتكبها من خمس وعشرين إلى خمسمائة ليرة لبنانية وبتوقيف المطبعة إلى أن يقدم التصريح . وفى حال الاستمرار بالعمل دون تصريح تكون العقوبة بالحبس من عشرة أيام إلى ستة أشهر . » وعلى أى حال فليس فى هذا القانون ما يعطل حرية الطباعة والنشر أو يحد منها .

وإلى الجرائد اليومية يعود فضل التقدم الذى حققته الطباعة فى السنتين الأخيرتين ؛ ففى أواسط سنة ١٩٦٣ قررت دار صحيفة (الحياة) تجديد آلاتها فاستقر رأى أصحابها على طبع جريدتهم بالأوفست . وفى أوائل ١٩٦٤ استوردت مطبعة دوارة (روتاتيف) من شركة (جوس) طراز (سوبربان) تطبع أربعة ألوان مرة واحدة بسرعة ١٨ ألف نسخة فى الساعة من جريدة ذات ١٦ صفحة . فكانت الحياة أول صحيفة فى العالم العربى تستخدم الطباعة الملساء (الأوفست) إذ صدر أول عدد مطبوع منها بهذه الطريقة فى ١٧ أبريل ١٩٦٤ . وتبعت جريدة (النهار) زميلتها (الحياة) بأيام قليلة حين تم طبعها بالأوفست على آلة دوارة ماركة (فيرتشايلد) ذات أربع وحدات طباعية تدور بسرعة صحيفة الحياة وتطبع بأربعة ألوان .

أما طباعة الهليوجرافور (الروتغرافور) فلم يعرفها لبنان إلا فى سنة ١٩٦٣ وكانت مطابع ريشا والمطبعة الأهلية ومطبعة قرطباوى الجديدة أول من استخدم هذا النوع من الطباعة فى بيروت .

وكان أول عهد الطباعة بالمونوفوتو فى القطر اللبنانى سنة ١٩٦٤ حين اقتنت المطبعة الأهلية هذه الآلة التى تصوّر الحروف حرفاً حرفاً على الفلم .

---

(١) فى رسالة الأب سامى الخورى مدير المطبعة الكاثوليكية السابق إلى السيد شعيب أحمد الدربى فى ٢٥ يناير سنة ١٩٦٥ .

وأدخلت جريدة (الحياة) فى السنة نفسها الآلة الكاتبة المعروفة باسم (جستورايتر) وتعطى هذه الآلة – التى عرفها لبنان دون غيره من الدول العربية – نسخة نظيفة تصلح رأساً لعمل أفلام الأوفست وتستخدم فى إصدار جريدة (الديلى ستار) الإنجليزية إحدى صحف دار الحياة. وطريقة العمل على هذه الآلة أن يجلس الكاتب أمامها ، وهى عبارة عن جهاز بحجم الآلة الكاتبة ولوحة مفاتيح أحرفها كأحرف الآلة الكاتبة أيضاً ؛ فإذا ضرب الكاتب على المفاتيح ثقب شريطاً من الورق يركب بعد ذلك على جهاز آخر يدور آلياً وبسرعة فائقة فيتم صف أسطر متساوية الطول على ورق صقيل يؤخذ رأساً للتصوير . وتبذل الجهود فى الوقت الحاضر لتحويل هذا الجهاز بحيث ينضد الحروف العربية .

وهكذا وصل الفن المطبعى فى لبنان إلى أعلى درجات الرقى ، وإن بعض مطبوعاته اليوم لا تقل جودة عن مطبوعات أشهر المطابع فى أوربا وأمريكا وذلك بفضل الآلات والأجهزة الحديثة الدقية التى اقتناها ومعاونات الطباعة من ورق وحبر وحروف وأنماط تساعد بلا شك على الوصول إلى أفضل النتائج .

خاتمة

لقد كان لبنان أول بلد عربى عرف الطباعة ، وذلك بفضل رهبان دير قزحيا الذين حملوا معهم وهم قادمون من روما مطبعة استطاعوا أن يطبعوا عليها المزامير بالسريانية والكرشونية . ولولا اهتمام جمعية نشر الإيمان باللبنانيين عامة وبالموارنة خاصة لظل لبنان بدون مطبعة حتى نهاية الثلث الأول من القرن الثامن عشر . إن حالة لبنان الثقافية والفكرية لم تكن خيراً من سواها فى البلاد العربية التى كانت ترزح تحت الحكم العثمانى . لقد كان الجهل منتشراً فى لبنان انتشاراً مروعاً ولم ينتشله من وهدة الجهل هذه إلا الإرساليات الدينية الأجنبية . فأسست المدارس وعلمت اللبنانيين القراءة والكتابة وبعض الصناعات اليدوية وطبعت لهم الكتب فى أوربا أول الأمر ثم علمت أبناءهم الطباعة وأرسلت لهم المطابع أو ساعدتهم على

اقتنائها ليقوموا بطبع المؤلفات التى يكونون فى حاجة إليها . وطبيعى أن تكون الكتب الأولى التى طبعت فى لبنان كتباً دينية شأنها فى ذلك شأن مدينة منتز التى تم فيها طبع التوراة بالحروف المتحركة على يد يوحنا جوتنبرج . وظلت مطبوعات لبنان مقصورة على الكتب الدينية فترة طويلة من الزمن ، ذلك أن مطابعه الأولى كانت مطابع دينية دون استثناء .

وإن كان للأوربيين فضل إدخال المطبعة إلى لبنان ، فإننا لا نستطيع أن ننكر فضل اللبنانيين على هذا الفن . فقد أقبلوا عليه يتعلمونه منذ اللحظة الأولى . وساعدهم على ذلك مركز لبنان الخاص فى عهد حكامه الأمراء المعنيين والشهابيين . فلم تستطع تركيا أن تتدخل لإطفاء جذوة تلك الشعلة كما فعلت فى الآستانة نفسها فى عهد بيازيد الثانى وسليم الأول .

وينبغى ألا يفوتنا الإشادة بفضل السوريين على اللبنانيين فى هذا المضمار . فإننا لو تركنا جانباً مطبعة دير قزحيا التى لم تطبع إلا كتاباً واحداً سنة ١٦١٠ ، وجدنا أن المطبعة العربية الأولى التى ظهرت فى لبنان تدين بوجودها لسورى ولد بمدينة حماه اسمه عبد الله زاخر . فقد استحضر مطبعته من فرنسا ولكنه سبك بنفسه حروفها العربية وصنع أبهاتها وأمهاتها .

وظل الفن المطبعى فى لبنان على حالته البدائية إلى أن قيض الله له الإرسالية الأمريكية التى جلبت معها مطابع جديدة ومسبكاً للحروف ثم تبعتها المطبعة الكاثوليكية فأحضرت معداتها من فرنسا . ويجدر بنا أن نذكر أن المنافسة الشديدة التى قامت بين هاتين المطبعتين قد أفادت الفن المطبعى فى لبنان فائدة كبرى . فقد أحضرت المطبعة الكاثوليكية أول محرك يدور بالبخار فى لبنان ، وكان ذلك فى سنة ١٨٦٧ . وكان للمطبعة الأمريكية فضل استعمال البترول فى إدارة الطابعات سنة ١٩١٣ . ولكن اللبنانيين ظلوا سادة المرقف فيما يختص بصنع الحروف العربية . فقد تمكن اليازجى من ابتكار قاعدة جديدة فاقت القاعدة الأمريكية وغيرها من القواعد التى كانت معروفة فى لبنان وفى سراه من البلاد التى تعنى بالطباعة العربية وعم استعمالها فى الشرق والغرب على حد سواء .

وساهمت المطابع اللبنانية مساهمة الأصيل فى نشر الكتاب العربى لا فى لبنان

فحسب بل فى البلاد العربية كلها وأمريكا التى هاجر إليها عدد كبير جداً من السوريين واللبنانيين . وهكذا أضحت الطباعة عامة والطباعة اللبنانية على وجه خاص همزة الوصل بين الشرق والغرب حتى يومنا هذا .

وكان لبنان حتى نهاية القرن التاسع عشر فى مقدمة الدول العربية من حيث الفن المطبعى ثم جاءت مصر فى أواخر ذلك القرن فانتزعت مركز الصدارة بفضل انتشار الصحف والمدارس وتكوين الشركات المساهمة الكبرى والانتعاش الاقتصادى الذى عم البلاد من أدناها إلى أقصاها ؛ وقد استعاد لبنان فى السنوات الأخيرة المكانة التى فقدها حين استوردت مطابعه الطابعات الأوفست الدوارة لطبع الصحف اليومية ، وآلات المونوفوتو والكليشوجراف والجستورا يتر ، وحين ابتكر بعض اللبنانيين حروفاً جديدة للطباعة تسهل عملية صف الحروف إلى أدنى حد ممكن .

وفى دار الأيتام الإسلامية ببيروت قسم لتعليم الطباعة يقدم للمطابع اللبنانية خير عمالها . وهو يعمل منذ سنة كما توجد مدارس لبنانية أخرى لتعليم الطباعة .

ولبنان من الدول القليلة التى ليس فيها مطبعة رسمية ، هذا إذا استثنينا مطبعة صغيرة للجيش وأخرى للمساحة . ويقول المسئولون إن الحكومة تقصد بذلك تشجيع المطابع الأهلية ومساعدتها . فقد كان فى عهد الانتداب الفرنسى مطبعتان رأى المسئولون فى عهد الاستقلال الاستغناء عنهما لإيجاد عمل للمطابع الخاصة التى زاد عددها زيادة كبرى خلال الحرب العالمية الثانية . ولو أعادت الحكومة اللبنانية فتح مطبعتيها لاضطر عدد كبير من المطابع الأهلية إلى تصفية أعماله .

وعلى الرغم من ضيق مساحة لبنان وقلة عدد سكانه فإنه يوجد فيه اليوم ٣٧٢ مطبعة ، بلغ عدد الكتب التى طبعتها فى سنة ١٩٦٣ ٣٨٧ كتاباً [١]. وتخرج هذه المطابع ٤٩ صحيفة يومية منها ٣٩ باللغة العربية و ٤ باللغة الفرنسية و ٤ باللغة الأرمنية و ٢ باللغة الإنجليزية .

ويبلغ مجموع عدد الصحف الأسبوعية السياسية ٤٢ منها ٣٨ باللغة العربية ،

---

(١) كتاب السفارة اللبنانية فى القاهرة ؛ رقم ٩٩/٦٥/٩/٧ فى ٢٠ شباط ١٩٦٥ .

و ٢ باللغة الفرنسية ، و ٢ باللغة الأرمنية .

وعدد المجلات الشهرية السياسية ٤ وعدد المجلات الأسبوعية الأدبية ١١٧ منها ٩٥ باللغة العربية و ٩ باللغة الإنجليزية و ٨ باللغة الفرنسية و ٥ باللغة الأرمنية .

وإن مطبوعات لبنان ما زالت تتدفق بكميات وفيرة على مكتبات العراق وسوريا والأردن والعربية السعودية واليمن وبلاد المغرب العربي وأمريكا اللاتينية .



الباب الرابع

الطباعة فى سوريا



الفصل الأول

نشأة الطباعة فى سوريا

١٧٠٦ – ١٨٦٧

كانت حلب أول مدينة سورية عرفت فن جوتنبرج . وقد دخلت الطباعة سوريا ، كما دخلت لبنان ، عن طريق رجال الدين، ذلك أن الحكومة التركية لم تكن تنظر بعين الارتياح إلى هذا الاختراع وتعده المعول الذى سيهدم نفوذها بين الشعوب الواقعة تحت نيرها . فكانت تعمل جاهدة على مقاومة كل أداة للرقى والتقدم توضع فى أيدى الشعب ، فإن جاء بتلك الأداة رجال الدين اليهودى أو المسيحى أسقط فى يدها واضطرت إلى التسليم خوفاً من تدخل الدول الأجنبية واتهامها بالتعصب ، تلك الثغرة التى حاولت بعض دول أوربا أن تنفذ منها إلى صميم الولايات التابعة للإمبراطورية العثمانية .

مطبعة البطريرك دباس بحلب

١٧٠٦

كان البطريرك الملكى أثناسيوس دباس على علاقة طيبة بقسطنطين برانكو فيانول حاكم ولاية الأفلاق الذى كان شديد الاهتمام بحالة رعاة الكنيسة الملكية ، فأخذ يزودهم بكتب الصلاة المختلفة التى كانوا فى حاجة إليها للقيام برسالتهم الدينية على الوجه الأكمل . وأنشأ قسطنطين بمدينة سيناجوفو من أعمال مقاطعة الأفلاق مطبعة عربية قامت بنشر عدد كبير من الكتب الدينية . وعين لتلك المطبعة كاهناً كرجياً يدعى أنتيموس ليقوم بصنع الحروف العربية . وطبع فى برخارست باليونانية والعربية كتاب خدمة القداس فى سنة ١٧٠١ وقام بطبع

كتاب دينى آخر . ولما عاد البطريرك أثناسيوس إلى سوريا فى سنة ١٧٠٤ رأى أن يؤسس مطبعة فى حلب . ولا شك فى أن هذا البطريرك كان صاحب الفكرة وحده لا يشاركه إنسان فيها . وقد اتفق على ذلك جميع الذين أرخوا للمطبعة فى سوريا . ولو أنهم اختلفوا على المصدر الذى جاءت منه المطبعة .

فيرى شنورر[١] أن حروف مطبعة حلب هى نفس حروف مطبعة سيناجوفو ويؤكد أن أثناسيوس أحضرها معه من بوخارست . ويذهب هذا المذهب أيضاً المؤرخ شارون[٢] ولوفنك Levenq وجراف [٣] Graf فيجزمون بأن المطبعة أتت من مقاطعة الأفلاق . أما سيلفستر دى ساسى فيخالف هذا الرأى ويجد فارقاً بين حروف المطبعتين [٤]. ويقول يواكيم مطران إن عبد الله زاخر هو الذى أنشأ مطبعة حلب العربية[٥] . إلا أننا لا نميل إلى الأخذ بهذا الرأى . ويقول الأب شيخو إنه لا يعلم كيف توصل البطريرك دباس إلى سبك الحروف . ويرى أنه ربما استصحب معه الكاهن أنتيموس فحفر له حروفاً جديدة ، أو أنه تعلم هذا الفن فى الأفلاق ، فلما عاد علمه لبعض الحلبيين[٦] .

وكتاب المزامير هو أول كتاب طبع فى حلب . ونجد على أول صفحة منه شعار قسطنطين برانكوفيانول . وإن قارنا بين حروف هذا الكتاب وحروف كتاب خدمة القداس المطبوع سنة ١٧٠١ فى مقاطعة الأفلاق وجدنا البون شاسعاً بين حروف الكتابين . ونميل إلى الاعتقاد فى أنه كان لكل من المطبعتين حفار خاص ويبدو لنا أن حاكم الأفلاق أرسل إلى البطريرك الطابعة دون الحروف التى قام بصنعها عبد الله زاخر . ودليلنا على ذلك أن البطريرك دباس يقول فى مقدمة المزامير المطبوعة فى حلب : « حيث إنه (الله) وفقنا إلى عمل طبع الحروف العربى » . ويمكننا اعتبار عبد الله زاخر أول من صنع حروفاً عربية فى الشرق

---

(١) Schnurrer; op. cit., p. 270.

(٢) Charon; op. cit. Tome III, p. 169.

(٣) Nasrallah, op. cit., p. 17.

(٤) De Sacy; op. cit., Tome I, p. 289.

(٥) مجلة المسرة ، سنة ١٩٤٨ ص ٣٨٧ .

(٦) لويس شيخو ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، سنة ١٩٠٠ ، ص ٣٥٥ .

العربى ، ذلك أنه كان على علاقة طيبة بالبطريرك أثناسيوس دباس فنسخ له عدداً كبيراً من المخطوطات [١] وألف له عدة مؤلفات قبل أن يناصب الأرثوذكس العداء ، أى قبل سنة ١٧٢٠ .

وظلت المطبعة تعمل إلى سنة ١٧١١ واستخدمت خلال عمرها القصير ثلاثة أشكال من الحروف ، استعمل الشكل الأول منها فى طبع كتاب المزامير وكتاب الإنجيل وكتاب النبوءات وكتاب الرسائل . أما الشكلان الآخران فيحاكيان خط النساخ المسيحيين . وقد استخدما فى طبع بقية الكتب . وجمعت العناوين كلها بحرف واحد لم يتغير منذ نشأة المطبعة إلى اليوم الذى توقفت فيه عن الطبع .

وقامت مطبعة حلب من سنة ١٧٠٦ إلى أن توقفت عن العمل ، بطبع عشرة كتب فقط .

ويرى بعض المؤرخين أن المطبعة نقلت إلى دير البلامند ثم أخذها الرهبان الكاثوليك إلى دير الشوير . ويكفينا رداً على هذا الادعاء أن نقول إن هؤلاء الرهبان تركوا دير البلامند سنة ١٦٩٧ وإن مطبعة حلب ظلت تعمل حتى سنة ١٧١١ وما زالت الأسباب التى دعت إلى تعطيل تلك المطبعة مجهولة . إلا أننا نعتقد أن أصحابها وجدوا أنها تكلفهم أكثر مما يستطيعون ، وأن فى إمكانهم الحصول على المطبوعات الدينية فى مقاطعة الأفلاق دون بذل أى مجهود . ويبدو لنا أيضاً أن مطبعة حلب لم تجد التربة الصالحة لنموها وازدهارها ، شأنها فى ذلك شأن مطبعة دير قزحيا فى لبنان .

على سوريا إذن أن تنتظر وتنتظر طويلا لترى الطباعة قد رسخت أقدامها واستتب أمرها .

---

(١) الرسالة المخلصية سنة ١٩٤٨ ، ص ٢٤٨ .

مطبعة بلفنطى الحجرية بحلب

١٨٤١

ظلت مدينة حلب بدون مطبعة ، إلى أن قيضت الظروف لها أجنبياً من جزيرة سردنيا يدعى بلفنطى [١]، فأنشأ مطبعة حجرية طبعت ديوان ابن الفارض سنة ١٨٤١ ، وهو أول كتاب أدبى يطبع فى سوريا . وقد طبعت أيضاً كتاب المزامير ، وهو كتاب دينى كان السوريون المسيحيون يستخدمونه فى تعليم أبنائهم القراءة . ولا نعرف مصير تلك المطبعة ، وإن كنا نرجح أن صاحبها اضطر إلى إغلاقها حين تبين له أنها لا تكاد تفى بمصروفاتها . وهى على أى حال أول مطبعة علمانية أنشئت فى سوريا .

مطبعة الدومانى بدمشق

١٨٦٥

وإذا انتقلنا إلى دمشق وجدنا أنها عرفت الطباعة خلال احتلال جيوش إبراهيم باشا الأراضى السورية . ولكنها لم تكن سوى طباعة حجرية للمنشورات والأوامر العسكرية[٢] . أما مطابع الحروف فإنها لم تعرف قبل سنة ١٨٥٥ [٣]وذلك بفضل حنا الدومانى الذى أحضر معداتها من أوربا وأدارها بضع سنين ثم باعها إلى سليم مدور . ولم يصلنا من الكتب التى طبعت فى عهدها الأول إلا النذر اليسير . فقد قامت فى سنة ١٨٥٦ بطبع كراسة عشية الأحد وطبعت أيضاً كتاب المزامير سنة ١٨٦٥ .

---

(١) لويس شيخو : الآداب العربية فى القرن التاسع عشر ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩٢٤ ، ص ٧٨ .

(٢) سنتكلم عن هذه المطبعة فى الباب المخصص لمصر .

(٣) لويس شيخو ، المشرق ، السنة الرابعة ، ١٩ تشرين أول سنة ١٩٠١ ، ص ٨٧٨ والآداب العربية فى القرن التاسع عشر ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩٢٤ ، ص ٧٨ .

مطبعة حلب المارونية

١٨٥٧

كان للطائفة المارونية فى حلب ، وعلى رأسها المطران يوسف مطر ، نشاط ملحوظ، كان من آثاره مطبعة أنشئت سنة ١٨٥٧ . وكان أول من اشتغل فى تلك المطبعة الأب نيقولاوس كيلون . ويعود فضل تنظيمها إلى اللبنانيين . فقد تولى إدارتها فى سنة إنشائها سليم خطار الذى استقدمه المطران يوسف مطر من بيروت خصيصاً لهذا الغرض . ولما انتهت مهمة هذا المدير قفل راجعاً إلى بيروت . وتفرغت المطبعة فى نشأتها الأولى لطبع الكتب الدينية الخاصة بالطائفة المارونية .

مطبعة ولاية سورية بدمشق

١٨٦٤

وأنشأت الحكومة العثمانية أول مطبعة لها فى سوريا سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) لتطبع عليها جريدة « سورية » باللغتين العربية والتركية . وقد استقدمت خليل الخورى من بيروت خصيصاً لتنظيم أمور المطبعة ، فتولى إدارتها سنة استطاع أن يدرب خلالها عدداً من العمال المهرة على الفن المطبعى[١] . وهناك مطبعة رسمية أخرى أنشئت بدمشق عقب إنشاء مطبعة الولاية مباشرة أطلق عليها اسم المطبعة العسكرية لأنها لم تكن تطبع إلا المطبوعات الخاصة بالجيش ولا تنشر سوى الروزنامات واللوائح العسكرية[٢]. ولم تعش تلك المطبعة طويلا . وحولت أعمالها إلى مطبعة الولاية .

---

(١) دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ، بيروت سنة ١٩١٤ ص ٦٧ .
(٢) لويس شيخو : المشرق، السنة الرابعة ، العدد ١٩ ، تشرين أول سنة ١٩٠١ ، ص ٨٨٠ .

مطبعة جريدة فرات بحلب

١٨٦٧

لم يكن فى مدينة حلب حتى سنة ١٨٦٧ سوى مطبعة واحدة هى المطبعة المارونية . ثم رأى المؤرخ التركى الشهير جودت باشا والى حلب أن يؤسس مطبعة فى تلك السنة لطبع صحيفته الأسبوعية الرسمية « فرات» [1] . وقد جلب لها حروفاً عربية وتركية وأرمنية وتولى جبرائيل برغود شئونها وشئون الصحيفة التى كانت تطبع فيها .

وقامت المطبعة إلى جانب نشر الصحيفة الرسمية ، بطبع مطبوعات الحكومة المختلفة . ومن المرجح أن تكون معدات المطبعة قد أرسلت من الآستانة هى وحروفها ، شأنها فى ذلك شأن معظم المطابع الرسمية التى أنشئت فى الولايات العثمانية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

وهكذا نرى أن الطباعة سواء كانت فى دمشق أو حلب ، قد تقدمت ببطء من حيث عدد المطابع وجودة الطباعة . إن سوريا لم تكن بعد فى حالة تسمح لها بالتجاوب تجاوباً كلياً مع الطباعة . كان لابد إذن من بذل محاولات جديدة من جانب الحكومة ومن جانب الأفراد لرفع عدد المطابع التى لم يتجاوز فى تلك الفترة أربعاً ، وهو عدد قليل بالنسبة لعدد المطابع التى كانت موجودة فى لبنان خلال الفترة نفسها .

---

(١) دى طرازى : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

الفصل الثانى

محاولات حكومية وفردية

١٨٦٨ — ١٩١٨

بدأت الطباعة فى سوريا عهداً جديداً فى حياتها منذ سنة ١٨٦٨ ، على الرغم من العقبات التى كانت تعترض طريقها . فقد خطت المطبعة المارونية فى حلب خطوات نحو الكمال ، وأنتجت كتباً مدرسية وأدبية وطبعت الرزنامات . وغيرت هذه المطبعة حروفها عدة مرات . واستخدمت فى وقت من الأوقات حروف مسبك المطبعة الأمريكية ببيروت .

وتأسست فى حلب سنة ١٨٧٧ المطبعة العزيزية لتطبع جريدة الشهباء الأسبوعية لصاحبها هاشم عطار . وقد طبع فيها أيضاً شرح بديعية البكرى للشيخ قاسم البكرى وكتاب نور الإيضاح فى الفقه وكتاب عنوان الشرف لابن المقرى[١]. وأمر كامل باشا والى حلب بتعطيل جريدة الشهباء وبالحجز على المطبعة ووضعها تحت رقابة الحكومة ؛ لما بدا منها ما ينذر بمعارضتها الأوضاع القائمة .

تلك كانت حالة الطباعة فى حلب إلى نهاية القرن التاسع عشر . فمطبعة الحكومة أو الولاية لا يتجاوز نشاطها طبع صحيفة الفرات الرسمية والمطبوعات الحكومية المختلفة . والمطبعة المارونية كانت تعنى أكثر ما تعنى بنشر الكتب الدينية . والمطبعة العزيزية ، كما رأينا سابقاً ، كانت الحكومة تضيق عليها الخناق بحيث أقعدتها تقريباً عن كل عمل مجد لخير الشعب والبلاد .

ولم يكن حال الطباعة أفضل بكثير فى دمشق . فقد باع سليم مدوّر مطبعته إلى حنا حداد ومنه انتقلت إلى محمد الحفنى فى سنة ١٨٨٢ . فأصبحت تعرف بالمطبعة الحفنية نسبة لصاحبها . وتم فيها طبع « ديوان أحمد الحلوف الذى بدأ سليم

(١) شاهين مكاريوس : المعارف فى سورية ، المقتطف ، الجزء الثامن من السنة السابعة ، اذار سنة ١٨٨٣ .

مدوّر بطبعه بيروت . وطبع المدوّر أيضاً « نزهة الأرواح ومرتع الأفراح » للقس نعمة الله البرارى وغير ذلك من الكتب . أما فى عهد محمد الحفنى فقد نشرت ديوان أحمد بك الكيوانى الدمشقى (١٣٠١ هـ) وديوان الأمير منجك باشا (١٣٠١ هـ) و « تحبير المقالة فى الحيلولة والكفالة » للسيد محمود أفندى حمزة مفتى دمشق (١٣٠١ هـ) و « إيضاح الدلالات فى سماع الآلات » للشيخ عبد الغنى النابلسى (١٣٠٢ هـ) .

وكانت المطبعة الحفنية بجوار السيد الحصور . وكان يقوم بتصحيح كتبها عبد القادر ابن الشيخ عمر نبهان . وحروف تلك المطبعة جميلة ظاهرة . ويبدو أنها جلبت من الآستانة أو أشتريت من مسبك المطبعة الأدبية فى بيروت . وعاشت المطبعة الحفنية زهاء ثلاثين سنة . واضطرت آخر الأمر إلى التوقف عن العمل حوالى سنة ١٨٨٥ ، أى بعد أن اشتراها محمد الحفنى بثلاث سنوات . وهكذا انتهت حياة أول مطبعة حروف رأتها دمشق .

أما مطبعة ولاية سورية فقد تولى إدارتها فى أواخر القرن التاسع عشر مصطفى أفندى واصف . وفى عهده تقدمت تقدماً ملحوظاً فزيدت آلاتها وجلبت لها طابعة يمكن إدارتها بمحرك بخارى . وطبعت المطبعة ابتداء من سنة ١٨٩٦ جريدة الشام .

وطبعت مطبعة الولاية إلى جانب المطبوعات الرسمية كتباً أدبية مختلفة مثل الروض المربع بشرح زاد المستنقع مختصر المقنع للشيخ منصور بن يونس البهوتى الحنبلى . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً بحرف نسخى جميل . وكان فى استطاعة أصحاب الشأن فى سوريا أن يستغلوا تلك المطبعة فى نشر أكبر عدد من الكتب المفيدة . ولكن يبدو أن الحكومة لم تكن ترحب بالمساهمة فى زيادة عدد الكتب المطبوعة إلا إن كان ذلك على حساب الناشر . ولما كان عدد القراء صغيراً والإقبال على شراء الكتب قليلا ، فإن الناشرين لم يكونوا يجرؤون على طبع عدد كبير من المؤلفات ؛ يدل على ذلك قلة عدد الكتب المطبوعة فى تلك المطبعة منذ نشأتها إلى أواخر القرن التاسع عشر .

وأنشأ حبيب أفندى أبو خالد فى سنة ١٨٨٠ (١٢٩٧ هـ) مطبعة عاشت حوالى ثلاث سنين طبع فيها ديوان الشيخ صفى الدين أبو المحاسن عبد العزيز

ابن سرايا بن أبي القاسم الحلي التنبسي . وقد بدئ فى طبع هذا الكتاب سنة ١٢٩٧هـ واستغرق طبعه حوالى ثلاث سنين . ويقع فى ٥٧٢ صفحة . وطبع حبيب أبو خالد فى سنة ١٢٩٨ هـ كتاب الفرائد البهية فى القواعد الفقهية . وعرفت المطبعة ابتداء من سنة ١٣٠٠ هـ باسم مطبعة نهج الصواب وطبعت حينئذ كتاب الطريقة الواضحة إلى البينة الراجحة . والكتاب مطبوع بحرف نسخى جميل وبعناية تامة ، مما يدل على أن المطبعة كانت من خير مطابع دمشق فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر . أما الأسباب التى دعت إلى إغلاقها فغير معروفة . ومما لا شك فيه أن عدم رواج الكتب كان العقبة الكؤود التى حالت بين تقدم مطابع دمشق وازدهارها . يضاف إلى ذلك العراقيل التى كانت تضعها الحكومة التركية أمام كل صاحب مطبعة .

وفى سنة ١٨٨٠ أيضاً أنشئت فى دمشق المطبعة الخيرية ، بفضل مساعى جمعية انتشار العلوم . وقد استعارت معداتها من الحكومة . وكان مقرها إحدى حجرات مسجد الملك الظاهر . وكان يدير شئونها السيد علاء الدين عابدين أحد أعضاء مجلس الأحكام العدلية . وطبعت المطبعة فى عهدها الأول ديوان نشأة الصبا ونسمة الصبا لمحمد سليم أفندى المشهور بالقصاب حسن الدمشقى ، وكان ذلك فى الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٢٩٨ . وكانت حروف تلك المطبعة قديمة متآكلة وكانت تنقص أصحابها الدراية بالفن المطبعى وأصوله .

وابتداء من سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) أصبحت المطبعة تعرف باسم مطبعة مجلس معارف سورية . وقامت بطبع عدة كتب نذكر منها « الهدية العلائية لتلامذة المكاتب الابتدائية » . وعلى الرغم من تعيين مصحح لتلك المطبعة ، هو سليم أفندى البخارى ، فإن الأخطاء المطبعية كانت أكثر من أن تحصى . ويبدو أن تغيير اسم المطبعة أو استرداد الحكومة لها لم يفدها شيئاً ، فقد ظل طبعها رديئاً وحروفها قديمة متآكلة إلى سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) حين جلبت لها حروف جديدة طبع بها كتاب « الرحيق المختوم شرح قلائد المنظوم » للعلامة السيد محمد أمين أفندى ابن عابدين . واختير للمطبعة فى عهدها الجديد مصحح يدعى محمد أبو الخير عابدين .

ويقول شاهين مكاريرس فى معرض حديثه عن المعارف فى سورية سنة ١٨٨٣ « أما مطابع دمشق فأربع ، مطبعة الولاية وفيها تطبع الجريدة الرسمية بالعربى والتركى ومطبعة الحجر وهى للحكومة السنية أيضاً ويديرها رفعت مصطفى أفندى واصف عضو مجلس المعارف ، ومطبعة مجلس المعارف ، وكانت قبلا لجمعية المقاصد الخيرية ، ومطبعة حبيب أفندى خالد[١] » .

وظل عدد مطابع دمشق على حاله حتى سنة ١٨٩٣ ثم أنشأ خالد أفندى عطار حسن مطبعة روضة الشام . وأول مطبوعاتها « إتحاف الطلبة بالأسئلة المنطقية والأجوبة » لمحمد بن على المرعشى . وحروف المطبعة جميلة وطبعها لا عيب فيه . وكان مقرها فى حارة خان سلطان رقم ٦٢ . وبعض كتب تلك المطبعة مطبوع على ورق وردى . وفى أوائل القرن العشرين انتقلت ملكيتها إلى خالد قرصلى وهو تركى الأصل وعاشت حتى نهاية سنة ١٩١٣ .

وإذا انتقلنا إلى حلب نجد نظارة الداخلية فى الآستانة تصرح فى سنة ١٨٩٧ لعبد المسيح أنطاكى بإنشاء مطبعة حروف وحجر لتطبع باللغات العربية والفرنسية والتركية . وعرفت باسم مطبعة الفرائد . وصدر عنها فى السنة التالية من إنشائها مجلة الشذور الشهرية وهى صحيفة أدبية[٢] .

وإن عدنا إلى دمشق وجدنا سليمان لطفى ينشئ مطبعة فى سنة ١٨٩٨ باسم المطبعة الحميدية التى قامت بطبع مجلة الشمس . ولم تعش تلك المطبعة طويلا ، شأنها فى ذلك شأن أغلب المطابع السورية .

وأنشأ كتبى يدعى محمد أفندى هاشم المطبعة العلمية فى نفس السنة التى أنشئت فيها المطبعة الحميدية . وطبع فيها أول ما طبع قصة المعراج ثم باعها إلى مصطفى أفندى شورى فأطلق عليها اسم الفيحاء . وأكثر مطبوعاتها الأوراق التجارية. أما الكتب المطبوعة فيها فنادرة جداً . وكان مصطفى شورى يعمل فى مطبعة الولاية قبل أن يشترى مطبعته ، وظلت فى المكان الذى أنشئت فيه بجادة غسان حى الحريق سابقاً .

---

(١) شاهين مكاريوس ، المعارف فى سورية ، مجلة المقتطف ، الجزء الثامن من السنة السابعة ، أذار سنة ١٨٨٣ .

(٢) الهلال ، الجزء الثانى ، السنة الخامسة ، ١٥ فبراير سنة ١٨٩٧ ص ٤٧٩ .

ونال سليم بك عنحورى امتيازاً بفتح مطبعة تسمى الاتحاد وبإصدار مجلة يطلق عليها اسم « مرآة الأخلاق » . ولكن الصعوبات التى كانت تضعها السلطات أمام الصحف ومطابعها جعلت صاحب الامتياز يعدل عن فتح مطبعته وإصدار جريدته [١].

هكذا كان حال الطباعة فى دمشق خاصة وفى سوريا عامة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . فعلى الرغم من إعلان الدستور فى الإمبراطورية العثمانية غداة اعتلاء السلطان عبد الحميد الثانى العرش ، ذلك الدستور الذى ينص صراحة على حرية الصحافة والاجتماعات وعلى جعل التعليم الابتدائى إجبارياً ، فإنه لم ينفذ ، بل ظل حبراً على ورق ؛ لأن عبد الحميد لم يكن جاداً فى منح شعوبه هذا الدستور فأخذ يتحين الفرصة للتحلل من نصوصه والعودة إلى الحكم المطلق . وكان له ما أراد بعد ثلاثة شهور من إعلانه . ففى فبراير سنة ١٨٧٧ أقال رئيس وزرائه مدحت باشا زعيم الأحرار وأخذ يفتات على الدستور شيئاً فشيئاً حتى قضى عليه تماماً . وظلت البلاد العثمانية تحكم حكماً مطلقاً ثلاثاً وثلاثين سنة ، أى طوال حكم عبد الحميد الثانى . فقد عمل هذا المستبد على عزل الدولة العثمانية عن العالم الحر خوفاً من أن تنتقل إليها عدوى الحرية. وفرض رقابة صارمة على المطبوعات جميعاً — السياسية والأدبية والعلمية — وكان لا يسمح للصحف أو للكتب أن تذكر كلمات الحرية والمساواة والدستور . فسد أبواب التطور أمام شعوبه وجعلها سجينة الجهل المطبق .

أنى للطباعة أن تزدهر إذن فى عهد لا يؤمن أصحاب السلطان فيه بالحرية ؟ وكيف يمكن أن تتقدم وسائلها وحاكم البلاد المطلق قد منع كل اتصال ثقافى أو فنى بين الولايات العثمانية والعالم الخارجى ؟ إن معظم مطابع سوريا ، إن لم تكن كلها ، كانت عبارة عن مطابع قديمة اشتريت من بيروت أو من الآستانة . وحتى هذا العدد القليل جداً من المطابع لم يكتب له النجاح ، ذلك أن الأمية كانت متفشية فى سوريا . والمطبوعات التى كانت تخرج من تلك المطابع لم تكن من النوع الذى يغرى متوسطى التعليم بالقراءة والإقبال على اقتناء الكتب .

---

(١) دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثانى ، بيروت سنة ١٩١٣ ، ص ٢٠٠ .

وفى أوائل القرن العشرين تأسست مطبعة صغيرة بدمشق سميت مطبعة نخمان وتخصصت فى المطبوعات التجارية والإفرنجية . وقد توقفت عن العمل قبل أن تنقضى السنوات العشر الأولى من القرن العشرين . ومن المطابع التى أنشئت فى تلك الفترة مطبعة بدائع الفنون . أسسها تاج الدين الصلاحى فى أوائل القرن العشرين . وكانت فى شارع الحميدية ، حمام الباشا القديم . وتخصصت المطبعة فى الطباعة الحجرية ونشرت عدة مؤلفات علمية وأدبية لكبار أدباء سوريا وعلمائها باللغات العربية والتركية والفرنسية . وكان للمطبعة قسم للطبع بالحروف . ومطبعة بدائع الفنون من المطابع النادرة التى لم تغلق أبوابها خلال الحرب العالمية الأولى . وكانت طابعاتها الست تعمل بدون توقف(١) .

وفى سنة ١٩١٠ أسس الشقيقان أديب وصالح الحيلانى مطبعة أطلقا عليها مطبعة الإنصاف واختارا لها مقرًّا فى حارة سوق الحميدية . وكانت معداتها عبارة عن طابعة كبيرة وأخرى صغيرة تطبع عليهما الجرائد المحلية مثل « العصر الجديد » و « بردى » والكتب المدرسية والمؤلفات القديمة لحساب المكتبة الهاشمية أو لحساب المؤلفين أنفسهم . وبعد الحريق الذى أتى على سوق الحميدية فى سنة ١٩١٢ أعيد فتح المطبعة ورأى صاحباها أن يطلقا عليها اسم « مطبعة الترقى » تيمناً بجمعية الاتحاد والترقى التركية وكسباً لعطف أصحاب الأمر والنهى الذين أفهموا صاحبي المطبعة أنهم لن يمنحوهما الترخيص إلا إن أثبتا إخلاصهما لهذا الحزب التركى الناشىء . وكان لهؤلاء القوم ما أرادوا . واتخذت المطبعة فى عهدها الجديد مقرًّا فى حى القيصرية .

وفى دار الكتب الظاهرية بدمشق عدد من المؤلفات المطبوعة فى تلك المطبعة ، فى عهدها الأول ، منها المسح على الجوربين للشيخ محمد جمال الدين القاسمى الدمشقى وكتاب نقد عين الميزان للشيخ محمد بهجت . وأول الكتابين مطبوع سنة ١٣٣١ هـ . أما الثانى ، فقد طبع سنة ١٣٣٣ هـ . وهما مطبوعان طبعاً جيداً .

وكان تقدم المطبعة تدريجيًّا حسب الاحتياج والظروف . وكانت تستورد

---

(١) استقينا هذه المعلومات من السيد صالح الحيلانى صاحب مطبعة الترقى بدمشق ومن السيد أحمد بلال التنبكجى الموظف بمطبعة الجمهورية السورية .

الحروف من مسبك خليل سركيس فى بيروت .

* * *

إن تقدم الفن المطبعى وزيادة عدد المطابع رهن بعوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية لا يمكن لإنسان أن ينكرها . لقد تأثرت أحوال الطباعة فى سوريا بتلك العوامل الأربعة تأثراً كبيراً مما يضطر كل من يؤرخ لهذا الفن ألا يسقط من حسابه واحداً منها .

لم يستطع السلطان عبد الحميد الثانى أن يستمر فى غيه ، فقد أجبرته جمعية الاتحاد والترقى من ناحية ، والجيش العثمانى من ناحية أخرى ، على إعادة الدستور فى يولية سنة ١٩٠٨ . ولما أجريت الانتخابات ، نالت جمعية الاتحاد والترقى أغلب المقاعد . وكانت سياسة تلك الجمعية التعصب لكل ما هو تركى واضطهاد كل من لا يجرى فى عروقه الدم التركى . وقام نفر من النواب الأحرار يقاومون هذه الحركة فألفوا فيما بينهم حزباً أسموه حزب الائتلاف . فما كان من الاتحاديين إلا أن أعنوا الأحكام العرفية فى البلاد . وأراد السلطان عبد الحميد الثانى أن يستغل هذا الخلاف لمصلحته . ولكن الاتحاديين تمكنوا من خلعه فى ١٩ أبريل سنة ١٩٠٩ وتنصيب شقيقه السلطان محمد الخامس الذى ترك الأمر للاتحاديين .

وكان لسياسة جمعية الاتحاد والترقى أثر أى أثر فى بعث الوطنية العربية إلى الوجود . فقد شعر العرب بخطر الاتحاديين على كيانهم وقوميتهم فقاموا يطالبون باللامركزية . وأخذت الجمعيات الوطنية تتكون هنا وهناك كجمعية الفتاة والجمعية القحطانية وحزب العهد وحزب الاستقلال . وعقد الطلبة العرب الموجودون بباريس مؤتمراً فى ١٨ يونيه سنة ١٩١٣ قرروا فيه تنفيذ النظام اللامركزى فى البلاد العربية .

وطبيعى أن يقاوم الاتحاديون تلك الحركة أشد المقاومة ويعملوا على كم الأفواه . وكان أن تأثرت المطابع والصحف السورية كل التأثر من موقف الحكومة التركية التى عملت على خنق حريات العرب بشتى الطرق ؛ فأخذت تضايق المطابع وتحول دون إنشاء مطابع جديدة وتراقب الصحف ، وتلقى القبض على الأحرار . وهكذا ظل عدد مطابع دمشق لا يتجاوز الأربع إلى بداية الحرب العالمية الأولى .

كانت هذه الحرب وبالاً على الطباعة فى سوريا . فقد شدد الأتراك الخناق

على المطابع وعلى الصحف . وانقطع ورود معدات الطباعة ومعاوناتها من أوربا كالحبر والورق . وتأزمت الحالة الاقتصادية فى البلاد . وانشغل السوريون بالثورة العربية التى أعلنها الشريف حسين فى صبيحة اليوم العاشر من شهر يونيه سنة ١٩١٦ وهاجم الثوار فلسطين وسوريا وعرقلوا مواصلات الأتراك ، مما سهل على الحلفاء احتلال البلاد . ودخل الأمير فيصل دمشق فى اليوم الثانى من شهر أكتوبر سنة ١٩١٨ .

الفصل الثالث

تقدم وازدهار

١٩١٩ – ١٩٣٩

أعلن المؤتمر السورى فى السابع من شهر مارس سنة ١٩٢٠ اختيار فيصل ملكاً على سوريا باسم فيصل الأول . ولكن فرنسا أبت على سوريا هذا الاستقلال ، فأرسل الجنرال جورو ، المندوب السامى الفرنسى ، إنذاراً إلى الملك فيصل . وتقدم الجيش الفرنسى إلى دمشق وهزم الجيش العربى فى ميسلون واحتل العاصمة السورية فى الخامس والعشرين من يولية سنة ١٩٢٠ . واضطر الملك فيصل إلى مغادرة البلاد . وبدأ الفرنسيون ينكلون بالعرب الأحرار فحكموا بالإعدام على عدد غير قليل منهم ثم استبدل هذا الحكم بالسجن . وقاوم الوطنيون رجالا ونساء الاحتلال الأجنبي منذ يومه الأول . وقامت الثورة السورية بزعامة إبراهيم هنانو سنة ١٩٢١ ودامت سنة . وبعد ذلك بسنتين شبت نار الثورة السورية الكبرى بزعامة سلطان باشا الأطرش فى جبل الدروز وتراجع الفرنسيون فى عدة مواقع ، وامتد لهيب الثورة إلى دمشق نفسها فضربها الفرنسيون بالمدافع وهدموا جزءاً كبيراً منها . وانفجرت الثورة أيضاً فى حماة . غير أن الفرنسيين استطاعوا بقوة السلاح إعادة السكينة إلى البلاد ، وكان ذلك فى سنة ١٩٢٦ .

وهكذا حالت الأحداث فترة طويلة من الزمن دون تقدم الفن المطبعى وغيره من الفنون والصناعات فى البلاد السورية . فالناس جميعاً كانوا مشغولين بقضية بلادهم الكبرى ومقاومة الاحتلال البغيض ، تارة بالمفاوضات والمحادثات وتارة أخرى بالطعن والنضال . وظلت المطابع فى دمشق على الحالة التى تركها عليها الأتراك عند مغادرتهم البلاد . وظهر عدد يسير جداً من المطابع الجديدة لا الحديثة. واختفت مطابع لوفاة أصحابها أو لكساد الحالة الاقتصادية . ولم يتقدم الفن المطبعى قيد أنملة بل انتقلت الحركة المطبعية كلها إلى بيروت .

واستطاعت مطبعة الفيحاء أن تجتاز هذه المحن وتولى أمرها أبناء مؤسسها مصطفى شورى . أما مطبعة بدائع الفنون فقد توفى صاحبها بعد الحرب مباشرة وبدأت أحوالها تضطرب فقلت أعمالها . وكانت مطبعة الترقى أسعد حالا من المطبعتين السابقتين على الرغم من اضطهاد سلطات الاحتلال لصاحبها صالح الحيلانى الذى توسط له السيد فارس الخورى والمرحوم محمد كرد على فأخلى سبيله بعد أن ألقى فى السجن وكف أصحاب الشأن عن مضايقته . ودب النشاط فى المطبعة وعادت إلى سابق عهدها من التقدم والرقى . وابتداء من سنة ١٩٣٣ تخصصت المطبعة فى طبع الكتب العلمية والأدبية ونشر المخطوطات كتاريخ ابن عساكر وفضائل الشام ودمشق وكتاب الأشربة وغوطة دمشق وطرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب والمهرجان الألفى لأبى العلاء ومجلة المجمع العلمى الرسمية .

أما الحروف فقد استوردت المطبعة فى سنة ١٩٢٠ طقماً كاملا منها من مسبك فنديان بالقاهرة . ولكن نظراً لصعوبة إجراءات الاستيراد التى عاناها صاحب المطبعة ، عاد إلى شراء الحروف من مسبك سركيس ببيروت .

وآل أمر مطبعة الولاية إلى الحكومة الفيصلية فعينت لها مديراً اسمه سليم هاشم الكتبى ، وهو مدير إدارى فحسب ليست له دراية بالفن المطبعى . فسارت المطبعة فى خطى بطيئة وأهملت أكثر آلاتها لعدم وجود وطنيين لهم الخبرة بهذا الفن . وكانت أعمالها مقصورة على إصدار الجريدة الرسمية المسماة « العاصمة » وبعض مطبوعاتها الدورية[١] .

ولما دخل الفرنسيون دمشق بعد موقعة ميسلون ازدادت اختصاصات المطبعة ، فغدت تطبع إلى جانب الصحيفة الرسمية جميع مطبوعات الحكومة وبعض المطبوعات الأهلية وأصبحت ميزانيتها السنوية بين ثمانى عشرة وعشرين ألف ليرة سورية . هذا عدا الاعتمادات التى كانت تدرج لها فى آخر السنة المالية[٢] .

وكانت المطبعة فى عهدها الأول تحتل بناء عتيقاً فى أول شارع جمال باشا ، وهو المعروف اليوم بشارع النصر ثم انتقلت إلى مبنى كان يستعمل إصطبلا

---

(١) حديث مع السيد رشاد الداودى أحد مديرى المطبعة السابقين .

(٢) نقابة أصحاب المطابع بدمشق : حقائق مطموسة وحقوق مهضومة وشكاو عادلة واحتجاجات بريئة ، مطبعة ابن زيدون بدمشق ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م من ص ٨ إلى ص ١١ .

لخيول وعربات شركة « الديليجانس » .

لقد مرت المطبعة منذ أن جدد الألمان معداتها فى أوائل الحرب العالمية الأولى بمراحل يجدر ذكرها فى شيء من التفصيل . فعندما ترك الألمان دمشق بعد هزيمة دولتهم وحلفائها من الأتراك وغيرهم عقب هذه الحرب ،ألقيت مقاليد المطبعة إلى عمالها من الوطنيين . وكانت خبرة هؤلاء مقصورة على الطبع بالحروف المتفرقة . وكان القليل منهم يلم بالطباعة الحجرية . وبديهى أن تسير أمور المطبعة والحالة هذه من سيئ إلى أسوأ فتعطلت معظم آلاتها . وكان الألمان قد تركوا عند رحيلهم قسما للفوتغرافور سرعان ما تلفت جميع آلاته وأدواته . ويقال إن جهل أحد مديرى المطبعة حدا به إلى بيع بعض السوائل الكيماوية الخاصة بفن الفوتوغرافور بسعر الزجاجات المعبأة بها . واستمرت الحال هكذا حتى قرب الحرب العالمية الثانية .

وفى سنة **١٩٢٤** أسس محمد شريف الأسطى مطبعة لتطبع صحيفته « المستقبل » وجلب صاحبها أدواتها من المطبعة الأمريكية ببيروت ومن بعض المطابع الأخرى . وكانت تقوم إلى جانب طبع الجريدة بعمل بعض المطبوعات التجارية البسيطة . واضطرت المطبعة إلى التوقف عن العمل لأسباب سياسية ومالية . أما الأدوات فقد بيعت لبعض الأفراد فى بعلبك وبيروت ودمشق ومن بينهم توفيق البرهانى صاحب مطبعة البرهان بدمشق .

وفى سنة **١٩٢٥** أسس وجيه بيضون مطبعة ابن زيدون . وقد بدأ حياته عاملا واستطاع بجده وكده أن يؤسس مطبعة متواضعة فى أول الأمر . ولكن طموحه دفعه إلى أن يضاعف من نشاطه حتى تمكن من أن يخطو بمطبعته خطوات إلى الأمام . وهو إلى جانب ذلك صحفى وأديب ومؤلف . فقد أصدر مجلة « الإنسانية » التى عاشت إحدى عشرة سنة ومجلة « كل جديد » التى ظلت توالى الصدور زهاء خمس سنوات . وله مؤلفات منها المطبوع ومنها ما لم ينشر .

ومن المطابع المهمة التى أنشئت فى حقبة ما بين الحربين العالميتين مطبعة جريدة الأيام . فقد تأسست بدمشق سنة **١٩٢٧** وكانت تعرف فى ذلك الحين باسم مطبعة بابيل إخوان . وكانت تقوم بطبع مطبوعات مختلفة ، منها جريدة الرأى العام وغيرها . وكانت المطبعة عبارة عن طابعة طراز « ألوزيه » صنعت

سنة ١٩١٠ وطابعة صغيرة تدار بالقدم وسكين لقص الكرتون والورق ومجموعتين من الحروف العربية والفرنسية . وعندما أسست الكتلة الوطنية جريدة الأيام فى سنة ١٩٣١ ، اتفقت مع نصوح بابيل على توسيع مطبعته ، وكانت عندئذ فى العصرونية ،سوق الحميدية ، ليطبع فيها الجريدة . وتم الاتفاق بين الطرفين وابتاع صاحبها لها طابعة ألمانية من مصانع فرانكنتال وطابعة فرنسية طراز ألوزية لطبع جريدة يومية ذات اثنتى عشرة صفحة مقاس ٦٠×٩٠ . ومنذ تلك السنة عرفت المطبعة باسم « مطبعة جريدة الأيام » . وانتقلت إلى شارع فؤاد الأول حيث احتلت الطابق الأرضى من عمارة جريدة الأيام . وصدرت الجريدة فى ثمانى صفحات ، وهى أول صحيفة تصدر فى هذا العدد من الصفحات فى سوريا ولبنان . ولما انتقل امتياز الصحيفة إلى نصوح بابيل سنة ١٩٣٢ استأنف إصدارها بنفس عدد صفحاتها وزاد على ذلك عدداً أسبوعياً يصدر فى ١٢ صفحة وأعداداً خاصة فى المواسم فى ٢٤ أو ٣٢ صفحة مقاس ٦٠×٩٠ .

وأسس محمد هاشم الكتبى وشركاه المطبعة الهاشمية فى سنة ١٩٣٦ . والمطبعة متخصصة فى طبع الكتب المدرسية والمصاحف الشريفة والخرائط الملونة التى توزع على المدارس ومصالح الدولة . وبدأت المطبعة فى عهدها الأول بشراء معدات طباعية مستعملة من دمشق واللاذقية ، وكانت هذه المعدات لمؤسسات مطبعية توقفت عن العمل . وأول مطبوع للمطبعة الهاشمية هو « سلسلة القراءة الطريفة » للمدارس الابتدائية ؛ وتلاه كتاب أسواق العرب لسعيد الأفغانى ، وقد طبع بمناسبة معرض دمشق سنة ١٩٣٦ . وتولى إدارة المطبعة فى نشأتها الأولى أكرم الطرابيشى .

ولم تعرف دمشق فن الزنكغراف إلا فى أوائل القرن العشرين بفضل أحد أبنائها ويدعى طاهر التنير ؛ وقد عاشت ورشته حوالى العشر سنين . وبعد الحرب العالمية الأولى أنشأ حسن الحناوى ورشة ثانية للزنكغراف عاشت حوالى خمساً وعشرين سنة .

وأول من فكر فى إنشاء نقابة لعمال المطابع هما نصوح بابيل ووجيه بيضون . وقد تحدثا فى هذا الشأن مع الرئيس فارس الخورى فشجعهما على المضى فى مشروعهما. وتمكنا من إبرازه إلى الوجود سنة ١٩١٩ ، بعد أن رسما له نظاماً داخلياً

مقتبساً من بعض القوانين التركية . وكانت هذه النقابة الأولى من نوعها فى سوريا إلا أنها لم تكن من النقابات القوية لقلة عدد الذين يعملون فى هذه الصناعة هناك .

أما نقابة أصحاب المطابع فقد تأسست فى دمشق سنة ١٩٣٧ أى بعد ثمانى عشرة سنة من إنشاء نقابة عمال المطابع . وكان مجلس إدارتها مكوناً من صالح الحيلانى صاحب مطبعة الترقى رئيساً وسعدى العمرى صاحب المطبعة الفنية نائباً للرئيس ووجيه بيضون صاحب مطبعة ابن زيدون كاتماً للسر وفهمى النحاس صاحب مطبعة العناية أميناً للصندوق ، وكل من أديب شورى أحد أصحاب مطبعة الفيحاء وعزيز موصلى صاحب مطبعة الثبات وعلى السقال صاحب مطبعة الصداقة ويوسف العبسى صاحب مطبعة ألف باء . وطالبت النقابة فى سنة إنشائها بألا تطبع فى مطبعة الحكومة إلا مطبوعات وزارتى المالية والداخلية وبأن يسمح للدوائر الرسمية — عدا الوزارتين المذكورتين — بعرض مطبوعاتها بالمناقصة على المطابع الأهلية المختلفة وبإغلاق مطبعة الجامعة السورية وإلحاقها بمطبعة الحكومة الرسمية والمحافظة على حقوق أصحاب المطابع الأهلية ومساواتهم فى الحقوق بأصحاب مطابع الصحف ، وعدم السماح بطبع شىء خارج سوريا حفظاً للكرامة القومية ورعاية لمصلحة الأمة المادية والإيعاز إلى سائر الدوائر والتشديد عليها بأن تجعل المساواة والإنصاف رائدها فى مناقصاتها وإعفاء المطبوعات من الطوابع المفروضة عليها من قبل المالية والبلدية وحماية الطباعة من فتح مطابع جديدة ما لم تتأكد الحكومة من ضرورتها ، ذلك لأن المطابع الحالية أكثر من اللازم . وفى سنة ١٩٣٨ عرض وجيه بيضون اقتراح تكوين اتحاد تعاونى لأصحاب المطابع . ولكن دعوته لم تلق آذاناً صاغية .

وكانت سوريا حتى سنة ١٩٢٥ تشترى حروف مطابعها من مصر وبيروت والآستانة ثم تأسس فى تلك السنة مسبك فى حلب يسمى « مسبك المطبعة المارونية » له وكيلان أحدهما فى دمشق والآخر فى بيروت . وتعامل مع هذا المسبك مطابع دمشق وحلب وحمص واللاذقية وطرابلس وبيروت .

لقد تقدم الفن المطبعى تقدماً ملحوظاً فى سوريا بعد الحرب العالمية الأولى فجددت المطابع القديمة معداتها وجلبت المحركات الكهربائية لإدارة الطابعات

السريعة . وأنشئت ورش الزنكغراف وكونت النقابات التى تدافع عن المهنة . وكان لانتشار المدارس ورواج الصحف أثره فى حال الطباعة . إلا أن الجهود التى بذلت فى هذا المضمار كانت جهوداً فردية . أما الحكومة فكانت جهودها سلبية إلى حدما ، مما دعا أصحاب المطابع إلى الشكوى .

الفصل الرابع

استقلال وتجديد

١٩٤٠ــ١٩٦٥

أعلنت الحرب العالمية الثانية وانهارت فرنسا فى يونيه ١٩٤٠ . وحدث تصادم بين الشعب السورى والقوات الفرنسية التابعة لحكومة فيشى فى شهرى فبراير ومارس من سنة ١٩٤١ . وفى ٨ يونيه اجتاحت سوريا قوات من الجيش البريطانى ومن جيش الجنرال ديجول . ودام القتال شهراً أعلنت بعده الهدنة فى ١٤ يوليه . وأعلن الجنرال كاترو قائد القوات الفرنسية الحرة استقلال سوريا فى ١٦ سبتمبر وعين الشيخ تاج الدين الحسينى رئيساً للدولة ودخل الوطنيون السوريون فى الحكومة .

وفى ٨ فبراير سنة ١٩٤٢ عينت بريطانيا ممثلا سياسيًّا لها فى سوريا ولبنان وتبعتها فى أكتوبر الولايات المتحدة . وكان على الحكومة السورية الجديدة أن تقاوم الصعوبات التى نجمت عن قلة المؤن . ولكن بفضل إنشاء الطرق العسكرية لم تحدث بطالة بين السوريين . إلا أن الأحداث السياسية لم تكن على ما يرام؛ ذلك أن عملاء المحور بذلوا نشاطاً كبيراً لتأليب العرب ضد الحلفاء كما قاومت بعض العناصر الفرنسية فكرة منح سوريا الاستقلال على الرغم من الضغط الذى قامت به بريطانيا والولايات المتحدة على حكومة ديجول لكى تضطرها إلى كف يدها عن سوريا .

وفى سنة ١٩٤٣ أعيد الدستور وأجريت الانتخابات فى يوليه . ففاز شكرى القوتلى برئاسة الجمهورية . وطالبت سوريا بأن توضع القوات المجندة محليًّا تحت إدارتها ورفضت أن تمنح الفرنسيين أى امتياز . وتقوى مركز سوريا بانضمامها إلى الحلفاء فى فبراير سنة ١٩٤٥ الأمر الذى أتاح لها الاشتراك فى مؤتمر سان فرانسيسكو.

وطالبت سوريا ولبنان بجلاء القوات الفرنسية عن أراضيهما . ووقعت اشتباكات بين الوطنيين وبين هذه القوات . واتهم الفرنسيون الإنجليز بأنهم هم الذين نظموا

هذه الثورة ليجبروهم على الانسحاب من مسرح الشرق الأوسط . وفى فبراير سنة ١٩٤٦ تقدمت سوريا ولبنان بشكوى إلى مجلس الأمن تطلبان فيها جلاء القوات الفرنسية والبريطانية . وقد وافق المجلس على اقتراح عبر فيه عن إيمانه بأن يرى الدول الكبيرة تسحب قواتها فى أقرب وقت . واحتفلت سوريا بخروج آخر جندى أجنبى من أراضيها فى شهر أبريل من سنة ١٩٤٦ .

وتأثرت بعض المطابع فى سوريا بالحرب وخاصة بعد انهيار فرنسا . وأغلقت مطبعة بدائع الفنون أبوابها وباعها أصحابها مجزأة إلى جورج فارس صاحب جريدة الإيكو الفرنسية L'Echo وإلى السيد السقال صاحب دار الطباعة العربية بدمشق .

إلا أن هذا الركود لم يدم طويلا ولم يمتد إلى كل المطابع كما حدث خلال الحرب العالمية الأولى . والدليل على ذلك أن خالد العظم وزير المالية فكر فى سنة ١٩٤٤ فى إصلاح مطبعة الحكومة إصلاحاً جدياً بعد أن جأرت الدوائر الحكومية بالشكوى من بطئها وعدم استطاعتها تلبية جميع الطلبات . وما كان من الوزير إلا أن طلب من مدير مطبعة الجامعة السورية أن يضع تقريراً شاملا عن إصلاح المطبعة . وقد تم وضع التقرير ورفع إلى الوزير فوافق عليه بحذافيره . وتم على أثر ذلك نقل مدير مطبعة الجامعة السورية مديراً فنياً لمطبعة الحكومة وأعطيت له الحرية التامة فى تنفيذ ما يراه مفيداً لها .

وكان جميع موظفى المطبعة عمالا فوضع لهم كادر ثابت وأصبحوا من فئة المستخدمين . وأدرجت الحكومة فى تلك السنة(١) مليون ليرة سورية لبناء مطبعة حديثة تنفيذاً للتقرير الذى وضعه رشاد الداودى . غير أن مجلس النواب اعترض على هذا الاعتماد وألغاه . ولكن وزارة المالية تمكنت فى السنة التالية من تخصيص ثلاثمائة ألف ليرة سورية لهذا المشروع . وكانت المطبعة فى الوقت نفسه تجد وتعمل على إصلاح ما يمكن إصلاحه من الآلات القديمة والمعدات . واقترح المدير الفنى أن يسافر إلى القدس لمشاهدة بناء مطبعة الحكومة (٢)، فوافقت وزارة المالية

---

(١) سنة ١٩٤٤ .
(٢) هى اليوم تابعة للحكومة الإسرائيلية .

على هذا الاقتراح ، وسافر صاحبه ومعه مدير الأبنية فى وزارة الأشغال العامة لأخذ فكرة عن شكل البناء وتصميمه . وانتدب المدير الفنى مرة أخرى للسفر مع مدير البريد والبرق إلى مصر للاتفاق مع مطبعة المساحة على طبع طوابع الدولة السورية البريدية فاستفادا خبرة وكونا فكرة طيبة عن كيفية بناء مقر المطبعة الجديد . فلما عادا إلى دمشق باشرت مديرية الأبنية فى وزارة الأشغال العامة وضع الرسوم اللازمة . وقد تم البناء فى سنة ١٩٤٧ .

وكان فى المطبعة عشر آلات للطبع بالحروف المتفرقة وهى من الحجم الصغير ، منها آلات تدور بمحركات كهربائية وآلة واحدة من الحجم المتوسط . وقد جلب بالإضافة إلى ما تقدم أربع آلات كبيرة للطباعة بالحروف المتفرقة وآلتان للطبع الحجرى وآلة واحدة للطباعة الملساء (أوفست) طراز مارينونى . وكان يشرف على الآلة الأخيرة ومعاوناتها خبير أجنبى استقدمته الحكومة السورية خصيصاً لهذا الغرض . وكان يوجد فى قسم التجليد آلة لطى الورق وآلتان لقصه . واستوردت آلة لسن سكاكين المقاطع ، تعد الأولى من نوعها فى الشرق العربى . وفى المطبعة أيضاً ثلاث آلات لتنضيد الحروف طراز أنترتيب(١) .

وبلغت ميزانية المطبعة من أول سنة ١٩٥١ إلى منتصف سنة ١٩٥٢ ، ٥٨٣٠٠٠ ليرة سورية . ولم يكن عدد عمال المطبعة قبيل الحرب العالمية الأولى يتجاوز السبعة والعشرين ، منهم سبعة عشر عاملا دائماً وعشرة عمال مؤقتين . أما فى سنة ١٩٥٢ فقد ناهز عددهم مائة واثنين وعشرين منهم سبعة موظفين وثمانية عمال وخبيران أجنبيان . أما الباقون فمستخدمون .

وتشتمل المطبعة على قسم للإدارة وقسم للطبع بالحروف المتفرقة وقسم الطبع الحجرى وقسم الطباعة الملساء وقسم الأوراق ذات القيمة وقسم التجليد وقسم المستودع والقسم الميكانيكى أو ورشة الإصلاحات وقسم تسليم المطبوعات .

ولا يوجد فى سورية مطبعة حكومية أخرى سوى مطبعة الجامعة السورية التى تأسست سنة ١٩٢٩ . وكان فى حلب مطبعة حكومية أحيلت أعمالها إلى مطبعة دمشق قبل سنة ١٩٣٧ . وتستورد مطبعة الجمهورية السورية الورق من الدوائر

(١) قمنا بزيارة هذه المطبعة فى منتصف شهر أبريل من سنة ١٩٥٢ .

الحكومية المختلفة التى ترسل إليها مع الطلب كمية الورق اللازمة .

وليس لعمال المطبعة المذكورة نقابة خاصة بهم تدافع عن مصالحهم ، كما هو الحال فى مصر مثلا ، ذلك لأنهم مستخدمون دائمون يعاملون معاملة حسنة جداً .

ومطبعة الجمهورية السورية أكبر مطبعة فى البلاد . وهى على خلاف مطبعة بولاق فى مصر ، لا تقبل أن تطبع للأفراد تشجيعاً للمطابع الأهلية على المضى فى الرسالة الملقاة على عاتقها .

وإن انتقلنا إلى مطبعة ابن زيدون ألفينا صاحبها يعنى بتصحيح تجاربها بنفسه . ويقصده لذلك كبار الكتاب والعلماء لأنهم يعلمون أن مؤلفاتهم تخرج من هذه المطبعة خلواً من الأخطاء وطبقاً لما يتطلبه الذوق الفنى السليم . وميزة مطبعة ابن زيدون أيضاً أن صاحبها محب لفنه . وهذا الحب هو الذى أهاب به للتفكير بفن الهليوجرافور الحديث . فكان له الفضل الأول فى إدخاله إلى سوريا عام ١٩٤٢ بعد مجهودات شاقة . وإذا استثنينا مطبعة الجمهورية السورية بدمشق جاءت مطابع ابن زيدون فى المقدمة برأسمالها وشهرتها . وقد تعاقدت الحكومة معها فى عام ١٩٥٢ على طبع عدة ملايين من طوابع البريد . وهذه هى المرة الأولى التى تعهد فيها الحكومة السورية بطبع تلك الطوابع لمطبعة سورية . إذ كانت قبل ذلك تلجأ إلى المطابع اللبنانية أو المصرية لطبعها .

ولمست عصا التقدم السحرية مطبعة جريدة الأيام بدمشق . فمنذ سنة ١٩٤٨ أصبح فى المطبعة قسم تجارى لطبع مختلف أنواع المطبوعات الملونة لاستهلاك المؤسسات التجارية وطبع المجلات . واشترت المطبعة طابعة إيطالية حديثة تطبع بلون واحد أو بأكثر من لون حسب الرغبة ومقاسها ٥٤×٣٧ وسرعتها ستة آلاف نسخة فى الساعة .

وسايرت المطبعة الهاشمية تيار التقدم الطباعى فى سوريا فأدخلت المحركات الكهربائية لإدارة طابعاتها الحديثة كما زودت قسم التجليد فيها بأحدث الآلات . وكانت المطبعة تشترى ما تحتاج إليه من حروف من مسبك سركيس ومسبك عبود ببيروت ومن مسبك كيلون بحلب ؛ ثم تحولت بعد ذلك إلى المسبك المصرى بالقاهرة . ولا يقتصر نشاط تلك المطبعة على المطبوعات العربية فحسب ، بل

يتعداها إلى المطبوعات الفرنسية والإنجليزية . وهى من مطابع دمشق الكبرى ويتراوح عدد عمالها بين العشرين والخمسين حسب الحاجة . والمطبعة مشهورة بطبعها الأنيق وحروفها الجميلة ومسايرتها للتقدم المطبعى الحديث .

وفى دمشق وحلب واللاذقية وحمص مطابع أخرى أقل أهمية من تلك التى ذكرناها ويهتم أكثرها بطبع المطبوعات التجارية للمصارف والشركات ودور التجارة . وفى حلب مطابع لا تقل أهمية وإتقاناً للعمل عن مطابع دمشق نذكر منها مطبعة التقدم ومطبعة قسطون ومطبعة المعارف ومطبعة الضاد . وفى حمص أكثر من مطبعة جديرة بالذكر وقد اخترنا منها مطبعة النجاح لصاحبها عون الجندى ومقرها فى شارع أبى الهول . وينتظر للطباعة فى المدن السورية كل تقدم بفضل انتشار المدارس فى القرى ورفع مستوى الحياة بين الطبقات الفقيرة والانتعاش الاقتصادى الذى بدأت نتائجه تظهر فى كل ركن من أركان هذا البلد العربى .

وفى دمشق وحلب اليوم عدد كبير من ورش الحفر كلها فى أيد سورية . إلا أنه من الملاحظ على وجه العموم أن هذا الفن لا يزال فى حاجة إلى كثير من العناية والإتقان ، خاصة فى الكليشيهات ذات الظلال (هاف تون) والكليشيهات الملونة .

وتقدمت فى سوريا صناعة حروف الطباعة تقدماً ملحوظاً . وفى حلب عدا المسبك المارونى ، مسبكٌ أسسه جميل كيلون يزود بحروفه عدداً كبيراً من المطابع السورية فى حلب ودمشق وغيرهما من المدن السورية ، إلا أن المطابع الكبيرة أصبحت تتكل على آلات الجمع السطرى (لينوتيب) وآلات (المونوتيب) وقلما تلجأ إلى مسابك الحروف .

خاتمة

كانت حلب أول مدينة فى سوريا بل فى الشرق العربى تطبع بالحروف العربية . إلا أن الطباعة لم ترسخ أقدامها فى هذا القطر إلا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وعلى أى حال فإن عدد المطابع فى سوريا حتى الحرب العالمية الأولى لم يكن يزيد على الخمس ، ذلك أن السوريين حكومة وشعباً كانوا يعولون على مطابع لبنان . يضاف إلى ذلك أن الحالة الثقافية والاقتصادية والسياسية لم تكن لتشجع الناس على فتح المطابع واعتبارها مورداً من موارد الرزق . وكان من الطبيعى أن تتقدم الطباعة وتزدهر بعد خروج الأتراك من البلاد عقب الحرب العالمية الأولى ، إلا أن هذا النمو وهذا الازدهار كان محدوداً فى عهد الانتداب الفرنسى ذلك أن المحتل الجديد ظل يشجع المطابع اللبنانية على حساب المطابع السورية . ولم يشعر الفن المطبعى السورى حقاً بوجوده إلا بعد الاستقلال ، وكانت الحكومة السورية أول من فكر فى تجديد مطبعتها وتبعها بعد ذلك الأفراد فجلبوا الآلات الحديثة من فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأدخلت طباعةالروتغرافور وطباعة الأوفست ، كما أدخلت آلات تنضيد الحروف . وأخذ عدد المطابع يزداد زيادة محسوسة حتى بلغ فى سنة ١٩٥٢ سبعاً وأربعين مطبعة منها ٢٤ فى دمشق و ١٤ فى حلب والباقى فى سائر المحافظات . وهو عدد قليل لو قسناه نسبياً بعدد المطابع الموجودة فى العراق ولبنان ومصر ، خاصة وأن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بلغت حسب ما جاء من المديرية العامة للدعاية والإعلان ٦٥ ٪ وأن عدد الجرائد والمجلات ٧٢[١] .

وخلال زيارتنا لسوريا فى صيف سنة ١٩٦١ استرعى انتباهنا زيادة عدد المطابع المزودة بالأدوات الحديثة ، كما لاحظنا تقدم الفن المطبعى عما كان عليه فى سنة ١٩٥٢ ، خاصة فى الكتب وأغلفتها . أما طباعة الصحف فهى خير مما

---

(١) أخذنا هذه الأرقام فى أبريل سنة ١٩٥٢ .

كانت عليه وقد اقتفت فى إخراجها أسلوب الصحف المصرية . ولا زالت دور الصحف اليومية تستخدم الطابعات المسطحة ، ذلك أن توزيع الصحيفة لا يزيد عن بضعة آلاف . غير أنها تنضد حروفها بآلات الجمع السطرى الانترتيب واللينوتيب الجديدة . وإذا انتقلنا إلى المجلات الأسبوعية وجدنا بعضها يطبع بالأوفست والبعض الآخر بالطباعة البارزة العادية والأنماط الزنكغرافية الخطية والظلية . وقد خطت الطباعة بالألوان خطوات لا بأس بها فى كل من مطابع دمشق وحلب لا سيما المطابع الكبرى .

وخلاصة القول أنه لابد للفن الطباعى فى سوريا أن يتابع الجهد ليصل من حيث الكيف إلى المستوى الذى وصل إليه هذا الفن فى عدد كبير من الدول العربية التى عرفت الطباعة بعده بوقت طويل .



الباب الخامس

الطباعة فى الجمهورية العربيّة المتحدة



الفصل الأول

مطابع الحملة الفرنسية

١٧٩٨ – ١٨٠١

أدرك بونابرت منذ اللحظة التى قرر فيها احتلال مصر أن الدعاية هى السلاح الماضى الذى قد يكسب به قلوب المصريين . فكان عليه إذن أن يعد العدة لحملة من الدعاية يوطد أركانها بمطبعة يحملها معه لتساعده فيما يرمى إليه . ومما يؤيد إيمان بونابرت بقوة المطبعة أنه كتب إلى أرنو Arnault يطلب إليه أن ينشئ مطبعة يونانية فى جزيرة كورفو « لتنوير عقول اليونانيين وإعدادهم لتذوق طعم الحرية فى تلك البقعة المهمة من أوربا [١] » .

وحرص بونابرت على تزويد المطبعة التى سيحملها معه إلى مصر بالحروف العربية واليونانية والفرنسية . وعنى عناية خاصة برجال المطبعة الجديدة ومعداتها . وليس التحبب إلى المصريين هو الغرض الوحيد من إحضار المطبعة ، بل هناك صحيفة « كورييه ديلجيبت » Courrier de l'Egypte التى سوف تحمل إلى جنده وقواده الأخبار من هنا وهناك فتقوى روحهم المعنوية ، ومجلة « لا ديكاد اجبسيين La Décade Egyptienne ذلك السجل الذى سيحوى أبحاث وتقارير علماء الحملة وغيرها من المطبوعات .

وفى السادس والعشرين من شهر فنتوز عام ٦ الموافق السادس عشر من شهر مارس سنة ١٧٩٨ اتخذت حكومة الإدارة قراراً بتعبئة كافة ما يحتاج إليه بونابرت ، بما فى ذلك الحروف العربية والفرنسية واليونانية الموجودة فى مطبعة الجمهورية . ولكن يبدو أن الأمور لم تسر وفق مشيئة بونابرت ، فما كان منه إلا أن أرسل فى السادس من شهر جرمينال عام ٦ الموافق السادس والعشرين من شهر

(١) Canivet (Raoul) : L'Imprimerie de l'Expédition d'Egypte, Bulletin de l'Institut Egyptien, Série V., Tome III, p. 2.

COURIER DE L'EGYPTE.

N.° 1.er

Le 12 Fructidor, VI.e année de la République.

NOUVELLES.

Corfou, 27 *messidor an* 6. Le vaisseau de guerre *le Stengel* est arrivé d'Ancône dans ce port, escortant un convoi de trois mille Français qui sont venus pour renforcer la garnison des îles Ioniennes.

La prise de Malte par la France a fait ici une joie universelle. Les départemens d'Ithaque, de Corcyre et de la mer Egée sont dans la situation la plus satisfaisante; il y règne le plus grand enthousiasme pour la liberté, et le plus grand attachement à la mère patrie.

De Janina, le 15 *messidor*. Notre Pacha est toujours sous les murs de Widdin, commandant en second l'armée du grand seigneur sous le capitan-pacha, qui est destinée à faire la guerre à Pasevan-Oglou qui reprend toujours de nouvelles forces. Après le combat malheureux où notre armée a perdu 700 hommes, et a été obligée d'abandonner le champ de bataille, l'armée de ce rebelle s'est encore augmentée.

Il y a quelques jours, est arrivé ici l'adjudant général Rose qui a eu une audience de cérémonie du fils du pacha, à l'issue de laquelle il a été expédié un courrier sur un dromadaire, portant au pacha une dépêche extraordinaire.

Malte, 25 *messid*. La fête du 14 juillet s'est célébrée ici avec la plus grande pompe. Les bienfaits de la liberté se font sentir dans toutes les classes; il n'est pas un seul Maltais qui ne bénisse l'heureux changement qui a eu lieu.

Trois frégates anglaises bloquaient notre port. Le vaisseau de guerre *le Dego* et la frégate *la Carthaginoise* sont sortis pour leur donner chasse.

Le vice-roi de Sicile avait refusé de nous donner des vivres; mais sur les instances de notre ambassadeur à Naples, il vient de permettre l'exportation de la Sicile. Au reste nous avons du bled pour la garnison et les habitans pour dix-huit mois.

Tripoli, 28 *messidor*. Le pacha de Tripoli, dès l'instant qu'il a eu reçu la demande du Général en Chef, de mettre en liberté tous les esclaves maltais (le Général en Chef lui avait envoyé une grande quantité de Tripolitains et autres esclaves turks) les a envoyés par un bâtiment à Malte, avec une grande quantité de bleds et de fruits, et quatre-vingt-dix chevaux de race dont il a fait présent au général commandant à Malte.

Alexandrie. La ville est encombrée de matelots et d'équipages de nos vaisseaux, provenant de l'escadre. Tous les prisonniers ont été rendus.

الصفحة الأولى من العدد الأول لصحيفة كوريه ديلجبت

مارس سنة ١٧٩٨ ، خطاباً إلى وزير الداخلية يشكو له بطء القائمين على تنفيذ قرار حكومة الإدارة ، ويخص بالذكر مدير الجمهورية والمواطن لانجليس ويرجو من الوزير أن يصدر أمره بإرسال جميع الحروف العربية الموجودة فى المطبعة المذكورة عدا قوالبها أو أمهاتها على أن يلحق بها المواطن لانجليس ، ويطلب بونابرت من الوزير نفسه أن يأمر بإرسال الحروف اليونانية . أما الحروف الفرنسية فيطلب كميات منها من البنط المعتاد تكفى ثلاث مطابع [١] .

ولكن لانجليس رفض أن يتبع بونابرت على الرغم من المحاولات التى بذلها هذا الأخير لإقناعه بالسفر . إلا أن سياسة بونابرت الإسلامية لا يمكن أن تستغنى عن مستشرق يعرف اللغة العربية مثل لانجليس . فكان لابد إذن من التفكير فى غيره حتى يكتب لتلك السياسة النجاح التام . وتمكنت الحملة الفرنسية آخر الأمر من اصطحاب عدد كبير من المستشرقين نذكر منهم جوبير وحنا يوسف مارسيل .

ويظهر أن معدات مطبعة الجمهورية لم تكن كافية فكلف الجنرال كافاريللى بشراء أدوات مطبعية مختلفة بلغ ثمنها عشرة آلاف ومائة وواحد وستون جنيهاً فرنسيا .

ولم يكتف القائد الأعلى للحملة بحروف مطبعة باريس ، بل فكر أيضاً فى مطبعة نشر الإيمان التابعة للبابا فأرسل إلى مونج — وكان وقتئذ فى تلك المدينة — ليقول له « إنى أعتمد على مطبعة نشر الإيمان وعليك ، حتى لو كلفنى ذلك صعود نهر التيبر بالأسطول لاصطحابك » .

وفى الخامس والعشرين من شهر فنتوز (١٥ مارس) ، أعلن مونج أنه سيأخذ من جمعية نشر الإيمان ثلاث طابعات مع كل الأدوات اللازمة لإدارتها ، وأنه سيضم لها حروفاً لاتينية وعربية وسريانية وأنه سيجلب بعض عمال الطباعة معه ولكن عددهم لم يكن بالقدر الذى يريده بونابرت [٢] .

---

(١) A. Keller : Correspondance, Bulletins et Ordres du Jour de Napoleon, Tome IV, p. 120, Paris, s.d.

(٢) Charles-Roux : Bonaparte Gouverneur d'Egypte, p. 12 et 13.

. . . لقد وضعت المطبعة فى الصناديق وسترسل عبر نهر التيبر إلى سيفيتافيكيا . . .
وفى الثامن والعشرين من شهر جرمينال صدر أمر بتأسيس المطبعة الشرقية وبتعيين مستخدميها وتحديد مرتباتهم . ويحتوى هذا الأمر على اسمى المشرفين على سير العمل فى المطبعة وثلاثة منضدى حروف وثلاثة طابعين . أما المترجم فهو من مدينة ديار بكر السورية وأحد الملاحظين من دمشق .

وإلى جانب هذه المطبعة الرسمية أذن بونابرت لطابع فرنسى يدعى مارك أوريل بالحضور إلى مصر بصحبة الحملة ومعه مطبعته .

أما المطابع الرسمية للحملة فقد انقسمت إلى شعبة شرقية يرأسها إيليا فتح الله من ديار بكر ، وإلى شعبة فرنسية ويرأسها مدير يعمل تحت إمرته ملاحظ وثلاثة مصححين وتسعة عشر عاملا . وكانت هيئة المطبعة الشرقية مكونة من مترجم وملاحظين اثنين وثلاثة منضدى حروف وثلاثة طابعين .

وأطلق على المطبعة الرسمية بشعبتيها ثلاثة أسماء رسمية واسم شعبى فعرفت أثناء اجتياز الحملة البحر المتوسط بمطبعة الجيش البحرية ، فلما أنزلت فى ثغر الإسكندرية سميت « بالمطبعة الشرقية الفرنسية » . وحين استقر بها المقام فى القاهرة اتخذت اسم « المطبعة الأهلية » . أما من الناحية الشعبية فقد كان الفرنسيون يعرفونها باسم « المطبعة الجديدة » لأنها وصلت القاهرة بعد مطبعة مارك أوريل بأشهر .

عين المستشرق حنا يوسف مارسيل على رأس المطابع العربية واليونانية والفرنسية الملحقة بالجيش . ولما أقلعت العمارة الفرنسية ، كانت المطبعة الرسمية على ظهر سفينة الأميرالية « لوريان » L'Orient التى كانت تقل الجنرال بونابرت وأركان حربه .

بيد أن وجود المطبعة على نفس سفينة القائد العام لم يكن وليد الصدفة ، فبونابرت يريدها بالقرب منه ليستفيد منها فى أية لحظة يشاء . وها هو ذا يأمر بأن تعمل وهى فى البحر لتطبع النداء الموجه لشعب مصر والأمر الموجه للجيش والمؤرخ فى ٤ مسيدور عام ٦ الموافق ٢٢ يونيه سنة ١٧٩٨ وفى ١٠ منه الموافق ٢٨ يونيه . وتحمل تلك المطبوعات العبارة التالية : « طبع على ظهر لوريان فى مطبعة

الجيش البحرية » . ويقول فرانسوا شارل رو إن بونابرت أمر بطبع البيان العربى إلى الشعب المصرى قبيل احتلال الإسكندرية أى يوم ٢ يوليه . وهكذا نرى أن عمل تلك المطبعة بدأ قبل نزول الحملة إلى البر . ولم يقتصر نشاطها على إخراج بعض النشرات الفرنسية، بل تجاوزها إلى طبع البيان العربى الذى أذاعه قائد الحملة على المصريين . أما مطبعة مارك أوريل فقد كانت على الفرقاطة « لاجوستيس » La Justice إحدى سفن الحملة . وقامت بطبع البيان الفرنسى المؤرخ فى الثالث عشر من شهر مسيدور (أول يوليه) .

وبعد أن تم لبونابرت احتلال الإسكندرية ، وقبل أن يزحف منها على القاهرة، أصدر فى التاسع عشر من شهر مسيدور عام ٦ (٧/٧/١٧٩٨) أمراً بإنزال المطابع الفرنسية والعربية واليونانية إلى البر وبأن توضع فى منزل وكيل قنصل البندقية بحيث يمكن الطبع بها فى ظرف ثمان وأربعين ساعة . وفى اللحظة التى يتم فيها تركيب المطبعة العربية تطبع أربعة آلاف نسخة من البيان العربى . فأول مطبوع خرج من أرض الفراعنة هو الطبعة الثانية لبيان ١٣ مسيدور المكتوب باللغة العربية والذى تحمل نسخه هذه العبارة « فى إسكندرية من مطبعة الشرقية والفرنساوية » .

ومن المؤكد أن مارسيل هو الشخص الوحيد الذى طبع بالإسكندرية دون مارك أوريل ، ويؤيد ذلك صاحب ترجمة الطابع الأخير الذى يقول « إن مطابعه (أى مطابع مارك أوريل) على الرغم من أن تركيبها قد تم بعد ثمان وأربعين ساعة من احتلال الفرنسيين للمدينة، فإنها لم تعمل فى الأغلب بل اتجهت رأساً إلى القاهرة[1] .

لقد أديرت مطبعة مارسيل فى الإسكندرية قبل أن يستقر مارك أوريل فى القاهرة باثنين وأربعين يوما . إذ أن الأخير أخرج أول مطبوع له بالقاهرة فى الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ .

ونشر مارسيل وهو بالإسكندرية أبجدية عربية وتركية وفارسية طبعها فى المطبعة الشرقية الفرنسية وتمرينات بالعربية الفصحى للمبتدئين . ثم غادر الإسكندرية إلى القاهرة فوصلها فى حوالى منتصف شهر أكتوبر من سنة ١٧٩٨ .

---

(١) Cité in Geiss : Histoire de l'Imprimerie en Egypte, Bulletin de l'Institut Egyptien, 5ième série, Tome I, p. 145.

وظل مقر «المطبعة الشرقية» بمدينة الإسكندرية إلى نهاية عام ١٧٩٨، حيث ظلت المطبعة الوحيدة فى مصر التى تطبع بالعربية. وكان كليبر يستخدمها فى طبع مطبوعات قيادته بالإسكندرية.

ولم تصل المطابع إلى القاهرة إلا فى شهر أكتوبر. وظل جزء منها فى الإسكندرية أعتبر فرعا من المطبعة الأهلية.

أما مطبعة مارك أوريل الطابع الفرنسى الحر الذى سمح له بونابرت بالمجىء إلى مصر كما سمح لكثيرين غيره من الفرنسيين، فقد تبعت جيش القائد العام الذى غادر الإسكندرية بعد احتلالها ليزحف إلى القاهرة. ولما تم للفرنسيين احتلال القاهرة ركب «أوريل» مطبعته، وهى أول مطبعة عرفتها تلك المدينة منذ أن اخترعت الطباعة فى منتصف القرن الخامس عشر[1]. ويبدو أن إدارة «أوريل» للمطبعة كانت إدارة شرفية. وكان أول ما طبعه أمراً يوميا بتاريخ ١٥ أغسطس سنة ١٧٩٨ قام بتنضيد حروفه بنفسه. وأصبح لقبه «طابع الجيش». وقد ظل محتفظاً به إلى اليوم الذى رحل فيه عن مصر.

وقام صاحب أول مطبعة بالقاهرة بطبع الأوامر اليومية الصادرة عن القيادة العامة، وصحيفة كوريه ديلجيبت ومجلة لا ديكاد إيجبسيين. فى الثامن عشر من شهر فروكتيدور سنة ٦ (١٧٩٨/٨/٢٩) ظهرت فى القاهرة أول صحيفة عرفتها مصر. وقامت بطبعها مطبعة مارك أوريل. ويلاحظ على الأعداد التى أنتجتها تلك المطبعة أنها رديئة الإخراج كثيرة الأخطاء المطبعية.

وكف مارك أوريل عن طبع الكوريه فى شهر مسيدور عام ٧ لتقوم بطبعه المطبعة الأهلية. وطبعت كذلك مجلة لاديكاد فى أول الأمر عند ذلك الطابع الفرنسى. وظهر أول عدد من تلك المجلة فى العاشر من شهر فاندميير سنة ٧ (١٧٩٨/١٠/١).

وتبين لبونابرت أن إرسال الأصول العربية إلى الإسكندرية وطبعها هناك أمر

---

(١) يقول س. ه. ستيانبرج فى كتابه «خمسمائة سنة من الطباعة» المنشور فى أدنبره سنة ١٩٥٥: إن بعض اليهود من أبناء إسحق جرسون (أول من طبع فى الآستانة)، قد طبعوا كتباً بالحروف العبرية فى مدينة القاهرة بين سنة ١٥٦٢ وسنة ١٥٦٦.

LA DÉCADE EGYPTIENNE,

JOURNAL LITTÉRAIRE ET D'ÉCONOMIE POLITIQUE.

PREMIER VOLUME.



AU KAIRE,
DE L'IMPRIMERIE NATIONALE

AN VII DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

الصفحة الأولى من العدد الأول لمجلة لاديكاد اجبسيين

يحتاج إلى مجهود شاق ووقت طويل . فما كان منه إلا أن أرسل فى التاسع من شهر ترميدور عام ٦ (١٧٩٨/٧/١٧) خطاباً إلى الجنرال كليبر بالإسكندرية قال له فيه « أرسلوا لنا مطابعنا العربية والفرنسية . . . »

وانتهى دور مارك أوريل منذ أن ابتدأ نشاط المطبعة الأهلية بالقاهرة. فقد سحب منه بونابرت أولا طبع الديكاد ، لأنه كان يريدها متقنة الطبع ، فأمر بتحويلها إلى المطبعة الأهلية التى يديرها مارسيل.وكتب القائد العام إلى ديجنيت يقول : « بما أن المواطن مارك أوريل لا يستطيع طبع الديكاد و بما أنه يطبعها طبعاً رديئاً ، فيمكنك أن تطبعها فى المطبعة الأهلية عند المواطن مارسيل ، مع الحرص على إصدارها بانتظام كل عشرة أيام » . والواقع أن مارك أوريل لم يطبع من تلك المجلة إلا أعدادها الثلاثة الأولى ، ثم قامت المطبعة الأهلية بإعادة طبع تلك الأعداد الثلاثة واستأنفت طبع الأعداد التالية .

ولم يكتف بونابرت بسحب الديكاد من مارك أوريل ، بل أمر أيضاً بسحب الكوريبه . وهكذا لم يعد أمام ذلك الطابع أى أمل من بقائه فى مصر بعد تلك الضربة القاصمة، فباع مطابعه ومعداته للحملة ورحل إلى فرنسا [١].

تلك هى قصة أول مطبعة عرفتها القاهرة . وهى مطبعة ، على الرغم من عيوبها الفنية المتعددة ، استطاعت أن تقدم للحملة الفرنسية أجل الخدمات خلال الأشهر الثلاثة عشر التى عاشتها تحت إدارة صاحبها .

أما المطابع الرسمية للحملة ، فلها قصة أطول وأمتع ، لا لأنها عاشت حوالى ثلاث سنوات بينما لم يعش غيرها إلا شهوراً ، بل لأنها تركت آثاراً تعلن عنها فى كل حين ، ولأن الذين أشرفوا عليها كانوا من المبرزين ، ولأنها استرعت اهتمام قائد الحملة منذ أن فكر فى احتلال مصر إلى أن عاد لفرنسا .

وبعد احتلال القاهرة رأى بونابرت أنه فى حاجة ماسة لا إلى المطبعة العربية فحسب ، بل إلى المطبعة الفرنسية والمطبعة اليونانية ، فأرسل فى طلبها فى الحال . وكانت تصل إليه تباعاً وببطء ملحوظ .

وتم اختيار دار عثمان بك الأشقر الكائنة بميدان الأزبكية مقرًّا للمطبعة ،

---

(١) Desgenettes : Mémoires, Tome III, p. 170.

وكان يشغلها المجمع العلمى ، وعرفت المطبعة منذ ذلك الحين « بالمطبعة الأهلية » .

ويعود فضل نجاح تلك المطبعة إلى جهود مديرها حنا يوسف مارسيل ، فإنه لم يكن مستشرقاً فحسب ، بل كان صحفياً أيضاً . وقد سهلت عليه تلك المهنة الأخيرة الإلمام بالفن المطبعى الذى لم يكن يعرف عنه الشئ الكثير . وكان مارسيل إلى جانب ذلك مؤرخاً من الطراز الأول وموظفاً يؤدى عمله بأمانة وإخلاص . وقد أهلت تلك الصفات مجتمعة صاحبها حنا يوسف مارسيل لتولى إدارة المطبعة الأهلية فى مصر ثم إدارة مطبعة الإمبراطورية بباريس .

وبعد أن استقرت المطبعة الأهلية فى الدار التى خصصت لها أصدر بونابرت فى الرابع عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٩٨ أمراً بتنظيمها يتألف من ست مواد :

المادة الأولى : على المواطن كونتى Conti أن يوصى بأسرع ما يمكن على صنع خمسة صناديق لحروف المطبعة العربية .

المادة الثانية : على الجنرال كافارللى أن يضع تحت تصرف مدير المطبعة الأهلية خمسة أولاد يعرفون القراءة ليتعلموا صنعة تنضيد الحروف .

المادة الثالثة : على المواطن فانتور أن يقدم للمطبعة العربية خمسة عمال أتراك[1] ويحدد أجورهم .

المادة الرابعة : على رئيس المباشرين أن يدفع لمدير المطبعة الأهلية المصاريف التى قام بها .

المادة الخامسة : توضع المطبعة العربية تحت إشراف المواطن فانتور رأسا . ولا يمكن لأحد أن يطبع شيئاً دون الحصول على أمر منه . وعلى المدير أن يقدم له كشفاً يومياً بما طبع وأن يشكو العمال له ، إن هم أتوا ما يدعو إلى ذلك .

المادة السادسة : توضع المطبعة الفرنسية تحت إشراف المواطن فوفليه بوريين رأساً . ولا يمكن لأحد أن يطبع شيئاً دون الحصول على أمر منه . وعلى المدير أن يقدم له كشفاً يومياً بما طبع وأن يشكو العمال إليه إن هم أتوا ما يدعو إلى ذلك .

غير أن فانتور وبوريين اضطرا إلى مصاحبة بونابرت فى زحفه إلى سوريا فحل المواطن بوسيلج محلهما فى الإشراف على المطبعة .

---

(١) كان الفرنسيون فى ذلك العهد يطلقون اسم تركى على كل شرقى ، تركياً كان أم عربياً .

ولما باع مارك أوريل مطبعته فى السابع من شهر سبتمبر سنة ١٧٩٩ إلى الحكومة الفرنسية ، ضمت إلى المطبعة الأهلية تحت إدارة حنا يوسف مارسيل بميدان الأزبكية . غير أنه عندما اشتعلت ثورة القاهرة الثانية فى السادس من جرمينال عام ٨ (٢٥/٣/١٨٠٠) نقلت المطبعة إلى الجيزة [١]. ثم أعيدت إلى القاهرة فى أوائل شهر فلوريال عام ٨ [٢](أواخر أبريل سنة ١٨٠٠) فى مقرها القديم بميدان الأزبكية . ولما انكسر الجيش الفرنسى أمام الإنجليز والعثمانيين فى موقعة كانوب وتحرج مركز الحملة فى وادى النيل ، نقلت المطبعة فى أوائل شهر جرمينال عام ٩ (أواخر مارس سنة ١٨٠١) إلى القلعة [٣] ، يؤيد ذلك الأوامر اليومية المختلفة الصادرة عن قواد الحملة المختلفين ومطبوعات تلك المطبعة نفسها .

وآخر عمل قامت به المطبعة الأهلية بالقاهرة طبع العدد الأخير من صحيفة الكوريبه الصادر فى العشرين من شهر بلريال عام ٩ واتفاقية الجلاء عن مصر التى وقعها الجنرال بليار. وتعتبر تلك الاتفاقية ملحقاً لذلك العدد من الصحيفة .

* * *

أحضر بونابرت معه إلى مصر حروفاً عربية وفرنسية ويونانية وعبرية وسريانية وقبطية واستخدم الحروف الأولى فى طبع المنشورات والبيانات التى كانت تلصق على أبواب الحارات وفى نشر بعض النصوص العربية فى مجلة الديكاد. أما الحروف الفرنسية فقد استخدمت فى طبع أوامر القائد العام اليومية وصحيفتيه وغيرهما من المطبوعات المختلفة . واستعملت الحروف العبرية والسريانية والقبطية فى شرح أصول بعض الكلمات العربية فى كتاب أمثال لقمان الحكيم الذى وضعه حنا يوسف مارسيل . واستخدمت الحروف اليونانية فى طبع البيانات التى كانت توزع على اليونانيين الموجودين فى مصر .

واستطاع العلماء الفرنسيون الذين كانوا ضمن الحملة الفرنسية أن يصنعوا الورق بكميات كبيرة مستعينين بالقطن ولحاء النخيل [٤].

---

(١) Courrier de l'Egypte No. 63.

(٢) Courrier de l'Egypte No. 67.

(٣) Courrier de l'Egypte No. 109.

(٤) Amin Wassef : L'Information et la Presse Officielle en Egypte.. p. 87.

أما عن الحبر الذى كانت تستخدمه مطابع الحملة ، فليس هناك أدنى شك فى أنه كان يصنع فى مصر ، يؤكد لنا ذلك تايفير عندما يكتب قائلا : « استبدل مارسيل المواد المستعملة عادة فى صنع حبر المطبعة وفى تنظيف الحروف بمواد أولية استخرجت من البلاد وجهزت بمهارة [١].

* * *

ماذا كان مصير تلك المطابع بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ؟ هل أعيدت إلى فرنسا أم ظلت حيث هى ؟

يقول الفيكونت فيليب دى طرازى إن الفرنسيين تركوا مطابعهم وحروفهم وإن محمداً عليا ، بعد توليه الحكم ، أفرد لها مكاناً فى بولاق حيث أسس أول مطبعة مصرية رسمية[٢] . إلا أن داهيران Déhérain يخالف هذا الرأى إذ يقول إن حنا يوسف مارسيل استطاع بعد تسليم القاهرة أن ينقذ مطابعه ويعيدها إلى فرنسا[٣] ويتفق بول دوبون وكانيفيه [٤] وإبراهيم عبده [٥] مع دهيران . وفى محفوظات وزارة الحربية الفرنسية خطاب من الجنرال بليار إلى الجنرال برتييه مؤرخ فى فى مارسيليا فى ١٤ أبريل سنة ١٨٠١ [٦] وخطاب من شبتال وزير الداخلية إلى الجنرال بليار مؤرخ فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٠١ [٧]. وخطاب من شبتال إلى وزير الحربية فى التاريخ نفسه . وتثبت هذه الخطابات الثلاثة أن مطابع الحملة الفرنسية قد عادت كلها إلى فرنسا ولم يترك فى مصر شئ منها .

تلك هى قصة أول مطبعة عرفتها مصر ، وهى قصة حافلة على الرغم من قصرها . لقد أدت تلك المطبعة للحملة الفرنسية فى مصر أجل الخدمات على الرغم من عيوبها الفنية الكثيرة .

وقد زارها بعض كبار المصريين كالشيخ المهدى والشيخ الفيومى والشيخ الصاوى

---

(١) Taillefer : Notice historique et biographique sur Marcel, pp. 6 et 7.

(٢) تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الأول ص ١٤٩ .

(٣) Deherain : Dans Hanotaux "Histoire de la nation égyptienne" Tome V. p. 367.

(٤) Canivet, op. cit. pp. 14-15.

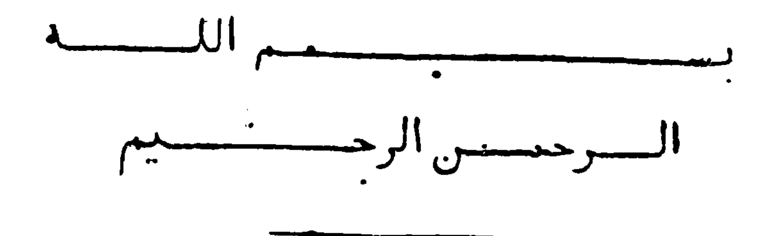
(٥) تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية ، ص ٥٧ .

(٦) Ministère de la guerre, Archives historiques, dépôt de la guerre, No. 220.

(٧) المصدر السابق .

(127)

TEXTE



الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم
غير المغضوب عليهم ولا الضالين

أنموذج من حروف الطباعة العربية التى استخدمتها مطابع الحملة الفرنسية

والشيخ الفاسى وقد قال الأخير عنها إنها أفضل من مطبعة الآستانة والمطبعة الموجودة فى أحد أديرة لبنان . أما الشيخ البكرى، فقد انتظر إلى سنة ١٨٠١ ليزور مطابع مارسيل . وقد وجه عدة أسئلة عن الأثر الذى تتركه المطبعة فى الحضارة . وقال إن هناك عدداً كبيراً من المؤلفات العربية الجيدة يرجو نشرها .

ولكن يبدو أن عامة الشعب ، بل وأغلب القلة المتعلمة منه ظلت بمنأى عن المطبعة، تلك الأداة التى لا بد منها لنشر الثقافة بين الناس . وأكبر الظن أن عداء

المصريين للمحتل، حال دون تجاوبهم مع هذه الآلة الجديدة وغيرها من المستحدثات العلمية التى جلبها الفرنسيون معهم إلى مصر . كما أن المدة القصيرة التى مكثها الفرنسيون فى البلاد واضطراب الأحوال حالا بلا شك دون إقناع المصريين بفائدة المطبعة ، فلما جلا المحتل ظلت مصر لا تشعر بحاجتها إلى هذا الاختراع ما يقرب من عشرين سنة .

Ce Journal paraîtra tous les dix jours. Chaque numéro sera composé de quatre feuilles *in*-4.° environ. L'abonnement est de 9 livres par volume ou trimestre composé de neuf numéros. Chaque numéro pris séparément sera payé une livre ou 28 médins.

On s'adresse pour les abonnemens chez le directeur de l'Imprimerie nationale, au Kaire, place Ezbekyéh.

أنموذج من حروف المطبعة الأهلية الفرنسية بالقاهرة



الفصل الثانى

العهد الأول

١٨١٩ – ١٨٤٠

يرجع سبب تأخر عودة ظهور الطباعة فى مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها إلى الفوضى التى عمت البلاد من أدناها إلى أقصاها . فقد ظهر على المسرح بعد خروج المحتل قوى ثلاث أخذت تتنازع حكم مصر . فالأتراك من جهة يريدون استرداد نفوذهم أو سلطانهم الذى انتزعه منهم المماليك منذ أمد بعيد . والمماليك من جهة أخرى يرمون إلى استعادة سيادتهم التى فقدوها بدخول الفرنسيين . ووقف بين هاتين القوتين المتنازعتين الشعب المصري صاحب البلاد ، واستطاع آخر الأمر أن ينتصر ويفرض على العثمانيين والمماليك والياً توسم فيه الإخلاص لمصر . وهكذا انتهى هذا الصراع الذى دام حوالى أربع سنوات بالمناداة بمحمد على والياً على البلاد .

إلا أن الأمر لم يستتب للوالى الجديد منذ اللحظة الأولى ، إذ كانت أمامه مشاكل عويصة وصعاب عديدة لابد من حلها . فالمماليك قد اتجهوا إلى الصعيد ليناصبوه العداء ورواتب جنوده لم تدفع لهم ، والسلطان غير راض عن تنصيبه والياً على مصر . ولكن محمداً علياً استطاع بفضل دهائه ومؤازرة الشعب له أن يثبت أقدامه فى حكمه لمصر . ويمكن أن يقال إن حكم تركيا لوادى النيل حكماً فعليا قد انقضى منذ شهر نوفمبر سنة ١٨٠٦ عندما تثبت محمد على فى ولاية مصر . واطمأن إلى استقرار الأحوال فيها .

اتجه الوالى الجديد إلى توطيد أركان حكمه ، غير أن المماليك فى الصعيد والإنجليز فى الشمال أقلقوا راحته . فقد اضطر إلى أن يذهب إلى المماليك فى أسيوط . ولما نزل الإنجليز بالقرب من رشيد قاومهم الشعب وردهم على أعقابهم . وعكف محمد على بعدئذ على تحصين السواحل ولم يكد يفرغ من هذا كله حتى طلب إليه السلطان فى سنة ١٨٠٩ أن يجهز حملة لتأديب الوهابيين ، فلبى

الطلب بعد أن قضى أولا على المماليك فى مذبحة القلعة سنة ١٨١١ . وسير حملته فى سنة ١٨١٢ ودامت الحرب سجالا بين المصريين والوهابيين حوالى ست سنوات وانتهت بانتصار الجيش المصرى فى سنة ١٨١٨ . ولا شك فى أن هذه الحرب أخرت تنفيذ التنظيمات الجديدة للحكومة واستنفدت ثروة مصر .

ويبدو أن هذا الوالى بدأ يفكر فى إدخال الطباعة إلى مصر منذ سنة ١٨١٥ ، أى عندما فكر فى تكوين جيش نظامى حديث . إذ كان لابد لهذا الجيش من كتب يتعلم فيها أصول الحرب وتعليمات توزع عليه وإدارة أو ديوان يشرف عليه أطباء يعالجون مرضاه ويعنون بجرحاه . وكان لابد إذن من الكتب الكل هؤلاء . وكان لابد من مطبعة أو مطابع تقوم بطبع تلك الكتب . والدليل على ذلك أن أول بعثة أرسلتها مصر كانت فى حوالى سنة ١٨١٥ إذ سافر إلى ميلانو بإيطاليا الشاب نقولا مسابكى « ليتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهاتها ويدرس فن الطباعة فيها[١] » .

أولا : المطابع الرسمية

مطبعة بولاق :

أول مطبعة مصرية عرفتها مصر بعد خروج الفرنسيين . وقد اختلف المؤرخون على السنة التى أسست فيها وعلى الجهة التى استوردت منها . فيقول جورجى زيدان إنها أنشئت سنة ١٨٢١[٢]. أما أمين سامى (باشا) فهو أكثر دقة فى تحديد تاريخ التأسيس ، إذ يعيده إلى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ هـ (٤ نوفمبر ١٨٢١[٣]) .

---

(١) عمر طوسون : البعثات العلمية فى عهد محمد على ، ثم فى عهد عباس الأول وسعيد ، مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية ١٣٥٣ هـ ١٩٣٤ م ص ١٠ .

(٢) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، ص ٤٧ ، القاهرة سنة ١٩٣٧ .

(٣) أمين سامى (باشا) : التعليم فى مصر ، ص ١٢ ، القاهرة ١٩١٧ ؛ تقويم النيل الجزء الثانى ، ص ٥٧٨ ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٨ .



اللوحة التذكارية التى تحمل تاريخ إنشاء مطبعة بولاق ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م)

ويتفق جان دونى[١] مع أمين سامى على هذا التاريخ، كذلك رينولد نيكولسون[٢]، ولكنه لا يحدد اليوم ولا الشهر. ويرى بعض المؤرخين أن مطبعة بولاق أنشئت فى سنة ١٨٢٢ لا فى سنة ١٨٢١، ومن هؤلاء أوكتاف ساشو[٣] والفيكونت فيليب دى طرازى[٤] وبول دوبون[٥]. وهناك اللوحة التذكارية لإنشاء المطبعة الموضوعة اليوم على المدخل الرئيسى فى أعلى الباب[٦] فقد نقشت عليها ثلاثة أبيات من الشعر التركى وتاريخ سنة ١٢٣٥ هـ (١٨١٩ م). ولا شك فى أن هذه اللوحة التذكارية تشير إلى تاريخ البدء فى تشييد البناء الذى خصص لإيواء المطبعة. أما ٨ صفر سنة ١٢٣٧ هـ (٤ نوفمبر سنة ١٨٢١) فهو التاريخ الرسمى الذى افتتحت فيه المطبعة. وهناك أمر من محمد على إلى كتخدا بك يخطره فيه بأنه عين أحد الهنود لتعليم تلاميذ بولاق الخط وتنضيد الحروف، وأن هؤلاء التلاميذ سوف يتم إعدادهم ليلحقوا بالمطبعة التى ستنشأ فى هذه الناحية[٧]. ويحمل هذا الأمر تاريخ ٨ صفر سنة ١٢٣٧. ولو أن المطبعة قد بدأت فعلا فى العمل لما استعمل محمد على عبارة «التى ستنشأ فى هذه الناحية» مما يحمل على الاعتقاد أن المطبعة لم تبدأ إنتاجها إلا فى سنة ١٨٢٢. ويؤيد هذا الرأى الأخير أمين سامى (باشا) نفسه الذى سبق أن ذكر مرتين أن سنة ١٨٢١ هى السنة التى تأسست فيها المطبعة، إذ يعود فيقول إنها تأسست فى سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م). يضاف إلى ذلك أن أول مطبوع خرج من مطبعة بولاق يحمل هذا التاريخ الأخير.

ويرتبط تاريخ إنشاء مطبعة بولاق بتاريخ أول مدير لها: نقولا مسابكى.

ولد نقولا مسابكى بدمشق فى أول القرن التاسع عشر[٨]. وقد هاجر أبوه

---

(١) Jean Deny : Sommaire des Archives Turques du Caire, Le Caire 1930, p. 122.

(٢) Reynold Nicholson : A Literary History of the Arabs, 1930, p. 468-69.

(٣) Octave Sachot : Rapport adressé à S.E.M. Victor Durruy, Paris 1868, Autographie, p. 48.

(٤) فيليب دى طرازى : المصدر السابق ص ٤٩.

(٥) Paul Dupont : Histoire de l'Imprimerie, Tome II, Paris 1854, p. 604.

(٦) أرجو أن تنقل هذه اللوحة إلى مقر المطبعة الجديد أو توضع فى متحف للطباعة ينشأ بمناسبة انتقال مطبعة بولاق إلى امبابة وتجمع فيه كل الأدوات المطبعية القديمة والكتب الأول التى طبعت فى هذه المطبعة.

(٧) G.Talamas : Recueil de la correspondance de Mohamed Aly Khedive d'Egypte, Le Caire, Imprimerie Nationale. 1913 Ordre No. 91.

(٨) السجل الأول للمتوفين من أبناء الطائفة المارونية.

أنموذج من الحروف الأولى التى استخدمت فى مطبعة بولاق حوالى ١٨٢٢

تادى مسابكى من سوريا واستقر فى القاهرة هو وأسرته . وقد نزلت هذه الأسرة فى الروضة [١] . وكان نقولا شاباً ذكياً فوقع اختيار الوالى عليه لإرساله فى بعثة إلى ميلانو بإيطاليا سنة ١٨١٥ ليتعلم فن الطباعة على يد الأستاذ موروزى Morosi . وقد أظهر الشاب نقولا مهارة فى الطباعة وحفر الحروف وصبها . وبعد أن أمضى فى إيطاليا أربع سنوات عاد إلى مصر وفى جعبته كل ما يتعلق بفن الطباعة وأخذ يعمل بهمة ونشاط ليعلم أبناء مصر فن صب الحروف وصنع الأبهات والأمهات . وقد حمل معه عند عودته إلى مصر مجموعة من الحروف العربية ، استعملت أول الأمر ريثما تصب حروف أخرى [٢] .

ولما عاد نقولا مسابكى من إيطاليا هو وثلاثة من زملائه عينوا بمعية عثمان نور الدين [٣] . وأحضر المسابكى معه من ميلانو ثلاث طابعات من طراز الطابعات التى تستخدمها « المطبعة الملكية » ، وحروفاً عربية وتركية وإيطالية ويونانية . وكان يوجد فى المطبعة ثلاثة أنواع من الحروف العربية ونوعان من الحروف الإيطالية وكان يساعد المسابكى فى العمل أربعة من خريجى الأزهر هم الشيخ عبد الباقى رئيس المسبك ومحمد أبو عبد الله رئيس الطباعين ويوسف الصنى ومحمد شحاته رئيسا الصفيفة . أما عدد صفافى الأحرف فاثنا عشر من المصريين وإيطالى واحد لصف الحروف الإيطالية ، ويونانيان لصف الحروف اليونانية .

ولم يكن المسابكى الشخص الوحيد الذى استعان به الباشا على إنشاء المطبعة ، فقد كان للآراء التى أبداها كل من عثمان نور الدين والأب أنطون رافاييل زكور نصيب كبير فى إرساء قواعد تلك المطبعة [٤] .

---

(١) من مذكرات الأب أنطون مارون من سنة ١٨٢٤ ، كتاب اليوبيل القرنى الثانى للرهبانية الحلبية المارونية فى وادى النيل ، القاهرة سنة ١٩٤٥ ص ١٧٤ إلى ص ١٧٨ .

(٢) Guiseppe Forni : Viaggio nell Egitto et nell alta Nubia, Milano. Le memorie del Forni furono scritte durante la sua dimora in Egitto dal 1815 al 1840, cite in S. Limongelli; l'arte italiana, p. 14 et 15, Cairo 1911 .

(٣) محفوظات عابدين دفتر ٦ معية رقم ٧٢٥ إلى الكتخدا فى ١٥ ذى الحجة ١٢٣٦ هـ .

(٤) محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل : بناء دولة مصر محمد على ، ص ١٢٠ و ١٢١ ، القاهرة ١٩٤٨ .

وقد وقع حادث لمسابكى [١] كاد يقضى على المركز الممتاز الذى كان يتمتع به عند الباشا . فقد أنشأ أحد مدرسى بولاق للهندسة واسمه بيلوتى Billoti ، قصيدة طويلة عنوانها « ديانة الشعوب الشرقية » ، واتفق مع مسابكى على أن يطبع له تلك القصيدة سرًّا وكانت تدعو إلى الكفر بكل دين . وقد استطاع القنصل الإنجليزى سولت Salt أن يحصل على نسخة مطبوعة من القصيدة ويقدمها للباشا الذى أمر بإحراقها فوراً . ولولا تدخل عثمان نور الدين لعوقب المسابكى عقاباً صارماً . وقد أمر محمد على فى ١٣ يولية سنة ١٨٢٣ بعدم السماح لأى أجنبى بأن يطبع كتاباً فى مطبعة بولاق إلا إذا استصدر تصريحاً منه شخصياً .

وظل المسابكى يعمل فى بولاق بهمة ونشاط إلى أن توفاه الله وهو فى ريعان الشباب ، وذلك فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٨٣٠ [٢] . وكان يطبع فى ذيل الكتب التى صدرت عن بولاق فى عهده العبارة التالية : « تم بحمد الله طبع . . . على يد متولى تدبير الطباعة الفقير المسابكى فى . . . » [٣] ولم يكن المسابكى المتصرف المطلق فى شئون المطبعة ، بل كان له رئيس مباشر يتولى أمور المطبعة وغيرها من المؤسسات التابعة لديوان الجهادية ، اسمه عثمان نور الدين [٤] . وعلى أثر وفاة المسابكى عين عبد الكريم أفندى مديراً للمطبعة [٥] . وكان قبل قدومه إلى مصر « مجاوراً لبيت الله الحرام بمكة المكرمة » . واستخدم فى المطبعة حوالى ثلاث سنوات ثم أحيل إلى التقاعد لتقدمه فى السن ؛ فطلب من الديوان الخديوى أن يعيده إلى مكة هو وأسرته و « أن يعطيه من صدقات ولى النعم كما يعطى أمثاله من المجاورين » وقد وافق الديوان المذكور على الطلب وسافر عبد الكريم أفندى بصحبة أسرته على نفقة الحكومة المصرية [٦] .

---

(١) Brocchi Giornale delle osservazioni fatte nei viaggi in Egitto, nella Siria e nella Nubia, p. 370.

(٢) السجل الأول للمتوفين من أبناء الطائفة المارونية .

(٣) راجع كتاب قواعد الإعراب المطبوع ببولاق سنة ١٢٣١ هـ .

(٤) English G. Bethume: A narrative to the expedition to Dongola & Sennar under the command of Ismail Pacha, London 1822, prif., p: VII.

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٨ فى يوم الثلاث سلخ ذى القعدة الحرام ١٢٤٧ .

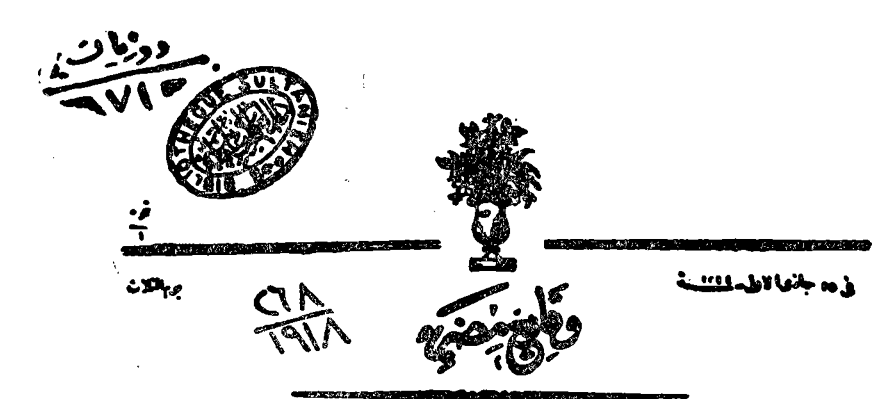
(٦) الوقائع المصرية نمرة ٥٤٢ فى يوم الخميس المبارك ٢٢ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ .

وكان مستخدمو مطبعة بولاق يعاملون أحسن معاملة ؛ فقد حدث فى سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) أن تقدم أحد مستخدمى المطبعة واسمه إبراهيم البغدادى بطلب إلى مجلس مشورة الجهادية يذكر فيه أن بيته فى سوق السلاح وأنه مضطر إلى قطع المسافة بين المطبعة الكائنة ببولاق وبينه يومياً ذهاباً وإياباً على الأقدام ، فهو يرجو « بأن يعطى دابة بعليقها من جانب الميرى » ليؤدى وظيفته على الوجه الأكمل . وقد وافق المجلس على الطلب وأمر بتحرير إعلام من « حضرة بيك أفندى الناظر إلى ناظر السواقى بأن يعطى الرجل المرقوم دابة من جانب الميرى ليحسن رؤية أشغاله فى وقتها وإعلام إلى أدهم بيك ناظر المهمات الحربية عموماً بأن يعطيه عليق الدابة المذكورة . . .[١]

وظلت مطبعة بولاق وغيرها من المطابع الرسمية التى أنشئت بالقاهرة والإسكندرية تابعة لديوان الجهادية إلى سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٧ م) حين أنشئ ديوان المدارس . ففى ٥ ذى القعدة سنة ١٢٥٢هـ وردت « لائحة تركية موشح عليها بمرسوم عال بشأن تفريق المدارس من ديوان الجهادية[٢] » . وفى سنة ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) صدرت لائحة بتحديد اختصاصات ديوان المدارس الذى أصبح يشرف على المدارس والكتبخانات والمعامل والمتاحف وقناطر الدلتا ومطبعة بولاق والوقائع المصرية ، على أن يضم إليها فى المستقبل الهندسة واسطبلات شبرا والزرائب[٣] .

ولم تكن وظيفة مدير المطبعة مقصورة على الأعمال الإدارية والفنية الخاصة بالطباعة ، بل كانت تتعداها أحياناً إلى الترجمة . فقد صدر أمر فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٥٧ هـ بإحالة « أعمال إفراغ ترجمة » الوقائع المصرية التى سيضع أصولها رفاعة رافع الطهطاوى « بحسب اللغة العربية فى قالب حسن بدون الإخلال بالأصل العربى وتنظيم المواد حسب النظام التركى على حضرة حسين أفندى ناظر المطبعة العامرة ، على أن يعد هذا التكليف من اختصاص وظيفته بصفة أصلية[٤] » .

(١) الوقائع المصرية نمرة ٤٤٦ فى يوم الخميس غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ .
(٢) أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٠٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١٠٦ و ١٠٧ .
(٤) محفوظات عابدين وثيقة رقم ٥٨٤ فى ٢٧ ذى القعدة سنة ١٢٥٧ هـ دفتر رقم ٢٠٧٣ ص ٨٢ و ٨٣ .



جواهر حمد خداوندنا ودوام تصلية سلطان انبيا بعد تقديم شكره معلوم اوله كه صحيفهٔ مطبوعهٔ عالمده منفرده منطوی اولان نوع بنی آدمك بالطبع تفت واجتماع وائتلاف واختلاطلرندن نشئت ايدن حركات وسكنات وبكديكره احتياج التضاسيله واقع اولان معاشرات ومعاملاتلرندن متعلق وقايع وحوادث امورلرينى ضبط وظهوره ايصال ايلمك ونوعیتلرى اوله رق موضح ومتصور قلنوب وكيفيت حالده طرف ارباب ازمنه جهتيله وعبرت بادى وبر صورتده ناظر وتبصره مؤدى بر حالت اولديكى فوائد وثمرات ذوب اولى الالبابه معلوم خطهٔ مصر فرده ايصال مصالح زراعت وحراثت وانواع صنايع وحرف مواددن مرتبهٔ ظهوره ايصال اولان فنون ومنون امورينى بالمعاينه موجب وقاموسلرلله جق اسباب تحكيمه لك استحصاله سعى وكوشش اولنديغى مشهود كزنده اولان كينيا ومن اجتناب واسلاف جمهور فى عصرها منظارا بويله نظام ولايت قرا وبلاد ومدار وقايع تنا بش وراحت اهالى ورعايا وله ضمنى نكرونهره ضبطلم مهتدى قرا وبلاده مصرف وراى سوديكى رقابت وراحت تراى عبا موقف اوله كلان آصف مرحمت معنا افندمزك جنابلرى دواتك وضع وتاسيسندن مراد معدلت اشتمالاترى اقاليم مصره ما مورلرى مربل وحسب المصلحه منافع ومضارى آرفه اولان خصوصات وقضيه جزئيه دوايته كلك واول دوايرده تتبع وتفتيش ووقايع محاصل اوله جق صورته قرنلى واقتضا ايده نك مترتبولكو بجهر و مصلحته كوريلوب منفعت ومضرت مأمورلرك معلومى اوله رق موجب نفع اولان انتخاب ومستلزم ضرر اولانى اجتناب اولنمق صورتنده اولوب بواراده خديوى بوانه قصر وجرنالده دواتده اوله رق اجرا اولنمسا بسمه لا ينبغى تسرى اعلان اولنمسى وبجلسى دواينه ملاكرهاوتلانه ودواوين خديويه مرفوع خصوصات وحماز وحوادث ولا يتلردن وسائر اطرافدن كلان اخبار اوزرينه عودته اولنوب كزنوتلان وقايع مطبوعه علاوه قلنمسى مقصود اولان مرتبه تلك حسن حدودله بادى وعا وبر عظيم وسائر حكامدن ذوى الاعتبار مصلحت اولان صنوف امورينه اشاعه مؤدى اوله جقى واضح اولديغى خصوصا حضرت خديوينك لازم اولوب طبع وتنقيح ايچكيرنده امر وارادهٔ سامى اوله رق صنعت آلاده النبى طبع وتنبيه مهنيره اولنوب وقايع مصريه نامیله تسميه ونشر اولنمشدر بعون الله الرحمن

الحمد لله بارئ الانام والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم اما بعد فان ظهور الامور الواقعة من اجتماع جنس بنى آدم الذين هم في صحيفة هذا العالم ومن ائتلافهم وحركاتهم وسكونهم ومعاملاتهم ومعاشراتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضا هو نتيجة الانتباه والتبصر والتدبير والاخبار وإظهار الكيفية المرغوبة حسب ما تلزمه بالطلوع على كيفية احوال الزمان وهذا واضح لدى اولى الالباب ومن حيث ان الامور النفيسة الحاصلة من مصالح الزراعة والحراثة واقل قليل انواع الصنائع التي باستعمالها تأتى الى الكمال هي من اسباب الحصول على الرفاهية وعلى الاجتناب والاحتراز مما ينتج منه الضرر والاذى خصوصا في مصر بل هي اساس نظام البلدان ونتيجة راحة اهاليها فتفكر حضرة افندينا ولى النعم في تنظيم احوال البلاد وضبطها واصلاح امورها وترتيبها وفي نظام القرى والبلدان وراحة سكانها واهاليهم ووضع ديوان الجرنال كاسا من وضعه ان ترد الامور المعتادة الناتج منها النفع والضرر الى الديوان المذكور ولكي تختبر ويتم فيه منها ما منه ينتج النفع والاذى لا ينتفع لا ان يظهر المأمورين فوائد النفع والضرر فيختار ما منه يحصل المنفعة ويجتنب عنه ما منه يحصل الضرر وهذه الارادة المرضية صادرة من حضرة ولى النعم ولكن كانت مجرية في ديوان الجرنال الا انه لا يمكن عمومية الاطلاع والاخبار ولما امر ولى النعم ان الاخبار التي ترد الى الديوان المذكور تطبع وينتخب منها ما هو مقصود وتنتشر هي واما مع بعض الامور التي ترد من مجلس المذاكرة الملكى ومن الامور التي ترد الى الديوان الخديوى والاخبار التي تأتى من الاقاليم والجهات الاخرى وكل ذلك لكون هي نتيجة الحصول على الفوائد الحسنة التي هي مقصوده ولما النعم متقويا الحاملة للمأمورين على مطالعتها في تلك الكامل التي لم يقدر في تعليم الامور والمصالح ومن كون هذا التنويه لاحد في غيبة الذات الشريفة هو الذي صدر امر حضرته بطبع الامور المذكورة بما وهو ما يستحب الى ترتيبه ونسبته واشتهرت بالوقائع المصرية والله المعين

طبعت هذه الوقائع المصرية في بولاق مصر المحمية بمطبعة صاحب الفتوحات السنية يرلقى مصر

صورة العدد الأول من الوقائع المصرية

وشيدت مبعطة بولاق على قطعة الأرض التى أنشئت عليها فيما بعد الترسانة الأميرية على ضفةالنيل إلىالشمال قليلا من الموضع الحالى للمطبعة فى بولاق . ونظراً لزيادة عمالها ومعداتها فقد نقلت إلى مكانها الحالى ، وكان ذلك فى غرة محرم سنة ١٢٤٥ هـ (٣ يوليه سنة ١٨٢٩ م)[١] .ويؤيد ذلك السيدة لاشنجتون فى كتابها الذى تصف فيه زيارتها لبولاق[٢]. ويصف لنا اللورد لندسى[٣] موضع المطبعة بالنسبة للمؤسسات الأميرية الأخرى الكائنة ببولاق فيقول : « إن اتجهنا من الجنوب إلى الشمال ، قابلنا الجمرك فالمطبعة ثم ورشة أصبحت فيما بعد مدرسة للهندسة ومصنعاً للأصواف والترسانة » . أما مبنى الجمرك فقد ألحق بالمطبعة وتأتى بعد ذلك مخازن البوليس وورش كوك التى احتلت المكان الذى كان يشغله مصنع الورق ، ثم الترسانة آخر الأمر .

وعلى أى حال ، فإن مطبعة بولاق لم تظل على الحال التى كانت عليها عند تأسيسها . فقد طلب قاسم أفندى ناظرها فى سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) من أدهم بك ناظر المهمات الحربية إلحاق مخزن التجارة القديم بمبنى المطبعة « ليكون فيه السبك وسائر الأشغال ، وإجراء الترميمات التى تتعلق بهذا التوسيع » وعرض أدهم بك الطلب على مجلس المشورة العسكرية الذى قرر أن يقوم وكيل الأبنية وقاسم أفندى برئاسة أدهم بك « بإعداد ما يلزم لهذا المشروع »[٤]. وهكذا تم توسيع مطبعة بولاق للمرة الثانية فى ظرف عشر سنوات أو أكثر من ذلك قليلا . وقد وضع فى المبنى الجديد الحطب وخصص جزء منه للسبك وبنى سقف للجزء المكشوف من المطبعة . وانتهزت المشورة العسكرية الفرصة فأمرت بتعمير الشبابيك وترميم « المحلات اللازم ترميمها » .

وفى ٦ ربيع أول سنة ١٢٥١ (١٨٣٥) ، أى بعد حوالى سنتين من انتهاء

---

(١) Albert Geiss : Histoire de l'Imprimerie en Egypte, 2ième partie, "L'établissement typographique du pacha. Les débuts de l'imprimerie de Boulae". Bulletin de l'Institut Egyptien T. II p. 198. 1908.

(٢) Lushington (Mes. Charles) : Narrative of a journey from Calcutta to Europe by way of Egypt, in the years 1827-1828, London, John Murray, 1829, p. 168 et sq.

(٣) Lord Lindsay : Letters on Egypt, Edom and the Holy Land, Vol. I, London, Henry Colburn, 1838, p. 59.

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٥٣٥ فى يوم الأحد ٢٦ صفر الخير سنة ١٢٤٩ .

التوسيعات والإصلاحات السابقة ، صدر أمر من الوالى إلى ناظر الجير والجبس ، عملا بمشورة المهندسين لينان أفندى وسليمان أفندى ، بأن يقوم ببناء رصيف أمام مطبعة بولاق وفابريقة الجوخ قبل الفيضان « وقاية لهاتين المصلحتين من الغرق » . ويشير الوالى بإرسال ٢٠٠,٠٠٠ قنطار من الدبش على وجه السرعة[١] ، مما يثبت أن المطبعة كانت قريبة جداً من ضفة النيل ولولا ذلك لما كان هناك داع لهذا الاهتمام بالإسراع فى بناء الرصيف .

ولم تكن مطبعة بولاق مطبعة حروف فحسب ، بل كان يوجد فيها مطابع حجرية[٢] . أما الورق فكان يستورد من إيطاليا عن طريق ليفورن ، كذلك حبر الطباعة ، إلا أنه صار يصنع بالقاهرة بعد إنشاء المطبعة بوقت قليل[٣] .

وقد استوردت حروف المطبعة أول الأمر من أوربا غير أنها استبدلت بعد ذلك بحروف مصنوعة فى مصر لما تبين عدم صلاحيتها . ويأمر الوالى الكتخدا محمد لازأوغلى بك فى ٨ صفر سنة ١٢٣٧ (١٨٢١ م) بتعيين خطاط هندى « له معرفة و إلمام ببعض اللغات . . . لتعليم الفارسى والخط للشبان الموجودين بمعية عثمان أفندى سقه زاده ببولاق » ويرى الوالى أن يكلف ذلك الخطاط بصنع الحروف التى ستطبع بها الكتب ببولاق [٤]. ويشاهد الباشا كتاباً مطبوعاً بتلك الحروف ، وهو « رسالة اللغم » ، فيجدها « لطيفة الخط والطبع » ويأمر كتخداه محمد لازأوغلى بك بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٤ م) بترتيب الماهية . المناسبة للأوسطى الحفار وإبقائه بالبصمة خانة وإرفاق بعض تلامذة معه لتلقى هذه الحرفة وتنبيهون عليه بذلك[٥] » .

وكانت إدارة المطبعة شديدة الاهتمام بالحروف ؛ فلما عين عبد الكريم أفندى ناظراً لبولاق كلفه الوالى بطبع كتاب القاموس « موافقاً لطبع إسلامبول » . وقد حضر إلى المطبعة لهذا الشأن « كتخدا أغا والبيك ناظر المهمات الحربية عموماً

---

(١) أمين سامى (باشا) : تقويم النيل ، الجزء الثانى ، ص ٤٤٠ .

(٢) Lushington : op. cit., p. 168 et sq.

(٣) Brocchi : Giornale esteso in Egitto, nella Siria e nella Nubia Vol. I Bassano 1841 p. 137.

(٤) محفوظات عابدين من دفتر نمرة ٩ وجه ١٧ عين ٨٨ ، مخزن ٢ تركى ترجمة .

(٥) محفوظات عابدين من دفتر نمرة ١٨ وجه ١٧ عين ٨٨ ، مخزن ٢ تركى ترجمة .

وأبو القاسم أفندى الخطاط وعبد الوهاب أفندى المصحح » . وعرضت على المذكورين صحيفة من ذلك الكتاب « فوجدوا فيها بعضاً من الحروف محتاجاً إلى التصليح وبعضاً يلزم له التغيير » ، فطلبوا إلى عبد الكريم أفندى أن يصنع عدداً من الحروف فأجابهم إلى ما يريدون . غير أن أبا القاسم أفندى قال لناظر المهمات الحربية إن فى استطاعته أن يقوم بصنع الحروف جميعاً بمساعدة رجلين من الحكاكين . فيقرر مجلس المشورة تكليف راغب أفندى ناظر الدفترخانة بامتحان المذكورين « ليتبين لديه من يصلح منهما لدار الطباعة . . . لأن هذه المصلحة مصلحة عظيمة[1] » . وهكذا نرى أن البت فى أمور المطبعة لم يكن اعتباطاً . فإن صادف ناظر المطبعة أو مديرها مشكلة من المشاكل ، قدمها تواً إلى ديوان الخديو الذى يحيلها على مجلس المشورة فيكوّن هذا الأخير لجنة تبحث الأمر بحثاً دقيقاً وترفع نتيجته إليه ليقرر فيه ما يراه مناسباً . وقد ظلت حروف الطباعة مشكلة مطبعة بولاق زمناً طويلا .

ويتلقى مجلس مشورة الجهادية خلال سنة ١٢٤٧ هـ طلباً من « رجل أفرنجى اسمه دويده » يذكر فيه أن الحروف الموجودة فى المطبعة ناقصة وأنه على استعداد لتعليم عمال المطبعة طريقة صنعها . وقد وافق المجلس على الطلب ورتب له « سبعمائة وخمسين قرشاً شهرياً ومائة وأربعين قرشاً بدل تعيين فى كل شهر وخمسمائة قرش ثمن كسوة فى كل ستة أشهر » . وبدأ المذكور عمله فى المطبعة من اليوم الثانى من شهر رمضان سنة ١٢٤٧ [2] . ويعنى مجلس الجهادية عناية خاصة برغبات العمال الذين يقومون بصنع الحروف ويسهر على راحتهم فيرسل « حضرة بيك أفندى ناظر الجهادية إلى حضرة الأفندى مأمور الديوان الخديوى لينبه على مهرباشى بأن يفرش« أوضة أبى القاسم أفندى الكيلانى بالشيت » إذا كان فرشها لازماً . وكان أبو القاسم أفندى يقوم بتقديم الحروف التى يصنعها فى كل أسبوع إلى مجلس الجهادية[3] .

وفى عهد عبد الكريم أفندى أجريت تعديلات على طريقة سبك الحروف .

---

(١) الوقائع المصرية ، نمرة ٣٥٨ فى يوم الاثنين ٩ شهر شوال المنور سنة ١٢٤٧ .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٦٠ فى يوم الأحد ، ١٥ شهر شوال المنور سنة ١٢٤٧ .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٠ فى يوم الأربعاء ١٠ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .

فقد كانت المسابك مركبة على قوائم من خشب مما يجعلها تبلى بسرعة . وكان أن طلب عبد الكريم أفندى من محمد بيك أمير اللوا « أن يعمل لسبك الجداول والحروف أربعة مسابك من الطوب الأفرنجي ، لأنها إن عملت منه تصبر بالقلة قدر خمسة أشهر » . . ووافق أمير اللوا على هذا الاقتراح ، بعد أن عرضه على مجلس الجهادية الذى قرر الكتابة إلى أمين أفندى ناظر الأبنية « بأن يعمل المسابك المذكورة حسبما ذكر سريعاً[١] » .

ولم ينته موضوع سبك الحروف عند هذا الحد . وها هو ذا قاسم أفندى يعود مرة أخرى إلى مجلس الجهادية ليخبره بأن « آباء الحروف وأمهاتها اللازمة للمطبعة قد بذل جهده فى خدمتها » وهو يطالب بأن يعطى رتبة مكافأة له على الجهود التى بذلها . ويقرر المجلس « تطييب خاطره » عندما ينتهى فعلا من سبك حروف التعليق « لأنه صاحب فنون متنوعة ومتصف بالعلم والعمل »[٢] . وينتهى قاسم أفندى من المهمة التى أسندت إليه فى ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ هـ ويطلب إلى المجلس « أن يعطى ملزمة ليجرب فيها الحروف التى عملت جديداً بمعرفته » فيأمر المجلس عبد الكريم أفندى ناظر المطبعة بأن يعطيه « الملزمة » المذكورة ليجرى تجاربه عليها [٣] .

وعلى الرغم من الفراغ من سبك تلك الحروف ، فقد ظلت المطبعة معنية بأمرها ، تعامل القائمين عليها معاملة خاصة . فقد حدث أن وصل إلى علم الوالى أن العامل الذى يقوم بصنع الحروف الفارسية قد ضرب ضرباً مبرحاً بناء على أمر قاسم أفندى الذى أصبح مديراً للمطبعة ، فغضب كل الغضب وكتب إلى سامى بك يطلب إليه أن يستدعى العامل المذكور ويختبره جيداً فيما إذا كان فى استطاعته صنع هذه الحروف كما ينبغى ، وأن يخبره إن كان من المناسب إخراج قاسم أفندى من المطبعة [٤] .

ويبدو أن حروف التعليق التى قام بصنعها قاسم أفندى لم تلق قبولا لدى أولى

---

(١) الوقائع المصرية نمرة ٤٠٧ فى يوم الأحد ٢٣ صفر الخير سنة ١٢٤٨ .
(٢) الوقائع المصرية نمرة ٤١٠ فى يوم الأحد غرة شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٨ .
(٣) الوقائع المصرية نمرة ٤٣٤ فى يوم الأربعاء غرة جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ .
(٤) ترجمة الأمر العالى رقم ٣٦٢ دفتر رقم ٥٦ ص ١١٨ بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٢٥٠ ، محفوظات عابدين .

الأمر ، أو أنها على الأقل لم تكن لتكفى أعمال المطبعة كلها . وآية ذلك أنه صدرت إفادة إلى باغوص بك فى ١١ رمضان سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) تستفسر عما تم فى حروف التعليق التى أرسل فى طلبها من أوربا ، وتطلب إليه الإسراع فى إرسالها حال وصولها إلى مصر[١] . وكانت المطبعة قد بعثت إلى باغوص بك « بأوراق عينات خط التعليق[٢] » . ويتضح من ذلك أن خطوط تلك الحروف كانت تعمل فى مصر لا فى أوربا . وكان فى مطبعة بولاق مجموعات من الحروف الأفرنجية والتركية والعربية والفارسية التى صبت فى باريس [٣] . فمطبعة بولاق لم تستطع أن تستغنى تماماً عن مسابك الحروف الأوربية لفترة طويلة من الزمن .

وكان عدد طابعات بولاق فى سنة ١٨٣١ ثمانية استوردت جميعها من باريس [٤] . وكانت مطبعة ديوان الوقائع المصرية بالقلعة تستورد طابعاتها ولوازمها من مطبعة بولاق . فإذا تعطلت آلة من الآلات أرسلت إلى بولاق وحل محلها آلة أخرى حتى لا يتعطل طبع الوقائع . وكان فى دار الطباعة ببولاق قسم لإصلاح أدوات الطباعة وصيانتها[٥] .

ولم يكن قسم التجليد فى المطبعة كامل المعدات حتى ٤ رمضان سنة ١٢٥٢ هـ (١٣ ديسمبر سنة ١٨٣٦) . فقد أرسل الوالى إلى مختار بك ناظر ديوان المدارس ، يقول إن مدير المطبعة أخبره أن حسن الإسكندرانى المجلد الذى تعين فى المطبعة بعد عودته من أوربا لا يصلح لشىء . وقد ادعى المجلد الجديد أن المطبعة خالية من الأدوات اللازمة للتجليد[٦] .

ويأخذ المستشرقون على المطبعة عدم عنايتها بالإخراج . فالصفحة الأولى التى كان يجب أن تخصص لاسم الكتاب واسم مؤلفه فقط[٧] قد حشيت بمقدمة

---

(١) أمين سامى (باشا) : تقويم النيل ، الجزء الثانى ، ص ٤٧٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) Michaud (J.) et Poujoulat (M.) : Correspondance d'Orient (1830-1831) Bruxelles 1841. Tome VII, p. 80 Lettre CLJI.

(٤) المصدر السابق .

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٣٤١ فى يوم الخميس ١٦ شهر شعبان المكرم سنة ١٢٤٧ .

(٦) G. Talamas : op. cit. Ordre No. 756 4 Ramadan 1252 p. 290.

(٧) Reinaud : Journal Asiatique 2e. série T. VIII 1831 "De la gazette arabe turque imprimée en Egypte p. 342.

طويلة ذكر فيها عنوان الكتاب واسم المؤلف بخط عادى ، مثله فى ذلك مثل سائر الحروف التى صفت بها أصول الكتاب جميعها . وهى تحاكى بذلك الكتب المخطوطة التى كان ناسخوها يتبعون فى كتابة الصفحة الأولى الطريقة نفسها .

ولم يكن فى مطبعة بولاق حتى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) سوى مصحح واحد اسمه عبد الوهاب أفندى [١]. ثم رؤى نظرًا لزيادة أعمال المطبعة ، تعيين أربعة آخرين « لأجل أن يكونوا له معاونين فى هذه الخدمة » . وكان المصحح يعين على سبيل الاختبار لمدة محدودة ، فإن أثبت صلاحيته للعمل أعطى مرتبًا شهريًّا قدره ثلاثمائة وخمسون قرشا [٢] . . . .

و « لما كان تمييز الخطأ من الصواب فى كتب الفنون المتنوعة التى تطبع بدار الطباعة من الأمور التى لابد منها » ، فإن مجلس الجهادية كان يعمل دائبا على البحث عن مصحح « من ذوى العلم والفضل بحيث يكون مكتسباً للمعارف » . ولم يكن العثور على مصحح كفء من الأمور السهلة . وكان البحث يستغرق أحياناً الشهور الطويلة [٣].

ولا تعامل مطبعة بولاق مصححيها على قدم المساواة ، فهناك مصححون مشهورون كالشيخ عبد الرحمن السفطى ، يعين لهم أربعمائة وخمسون قرشاً مرتباً شهريا [٤] . ومن مصححى بولاق فى تلك الحقبة من تاريخها السيد شهاب الدين إسماعيل المصحح الأول لمطبوعات بولاق فى سنة ١٨٣٦ .

أما عمال المطبعة فكان عددهم حوالى الأربعين [٥] . وكان العامل لا يقبل فى المطبعة إلا بعد أن يختبر اختبارًا عملياً . وكان العمال الفنيون يتقاضون أجورًا أعلى من تلك التى يتقاضاها العمال العاديون . وكانت أجور الأجانب ثلاثة أضعاف أجور المصريين . فقد حدث أن تقدم أحد العمال المصريين بطلب قال فيه إن فى استطاعته الرسم والكتابة على أحجار الطباعة وأنه على استعداد لأن يحل

---

(١) الوقائع المصرية نمرة ٣٤١ فى يوم الخميس ١٦ شهر شعبان المكرم سنة ١٢٤٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الوقائع المصرية نمرة ٥٠١ فى يوم الأحد ١ من ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٨ .
(٤) الوقائع المصرية نمرة ٥٤٠ فى يوم الخميس المبارك ١٥ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ .
(٥) Bulletin de la Société de Géographie de Paris 1825, p. 42.

محل الرسام الأفرنجى القائم بنفس هذا العمل على أن يتقاضى نصف أجره . فقرر مجلس المشورة استدعاء هذا العامل « إلى المطبعخانة » وامتحانه ، فإن وجد أنه قادر على أن يحل محل العامل الأفرنجى أعطى ثلث شهريته « لأن سبب كثرة شهرية هذا تركه لبلده واستيطانه هنا وأما ذاك فهو فى مصر . . . [١] »

وإن ظهر لمجلس الجهادية أن العمال يقومون بعملهم كما ينبغى بادر بزيادة « شىء على شهريتهم جبراً لخاطرهم » مع إخبارهم أنهم « كلما زادوا مهارة فى العمل ازدادوا تقدماً [٢] » . وإن احتاجت المطبعة إلى رجال « قارئين كاتبين » بادرت بإخطار أمير اللوا وناظر المهمات الحربية ، فيقوم الأخير بعرض الأمر على مجلس الجهادية الذى يتصل « بحضرة شيخ الجامع الأزهر » ليدبر للمطبعة العدد المطلوب من العمال ، فإن لم يتوفر هذا العدد ، أرسل فى طلبه من مدرسة قصر العينى [٣] .

ولما كان « الغلمان الذين يأتون من طرف حضرة شيخ الجامع الأزهر لا يصلحون لأشغال المطبعة وقت مجيئهم » فقد تقرر تحويلهم إلى مكتب قصر العينى « ليكتسبوا المهارة فى القراءة والكتابة [٤] » .

وكان كل عامل من عمال المطبعة يأخذ كسوته من ديوان الجهادية « إن دخل وقتها وآن أوانها [٥] » . وكانت هناك فئة من العمال لا تتقاضى مرتبات شهرية ثابتة وهى فئة عمال التوضيب . وهؤلاء يتقاضون مائة نصف فضة على كل ألف صحيفة زيدت إلى مائة وعشرين نصفا على شرط « أن يجتهدوا فى خدمتهم ولا يتركوا شغل يوم لما بعده [٦] » .

وكانت طائفة المجلدين لا تتقاضى كذلك مرتبـاً ثابتـاً شأنها فى ذلك شأن طائفة الموضبين . وكان المجلد يتقاضى اثنين وخمسين قرشاً وعشرين نصفـاً عن تجليده مائة وخمسين كتاباً . ويقتضى صرف هذا الأجر أن يتقدم المجلد بطلبه إلى مجلس مشورة الجهادية الذى يقوم بسؤال ناظر المطبعة وناظر الجهة التى أرسلت إليها الكتب

---

(١) الوقائع المصرية ببولاق مصر نمرة ٥٨ يوم الاثنين فى ٢٩ ربيع الأول سنة ١٢٤٥ .
(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٢٨ فى يوم الثلاثاء ٨ شهر رجب سنة ١٢٤٧ .
(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٣ فى يوم الأربعاء ١٧ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .
(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٨ فى يوم الثلاثاء سلخ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .
(٥) الوقائع المصرية نمرة ٣٨٥ فى يوم الخميس ٢٣ من ذى الحجة الحرام سنة ١٢٤٧ .
(٦) الوقائع المصرية نمرة ٤٢٦ فى يوم الخميس ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ .

المجلدة ثم يصدر أمره إلى ناظر المطبعة بصرف المبلغ إلى المجلد[١].

وكان بعض الطابعين يعملون أيضاً بالمقاولة ، فإن زاد الكتاب عن الحجم العادى ، كما حدث عند طبع كتاب القاموس سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) ، رتبت لهؤلاء العمال « شهرية مثل شهرية المشايخ الذين أخذوا من القصر العينى . . . إلى أن يتم طبع الكتاب المذكور » . وكان العامل من هؤلاء يتقاضى مرتباً شهرياً قدره مائة وعشرون قرشاً[٢]. وكان العامل الذى يرسل من مكتب قصر العينى إلى المطبعة ليتعلم صنعة جمع الحروف لا يتقاضى أجراً إلا إذا شهد له ناظر المطبعة بأنه « قد اكتسب المهارة فى فنه » فيحرر « إعلام من حضرة بياك أفندى ناظر الجهادية إلى عبد الكريم أفندى (ناظر المطبعة) أن يقيد له شهرية كأمثاله بالدفتر[٣] » . و إن أذنب أحد العمال بادر ديوان الخديو بإرسال تقرير عن المذنب إلى مجلس مشورة الجهادية ليحقق فيه ، فإن ثبت جرمه حرر « إعلام من حضرة بياك أفندى الناظر إلى حضرة أمير اللواء أدهم بياك ناظر المهمات الحربية عموماً إشعار له بأن يؤدبه . . .[٤] » .

وكان على الشخص الذى يريد الالتحاق بالمطبعة أن يقدم « عرضاً للمشورة العسكرية يذكر فيه أنه مكث فى تحصيل العلم بمدرسة قصر العينى مدة من الزمن ثم خرج منها متقاعداً » . وكان على المشورة العسكرية أن تسأل ناظر دار الطباعة عن مقدم الطلب فإن أجاب بأنه يعرف القراءة والكتابة و بأنه يصلح للمطبعة بادر مجلس المشورة العسكرية بتحرير إشعار إلى ناظر المهمات الحربية عموما « بأن يعرف ناظر دار الطباعة باستخدامه وتقييده فى الدفاتر كأمثاله[٥] » .

وطبعت صحيفة الوقائع المصرية أولا فى مطبعة بولاق حتى ٢٦ صفر سنة ١٢٤٩ ثم رئى أن تطبع فى مطبعة ديوان الوقائع بالقلعة لتكون قريبة من مقر الحكومة . وظلت تطبع هناك إلى أن تقرر مرة أخرى أن تنشر فى مطبعة بولاق .

---

(١) الوقائع المصرية نمرة ٤٤٢ فى يوم الثلاثاء ٢١ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ .
(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٩٨ فى يوم الخميس ٢٩ من المحرم الحرام سنة ١٢٤٨ .
(٣) الوقائع المصرية نمرة ٤٠٥ فى يوم الثلاثاء ١٨ صفر الخير سنة ١٢٤٨ .
(٤) الوقائع المصرية نمرة ٤٤٧ فى يوم الأحد ٤ جمادى الآخر سنة ١٢٤٨ .
(٥) الوقائع المصرية نمرة ٥٣٧ فى يوم الأحد ٣ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ ونمرة ٥٤١ فى يوم الاثنين المبارك ١٩ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ .

وبدأت المطبعة فى الطبع على حساب الأفراد منذ سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦م)[١] وكان على الملتزم إن أراد طبع أى كتاب أن يأتى بمن يكفله لدى إدارة المطبعة[٢] .

وكان الوالى يتضايق كل المضايقة من الأخطاء المطبعية ، خاصة إن كانت هذه الأخطاء فى الوقائع المصرية . ومنعاً لتكرارها أمر كاتب ديوانه سابقاً وناظر مجلس الشورى حالا بأن ينزل إلى المطبعة ويطلب جميع المشتغلين فيها ويمتحنهم ويحقق معهم ليعرف المخطئ . وكان المصحح ينسب خطأه إلى الطابع والطابع ينسب خطأه إلى المصحح . وتم الاتفاق آخر الأمر على أن يقوم المصحح بمراجعة المسودات وإرسالها إلى المطبعة بعد أن يمهرها بإمضائه . فإن وقع أى خطأ بعد ذلك يجب مطابقة عدد الوقائع المطبوع على المسودة المصححة ، فإن ظهر أن الخطأ من المصحح ، أعيد طبع العدد على نفقته وإن ظهر العكس أعيد الطبع على نفقة مدير المطبعة [٣] .

وفى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) تم طبع أول كتاب موسيقى على الحجر . وقد عين لهذا الغرض أحد المختصين فى الموسيقى وأرسلت إليه من بولاق ملزمة حجر ليباشر عمله ، إذ تبين لمجلس الجهادية أن طبع مقامات الموسيقى « موجب لسهولة التعليم[٤] » .

وبلغت مصروفات المطبعة سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) ٣٥٠ كيساً ، وهو مبلغ لا بأس به إذا قورن بمجموع مصروفات الدولة البالغ ٣٩٩٨١٤ كيسا[٥] . ويمكن أن يقال إنه منذ صدور الوقائع المصرية فى سنة ١٨٢٨ أخذت مطبعة بولاق تتقدم بخطى واسعة فزيدت أدواتها ومعداتها وتضاعف عدد عمالها وكثر إنتاجها وعم النشاط جميع أرجائها . وكانت أثمان كتبها تتراوح بين ٣١٠ قروش مثل كتاب مثنوى شرحى الذى يقع فى ثلاثة أجزاء ، وهو مترجم من الفارسية إلى

---

(١) الوقائع المصرية ٦ شوال سنة ١٢٥٢ .
(٢) الوقائع المصرية نمرة ٦١٩ فى يوم الأحد المبارك ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٥٦ .
(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٤ فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة سنة ١٢٤٤ .
(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٤٩ فى يوم الأربعاء ٦ شهر رمضان المعظم سنة ١٢٤٧ .
(٥) F. Mengin : Histoire sommaire de l'Egypte p. 155 Paris 1838.

التركية ، وبين قرش واحد مثل كتاب علم حال التركى[١] .

وكانت مطبوعات بولاق تباع فى حانوت كائن بالقرب من خان الخليلى صاحباه مصطفى وأحمد الكتبيان . وكانا يتقاضيان عن البيع نصفين من الفضة فى كل قرش ، وهو جعل بسيط لا يتناسب وما يبذلان من مجهود ، فرفعا أمرهما إلى مجلس الجهادية الذى قرر زيادة نسبة ربحهما نصفا ثالثاً ، « لأجل أن يجتهدوا فى البيع اجتهاداً بليغا[٢] » .

واهتم الوالى حين أرسل البعثة المصرية إلى فرنسا فى سنة ١٨٢٦ [٣] بأن يتخصص بعض أعضائها فى فنون الطباعة المختلفة ، مثل حسن الوردانى الذى بعث هو ومحمد أسعد ليتعلما فى الطبع والحفر[٤] .

وقد زار مطبعة بولاق عدد كبير من الأجانب . وكان لكل من زارها رأى خاص فيها . وكان بروكى الإيطالى أول أجنبي يزورها وقد أعجب بها كل الإعجاب واسترعى انتباهه النظام والنظافة ولفت نظره رحابة المقر. وقد تمت هذه الزيارة فى ١١ ديسمبر سنة ١٨٢٢ ، أى فى السنة التى بدأت خلالها المطبعة نشاطها الفعلى .

ومن الأجانب الذين زاروا مطبعة بولاق فى عهدها الأول المستشرق الفرنسى رينو . وقد أظهر عدم رضاه عن فنها . وتوسم لها الخير بعد عودة أعضاء البعثة المصرية من فرنسا[٥] .

وزارت المسز تشارلز لاشنجتون تلك المطبعة . وكان ذلك فى اليوم العاشر من شهر فبراير سنة ١٨٢٨ . وقد أبدت إعجابها بمديرها وبكل شيء رأته أثناء الزيارة . ولكن يبدو من البيانات غير الصحيحة التى ذكرتها تلك السيدة فى وصفها للمطبعة أنه ليس من الصواب الاعتماد عليها إن أريد تقييم هذه المؤسسة فى عهدها الأول .

---

(١) عن تقرير بورنج Report on Egypt & Candia ١٨٣٩ تعريب الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل فى « بناء دولة مصر محمد على » ص ٦٨ إلى ٦٨٣ .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٦٥ فى يوم السبت ٢٨ شهر شوال المنور سنة ١٢٤٧ .

(٣) Jomard : Journal asiatique p. 107 2ième série tome 2 1828.

(٤) عمر طوسون ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٥) Reinaud : op. cit. p. 333-334.

(٦) Mrs. Charles Lushington : op. cit. p. 168 et sq.

وزار مطبعة « الباشا » فى سنة ١٨٣٠ السائحان الفرنسيان كادلفين وبروفيري [١] وقالا إن طبعها جيد إلى حدما . وزارها فى سنة ١٨٣١ السائح بوجولا وكان من رأيه أن تنشر كتباً فى جغرافية مصر وتاريخها وآداب اللغة العربية بدلا من التمادى فى نشر كتب الطب والفنون العسكرية كما لاحظ قلة عدد المقبلين على شراء مطبوعات بولاق التى كانت تتكدس فى المخازن لأنها لا تفى بحاجات العصر الحاضر ولا تتفق وعقلية الشعب الذى يجب تعليمه وتنويره [٢] .

وقد اهتم بمطبعة بولاق جون باورنج [٣] فيذكر فى تقريره الذى كتبه فى سنة ١٨٣٣ مصروفات المطبعة ويعطى بعد ذلك قائمة طويلة بمطبوعات بولاق وأسعارها .

ويهتم إدوار وليم لين [٤] بمطبوعات بولاق أكثر من اهتمامه بالمطبعة ، وقد زارها فى سنة ١٨٣٦ . ويقول إن محمداً عليا أنشأها لطبع الكتب العسكرية المختلفة والعلوم المدنية .

وزار اللورد لندسى المطبعة فى السنة نفسها وقد سره ما رأى عليه عمالها من نشاط . ويبدو لنا أن حال المطبعة فى سنة ١٨٣٦ كان أفضل مما كانت عليه فى سنة ١٨٣١ ، فقد عاد فى تلك الأثناء أعضاء البعثة التى أرسلها محمد على سنة ١٨٢٦ . ولابد أن تكون مطبعة بولاق قد استفادت من خبرتهم مما حمل اللورد لندسى [٥] على إطراء مطبوعاتها والإشادة بنشاط عمالها .

وسواء رضى هؤلاء الأجانب عن مطبوعات بولاق أم لم يرضوا ، فالحقيقة التى لا تقبل المناقشة أن كتب تلك المطبعة كانت مطبوعة طبعاً واضحاً لا غبار عليه .

وعلى الرغم من إنشاء مطبعة بولاق ، فقد ظلت حركة بيع الكتب فاترة ولم يقل

---

(١) E.D. de Cadalvène et J. Breuvery : L'Egypte et la Nubie, Tome I Paris 1841. p. 87.

(٢) Michaud et Poujoulat : op. cit. p. 80-87.

(٣) John Bowing : Report on Egypt and Candia p. 45 et sq. p. 135, 142, 144 et sq. London 1840.

(٤) Ed. Wil. Lane : An account of the manners and customs of the modern Egyptians, London 1944, Every man's library, p. 563.

(٥) Lord Lindsay : Letters on Egypt Edom & the Holy Land Vol. ,I London 1838, p. 59.

عدد الذين كانوا يعملون فى نسخ الكتب .

وقامت مطبعة بولاق إلى جانب طبعها الكتب المختلفة بطبع القوانين واللوائح والمنشورات نذكر منها القانون التركى المطبوع سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) وقانون الزراعة المطبوع سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٩ م) . وطبعت أيضاً التقاويم المختلفة مثل « جداول موقع عقرب الساعة على الشهور القبطية ، المطبوعة سنة ١٢٤١ (١٨٢٥م) و « معربة سنة شمسية » أى مقابلة السنة الشمسية بالسنة القمرية والتقويمات من عمل يحيى أفندى الحكيم . وكانت مطبعة بولاق تطبع دفاتر الدواوين وأوراق التمغة .

ولم تكن مطبعة بولاق المطبعة الوحيدة فى مصر خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٤١ ، فقد تأسس بعدها عدد من المطابع الصغيرة ألحق بعضها بالمدارس والبعض الآخر بالديوان . وكانت مطابع المدارس تقوم بطبع الكتب العلمية المختلفة بعد ترجمتها إلى اللغة العربية .

مطبعة مدرسة الطب بأبى زعبل :

كانت هذه المطبعة بلاشك أول مطبعة رسمية أنشئت بعد مطبعة بولاق . فقد أصدر الوالى أمره بإنشاء مارستان بأبى زعبل يتسع لأكثر من ١٥٠٠ مريض تحت إشراف طبيب . ويقوم بالعمل معه مائة تلميذ من أبناء مصر ويساعده عدد من الأساتذة . وأمر الوالى باستحضار الكتب الطبية والأسرة والأدوية ، وبدأت الدراسة فى غرة شعبان سنة ١٢٤٢ الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٨٢٧ وعين الدكتور كلوت بك رئيساً على تلك المدرسة [١] .

والمدرسة عبارة عن مبنى كبير بأربعة أوجه . ويشتمل كل جناح منها على صفين من الغرف بينهما دهليز . أما الجناح الأخير فقد خصص للمرضى من الضباط ولقاعة دروس تتسع لمائتى تلميذ ولمطبعة حجرية يعمل فيها عمال مصريون لطبع ترجمات أجود المؤلفات الطبية ولوحات التشريح وهم ينقلونها أحياناً نقلا

---

(١) الوقائع المصرية العدد الثامن فى ١٤ شعبان سنة ١٢٤٤ .

غاية فى الدقة [١]. وتحوى المطبعة أربع طابعات [٢] مما يدل على أنها لم تكن من المطابع الصغيرة إذا قورنت بمطبعة بولاق . ويبدو أن مطبعة أبى زعبل ظلت تطبع بوساطة الحجر حتى سنة ١٨٣٣ على الأقل ، ذلك أن كتب الطب كانت لا تخلو من الرسومات الإيضاحية التى لم يكن فى الاستطاعة نقلها إلا بالطباعة الحجرية لعدم اكتشاف وسيلة الحفر على الزنك بعد .

ويشكو كلوت بك من قلة عدد الخطاطين الذين يقومون بكتابة الدروس الطبية على حجر المطبعة ، وينهى إلى مجلس الجهادية « أن أوقات الأفندية تمر عبثاً » ثم يطلب أن يرسل إليه على عجل « كاتبان بالعربى تكون كتابتهما حسنة ويرتب لكل منهما مائة وخمسة وعشرون قرشاً شهرية » . وقد قام مجلس الجهادية على الفور بفحص نماذج من خطوط « الأفندية الذين يحررون خط الرقعة بقصر العينى [٣] » .

وكانت مطبعة أبى زعبل تزود بعمال من مطبعة بولاق ، فقد أرسلت إليها المطبعة الأخيرة فى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) ثمانية عمال بتعيينهم على أن يقوموا بطهى طعامهم بأنفسهم . ولما كان إعدادهم لطعامهم سوف « يحصل منه تعطيل لأشغالهم » ، فقد طلب كلوت بك إلى مجلس الجهادية أن يصرف لهؤلاء تعيينهم من مطبخ المستشفى مثلهم فى ذلك مثل سائر الذين يعملون فى تلك المؤسسة . وقد وافق المجلس على إرسال التعيين مطبوخاً « لكيلا تحصل سكتة فى أشغالهم [٤] » .

وكان عمال مطبعة أبى زعبل يعطون « كأقرانهم المستخدمين بمطبعة بولاق كسى من الجوخ وشيلانا من الديمى وسجادات من الصوف [٥] » .

وعمل مصححاً فى تلك المطبعة السيد أحمد الرشيدى والسيد حسن غانم الرشيدى والشيخ إبراهيم الدسوقى والشيخ محمد عمران الهراوى .

وأغلقت مطبعة أبى زعبل أبوابها فى سنة ١٨٣٧ عندما قر الرأى على نقل مدرسة

---

(١) Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery op. cit. pp. 182 et 183.

(٢) St. John (James Augustus) : Egypt & Mohamed Ali Vol. II London 1834 page 402.

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٢ فى يوم الاثنين ١٥ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٥ فى يوم الثلاثاء ٢٣ ذى القعدة الحرام سنة ١٢٤٧ .

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٤١١ ، فى يوم الثلاثاء ٣ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٨ .

الطب من أبى زعبل إلى قصر العينى [١] . وقد توقفت المطبعة عن العمل منذ ذلك التاريخ وأحيلت أشغالها إلى مطبعة بولاق التى قامت بطبع كتب الطب بالحروف المتفرقة .

مطبعة الطوبجية بطره :

يرجح أن تكون قد أنشئت فى نفس السنة التى فُتحت خلالها مدرسة الطوبجية ، أي فى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) [٢] ، وذلك لنشر الكتب والقوانين باللغة التركية والعربية على رجال الجيش [٣] وإنجازاً للأعمال اللازمة للنظام الجديد . ومن مطبوعات تلك المطبعة كتاب « الكنز المختار فى كشف الأراضى والبحار » وهو مختصر فى الجغرافيا على السؤال والجواب . قام بتصحيحه الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى وأنجز طبعه سنة ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) . وطبع بتلك المطبعة أيضاً كتاب « كليلة ودمنة » سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) .

وتذكر الوقائع المصرية أن ديوان الجهادية صرف للكولونيل سيجوارا ناظر المدرسة « حجرين من أحجار الطبع وحجرين من حجارة الصقل وست أقات من حبر البصمة وخمسين قلماً من أقلام البصمة وزجاجتين من ماء الكذاب ورطلا من الصمغ . . . [٤] » وجميعها من الأدوات والمواد التى كانت تستعمل فى الطباعة الحجرية . ويبدو أن المطبعة لم تعش طويلا . ولابد أنها كانت تقوم بطبع الدروس التى كانت تلقى على تلاميذ مدرسة الطوبجية ، وبعض الكتب المتعلقة بالفنون الحربية المترجمة عن اللغات الأوربية .

مطبعة ديوان الجهادية :

لما تعين عثمان نور الدين مديراً للمدرسة الحربية ببولاق ، كان بها مطبعة حجر

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٣٦٠ .
(٢) أمين سامى (باشا) : تقويم النيل الجزء الثانى ، ص ٣٨٢ .
(٣) إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، الجزء الثانى ص ٢٣٧ .
(٤) الوقائع المصرية ، نمرة ٤٥٠ فى يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ .


الكنز المختار فى كشف الاراضى والبحار

طبع فى مطبعة مكتب الطوبجية بناحية طره [illegible] حضرة
[illegible] المذكور [illegible] تصحيح [illegible] رفاعة الطهطاوى
مترجم المكتب المذكور الذى لا زال [illegible]
[illegible]
[illegible]

كتاب الكنز المختار . مطبوع فى مطبعة مكتب الطوبجية سنة ١٢٥٠ ﻫ

عرفت باسم مطبعة الجهادية لطبع الكتب التركية والعربية والفارسية وصحيفة أسبوعية تصدر بالعربية والإيطالية [١]. وقد اختير عمال تلك المطبعة من بين عمال مطبعة بولاق الذين أمضوا فترة طويلة فى التمرين . وكان هؤلاء العمال يعاملون المعاملة نفسها من حيث المرتبات والتعيين [٢] . وكانت مطبوعاتها غاية فى الإتقان ؛ فإن صحف التعليمنامة التى كانت قد طبعت طبعاً رديئاً فى إحدى مطابع الحجر ، قد أعيد طبعها طبعاً جيداً فى مطبعة ديوان الجهادية [٣] .

وفى سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣) أفرد فى ديوان الجهادية مكان « عمل نصفه مطبعة ونصفه الآخر محلا للمتقاعدين » . وتكلفت أعمال البناء سبعة عشر ألفا وخمسمائة قرش [٤]. وقامت تلك المطبعة بطبع الجريدة العسكرية فى مستهل حملة الشام سنة ١٨٣٣ [٥] . وطبعت رسالة فى علاج الطاعون تأليف كلوت بك وغيره من الكتب الطبية والعسكرية . ونظراً لأن مطبعة الجهادية كانت تكلف الدولة نفقات لا فائدة منها ، فقد تقرر فى رمضان سنة ١٢٥١ نقلها إلى مطبعة بولاق وضمها إليها [٦].

مطبعة الديوان الخديوى :

لا يعرف على وجه التدقيق التاريخ الذى أنشئت فيه هذه المطبعة ، ولو أننا نرجح أنها تعود إلى ما قبل سنة ١٢٤٨ هـ بقليل . ومهما يكن من أمرها ، فقد كانت تقوم بطبع الأوراق الخاصة بديوان الخديوى . وقد زادت أعمالها فى سنة ١٢٤٨ هـ عما كانت عليه قبلا ، الأمر الذى حدا برئيسها أن يطلب من الديوان المذكور

---

(١) توفيق اسكاروس : تاريخ الطباعة فى وادى النيل ، مجلة الهلال ، السنة الثانية والعشرين ، مارس ١٩١٤ .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٣٩٦ فى يوم الأحد ٢٥ من المحرم الحرام سنة ١٢٤٨ هـ .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٤٣٣ فى يوم الاثنين ٢٩ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ هـ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٥٤٠ فى يوم الخميس المبارك ١٥ شهر ربيع الأول سنة ١٢٤٩ هـ .

(٥) محفوظات عابدين ، وثيقة رقم ١٣ أصلى ٤٣ مسلسل دفتر ٧٩٨ ديوان خديوى ص ٢٥ فى ١٨ محرم سنة ١٢٥٠ م .

(٦) محفوظات عابدين دفتر رقم ٧١ معية تركى ، ترجمة الأمر رقم ١٠ مسلسل بتاريخ رمضان سنة ١٢٥١ من الجناب العالى إلى برهان بك .

« أن يعطى عدة مكملة اللوازم من ثلاثة رجال لإدارتها من مطبعة بولاق وقاية للمصالح من التعطيل [١] » . وقد وافق الديوان على ذلك . ولم نتوصل إلى معرفة تفاصيل أخرى عن تلك المطبعة . إلا أننا نرجح أنها هى التى عرفت فيما بعد بمطبعة القلعة وطبعت فيها الوقائع المصرية حيناً من الزمن .

مطبعة القلعة :

هى على ما نظن مطبعة ديوان الخديو نفسها التى كانت تقوم بطبع الجرنال الخديوى قبل إنشاء الوقائع المصرية فى سنة ١٨٢٨ م [٢] . ولم نعثر على ما يحدد تاريخ إنشائها . وقد زارها فى سنة ١٨٣٠ السائحان الفرنسيان كادلفين و بروفيرى [٣] ، فكتبا عنها أنه « يمكن اعتبارها فرعاً من مطبعة بولاق . وهى تطبع بين آن وآخر بعض الكتب فى التاريخ والشعر . ومصير تلك الكتب هو نفس مصير الكتب المطبوعة فى بولاق ، فإنها لا تكاد تخرج من المطبعة حتى تكدس فى المخازن حيث تتلف لأن أحداً لا يهتم بشرائها ولا يفكر فى قراءتها إن فرض واشتراها . وهذه الكتب لا تتفق وعقلية الشعب والبلد اللذين يراد تعليمهما والنهوض بهما » .

وقد زار تلك المطبعة فى أول ديسمبر سنة ١٨٣٢ السائح الإنجليزى سانت جون ، فقال عنها إنها « مطبعة صغيرة ليست لها أدنى أهمية ، ولو كانت فى أى مكان آخر غير مصر لما استرعت الأنظار ، فالطابعة وغيرها من الآلات . . . من نوع ردىء . . . وعدد صفافى الحروف والطباعين قليل . ولكن يبدو لى أنهم أذكياء وعلى دراية حسنة بفنهم . أما الأصول التى يصفون حروفها فهى مكتوبة باليد وبخط واضح وعلى وجه واحد من الورقة ، الشىء الذي لا يتاح لصفافى الحروف بأوربا إلا فيما ندر ، فالأسطر متسعة والتصحيح واضح لا لبث فيه [٤] » .

وطبعت مطبعة القلعة صحيفة الوقائع المصرية من العدد ٥٣٥ الصادر فى ٢٦

---

(١) الوقائع المصرية ، نمرة ٤٤٣ فى يوم الخميس ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨ هـ .

(٢) محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery : op. cit. Tome I pp. 99, 100 et 101.

(٤) St. John (James Augustus) : Egypt & Mohamed Ali or Travels in the Valley of the Nile. London, 1834, Tome I p. 129-130.

صفر سنة ١٢٤٦ هـ (١٥ يونيه سنة ١٨٣٣) إلى العدد السادس الصادر فى ٢٦ جمادي الآخرة سنة ١٢٦١ هـ (٣ يوليه سنة ١٨٤٥) . وطبع فى تلك المطبعة أيضاً قانون نامة ، وكان ذلك فى سنة ١٢٥١ هـ (١٨٣٥ م) . ووزع هذا القانون على المديرين ونظار الأقسام والأشوان ونظار الدواوين والمصالح الميرية والسودان والحجاز وكريد[١] .

مطبعة رأس التين بالإسكندرية:

هى أول مطبعة رسمية عرفتها الإسكندرية بعد مطبعة الحملة الفرنسية . ويشمل تصميم ترسانة الإسكندرية الذى وضعه سريزى بك والذى وافق عليه الوالى فى ٩ يونية سنة ١٨٢٩ ، مبنى يضم مخزن الحكومة ومطبعة حجر وحروف ، ومكاتب . ويقع ذلك المبنى بالقرب من ورشة حدادة الأحواض وورشة الحدادة الكبرى ومعمل المزاليج والبرادة [٢] . ولم يشر التصميم الذي وضع لترسانة مدينة الإسكندرية قبل سنة ١٨٢٩ إلى أي مبنى خاص بالمطبعة أو إلى وجود مطبعة فى تلك الجهة بالذات[٣]، مما يرجح أن مطبعة رأس التين تأسست بعد ذلك التاريخ بسنة أو سنتين على الأكثر.

ولا يذكر السائحان الفرنسيان كادلفين وبروفرى شيئاً عن مطبعة رأس التين حين هبطا الإسكندرية فى يناير سنة ١٨٣٠ ، ولكنهما يصفان الجريدة الفرنسية التى كانت تصدر فى ذلك العهد بالثغر باسم المونيتور إجبسيان Le Moniteur Egyptien ويقولان عنها إنها تأسست بعد حرب الشام لترد على المونيتور أوتومان ، Le Moniteur Ottoman، تلك الجريدة التى أمر السلطان بإصدارها[٤]. ويتكلم باورنج فى تقريره عن تلك الصحيفة ، ولكنه لا يذكر المطبعة التى كانت تطبع فيها [٥] . ولا يشير السائح الإنجليزى سانت جون بكلمة إلى المطبعة التى طبعت الصحيفة الفرنسية المذكورة[٦] . وعلى أي حال فإننا نرجح أن تكون مطبعة رأس التين

---

(١) محمد على (الأمير) : مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس باشا الأول ص ٢٨.

(٢) كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، ترجمة محمد مسعود ، الجزء الثانى ، ص ٣٦٧ بدون تاريخ .

(٣) كلوت بك : المصدر السابق ص ٣٥٩ .

(٤) Ed. de Cadalvène et J. de Breuvery : op. cit. p. 12.

(٥) محمد فؤاد شكرى إلخ . . . ص ١٢٢ و ١٢٣ .

(٦) St. John : op. cit. p. 358.

هى المطبعة الوحيدة التى أنشئت فى الإسكندرية حوالى سنة ١٨٣٢ ، وأنها المطبعة التى قامت بطبع المونيتور إجبسيان . وفى مكتبة المطبعة الأميرية ببولاق كتاب إنشاء تركى مطبوع فى ١٦ ربيع أول سنة ١٢٤٩ هـ باللغة التركية ويقع فى ١٠٣ صفحات ، وذكر فيه أنه طبع بمطبعة ولى النعم محمد على فى السراى بالإسكندرية بتصحيح عزيز أفندى ؛ وأصدرت المطبعة نفسها فى سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣ م) كتاب تاريخ نابليون ترجمة حسن أفندى ، وقام بتصحيحه عزيز أفندى . وطبعت المطبعة عدة كتب أخرى . وقد اقتضى الأمر إرسال مطبعة حروف جديدة من بولاق إلى الإسكندرية ليأتى الطبع سريعاً وأنيقاً [١] .

ولم نتوصل إلى معرفة السنة التى توقفت فيها تلك المطبعة عن العمل ولو أننا نرجح أن تكون قد أغلقت فى أواخر حكم محمد على شأنها فى ذلك شأن عدد كبير من مؤسسات ذلك العهد .

مطبعة مكتب الموسيقى :

وكان فى مكتب الموسيقى مطبعة حجرية لطبع النوتات الموسيقية الخاصة بالجيش ولم يكن فى تلك المطبعة قسم للتجليد . ولكن إن كان هذا المكتب بحاجة إلى مجلد قدم طلباً إلى المشورة العسكرية لترسل إليه « رجلا بكافة لوازمه من دار الطباعة الكائنة ببولاق [٢] » .

مطبعة جزيرة كريد :

لم تكتف الحكومة القائمة فى ذلك الحين بإنشاء المطابع فى مصر ، بل ذهبت تنشئ المطابع فى الخارج . ففى سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣١ م) صدر أمر بتأسيس مطبعة فى كريد لطبع جريدة « وقائع كريدية » . وقد صفت الحروف التركية

(١) محفوظات عابدين دفتر ٥٠ معية تركى ، وثيقة رقم ٤٨٢ فى ٢٣ ذى الحجة سنة ١٢٤٨ من المعية السنية إلى حبيب أفندى .

(٢) الوقائع المصرية فى يوم الخميس ٢٣ صفر الخير سنة ١٢٤٩ .

فى مصر . أما الحروف اليونانية فقد طلب إلى مصطفى باشا محافظ كريد « أن يجتهد فى الحصول عليها من مصر أو من كريد أو بلاد المورة . وبعد إعداد المطبعة وتغذيتها بالحروف ، أرسلت الحكومة « على أفندى جام إلى كريد لخدمة الوقائع التى ستطبع فيها » . وسافر أيضاً إلى تلك الجزيرة على أفندى الفندرلى معاوناً الأول لمعرفته « أصول الطبع »[١] . وكان فى المطبعة عدا الموظفين المذكورين ، حسين أفندى وشمس الدين رئيس الجماعين وحماد « أوسطة الماكينة » وحسين رفيق رئيس الجماعين وسيد عمر رفيق « أوسطة الماكينه » وعفيفى الجماع [٢] . وقد أرسل جميع هؤلاء من مطبعة بولاق بعد أن زيدت مرتباتهم[٣] تشجيعاً لهم على السفر إلى كريد . وكان عمال تلك المطبعة العشرة يعاملون معاملة حسنة وكانت تصرف لهم « كسى من الجوخ . . . مثل كسى الرجال المستخدمين فى مطبعة بولاق[٤] » ، وكانت كريد إن احتاجت إلى بعض الأدوات أرسلت طلباً إلى « مجلس مدينة خانية الكائنة بجزيرة كريد » الذى يحولها إلى الديوان الخديوى ، وهذا يرسلها إلى مجلس المشورة . وحرصاً على عدم ضياع الوقت كانت المطبعة ترسل أحد معاونيها ، ومعه الطلب ، إلى مصر فيقوم بعمل الإجراءات اللازمة ويقفل راجعاً إلى كريد [٥].

ولم تعش مطبعة كريد طويلا ، فقد اضطرت إلى أن تغلق أبوابها ، حين توقف إصدار صحيفة وقائع كريدية .

ومن المطابع التى أنشئت فى ذلك العهد مطبعة المهندسخانة . ففى سنة ١٨٣٤ أسست الحكومة مدرسة فى بولاق لتعليم الهندسة وألحقت بها مطبعة لطبع الدروس التى كانت تلقى على تلاميذها .

---

(١) محفوظات عابدين وثائق رقم ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ دفتر رقم ٤٠ معية تركية ، ووثيقة رقم ٤٨٠ دفتر ٤٠ معية تركى فى ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٤٦ هـ ، ووثيقة رقم ٧٥٩ ديوان الخديوى ٨ ربيع سنة ١٢٤٦ هـ .G. Talamas : op. cit., ordre 426. 22 Mai 1831

(٢) محفوظات عابدين ، دفتر ٧٥٩ ديوان الخديوى وثيقة رقم ١٩٨ فى ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٦ .

(٣) الوقائع المصرية نمرة ٣٧٩ فى يوم الخميس ٢ ذى الحجة الحرام سنة ١٢٤٧ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣٨٤ فى يوم الثلاثاء ٢١ ذى الحجة الحرام سنة ١٢٤٧ .

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٤٢٩ فى يوم السبت ٢٠ شهر ربيع الآخرة سنة ١٢٤٨ .

وفى ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) بعث مجلس مدينة رشيد إلى محافظ رشيد إنهاء يرجوه فيه « أن يطلب من مأمور ديوان خديوى المحروسة إرسال ماكينة طبع بكامل أدواتها ونفرين طباعين إلى رشيد لطبع قرارات المجلس وخلافها من الأوراق والمستندات [١] » .

وأنشأت الحكومة كذلك مطابع حجرية فى مديرية القليوبية ومديرية البحيرة وفى الوجه القبلى وفى مديرية المنوفية وفى مديرية الشرقية وفى الدقهلية وفى الأقاليم الوسطى ، كما أرسلت مطبعة حجرية إلى دمشق الشام [٢] .

ثانياً : مطابع الأجانب

كان لاهتمام الحكومة المصرية بالاسكندرية أثر كبير فى انتعاش حركة التجارة الداخلية والخارجية مما شجع الأوربيين على النزوح إليها والاستقرار فيها . وكان عدد سكان ذلك الثغر ثمانية آلاف ، فبلغوا فى سنة ١٨٣٠ ستين ألفا [٣] .

كان لا بد إذن ، وقد ازدهرت الحال بالإسكندرية وكثر عدد الجاليات الأوربية فيها ، من أن يفكر أحد أفراد تلك الجاليات فى تأسيس مطبعة . ولم يمكن على الرغم من الأبحاث التى أجريت معرفة اسم صاحب تلك المطبعة وتاريخ إنشائها . والدليل الوحيد على وجودها قصيدة مطبوعة فيها بالإنجليزية فى وصف مصر عنوانها Egypt, a descriptive poem تأليف هنري سولت ، قنصل إنجلترا فى مصر حينذاك . وقد ذكر على الكتاب أنه طبع بالإسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٢٤ على يد إسكندر دراجى بالمطبعة الأوربية . وقد يكون إسكندر دراجى هذا صاحب المطبعة وقد لا يكون .

---

(١) محفوظات عابدين دفتر رقم ٧٦٢ خديوى تركى ، وثيقة رقم ٢٢٥ ، ص ١٣٩ بتاريخ ١٧ جمادى الثانية سنة ١٢٥٢ ، من مجلس رشيد إلى محافظة رشيد .

(٢) محفوظات عابدين دفتر ٦٦ معية تركى ترجمة أمر الجناب العالى المؤرخ فى ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٢٥١ الصادر إلى خورشيد باشا ، رقم ٣٦٥ مسلسل .

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ، الجزء السابع ، المجلد الثانى ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

والقصيدة مليئة بالأخطاء المطبعية التى إن دلت على شىء فهى تدل على أن الصفاف الذى قام بصف حروفها ، كان لا يجيد هذا النوع من العمل ويجهل اللغة الإنجليزية .

وأكبر الظن أن المطبعة الأوربية هذه ، لم يكن قد مضى على تأسيسها وقت طويل حين طبعت قصيدة القنصل الإنجليزى الذى يذكر فى المقدمة القصيرة التى صدّر بها كتيبه أنه قام بطبعه ترويجاً للنفس وتشجيعاً للمطبعة .

وهناك كتاب مطبوع فى إنجلترا سنة ١٨٣٥ ألفه ولكنسون وعنوانه Topography of Thebes & General view of Egypt وقد ذكر مؤلفه فى المقدمة أنه كان ينوى طبعه بالإسكندرية لولا تفشى وباء الكوليرا ووفاة صاحب المطبعة سنة ١٨٣٠ . ومن المرجح أن تكون المطبعة التى يشير إليها ولكنسون هى نفس المطبعة التى أخرجت قصيدة سولت . ويبدو أنها كانت المطبعة الأجنبية الوحيدة فى مصر وظلت كذلك فترة طويلة من الزمن ، إذ أن الأوربيين فى مصر لم يكونوا حتى سنة ١٨٤١ قد وصلوا إلى الدرجة التى تدعوهم إلى عدم الاستغناء عن المطابع .

ثالثاً : مطابع المصريين

وإن كان الأوربيون فى مصر قد افتتحوا المطابع منذ سنة ١٨٢٤ تقريباً ، فإن المصريين تبعوهم فى حوالى سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٧ م) . ففى تلك السنة أخرجت مطبعة عبد الرازق كتاب تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ويعرف أيضاً بتذكرة داود الأنطاكى للشيخ داود الأنطاكى . أما تاريخ إنشاء تلك المطبعة فغير معروف ، ولو أنه من المرجح ألا يكون قبل سنة ١٢٥٤ هـ بكثير . إن حالة مصر الثقافية والاجتماعية لم تكن لتساعد أو لتشجع الناس على جلب المطابع والاتجار بالمطبوعات ، يضاف إلى ذلك أن مطبعة بولاق كانت ترحب بطبع مطبوعات الأفراد بأسعار معقولة وكانت تنشر الإعلانات فى الوقائع ترغيباً للناشرين فيها ، فلم يكن من السهل إذن على فرد من الأفراد أن يخاطر بفتح مطبعة

ينافس بها مطبعة الحكومة وغيرها من المطابع الرسمية التى أنشئت فى القاهرة والأقاليم .

* * *

ظلت إذن الطباعة فى مصر حتى سنة ١٨٤٠ معتمدة كل الاعتماد على الحكومة ، ذلك أن الشعب نفسه لم يصل بعد إلى درجة من الرقى تجعله يشعر بفائدة هذا الاختراع . وإن المحاولات التى بذلت من جانبه لم تكن جدية . أما الحكومة فقد بذلت جهوداً صادقة فبعثت الشبان إلى إيطاليا وفرنسا ليتعلموا الفن المطبعى على أصوله . واهتم أولو الشأن بعمال المطابع وأجزلوا لهم العطاء ليشجعوهم على العمل بإخلاص . وكان نصيب حروف الطباعة من اهتمام الحكومة كبيراً فأنشأت لها المسابك وكوفئ السباكون على ما بذلوه فى هذا المضمار . ولم تقتصر المطابع على القاهرة والإسكندرية بل انتشرت أيضاً فى عواصم المديريات وكانت معظم تلك المطابع حجرية .

الفصل الثالث

تدهور يتلوه تقدم

١٨٤١ — ١٨٨٢

أولا : المطابع الرسمية

انهارت أحلام محمد على بعد معاهدة لندن . وكان لهذا الانهيار أثره فى مقومات الحضارة المصرية الحديثة ، بما فى ذلك المطابع التى أنشئت بين سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٤٠ . وقد زار يتس[١] القاهرة فى سنة ١٨٤٢ ويستنتج من وصفه لمطبعة بولاق أنها كانت تمر بفترة من الركود .

وقد أعيد إصلاح المطبعة وتوسيعها فى سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) ، كما جاء فى بيان المصروفات التى قام بها ديوان المدارس فى شهر ربيع الآخر[٢] . إلا أن هذه الإصلاحات كانت طفيفة جداً وكانت أقل بكثير من تلك التى شاهدتها المطبعة بعد إصدار الوقائع المصرية .

وقد انخفض أيضاً عدد العمال فأصبح مائة وتسعة وستين ، بما فى ذلك « السعاة والسقايين والخدم[٣] » . ويبدو أنه وصل إلى حوالى المائتين فى أوج حكم محمد على للبلاد .

وعلى الرغم من الفتور الذى أصاب مطبعة بولاق فإنها كانت أفضل نسبيًّا من مطبعة الآستانة من حيث عدد الكتب التى كانت تطبع فى كل منهما[٤] . إلا أن تكاليف الطبع كانت باهظة . واقتصرت أعمال المطبعة على طبع بعض الكتب المدرسية والدفاتر والسجلات الخاصة بمختلف دواوين الحكومة وإداراتها .

---

(١) Yates (W.H.) : The Modern history and condition of Egypt Vol. II p. 361 London 1843.

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٦٤ فى يوم الاثنين خامس عشر جمادى الأولى سنة ١٢٦٣ .

(٣) محفوظات القلعة ١٣٦٢٢ — ٢٥ عين ٢٧ — سنة ١٢٦٤ هـ .

(٤) A. Peron : Lettres sur les écoles et l'imprimerie du pacha d'Egypte, Journal Asiatique 4e. sèrie, Tome II, p. 5-53 Paris 1843.

وكانت مصر قبل معاهدة لندن ، ترسل كتبها المطبوعة إلى تركيا لتباع هناك ، ثم انعكست الآية بعد ذلك وأصبحت الآستانة هى التى ترسل كتبها إلى مصر .

ولم يكن نظام الطبع فى المطبعة على ما يرام فى أواخر حكم محمد على ، فقد انتهى فى يناير سنة ١٨٤٥ الدكتور بيرون والشيخ التونسى من مراجعة أصول قاموس الفيروزبادى ، وشرع المسيو والماس Walmas فى الاتفاق مع المطبعة على طبعه[١]. وتمر الأيام والشهور ونصبح فى شهر يوليه ولم ينته الدكتور بيرون والمسيو والماس من الاتفاق مع المطبعة ويضطر الأخير إلى السفر إلى الإسكندرية لمقابلة الباشا بنفسه لعله يستطيع أن يحصل منه على الأمر بمباشرة الطبع . وتمر الأيام والشهور مرة أخرى ويدخل شهر أكتوبر ولا يستطيع الدكتور بيرون مع ذلك أن يحدد موعد البدء فى طبع القاموس . لقد كان الوالى قبل سنة ١٨٤٠ يهتم بكل صغيرة وكبيرة فى المطبعة فيصدر أمره بين الحين والآخر إلى ناظر المطبعة ليطلب منه أن يوافيه ببيان « الكتب الجارى طبعها وبعدد الملازم التى تنتهى يومياً والأنفار الشغالة التى تشتغل فى طبعها مبينا به العملة الشغالة بالمقاولة أو بالماهية مع بيان ماهيات المصححين لضرورة لزوم ذلك بطرفه [٢] » .

وكان الوالى يعتبر المطبعة أداة من أدوات الدعاية لحكمه ، فإن هبط مصر أحد كبار الأجانب ، بادر بدعوته إلى زيارة المطبعة وقدم له نسخة من كل الكتب التى طبعت فيها على سبيل الهدية[٣] . وفى ٢٠ ربيع الثانى سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٤م) « صدر أمر محمد على باشا إلى مدير ديوان المدارس باختيار ثلاث نسخ من كل كتاب « من الكتب النفيسة التى طبعت فى مطبعة مصر والتى سبق إرسالها إلى أوربا وتجليدها وتذهيبها وإرسالها لطرفنا وخصم الثمن على طرف الديوان لترسل بمعرفة أرتين بك مدير التجارة والأمور الخارجية لصاحب الجلالة ملك فرنسا بصفة هدية[٤] » وأهدى محمد على بعض مطبوعات بولاق « إلى صاحب الحشمة ملك

---

(١) Lettres du Dr. Perron à Mr. Jules Mohl à Paris Editées au Caire par Yacoub Artin Pacha 1911, p. 89 et sq. Lettre du 14-1-1845.

(٢) من محمد على إلى فاتح أفندى ناظر المطبعة فى ١٥ صفر سنة ١٢٥١ ، أمين سامى (باشا) ، تقويم النيل ، الجزء الثانى ، ص ٤٣٨ ، مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٨ .

(٣) Mission du Baron, de Boislecomte, p. 61, 1833.

(٤) أمين سامى (باشا) : المصدر السابق ، ص ٥٧٩ .

الروسيا » بعد أن أمر بفرزها وتجليدها وتذهيبها [١] .

وابتداء من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٤م) أصبح يُعطى للمترجم الذى قام بترجمة كتاب طبع فى بولاق « على نفقة الميرى » خمس نسخ منه . وكانت العادة المتبعة قبل ذلك أن يعطى المترجم نسخة أو نسختين إن طلب ذلك وألح فى الطلب[٢] . أما الكتب غير المترجمة فلم تكن تهدى إلا لأصحاب الحل والربط من المصريين والأجانب على شرط أن تكون قد طبعت على نفقة الدولة . وكان قناصل الدول يهتمون اهتماماً خاصا بمطبوعات بولاق . وكان الوالى يرسل إليهم ، بين الوقت والآخر ، حسب طلبهم ، كشفاً بتلك المطبوعات « من تركى وعربى وخلافه ويتوضح به الذى صار طبعه للميرى والذى لأربابه وأسعار البيع ... [٣] » كما أن الوقائع المصرية كانت تعلن عن الكتب التى تم طبعها فى بولاق سواء كان الطبع « على طرف الميرى أم على طرف الملتزمين [٤] » . وإن قلّ عدد ملتزمى طبع الكتب ، بادرت المطبعة إلى الإعلان عن خلو بعض الملازم « فمن أراد طبع كتب على ذمته بثمن هين فى مدة قليلة فعليه بالذهاب إلى نحو المطبعة المذكورة[٥] » .

وفى ١٦ محرم سنة ١٢٦٣ هـ (١٨٤٦ م) أجرى إحصاء بعدد نسخ الكتب التى قامت مطبعة بولاق بطبعها على نفقة الميرى فبلغت ٣٠٢٨٤٣ نسخة . أما نسخ الكتب التى طبعت على ذمة الملتزمين ، فقد بلغت ١٠٢٢٣١ [٦]. وكان ديوان المدارس قد طبع كشفاً بأسماء الكتب المطبوعة على حساب الميرى . ولما « كان من أقصى أمال ولى النعم أن يستفيد من الكتب والرسائل المذكورة كل راغب فيها ، وهذا الأمر لا يدرك إلا بوجود فهرست عمومى . . . » فقد طبع هذا الفهرست مشتملا على أسماء جميع الكتب المطبوعة ببولاق ، سواء كانت على ذمة الميرى أو على ذمة الملتزمين . وقد أرسلت نسخ هذا الكشف أو الفهرست « إلى كل ديوان

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الوقائع المصرية نمرة ٤ فى يوم الأربعاء المبارك سلخ شهر ربيع الآخر سنة ١٢٦١ .

(٣) محفوظات عابدين ، دفتر رقم ١٣ ج ٦ صادر الفروع بديوان المدارس ، صورة المكاتبة العربية رقم ٩٤٢ ص ٢٨٤١ بتاريخ ١٣ شعبان سنة ١٢٦١ ، من ديوان المدارس إلى مطبعة بولاق .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٦٨ فى يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ١٢٦٣ .

(٥) الوقائع المصرية نمرة ٧٢ فى يوم الاثنين ثانى عشر رجب الفرد سنة ١٢٦٣ .

(٦) الوقائع المصرية نمرة ٤٦ فى يوم الاثنين ١٦ محرم سنة ١٢٦٣ .

ومديرية صحبة نسخ الوقائع » . وتعلن الوقائع أنه « عما قريب يبلغ مجموع الكتب المطبوعة خمسمائة ألف نسخة . لزم نظم ذلك فى سلك الوقائع ليكون من جملة الأمر الشائع . . .[١] » .

إلا أن حركة الطبع ، على الرغم من تلك الدعاية القوية ، خفت عما كانت عليه قبل سنة ١٨٤٠ ، ذلك أن الوالى بدأ يهمل المؤسسات التعليمية التى أنشأها فى أوج سلطانه [٢]. وطبيعى أن يتبع هذا الإهمال انخفاض فى عدد الكتب المدرسية المطبوعة . فقد ألغيت معظم المدارس الابتدائية فى أواخر حكم محمد على[٣] . إن مطبعة بولاق كانت تتجاوب أيضاً مع حركة التقدم العمرانى والصناعى والحربى التى عمت البلاد ؛ فإذا ما فترت تلك الحركة قل اهتمام أولى الشأن بالمطبعة ، وانخفض عدد عمالها وقل إنتاجها .

وظلت مطبعة بولاق خلال حكم محمد على للبلاد المؤسسة الصناعية الوحيدة التى لم تلجأ إلى العناصر الأجنبية مطلقاً سواء كانت فنية أو إدارية . فإن نظارها جميعاً كانوا من العرب أو من الأتراك . ولا يوجد فى الوثائق الرسمية إلا اسم أجنبى واحد كان يعمل فى سبك الحروف . وقد سبقت الإشارة إليه .

ومرت المطبعة فى أواخر عهد محمد على فى فترة من الركود ظلت ملازمة لها إلى ما بعد سنة ١٨٦٣ .

وفى يوليه سنة ١٨٤٨ أصدر الباب العالى تقليداً بتولية إبراهيم باشا على مصر غير أنه توفى فى ١٠ نوفمبر من السنة نفسها فخلفه عباس باشا .

كان الوالى الجديد حاكما مستبداً رجعياً لا يؤمن بقوة الشعب ولا يعترف بحقه وكان عدو كل تقدم وإصلاح . ففى عهده أغلقت المدارس وهجرت المصانع والآلات وفكت أجزاء السفن الحربية لتعرض هى وأسلحتها للبيع واستغنى عن الموظفين الأجانب وخاصة الفرنسيين منهم .

وتأثرت مطبعة بولاق من هذا الركود والجمود الذى حل بالبلاد . فقد تسلم

---

(١) المصدر السابق .

(٢) Paul Merruau : L'Egypte Contemporaine p. 85-86, Paris 1864.

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ، ص ٣٦٥ .

عباس المطبعة وكان عدد عمالها ١٦٩[1] بما فى ذلك السعاة والسقاءون والخدم ، فأصبحوا فى آخر عهده ١٠٣ [2]. وكان جودت أفندى ناظراً للمطبعة ومحرراً للوقائع المصرية فى وقت واحد . وقد رقى فى ٢٨ شوال سنة ١٢٧٠ هـ (١٨٥٣ م) إلى رتبة القائمقام لأنه « من أهل العلم وأصحاب الاجتهاد[3] » .

ومهما قيل فى تلك المطبعة خلال حكم عباس فإنها كانت بلا شك أحسن حالا مما آلت له فى عهد سعيد . فقد تسلمها هذا الأخير من سلفه وعدد عمالها وموظفيها لا يقل عن ١٠٣ وتركها إلى صديقه وصفيه عبد الرحمن رشدى بك بعد أن هبط عدد عمالها وموظفيها إلى ٦٠ [4].

وظل التزام طبع الكتب سارياً ، بل إن بعض الكتب التى كان قد تقرر أن تقوم مطبعة بولاق بطبعها قد أعطيت لبعض أتباع الوالى أمثال « نظمى بك كاتبنا الخاص بذاتنا وأحمد زكى أفندى ومحمد رفعت أفندى الموجودين فى خدمة كتاتيبنا » . وأمر سعيد أدهم باشا محافظ المحروسة « بإعطاء الأمر بطبع وتمثيل مقدار ما يطلبون من الكتاب المذكور[5] حسب أصول الالتزام الجارى فى المطبعة على ذمتهم وفى الختام تسليمه لطرفهم[6] » .

وقد لاقت المطبعة فى أول عهد سعيد بعضاً من عنايته ، فهو يكتب فى ٤ شعبان سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥ م) إلى محافظ مصر يبلغه موافقته على رفع أجور مصححى المطبعة وضم غيرهم إليها « لأجل الإسراع فى نهو التشغيل والإلحاق عل ما يصير جمعه أولا بأول » من الكتب التسعة التى أحضرت إلى المطبعة « بواسطة رفاعة بك » . وقد رُفع فى هذه المناسبة مرتب الشيخ إبراهيم الدسوقى الباشمصحح إلى ١٠٣٧ قرشاً وعيُن مصححان آخران أحدهما بثلاثمائة قرش والثانى بمائة وخمسين ومصحح حروف بنفس المرتب . وأضيف ٢٥٠ قرشاً « علاوة على مرتبات الشيخ محمد قطة

---

(١) محفوظات القلعة ١٣٦٢٢ — ٢٥ عين ٢٧ .

(٢) محفوظات القلعة ١٣٧٧٢ عين ٣٤/٤٤ .

(٣) محفوظات عابدين ترجمة الوثيقة رقم ١١٠٩ من الدفتر رقم ٤٨٤ معية تركى نمرة ١ جديدة أصلية أمر خديوى إلى عبدى باشا مدير المدارس .

(٤) محفوظات القلعة ١٣٧٧٢ عين ٣٤/٤٤ .

(٥) مقدمة ابن خلدون .

(٦) ترجمة ص ٤١ من الدفتر السابع ، أمين سامى باشا ، تقويم النيل الجزء الثالث ، المجلد الأول ، ص ١٥٦ .

باشمصحح عربى المصلحة ورئيس فرق التصحيح بها لتكون بمماثلة مرتبات رئيس فرق التصحيح حسب لياقته[١] » .

ويسير سعيد على منوال أبيه فى إهدائه الكتب للدول الأجنبية . فيكتب فى ٢٧ شوال سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) أمرًا عاليـًا للداخلية يطلب إليها فيه أن تعطى « قونسلوس جنرال دولة النمسا » مجموعة من الكتب التركية والفارسية والعربية المطبوعة فى مطبعة بولاق « لزوم الكتبخانة الملوكية بدولة النمسا » . ويردف سعيد فى حاشية هذا الأمر أنه « من حيث أن أولئك الكتب مطلوبين إلى الكتبخانة الملوكية بدولة النمسا فاقتضت إرادتنا أن يصير إعطاهم والثمن يخصم بالأبعادية[٢] » .

ويصل إلى علم سعيد « أن الكتب المعهود أمر طبعها للمطبعة متأخرة مدة طويلة » . فيكتب إلى جودت أفندى ناظر مطبعة بولاق فى ٢٤ صفر سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) يلفت نظره إلى هذا التأخير الذى يرجع سببه إلى (سوء الترتيبات وقلة الجماعين والمصححين ، وبهذا السبب فإن أكثر الملتزمين يسترجعون كتبهم المودعة بالمطبعة ويصرفون النظر عن طبعها وتمثيلها ، وحيث إن هذا الأمر يورث الخلل لصيت وشهرة المطبعة المصرية المشهورة بصحة ودقة أمورها وجودة طبعها وحيث إنه لا يجوز الصبر بأى وجه من الوجوه على ضياع محسنات المطبعة الأصلية التى يجب أن تزيد تدريجياً بدلا من أن تنقص . . .[٣] » ويأمر سعيد ناظر المطبعة بترتيب « وانتخاب المصححين وسائر الذين يلزم استخدامهم فى المطبعة من الأشخاص الذين يلتفتون لأشغالهم بصرف النظر عن الذين يوافقون مزاجكم . . .[٤] » إن سعيد يريد من ناظر المطبعة أن يغلب مصلحة العمل على مصلحته الشخصية وأن يترك المحسوبية جانباً ولا يستخدم فى المطبعة إلا ذوى الكفاءات والخبرة ، وعليه فإنه يطلب إليه أن يبادر « بوضع قائمة الأشخاص المقتضى استخدامهم عدا الموجودين الآن » وأن يقدمها إليه ليرى رأيه فيها . ويذكر سعيد ناظر مطبعة بولاق

---

(١) صفحة ١١٥ دفتر ١٨٨٤ عربى ، أمين سامى (باشا) تقويم النيل ، الجزء الثالث المجلد الأول ص ١٥٩ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٤ دفتر ١٨٨٩ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

(٤) المصدر السابق .

بأن لديه عشرين أو ثلاثين كتاباً « مطلوب إنجازها بسرعة وعلى صحة تامة » ولما كانت أشغال المطبعة ستزيد كثيراً من الآن فصاعداً وجب على الناظر أن يبذل قصارى جهده واهتمامه بسير العمل ودقته ، وحيث إنه لا يجوز مطلقاً أن تكون المطابع الأجنبية فوق المطبعة الأميرية رواجاً وإتقاناً فبناءً عليه يجب بذل الاهتمام والجهد الزائد فى تحسين وترتيب المطبعة المذكورة ووضعها فى مقام يليق بشهرتها . . .[١] » .

وفى ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٧٧ يرد جودت بك ناظر المطبعة على أمر سعيد باشا الذي يحتوى « على بسط وإيراد تنبيهات هى من الحكمة آيات بينات » . ويقول الناظر فى رده « إن بروز المطبعة المذكورة من الآن فصاعداً بالحسن التام واكتسابها الرواج ومزيد الانتظام على الدوام ، إنما يكون بإعداد بعض الأدوات وإحضار بعض الأشخاص والتلاميذ وعلاوة مقدار جزئى من العواطف العلية على الأجور التى يتقاضاها بعض العمال وأرباب الماهيات الذين هم فى حالة اضطرار وفى ذلك الإحسان ما يرغبهم وينشطهم فى العمل . . .[٢] » ويرفق الناظر بتقريره كشفاً « مبيناً فيه بعض الملحوظات وذاكراً فيه ما يلزم من الأدوات » . ويذكر الناظر أن بعض عمال المطبعة لا يزيد أجرهم عن ١٥٠ أو ١٦٠ قرشا وأنهم يقطنون فى مصر إمبابة فهم مضطرون لأن يأتوا صباحاً إلى المطبعة ويعودوا منها مساء إلى بيوتهم . وقد أحيل تقرير على جودت هذا إلى المالية مع إفادة بتاريخ ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٢٧٧ رقم ٢٧ ، ولكن المالية حفظته ولم تجب عليه[٣] ، بعد أن كونت لجنة من ناظر المالية وناظر الخارجية وخيرى بك وناظر المطبعة الجديد نوحى أفندى . ودرست تلك اللجنة مقترحات ناظر المطبعة السابق وأدخلت عليها بعض التعديلات ثم عرضت مرة أخرى على الجناب العالى الذي « أمر بتأجيل الموضوع وإبقاء ما كان على ما كان مؤقتا[٤] » .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) محفوظات عابدين محفظة ٢٦ معية تركى ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢ ورقة ١ بتاريخ ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) محفوظات عابدين محفظة ٢٧ معية تركى ، وثيقة رقم ١٨٨ بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٢٧٧ نمرة ٣٦ أصلية من أحمد خورشيد ناظر ديوان المالية إلى المعية السنية .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلها المهيمنون على شئون المطبعة فقد اضطرت إلى التعطل سنة على وجه التقريب ، من يولية سنة ١٨٦١ إلى ١٩ أغسطس سنة ١٨٦٢ (١)، حين صدر منشور عمومى من نظارة المالية خاص بإعادة فتح مطبعة بولاق بعد تعطيلها ، ذلك أنه تبين عدم تمكن المصالح المختلفة من طبع ما يلزمها من الدفاتر والأوراق بمطابعها الخاصة وفقاً للأمر الذى صدر بإلغاء مطبعة بولاق ، وأن بعض هذه المصالح قد أرسل ما يريد طبعه إلى الخارج وأن البعض الآخر حوّل مطبوعاته إلى نظارة المالية . ولما كانت هناك كتب عسكرية فى حاجة إلى الطبع بمطبعة بولاق ، فقد وافقت المعية السنية على إعادة فتح المطبعة ، على أن تقوم بطبع أوراق الحكومة ودفاترها فقط (٢).

غير أن أمور المطبعة أخذت تسير من سيئ إلى أسوأ ، مما دعا سعيد باشا فى ١٣ ربيع الثانى سنة ١٢٧٩ الموافق ٧ أكتوبر سنة ١٨٦٢ إلى إهدائها لعبد الرحمن رشدى بك « مدير الوابورات الميرية بالبحر الأحمر ، بما فيها من الأدوات والآلات مثل طبع الحروف وملازم طبع الحجر والحروف والرصاص والأمهات والأبهات وغيره . . . » ويشترط سعيد على المهدى إليه أن يقوم بطبع ما كان يطبع فى تلك المطبعة « وما يستجد من قوانين عسكرية ودفاتر وخلافه لزوم المصالح الميرية » . أما الورق والحبر فإن ثمنهما يخصم شيئاً فشيئاً من صاحب المطبعة الجديد ، كذلك الكتاب الجارى طبعه فى المطبعة (٣).

وبعد إهداء المطبعة اضطر على جودت ناظرها إلى الاستقالة ، فقام على إدارتها إلياس مسابكى وحسين أفندى حسنى . وقد انفرد الثانى بالإشراف على المطبعة بعد أن أصيب زميله برمد حاد أفقده بصره (٤).

وكان عبد الرحمن رشدى بك قد رجا الوالى أن يسمح له بالاحتفاظ بالشيخ محمد قطة باشمصحح المطبعة وحسين حسنى أفندى وكيل أشغالها والشيخ حسن

---

(١) إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية ص ٦١ .
(٢) محفوظات القلعة ، دفتر مجموع ترتيبات ووظائف ص ٤٨٣ .
(٣) أمر عال صادر من سعيد باشا إلى نظارة المالية فى ١٣ ربيع آخر سنة ١٢٧٩ نمرة ١ ، دفاتر قيد الأوامر العلية العربى الصادرة للمالية فى سنة ١٥٧٩ التوتية سجل نمرة ١١٩٦ محفوظات القلعة
(٤) Limongelli (S.) : L'arte italiana nella stampe nazionale d'Egytto. Cairo 1911.

باشكاتبها . ووافق سعيد على الطلب وأمر أن تحتسب رواتبهم على الميرى[١].

ورأى عبد الرحمن رشدى ، بعد أن فقد إلياس مسابكى نظره أن يستعين بخبرة أنطوان موريس Mourês صاحب المطبعة الفرنسية بالإسكندرية[٢] . وقد لجأ إليه فى تجديد المطبعة وآلاتها . وألحق بالمطبعة عدد من العمال الأوربيين بعد أن أقفرت منهم فى عهد عباس باشا الأول . وبدأ النشاط يدب فى أوصال هذه المؤسسة وأخذت تسترد شهرتها التى تمتعت بها فى عهدها الأول . وسافر موريس إلى باريس حيث ابتاع على وجه السرعة كل ما يلزم المطبعة من معدات ، وخاصة المطابع الميكانيكية طراز ألوزية Alauzet ، وهى أول مطابع من نوعها دارت فى مصر . وساهم موريس أيضاً فى إعادة تنظيم المطبعة بما له من خبرة فى فنه . وبفضل الجهود التى بذلها نهضت مطبعة بولاق بعد أن ظلت فترة من الزمن فى عداد المؤسسات المضمحلة[٣].

وتولى إسماعيل حكم مصر بعد وفاة عمه سعيد . وكان أول إجراء قام به بالنسبة للمطبعة أن رخص لعبد الرحمن رشدى بنشر الوقائع المصرية ، وكان ذلك فى السابع من شهر شعبان سنة ١٢٧٩ [٤].

واستمر حسين حسنى وكيلا لإدارة المطبعة . وعرض على الوالى الجديد شراءها . وقد تمت هذه الصفقة فى ١٥ رمضان سنة ١٢٨١ الموافق ١٢ فبراير سنة ١٨٦٥ [٥]. ويقول إسماعيل فى أمره إلى ناظر الدائرة السنية إن مطبعة بولاق منذ أن أهديت إلى عبد الرحمن رشدى ، بدأت تضمحل وأنه تأسف كثيراً لهذا الأمر « وحيث إن هذا المحل من الآثار الجليلة ومنافعه وفوائده للعامة عظيمة . . . فبناء عليه اقتضت إرادتى شراء المطبعة المذكورة بكافة مشتملاتها ومهماتها وأدواتها من المير المومى إليه » . ودفع إسماعيل مبلغ عشرين ألف جنيه ثمناً للمطبعة من حساب

---

(١) أمر عال صادر من سعيد باشا إلى نظارة المالية فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٩ هـ ، رقم ٣ دفتر قيد الأوامر العلية الصادرة للمالية ، ص ١٠ سجل ١١٩٦ .

(٢) Geiss (A) : Hist. de l'impr. op. cit. T. II 1908 p. 218 (48). S. Limongelli; op. cit. p. 20.

(٣) Geiss; op. cit. p. 218 (48).

(٤) إرادة لأحمد رشيد بك ناظر المالية فى ٧ شعبان سنة ١٢٧٩ ترجمة ص ٤٠ دفتر ٥٢٥ محفوظات عابدين .

(٥) جورج جندى وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، ص ١٤٩ .

الدائرة السنية . وطلب من ناظر الدائرة أن يهتم بحسن إدارتها[١] . وكتبت حجة البيع باسم أحد أنجال إسماعيل ويدعى الأمير إبراهيم حلمى . وعرفت المطبعة فى ذلك العهد باسم « المطبعة السنية ببولاق » . وأسندت إدارتها إلى حسين حسنى وكيلها فى عهد ملكية عبد الرحمن رشدى لها . وسافر الناظر الجديد إلى أوربا حيث اشترى لها محركاً بخارياً ليدير آلاتها . وهو أول محرك بخارى يستخدم فى مطبعة مصرية[٢] . وأضيفت إليها بعد ذلك بقليل أربع آلات جديدة للطبع وثلاث أخرى جلبت بعد ذلك بعدة أشهر .

وامتاز حسين حسنى بصفتين هما : حب المال والحزم . وقد استطاع بفضلهما أن ينهض بالمطبعة نهضة مباركة ويجعلها تسترد سابق مجدها . فنشرت كتب الآداب العربية والفارسية . ولم يكتف حسين حسنى بشراء الآلات الجديدة من أوربا ، بل طاف بمطابعها الشهيرة ليأخذ من نظامها ويطبقه فى مطبعة بولاق[٣] .

وظل حسين حسنى مديراً للمطبعة طوال حكم إسماعيل وحوالى السنة من حكم توفيق .

وكان إسماعيل يهتم بطبع الكتب المفيدة . فهو يأمر ناظر الداخلية فى ٥ شوال سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) بأن يطبع خمسمائة نسخة من كتاب تاريخ مصر تأليف رفاعة رافع الطهطاوى ، لا على حساب الدائرة ، بل على ذمة الميرى[٤] .

ويصدر الوالى أمره إلى ناظر المطبعة يوصيه بشراء آلة طباعة « لطبع الرسومات والأشكال والخريطات الجوغرافيا » والبحث عن رسام من ذوى الخبرة والعلم وبعض التلاميذ للتمرن على الرسم تحت إشرافه . وقد وجد الناظر « ماكينة جديدة محضرة من باريز بطرف شخص يسمى الخواجا ونجونسو » وتقوم تلك الآلة بالطباعة بجميع الألوان ، وهى تطبع أيضاً بالحروف المتفرقة . واتفق الناظر على شراء الآلة المذكورة بخمسمائة بنتو واشترط على الخواجا المذكور أن يقيم فى المطبعة شهراً كاملا ليعلم « اثنين أو ثلاثة من أولاد العرب الطباعين الموجودين بالمطبعة » ، ويتقاضى مقابل ذلك خمسين بنتو فوق الثمن . أما ثمن الآلة فيعطى على دفعتين ،

---

(١) المصدر السابق .
(٢) محفوظات القلعة ، دفتر استحقاقات مطبعة بولاق ، الجزء الثانى سنة ١٢٨٣ رقم ٣٩٨ .
(٣) S. Limongelli; op. cit. p. 20.
(٤) أمر عال إلى الدائرة السنية فى ٢ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ ، صحيفة ١ دفتر ١٩١٩ عربى .

الأولى مائتان وخمسون وتدفع عند الاستلام والثانية مائتان وخمسون تدفع بعد تمرين العمال فى مدة الشهر المتفق عليها [١].

وقد انضم إلى المطبعة بعد أن أصبحت ملكاً للدائرة السنية ، حفار إيطالى يدعى باولينى Paolini ليشرف على طبع الطوابع الأولى للبريد المصرى . وقامت المطبعة بنشر عدد من الكتب العربية لتقديمها فى معرض باريس الذى أقيم سنة ١٨٦٧ [٢] . وكان ضمن ما عرض فى الجناح المصرى من ذلك المعرض ، بعض الكتب الفارسية والمجلة العسكرية ومجلة يعسوب الطب [٣] . ونالت مصر على مطبوعاتها التى عرضت فى ذلك المعرض الدولى الميدالية الفضية . وأرسلت مطبعة بولاق إلى باريس عدا الكتب نماذج للحروف التى كانت تستخدمها . وقد كتب الشيخ أحمد بن عبد الرحمن المحرر بالوقائع بمناسبة اشتراك مصر فى ذلك المعرض مقالا بعنوان « صورة نموذج ما رسم بخط المطبعة النفيس وأرسل من جملة ما أرسل إلى المعرض بباريس » . وبعد أن شرح كاتب المقال معنى « الإكسبوزيسيون » أى المعرض ، وعدد منافعه ، تحدث عن رسوم مطبعة مصر الخديوية « العديمة المثال فى القواعد الرسمية . . . نعم إن كانت أسرتها الأيام أسرة أوقعت فى قلب كل من يدرى حسرة ، لولا أنها لابتسام وقتنا وطالع سعود بختنا أنصفتها عناية الحضرة العزيزية . . . (الذى) أعاد إليها جمالها ، بل زاد كمالها وأهل عمالها وسهل أعمالها فجلب إليها الآلات الوابورية المتينة الصناعية البخارية الفنية فى أيسر حين عن أعمال الكثيرين مذ أناط بحسن إدارتها وحلى بحلية نظارتها حضرة . . . الأمير عزتلو حسين حسنى بيك فأدارها أحسن إدارة . . . ثم اعلم أن ما جد فى هذه المقالة وحرر من النثر فى هذه العجالة جميعه بالقاعدة النسخية الجليلة التى لم تتفق فى غيرها من المطابع الأجنبية والأهلية بخلاف رسم ما يأتى من الشعر على ما تنطق به الأبيات فهو بالقاعدة الفارسية على ثلاث درجات [٤] . . . »

---

(١) أمر عال إلى الدايرة السنية فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٢٨٣ ، صحيفة ١ دفتر ١٩١٩ عربى .

(٢) S. Limongelli; op. cit. p. 21.

(٣) Charles Edmond : L'Egypte à l'exposition universelle de 1867, p. 331, 367 370 et 371.

(٤) الوقائع المصرية نمرة ١٠ ، ٢٨ ذى الحجة سنة ١٢٨٣ الموافق ٢ مايو الإفرنجى سنة ١٨٦٧ .

ونشرت الوقائع المصرية فى عددها رقم ١٢٩ الصادر فى يوم الاثنين ١١ ربيع الآخر سنة ١٢٤٨ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٨٦٧ تقول « بلغنا أنها (أى مطبوعات بولاق) وقعت موقع الاستحسان ومدحت فيه (أى فى معرض باريس الدولى) من الجميع بكل لسان واستحقت مطبعتها شمول النظر المتتابع حيث أشرقت مطالع سعدها بين المطابع وكوفئت بعد الشهادة المحضة بنيشان مدالية من فضة . . . »

وكتب حسين حسنى ناظر المطبعة عن حروفها قائلا « إن دار الطباعة . . . حاوية لقواعد عديدة سنية وصور حروف جيدة بهية لا تكاد توجد فى مطبعة من مطابع الإسلام بل ولا فى غيرها من مطابع الأنام ، خاصة القاعدة الجديدة الدقيقة ذات الحروف الأنيقة التى كنا وفقنا لعملها من قبل بسنتين . . . والقاعدة التعليقية . . . التى كانت مستعملة من قديم الزمان . . .

« . . . كذلك نؤمل طبع الكتب البهية المدونة بالألسن الإفرنجية . . . فإنا قد حصلنا أجناس قواعد حروف اللسانين الطليانى والفرنساوى . . . بعد أن شاهدناها فى المعرض النفيس الواقع بمدينة باريس . وقد تيسر لنا . . . طبع معجم بقطر باللغة الفرنسية . . . » . وهو أول كتاب طبع بالحروف الأوربية بعد القاموس العربى الإيطالى الذى طبع فى العهد الأول للمطبعة . وقد اشتريت الحروف الأوربية الجديدة من باريس سنة ١٨٦٧ .

ويستطرد ناظر المطبعة قائلا « ثم إن دار الطباعة . . . حرية بأن تتباهى بصحة مطبوعاتها ونظافة مصنوعاتها على جميع المطابع . . . فقد تكاملت محاسنها بتبديل أدواتها القديمة بأدوات جيدة قويمة . . . »

ويذكر حسين حسنى أنواع قواعد حروف المطبعة من نسخية على خمس درجات وفارسية على ثلاث ومغربية ، إلى قواعد رسوم اللغات الأجنبية وهى أربع [١] .

وفى سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٤ م) تم طبع ثانى كتاب باللغة الإيطالية بمطبعة بولاق ، واسم الكتاب « النخبة الترجمانية فى اللغة التليانية » . وطبع من هذا الكتاب ثمانمائة نسخة « من أجل تعليم الجاويشية البلدية أبناء العرب وتمرينهم على تلك

(١) حسين حسنى بك : أنموذج فى مصنوعات المطبعة الأميرية ، بولاق ، بدون تاريخ ص ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

اللغة بالنسبة لاختلاطهم مع الأجانب بمصر وإسكندرية ومحافظات القنال والسويس وبور سعيد » . وقد تكلف طبع هذا الكتاب ثمانمائة وثمانين قرشا[١] .

وعلى الرغم من ألوان الدعاية التى كانت تقوم بها الدائرة السنية وناظر المطبعة فى الوقائع وفى غيرها عن تقدم المطبعة الفنى وتفوقها على غيرها من مطابع ذلك العهد، فقد كتب رياض باشا إلى المعية السنية فى ٢٣ محرم سنة ١٢٩٢ (١٨٧٤م)[٢] يشكو لها مر الشكوى من رداءة طبع الوقائع ويرى أن المطبعة مقصرة « مع أن أجرة طبع هذه الجريدة عالية وفيها زيادة » ويطلب أخيراً من ناظر الدائرة السنية أن ينبه على حسين حسنى بك ناظر المطبعة بالعناية فى طبع الوقائع وإلا اضطر إلى رفع الأمر إلى الخديو شخصياً .

وظل حسين حسنى ناظراً لمطبعة بولاق من ٧ فبراير سنة ١٨٦٥ إلى ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٨٠ ، حين تولى نظارتها للمرة الثانية على جودت إلى ١٦ أكتوبر سنة ١٨٨٢[٣] . ويقول ليمونجللى إن المطبعة ساءت حالتها تحت الإدارة الجديدة وانطفأت شعلة الفن فيها[٤] . إلا أنه مهما قيل عن تلك الحقبة من حياة المطبعة ، فإنها بلاشك كانت أحسن حالا من الفترات التى سبقتها . فقد أكملت خلالها حروف المطبعة الناقصة كالهمزات التى ظهرت ابتداء من عدد الوقائع الصادر فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٥[٥] . وقد اشترى لها محرك بخارى يدير آلاتها . وجلبت لها آلة تطبع بالألوان وآلات أخرى حديثة وحروف جديدة مختلفة الأحجام . ولأول مرة تطبع فيها طوابع البريد المصرية والكتب الإفرنجية من فرنسية وإيطالية ، وكان ذلك فى سنة ١٨٧٤ .

وتأثرت المطبعة بطبيعة الحال بالأزمة المالية التى تفشت فى أواخر حكم إسماعيل . وفى ٢٠ يونيه سنة ١٨٨٠ انتقلت ملكيتها من الدائرة السنية إلى الحكومة المصرية .

---

(١) أمر كريم للمالية فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٩٢ صفحة ٦١ دفتر عربى بدون نمرة .

(٢) محفوظات عابدين من رياض باشا إلى المعية السنية محفظة ٥٢ معية تركى ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٠ بتاريخ ٢٣ محرم سنة ١٢٩٢ .

(٣) راجع دفتر استحقاقات مطبعة بولاق من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٩٦ بدار المحفوظات المصرية بالقلعة .

(٤) S. Limongelli; op. cit., p. 21.

(٥) إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية ، بولاق سنة ١٩٤٢ ، ص ١٥ .

فبدأ الجميع يعملون على إنهاضها من كبوتها بما أوتوا من علم وفن . وبدأت المطبعة تنشر على العالم العربى المؤلفات الأدبية المختلفة . وكانت حروفها العربية والفارسية غاية فى الجمال والدقة ، ولكنها كانت مبعثرة هنا وهناك دون نظام حتى إن عمالها عجزوا عن إعادة تنظيمها . كذلك كان الحال بالنسبة للآلات ، فقد أهملت إهمالا يكاد يكون تاما .

وكان العمل يجرى فى مختلف الأقسام بعيداً عن قواعد الفن ، وكانت الأدوات الصغيرة ناقصة . وفكر أولو الأمر أول ما فكروا فى إعادة تنظيم هذه المؤسسة المهملة لكى تتمكن من أن تسير وفق القواعد الفنية الجديدة . ولكن قلة خبرة على جودت بك الذى عين مديراً للمطبعة خلفاً لحسين حسنى مضافاً إليها نفوره من كل ما هو أوربى وعداؤه للتقدم ، كان العقبة الكؤود فى سبيل كل إصلاح . غير أن التيار كان جارفاً . واضطر على جودت إلى الرضوخ . فقبل بصدر رحب كل تجديد يقترح عليه .

تلك كانت حال المطبعة قبيل الاحتلال الإنجليزى للبلاد . فقد تركها إسماعيل بعد خلعه وهى فى دور الاحتضار من جراء الأزمة المالية التى نزلت بالبلاد . فلما تولى توفيق الحكم رأت اللجان المالية أن تعيد المطبعة إلى الحكومة المصرية لتتولى أمرها وتنتشلها من الوهدة التى أرداها فيها سوء حكم البلاد .

وتقوم الثورة العرابية منادية بحق المصريين فى حكم بلادهم ويقف توفيق فى وجه تلك الثورة الوطنية تسانده الدول الأجنبية وعلى رأسها بريطانيا وتتغلب القوة الغاشمة على الحق وتفجع الوطنية المصرية بالخونة من بعض أبناء البلاد وتحتل القوات البريطانية مصر وتختفى حركة المقاومة الشعبية إلى حين .

* * *

أما المطابع الرسمية الأخرى التى أنشئت قبل سنة ١٨٤٠ فقد أغلق معظمها بعد ذلك التاريخ . وعاشت مطبعة القلعة حتى سنة ١٨٤٦[١] . ويعود سبب إغلاقها إلى تلف معداتها وعدم اهتمام الحكومة بإصلاحها . إلا أن هناك كتاباً مطبوعاً فى

---

(١) أبو الفتوح أحمد رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ فن الطباعة ، رسالة ماجستير ص ٢٢٢ .

٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) وعنوانه « جامع المبادئ والغايات فى المساحة » تأليف محمود أفندى فهمى . إن هذا المطبوع الذى ظهر بعد إغلاق المطبعة باثنتى عشرة سنة ، يجعلنا نعتقد أنها عادت إلى استئناف نشاطها بعض الوقت خلال حكم سعيد . كذلك كان حال مطبعة المهندسخانة ، فقد ظلت تعمل طوال حكم محمد على . وعلى الرغم من ميل عباس باشا إلى إغلاق المدارس التى تأسست فى عهد جده ، فقد ظلت مدرسة الهندسة مفتوحة ، وكذلك مطبعتها وعين على باشا مبارك ناظرًا عليها فى أواخر سنة ١٢٦٦ هـ[١] (١٨٤٩ م) فجدد آلاتها . ولكنها تعطلت بعض الوقت حين باع سعيد باشا مدرسة الهندسة[٢] .

ونشطت حركة التعليم فى مصر فى أوائل عهد إسماعيل . فأصبحت الحاجة ملحة إلى طبع الكتب المدرسية ، فقرّ رأى على باشا مبارك ، وكان ناظرًا لديوان المدارس ، على إنشاء مطبعة لهذا الغرض فى سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) . ويؤرخ لها فيقول « . . . لأجل تسهيل التعليم على المعلمين والمتعلمين وصون ما تعلموه عن الذهاب جعل بالمدارس مطبعة حروف ومطبعة حجر لطبع كل ما يلزم من الكتب وأمشق الخط والرسم وغير ذلك[٣] » .

وطبعت هذه المطبعة فى عهد إسماعيل عددًا كبيرًا من الكتب المدرسية . وتولى نظارتها على فهمى نجل رفاعة بك رافع الطهطاوي[٤] . وطبعت فيها مجلة روضة المدارس ، بعد أن كانت تطبع فى مطبعة وادى النيل .

ويبدو أن مطبعة ديوان المدارس لم تكن أول مطبعة من نوعها فى عهد إسماعيل ، فهناك كتاب مطبوع فى سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤ م) اسمه « رسالة أخلاق » كتب عليه أنه مطبوع فى المطبعة الميرية بمدرسة المبتديان . وأكبر الظن أنها ضمت فى سنة ١٢٨٥ هـ إلى مطبعة ديوان المدارس بالحماميز .

وأنشئ بالقلعة سنة ١٨٧٢[٥] مطبعة أركان حرب الجهادية ووضعت بمكان

(١) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ، الجزء التاسع ، ص ٤٥ الطبعة الأولى ، بولاق سنة ١٣٠٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٤) يوسف اليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمصرية ، الجزء الثامن ، ص ١٣٦٥ .

(٥) A. Geiss : Hist. de l'impr. en Egypte-Suite-époque contemporaine, p. 26.

ضيق ، ثم أرسل الجنرال ستون باشا رئيس أركان حرب الجيش فى طلب أوغست برنشتين من الولايات المتحدة ليديرها . ولبى أوغست الدعوة وحضر إلى مصر . وكانت المطبعة آنذاك بالقسم الثانى من مكتبة أركان الحرب ، ولم يكن فيها إلا بضعة صناديق حروف إفرنجية منظمة وفق النظام الأمريكى وصناديق للحروف العربية وطابعة قديمة وطابعتان حجريتان بدائيتان . ولكن بعد بضعة أشهر من تأسيس المطبعة ، أرسلت من أمريكا طابعة تدار بالقدم وآلة حديثة للقص وآلة طبع عادية وطابعة حجرية ومجموعة من الحروف الجديدة . كما اشتريت طابعة طراز مارينونى وطابعتان عاديتان وطابعة حجرية من محلات بناسون بالإسكندرية . وفى الوقت نفسه جلبت للمطبعة آلة لتذهيب الكتب وبعض المعدات المصنوعة بالقاهرة .

وهكذا اتسعت المطبعة ما أمكن لها الاتساع . وقسمت إلى ورشة للجمع الإفرنجى برئاسة هنرى برنشتين الأمريكى وورشة للجمع العربى برئاسة حسن أفندى أبو زيد وورشة الطبع بالحروف برئاسة تشارلس جرسدورف الأمريكى وورشة الطبع بالحجر برئاسة لويجى هورن الإيطالى . وكان فى المطبعة خطاط وفنان فرنسى يدعى هنرى رافون ومجلد إيطالى اسمه سيرافينو ليمونجللى .

غير أن المطبعة على الرغم من تلك الإصلاحات التى أجريت فيها ، لم تكن بالمطبعة الكاملة المعدات المزودة بالعمال الأكفاء . فقد كان من الصعب فى ذلك الحين إيجاد طابعين ماهرين ، واضطر رؤساء الورش أن يعملوا بأيديهم تفادياً لهذا النقص إلى أن استقر الرأى آخر الأمر على تشغيل الجنود فى المطبعة بعد تدريبهم على هذا الفن . فأصبحوا عمالا فنيين يمكن الاعتماد عليهم فى طباعة الحروف والحجر [١] .

ولكن ما لبثت المطبعة أن شعرت بالحاجة إلى عمال فنيين . فألحقت لهذا الغرض عاملا إيطاليا يدعى بلاشيدو سايا ، وكان يعمل بالإسكندرية فى مطبعة بناسون ، وميكيلى دى باولى لبراعته فى سباك الحروف وفى فن الحفر والطلاء . وإلى ذلك الرجل يعود فضل إدخال هذه الفنون الثلاثة إلى مطبعة أركان حرب .

---

(١) S. Limongelli : op. cit., p. 2, 3 et 4.

وفى سنة ١٨٧٥ تولى إدارة المطبعة إيطالى يدعى مارزينى [١]. وقد بلغت فى عهده أوجها وطبعت بناء على أمر الخديو إسماعيل كتاباً باللغتين الفرنسية والعربية عن طريقة زراعة قصب السكر فى جزيرة جاوا . وجلدت النسختان اللتان أهديتا له بالساتان .

وفى ذلك العهد قام الجيش المصرى بفتح الحبشة وتوغل فى منابع النيل وتوجه إلى كردفان ودارفور وبحر الغزال ومناطق البحيرات . وكان على رأس تلك الحملات كبار ضباط هيئة أركان الحرب؛ فلما عادوا من المهمة التى أوكلت إليهم عكفوا على كتابة مذكراتهم وقامت بطبعها مطبعة أركان الحرب .

ولم يكن عمل المطبعة مقصوراً على طبع الكتب ، بل تعداه إلى طبع الخرائط المختلفة مثل خريطة بحيرة ألبرت نيانزا . كما طبعت كتباً خاصة بفرق المشاة والفرسان . وحوت تلك الكتب بعض الرسوم ونوتات الموسيقى العسكرية . وقامت المطبعة بتجليد تلك الكتب تجليداً فاخراً وتقدم نسخ منها إلى الخديو .

ويذكر البارون هنرى هانلى شيئاً عن المطبعة فى كتابه « مذكرات عن مصر وتونس » فيقول : « إن هذه النظارة (نظارة الحربية) مزودة بمطبعة حروف ومطبعة حجر كاملتى العدة . وفيها حروف إفرنجية وعربية وورش لصب الفورم والتجليد . وقد شاهدت بعض المطبوعات التى أخرجتها تلك المطبعة فألفيتها لا تقل دقة عن المطبوعات الأوربية . ورأيت نموذجاً مطبوعاً بسبعة ألوان [٢] »

وبدأت الأزمة المالية سنة ١٨٧٦ ، فشملت ضمن ما شملت مطبعة أركان حرب الجهادية التى امتنعت عن دفع مرتبات الموظفين وأجور العمال سنتين كاملتين مما أدى إلى تثبيط الهمم وتسرب الضيق والقلق إلى نفوس العاملين فيها ، فقدم بعض رؤساء الأقسام والعمال استقالاتهم . وكان على رأس المستقيلين مدير المطبعة نفسه بورنشتين .

وصدر أمر إلى الكولونيل مورى بك بأن يسافر إلى الآستانة على رأس كتيبة من الجيش ليشترك فى الحرب التركية الروسية التى نشبت فى سنة ١٨٧٧ . وفقدت

---

(١) A. Geiss : op. cit., p. 26.

(٢) Henry Hanly : Notes sur l'Egypte et la Tunisie, p. 18.

المطبعة عنصراً هاماً برحيل هذا الضابط . وما لبث أن قدمت مصر لجنة تحقيق عملت على إعادة تنظيم مالية البلاد . فعادت مطبعة أركان الحرب إلى نشاطها المعهود . وتولى إدارتها العامة عمر بك رشدى . أما مارزيني فكان رئيساً للمطبعة . وبدأت المؤلفات الهامة ترد لها من كل حدب وصوب ، ومنها الدراسة الإحصائية التي وضعها الإيطالي أميشي بك . وتم طبع أول ميزانية للحكومة المصرية فيها .

ومما يجدر ذكره أن الموسيقى الإيطالي الشهير فردي ، كان قد لحن لمسرح الأوبرا الخديوية أوبرا عايدة . وجاء مصر خصيصاً نخبة من أشهر مغني الأوبرا الإيطالية لتقديم تلك السرحية الغنائية في القاهرة . وانتهز المصور الكاريكاتوري فينشنزو فالنته الفرصة وقام بتصوير هؤلاء الممثلين ثم جمع تلك الرسوم في كتاب أطلق عليه اسم « الحيوانات التي تصدح على مسرح الأوبرا » . وقامت مطبعة أركان حرب الجهادية بطبع هذا الكتيب بالألوان على مطبعة الحجر وبموافقة الجنرال ستون . وحفر الفنان مارزيني الرسوم على الحجر ووزع ألوانها حتى غدت وكأنها نسخة طبق الأصل . وكان هذا الكتيب خير دعاية للمطبعة وللقائمين على شئونها .

ولما توفي مارزيني في سنة ١٨٨٠ حل محله في رئاسة المطبعة أنطوان موريس[١] الذي استدعى من الإسكندرية . واقترح الرئيس الجديد شراء حروف جديدة للمطبعة وطابعتين فوافق ستون على الاقتراح .

وعندما قرر أولو الأمر إلغاء مطبعة أركان الحرب في يونيه سنة ١٨٧٨ تمكن الجنرال ستون من أن يستصدر أمراً بالإبقاء عليها لتطبع جانباً من أشغال النظارات والمصالح . ولما تم إعادة تنظيم المطبعة لاحظ أصحاب الشأن أن مقرها بعيد عن الوزارات فقر الرأى على نقلها من القلعة إلى جناح من البناء الذى كانت تحتله نظارة الحربية ، بعد إعداده إعداداً تاما . وركبت فيه الآلات التي جلبها موريس بنفسه . وبدأت الأشغال ترد إلى المطبعة في مقرها الجديد من مختلف النظارات والمصالح . وعين المدير الجديد عدداً كبيراً من العمال الفرنسيين والإيطاليين المتخصصين في الفن المطبعي .

---

(١) A. Geiss : op. cit., p. 26.

ولكن بعد مضى سنتين على نقل المطبعة اتضح لستون باشا أنها لن تستطيع أن تعيش على إيراداتها الخاصة ، فرأى حرصًا على مصلحة موظفيها وعمالها وتأمينا لمستقبلهم أن يقترح ضمها إلى مطبعة بولاق[١] وقد ضمت بالفعل ابتداءً من ١٠ مايو سنة ١٨٨١[٢]

وفى ١٦ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (١٠ سبتمبر سنة ١٨٨١ م) وزع المنشور الآتى على مختلف المصالح : « مطبعة أركان حرب سبق إحالتها على المطبعة الميرية وصار الاثنان مصلحة واحدة ، وحيث بهذا يلزم أن كامل المشغولات والمطبوعات التى كان معتادًا طلبها من مطبعة أركان حرب تطلب من المطبعة الميرية ويكتب عنها مباشرة لحضرة ناظرها بنمرتها فى تاريخه نشر للجهات عمومًا وهذا لحضرتكم لمعلوميته وإجراء بمقتضاه[٣] » .

وقامت المطبعة بطبع جريدة أركان حرب الجيش بعد أن طبعت فترة من الزمن فى مطبعة وادى النيل [٤] .

ولم تكن مطبعة أركان حرب المطبعة الرسمية العسكرية الوحيدة خلال حكم إسماعيل، بل كانت هناك مطبعة أخرى تسمى مطبعة المدارس الحربية لا يُعرف عنها أكثر من أنها طبعت فى سنة ١٢٩١ هـ كتاب الأزهار الرياضية فى الأعمال الطبوغرافية تعريب عبد الرحمن على (طبع حجر) . وطبعت فى سنة ١٢٩٩هـ القانون المالى المصرى وقانون المدارس الحربية . وأكبر الظن أنها ضمت هى الأخرى إلى مطبعة بولاق بعد أن أعيدت إلى الحكومة المصرية .

وفى ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ أمر ناظر الداخلية بإنشاء مطبعة الداخلية الجليلة لتقوم بطبع الوقائع المصرية . وتزودت بالآلات والمعدات من مطبعة بولاق . وقد نفذ أمر الناظر فى ٤ أكتوبر سنة ١٨٨٠[٥] . وطبعت فيها الوقائع ابتداء من العدد ٩٣٣

---

(١) S. Limongelli : op. cit., p. 10.

(٢) أمر من دولتلو ناظر المالية لمطبعة بولاق رقم ١٠ مايو سنة ١٨٨١ نمرة ١٨٢ إدارة . دفتر استحقاقات مطبعة بولاق لسنة ١٨٨١ جزء أول ص ٦٧ ؛ دفتر ٨٥٢ عين ٣١ ، مخزن المعاشات بالقلعة .

(٣) منشورات صادرة من ابتداء سنة ١٨٨١ إفرنكية ص ٣٥٩ بولاق سنة ١٣٠٢ هـ .

(٤) إبراهيم عبده : تطور الصحافة المصرية ص ٦٠ ، (الأمير) عمر طوسون : البعثات العلمية ص ٤٩٨ .

(٥) أبو الفتوح أحمد رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ص ٢٢٧ .

الصادر فى ٩ أكتوبر سنة ١٨٨٠، . ثم عادت الوقائع إلى الصدور من مطبعة بولاق ابتداء من أول يوليه سنة ١٨٨٤ .

ومن مطبوعاتها فى عهدها الأول « تجارة مصر الخارجية من سنة ١٨٧٩ إلى سنة ١٨٨١ » وقد طبعت على الحجر . كما طبعت مجلة « المنتخب » ابتداء من عددها الثانى ، أى من شهر يوليو سنة ١٨٨١ .

ثانياً : مطابع الأجانب

استأنفت المطبعة الأوربية بالإسكندرية نشاطها بعد وفاة صاحبها بداء الكوليرا سنة ١٨٣٠ . فقد طبعت فى سنة ١٨٤٥ للجمعية المصرية قائمة مكتبتها باللغة الإنجليزية ، كما طبعت كتباً أخري يوجد بعضها فى دار الكتب المصرية . ويبدو أن تلك المطبعة كانت الوحيدة من نوعها بالإسكندرية إذ لم يكن هناك ما يدعو إلى إنشاء غيرها . ولم يعرف كيف انتهت مطبعة الإسكندرية الأوربية ولا متى انتهت ، وإن كان يغلب على الظن أنها اختفت بظهور غيرها من المطابع الإفرنجية فى الثغر .

أما القاهرة ، فقد عرفت أول مطبعة إفرنجية فى سنة ١٨٤٢ وهى مطبعة إمبلونى Imbelloni [١] . وفى وثائق عابدين ما يؤيد وجود تلك المطبعة فى حوالى ذلك التاريخ . وكانت الحكومة تطبع فيها الكتب الفرنسية الخاصة بتلاميذ مدرسة الألسن والمدارس الخصوصية الأخرى[٢] . ولا يعرف عن تلك المطبعة أكثر من ذلك . ومن المرجح أنها أغلقت فى أواخر عهد محمد على أو فى عهد عباس الأول .

وكان بالقاهرة فى سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٤ م) مطبعة كاستللى . وقد طبعت

---

(١) Le Bosphore Egyptien, lundi 20 décembre 1886, No. 1527, Neuvième Année.

(٢) محفوظات عابدين ، دفتر ٤٨ مدارس عربى ، ص ٢٩٢٩ رقم ١٤٢ إلى المعية الخديوية فى ٧ جمادى ثان سنة ١٢٦٣ .

كتباً باللغة العربية نذكر منها « الخطب السنية للجمع الحسينية » للشيخ مصطفى البولاقى [١] .

وكان يوجد بالإسكندرية سنة ١٨٥٣ طابع إيطالى اسمه أوتولنجى Ottolenghi لا يعرف عنه شيء يذكر .

وأول مطبعة كبيرة أنشئت بالإسكندرية هى مطبعة فانسان بناسون Vincent Penasson . وهو طابع من جزيرة كورفو فرنسى الأصل إيطالى الجنسية . وأخذت مطبعته منذ تأسيسها فى سنة ١٨٥٧ تتقدم بخطى واسعة . وبعد موته انتقلت ملكيتها إلى ابن شقيقته أنطوان هورن .

وفى حوالى سنة ١٨٦٠ أسس أنطوان موريس بالإسكندرية مطبعة جلب لها طابعة أوتوماتيكية طراز ألوزيه وهى أول طابعة من نوعها عرفتها مصر . وأطلق موريس على مؤسسته اسم « المطبعة الفرنسية بالإسكندرية » .

واشترك موريس بعد ذلك مع زميلين له اسم الأول رى Ry واسم الآخر رافيولو Raviolo وعرفت المطبعة باسم موريس ورى وشركائهما ثم باسم أنطوان موريس وشركائه بعد أن سافر رى . وسميت آخر الأمر بالمطبعة الفرنسية أنطوان موريس بعد وفاة رافيولو .

ولما أهدى سعيد باشا عبد الرحمن رشدى باك مطبعة بولاق ، قرر صاحب المطبعة الجديد أن يقوم بإصلاحها ، فأرسل فى طلب أنطوان موريس وعرض عليه عقداً لمدة خمس سنوات وبعد أخذ ورد اتفق الطرفان على أن يقوم موريس بإعادة تنظيم المطبعة ويتقاضى فى مقابل ذلك ولمدة سنتين مرتباً شهرياً قدره أربعة آلاف قرش وثلاثون فى المائة من الأرباح .

ترك موريس شريكه رى على رأس المطبعة الفرنسية بالإسكندرية وتفرغ لتنظيم مطبعة بولاق . ثم سافر إلى باريس حيث ابتاع مطابع آلية ماركة ألوزيه . وهى آلات شهد لها الجميع فى ذلك الحين بحسن أدائها ومتانة صنعها . ولما باع عبد الرحمن رشدى مطبعة بولاق إلى الدائرة السنية أعطى موريس نصيبه من الثمن فناله خمسة آلاف جنيه .

---

(١) يوسف اليان سركيس : المصدر السابق ، الجزء الرابع ص ٦٠٧ .

عاد موريس إلى الإسكندرية سنة ١٨٦٣ وبدأ يعمل على توسيع مطبعته بعد أن ضم إلى رأس المال المبلغ الذى ناله من بيع مطبعة بولاق . وازداد الضغط على مطبعة موريس وانهالت الطلبات عليها من شركة قناة السويس . واضطر موريس أن يقوم بتوسيعها مرة أخرى وجلب لها أحسن المعدات . واشتركت المطبعة الفرنسية فى معرض باريس الذى أقيم فى سنة ١٨٦٧ فنالت مطبوعاتها المعروضة الميدالية الفضية أسوة بمطبعة بولاق .

وكان موريس يقوم إلى جانب أعماله الكثيرة بطبع بعض مطبوعات الحكومة . فقد طبع جانباً من مؤلفات ماربيت[١] . كما طبع صحيفة « إيجبت » الفرنسية مدة خمس سنوات اعتباراً من شهر مارس سنة ١٨٧٤ . وكان يتقاضى فى مقابل ذلك ستين ألف فرنك سنوياً[٢] . وطبعت مطبعة موريس فهرست دار الآثار المصرية وتقاضت عنه « أربعة وعشرين ألفاً وخمسمائة وخمسة وثمانين غرشا[٣] » ومختصر تاريخ مصر باللغة الفرنسية[٤] . كما طبعت بعض المطبوعات لنظارة الحقانية[٥] . وكان أنطون موريس يقوم بطبع المونيتور إجبسيان لحساب الحكومة المصرية[٦] .

وفى سنة ١٨٧٥ أسس موريس المطبعة الفرنسية ببور سعيد وسلم إدارتها إلى سرير Serrière الذى أصبح فيما بعد صاحب المطبعة .

وتأثر موريس بالأزمة المالية الشديدة التى كانت تعانيها الحكومة المصرية ؛ فاضطر إلى قبول إدارة مطبعة أركان حرب الجهادية وترك مطبعته بالإسكندرية لأحد مستخدميه . ولما ضمت مطبعة أركان حرب إلى مطبعة بولاق أصبح موريس مديرها الفنى .

وعرفت مصر المطابع الحجرية متأخرة بعض الشىء بفضل المطابع التى ألحقتها الحكومة المصرية بمدارسها العسكرية وغير العسكرية . أما مطابع الأجانب فقد

---

(١) محفوظات عابدين ، أمر كريم للمالية فى ١٦ شوال سنة ١٢٨٩ .
(٢) أمين سامى (باشا) . تقويم النيل ، الجزء الثالث ، المجلد الثالث ، ص ١٤٤٧ و ص ١٤٤٨ .
(٣) المصدر السابق ص ١١٥٦ .
(٤) المصدر السابق ص ١١٦٩ .
(٥) المصدر السابق ص ١٢٣٥ .
(٦) المصدر السابق ص ١٣٥٠ .

عرفتها فى سنة ١٨٦٧ حين أسس بناسون بالإسكندرية أول مطبعة حجرية فنية أجنبية . واستقدم بناسون الخبراء والفنيين من أوربا . وتمكن بعد قليل من إخراج أشغال غاية فى الدقة والإتقان مما حدا بالحكومة المصرية أن تطلب إليه فى سنة ١٨٦٧ طبع المجموعة الثانية من طوابع بريدها . وقام الفنان « هوف » بعمل الرسم . وكان عبارة عن شكل بيضوى رسم فيه أبو الهول والهرم الأكبر . وصدر فى تلك السنة أمر بمنح تلك المطبعة امتياز طبع طوابع بريد الحكومة . وكان عدد طوابع هذه المجموعة سبعة .

وعرفت المطبعة بعد ذلك باسم المطبعة الخديوية وقام على إدارتها أنطون هورن بعد أن انتقلت إلى شارع الكلوب الإنجليزى .

وبعد موت مؤسس المطبعة حل ابن أخيه محله ، غير أن الأشغال بدأت تقل شيئاً فشيئاً واضطرت المطبعة آخر الأمر إلى إغلاق أبوابها[١] .

ومن المطابع الأجنبية الشهيرة المطبعة الفرنسية لصاحبيها دالبوس وديموريه Dalbos-Demouret . وكانت فى أول أمرها بشارع أوتيل أوريك حيث قامت بطبع تقرير شركة مياه القاهرة فى سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٧١ . وانتقلت بعد ذلك إلى شارع البوسطة القديمة ثم إلى شارع المحكمة . وفى سنة ١٨٨٠ دخل جابلان شريكاً ثالثاً وأصبحت المطبعة تعرف باسم « المطبعة الفرنسية ليون جابلان وشركاه Typographie Française Leon Jablin & Cie.

وفى الإسكندرية تأسست المطبعة الأمريكانية لطبع الكتب الدينية حسب المذهب البروتستانتى . وكانت حروفها هى حروف المطبعة الأميركانية ببيروت .

وفى القاهرة قام أندريه كاستاليولا فى سنة ١٨٧٠ بتأسيس مطبعة زودها بأحدث أدوات الطباعة. وامتازت بطبع إعلانات الحائط الملونة والمطبوعات التجارية. وعمل الشيخ على يوسف فى تلك المطبعة قبل أن يؤسس جريدة المؤيد[٢] .

وعرفت القاهرة المطابع الحجرية الفنية الأجنبية بعد الإسكندرية بوقت طويل .

---

(١) Histoire de la lithogaphie en Egypte; Revue l'art graphique en Egypte, p. 34. et p. 35, Févrirer 1933.

(٢) Munier : La presse en Egypte, Le Caire 1930, p. 28.

وأول من أنشأ مطبعة من هذا النوع هو دى لاروكا سنة ١٨٧٧ . وتلاه بعد ذلك بقليل كاستاليولا فقد أضاف إلى مطبعة الحروف التى أنشأها قسماً للطباعة الحجرية .

وفى سنة ١٨٨١ أسس فرنان موريس بن أنطوان موريس مطبعة بالقاهرة اختار لها مقراً فى حى الأزبكية واشترك أخوه معه فى تأسيسها وأطلقا عليها اسم « المطبعة الفرنسية لصاحبها فرنان موريس وشركاه » . وعلى الرغم من النجاح العظيم الذى لاقته المطبعة فى أول عهدها فقد اضطرت إلى التوقف عن العمل خلال الثورة العرابية .

إن مطابع الأجانب فى تلك الحقبة من تاريخ الطباعة فى مصر كانت فى تقدم مستمر نظراً لكثرة الأجانب وازدياد عدد الشركات والبيوت التجارية والملاهى وما إليها من الدور التى كانت فى حاجة إلى مطبوعات مختلفة الأنواع . ولما اشتعلت الثورة العرابية انكمش الأجانب فى مصر وخاصة بالقاهرة حيث أغلقت بعض المطابع الأجنبية أبوابها .

ثالثاً : مطابع المصريين

انتشرت مطابع المصريين خلال حكم سعيد للبلاد . وطبع فى ذلك العهد كتاب « سفينة الملك » تأليف الشيخ شهاب الدين مصحح العلوم وشاعر محمد على . ويقع هذا الكتاب فى ٤٩٦ صفحة مطبوعة على الحجر . وذكر فى آخر الكتاب « كان تمام طبعها فى المطبعة الحجرية بمصر المحمية مصححة على تصحيح مؤلفها فى غرة جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف » أى فى سنة ١٨٥٦ .

وإن صدق تقدير مدير شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده فى مصر ، فإن مطبعته التى كانت تعرف باسم المطبعة الميمنية ، نسبة إلى اسم أحد شركاء مؤسسها ، تكون قد تأسست فى سنة ١٨٥٦ . وتولى إدارة المطبعة فى نشأتها الأولى أحمد البابى الحلبى .

وأخذت أمهات حروف تلك المطبعة من أمهات حروف المطبعة الأميرية ببولاق .

وفى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٥٨ م) قرر المجلس المخصوص الترخيص لملاطيه لى محمود محمد كتابجى بخان الخليلى بفتح مطبعة حجرية « لطبع بعض كتب صغيرة لازمة لتعليم الأطفال لأجل سهولة معاشه ومنفعة الأطفال تحت ظل الخديوى[١] » . وقد اشترط المجلس على صاحب المطبعة الجديدة وعلى غيره ممن يريدون فتح المطابع ، أن يقدموا أصول الكتاب المراد طبعه إلى نظارة الداخلية « لأجل مطالعتها والنظر فيها إن كانت مضرة للديانة ولمنافع الدولة العلية والدول الأجنبية والعامة أم لا . . . » كذلك لا يمكن لأية مطبعة أن تطبع « جرانيل وغازيتات وإعلانات . . . » قبل طلب الترخيص بذلك من نفس النظارة وإلا عرض مطبعته للإغلاق . ويمنع المجلس المطابع من « نشر وطبع كتب ورسائل إهانة للديانة وللبوليتيقية والآداب والأخلاق . . . »

وحرصت نظارة الداخلية أيضاً على مصلحة المؤلف ، فهى تفرض على المطبعة ألا تطبع إلا الكمية التى اتفق عليها بينها وبين صاحب الكتاب أو الملتزم وإلا عد ذلك سرقة يعاقب عليها .

ويقبل الناس فى عهد سعيد على فتح المطابع ، فقد أنشأ محمد عثمان الونائى مطبعة حجرية[٢] ليطبع عليها كتاب العيون اليواقظ . ثم باع المطبعة بعد أن تم له طبع الكتاب .

أما أول مطبعة حروف أنشئت فى ذلك العهد فهى المطبعة الأهلية القبطية . وإلى الأنبا كيرلس الرابع المعروف بأبى الإصلاح القبطى يعود فضل التفكير فى تأسيسها . وكان مقرها فى البطريركية القبطية بشارع كلوت بك . وكان الغرض من إنشائها نشر الكتب الدينية المخطوطة . وطلب البطريرك من رفله عبيد السورى الأرثوذكسى فى حوالى سنة ١٨٦٠ أن يبتاع له من إنجلترا مطبعة كاملة المعدات . وطلب البطريرك من الوالى سعيد أن يأذن لأربعة من الرهبان الأقباط بتعلم فنون الطباعة بالحروف فى مطبعة بولاق .

ولما وصلت المطبعة إلى القاهرة تسلمها جورجى كرياكو الخبير فى صناعة

---

(١) محفوظات القلعة ، قرار من المجلس المخصوص فى ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ ، دفتر مجموع أمور إدارة وإجراءات مجلس الأحكام ص ٣٠٧ .

(٢) أبو الفتوح أحمد رضوان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

الحروف . وقام بإعداد الحروف اللازمة لها والتزم بإدارة المطبعة لحسابه بعد أن توفى صاحبها البطريرك .

ويقال إن البطريرك لما علم بخبر وصول المطبعة إلى ميناء الإسكندرية طلب إلى وكيل البطريركية القبطية بالقاهرة أن يستقبلها باحتفال رسمى يسير فيه الكهنة والشمامسة بملابسهم الكنائسية الخاصة . وعندما سئل البطريرك عن السبب الذى دعاه إلى الاحتفاء بتلك المطبعة أجاب : « إنما أنا أحيي النهضة العلمية وأحتفل بمستقبل حظ الأقباط منها . لأن هذه الآلات ا لحديدية هى الواسطة الوحيدة للرقى والدليل على احترام العلم والرغبة فى إحرازه عن طريقه القويم. ولئن استغربتم صدور أمرى ، فإنى لو كنت حاضرًا لرقصت أمامها طربًا كما رقص داود النبى أمام تابوت العهد[١] » .

ولم تبدأ المطبعة عملها فعلا إلا فى سنة ١٨٧٠ . وشكلت لها لجنة خاصة لتقرر ما يصح طبعه من الكتب والمخطوطات القديمة . واتخذ لها مقرًّا منزل الرهبان أمام الدار البطريركية . ونشرت المطبعة عدا كتب الدين ، كتباً علمية وتاريخية وأدبية منها « تهذيب الأخلاق » لأبى زكريا يحى بن عدى التكريتى (١٥٨٨ قبطية) . وأخرجت تلك المطبعة مؤلفات ثمينة أحدثت فى الأمة ثورة أدبية كان تأثيرها هائلا فى الأفكار . . » .

إلا أن النساخين الأقباط الذين كانوا يعيشون على نسخ كتب الصلاة القبطية قاموا فى وجه المطبعة مما جعلها لا تنتج بالقدر الذى كان منتظرًا منها .

وأنشأ أحد المغاربة واسمه السيد محمد هاشم فى سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦١ م) مطبعة حروف طبعت ديوان الشيخ محمد شهاب شاعر محمد على . وكانت المطبعة فى حارة بيرجوان .

وفى سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) أنشأ مصطفى وهبى المطبعة الوهبية ، وكان وكيلا لدار الكتب الخديوية وأصله مملوك الشيخ شهاب المشهور ، شاعر محمد على ونديمه . وقامت تلك المطبعة بطبع كتاب مراقى الفلاح شرح نور الإيضاح للشيخ حسن بن عمار الشرنبلالى (١٢٨١ هـ) .

---

(١) توفيق إسكاروس : تاريخ الطباعة فى وادى النيل ، مجلة الهلال مارس ١٩١٤ .

ونشرت الوقائع المصرية فى عددها الصادر فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٦ هذا الإعلان : « بحانوت الشيخ حسن زغلة الكتبى داخل بوابة سيدنا الحسين مما يلى باب المزينين أحد أبواب الأزهر المعلوم للناس أجمعين يباع شرح ديوان امرئ القيس للوزير أبى بكر بن أيوب مطبوعاً بمطبعة السيد محمد شاهين على الوجه المرغوب [١] » .

لم يكن عدد المطابع الأهلية المصرية بالقاهرة قليلا خلال حكم الوالى سعيد بالنسبة إلى الحالة التى كانت عليها البلاد فى تلك الحقبة من تاريخها .

وفى أول حكم إسماعيل أنشأ قدرى باشا ناظر المعارف مطبعة له . ولكنها لم تعش طويلا . وفتحت بعدها مطبعة وادى النيل [٢] .

وفى سنة ١٨٦٨ أسس محمد باشا عارف أحد أعضاء مجلس الأحكام جمعية المعارف غرضها نشر الكتب النافعة . وانتهز إبراهيم المويلحى الفرصة لينشئ مطبعة باسم الجمعية تطبع فيها تلك الكتب [٣] . ووضع إسماعيل الجمعية تحت رعاية ابنه توفيق . ولكن حدث أن اتهم رئيس الجمعية بالاشتراك فى الدعوة إلى خلع إسماعيل وإحلال الأمير حليم محله ، ففر إلى الآستانة حيث توفى [٤] .

وقامت مطبعة جمعية المعارف بطبع جريدة نزهة الأفكار التى أنشأها إبراهيم المويلحى والتى أغلقت بعد العدد الثانى [٥] . وطبع فى هذه المطبعة عدد لا بأس به من الكتب الأدبية والدينية .

ومن المطابع الكبرى التى تأسست فى ذلك العهد ، المطبعة الشرفية التى أسسها حسن شرف بالقاهرة سنة ١٨٧٣ . وتولى إدارتها أحمد شرف . وكان يعمل فى تلك المطبعة ثمانية صفافى حروف وعامل لتوضيب الصفحات ومصحح . وكانت المطبعة تطبع بالحروف وعلى الحجر .

ويلاحظ على مطابع المصريين فى ذلك العهد أنها لم تكن فى المستوى الذى كانت عليه مطابع الأجانب . وهذا يعود إلى أن الإقبال على المطابع الأولى كان قليلا بالنسبة للإقبال على المطابع الثانية .

---

(١) الوقائع المصرية نمرة ٤١ فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٦٦ .
(٢) يأتى الكلام عن هذه المطبعة فى الجزء الخاص بمطابع الصحف .
(٣) جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ص ٧٨ .
(٤) عمر طوسون : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ و ص ٣٢٧ .
(٥) جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٢٢ ص ١٠٣ .

رابعاً : مطابع الصحف

لم يكن للصحف المصرية مطابع خاصة بها فى أول الأمر ، بل كانت تطبع فى المطابع التجارية . وأول مطبعة أنشئت لطبع صحيفة هى مطبعة وادى النيل . وقد أسسها فى سنة ١٨٦٦ أبو السعود أفندى والد أنسى بك مفتش المعارف سابقاً [١] . وكانت حروف صحيفة وادى النيل هى حروف مطبعة بولاق ثم صب صاحبها حروفاً جديدة على قاعدة تخالف قاعدة بولاق وأعلن خفض أجور المطبوعات إلى الثلثين [٢] . وكانت مطبعة وادى النيل فى حى باب الشعرية ، فى المكان نفسه الذى كانت تحرر فيه الصحيفة . وكان صاحبها يقيم أيضاً فى البناء نفسه [٣] . وكان الخديو إسماعيل شديد الاهتمام بتلك الصحيفة ، يغدق على صاحبها المال ويمدها بالأخبار . فقد قرر لها سنة ١٨٧٢ ثمانية وعشرين ألف قرش إعانة تشجيعاً لصاحبها على المضى فى نشرها [٤] .

واشتهرت مطبعة وادى النيل بكثرة عدد عمالها وآلاتها وظلت تعمل ما يقرب من عشرين سنة . ولم يقتصر نشاطها على طبع صحيفة وادى النيل ، بل تعداه إلى طبع نشرة أركان حرب الجيش المصرى ومجلة روضة المدارس . إلا أن طبعها للصحيفة الأولى كان أقل أناقة من مطبعة عموم أركان حرب . وطبعت أيضاً صحيفة روضة الأخبار لمحمد أنسى . وإلى مطبعة وادى النيل يعود فضل نشر عدد لا بأس به من الكتب العربية ، فقد قامت فى سنة ١٢٨٦ هـ بطبع « الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر » لعبد اللطيف البغدادى . واهتمت أيضاً بالمكفوفين فطبعت لهم فى سنة ١٢٩١ كتاب « القراءة والكتابة للعميان »

---

(١) A. Geiss; op. cit., p. 39

(٢) الهلال ، مارس سنة ١٩٠١ ، السنة التاسعة .

(٣) إبراهيم عبده : أعلام الصحافة العربية ، المطبعة النموذجية بالقاهرة ، الطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ ، ص ١٠٢ الحاشية .

(٤) محفوظات عابدين ، وثيقة رقم ٢١١ ، معية تركى ، فى ٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٩ .



(نمرة ١) يوم السبت ١٥ محرم سنة ١٢٨٧ الموافق ١٧ ابريل سنة ١٨٧٠ (سنة أولى)

روضة المدارس المصرية

تعلم العلم واقرأ * تحز فخار النبوة
فالله قال ليحيى * خذ الكتاب بقوة

تحت نظارة

رفاعه بك ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس

مباشر تحريرها

على فهمى بك مدرس الانشاء بمدرسة الادارة والالسن

تظهر فى الاسبوعين مرة واحدة

وثمن ترتيبها عن سنة واحدة مصرى

الثمن يدفع	بالقاهرة	٧٧ ٦	سلفا
	بالديار المصريه	٨٢	
	بالخارج	٩٠	

او ٢٣ فرنكا ونصف

بمطبعة جرنال وادى النيل

مجلة روضة المدارس التى قامت بطبعها مطبعة وادى النيل

لمحمد أنسي ، وهو أول كتاب من نوعه يصدر فى مصر والبلاد العربية .

وفى سنة ١٨٧٢ تأسست مطبعة جريدة كايرون اليونانية وكان صاحبها المسيو فافا كوكى . وكان يشرف على العمل فيها جاك استاورو . أما العمال فكان عددهم أحد عشر ، ثمانية لصف الحروف وثلاثة لإدارة الطابعة الوحيدة الإيطالية الطراز . وإلى جانب طبع الصحيفة كانت المطبعة تقوم بإنجاز بعض المطبوعات التجارية[1] .

ولمطابع جريدة الأهرام الكائنة اليوم ببولاق وشارع الجلاء قصة تبدأ فى الإسكندرية سنة ١٨٧٥ ، فقد تقدم سليم تقلا فى تلك السنة إلى الخديو إسماعيل يستأذنه فى إنشاء جريدة الأهرام. وقد أشر المسئولون فى نظارة الخارجية على الطلب « يتوضح من مقدمه عن كيفية الجريدة الملتمس إنشاها فى مدينة الإسكندرية مع إيضاح موقع المطبعة المقتضى الطبع فيها وإن كانت حجر أو حروف» . فكتب سليم على الطلب « الإفادة عن ذلك أن الجريدة الملتمس إنشاها فى مدينة الإسكندرية تحتوى على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا من المقاصد طبع بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكم والنوادر والأشعار والقصص الأدبية وما شاكل ذلك من الأشياء الجايز طبعها بدون أن أتعرض للدخول مطلقاً فى الأمور البوليتيقية ، وإذا وقع منى مخالفة أو أجريت طبع شيء مما لا يجوز طبعه فإنى قابل ما يترتب على حسب قوانين المطبوعات ، كما أتعهد بأن كل ما يجرى طبعه أقدم من كل طبعة نسختين لنظارة الخارجية الجليلة . وبما أن المطبعة المقتضى طبع الكتب المذكورة فيها كائنة بجهة المنشية بالإسكندرية وأنها مطبعة حروف تحت اسم مطبعة الأهرام..»

وأرسلت نظارة الخارجية إلى ضبطية الإسكندرية إفادة رقم ٥ فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٧٥ هذا نصها : « تقدم إلى الخارجية إنهى من الخواجة سليم تقلا يلتمس التصريح إليه بإنشاء مطبعة حروف تسما "الأهرام" كائنة بجهة المنشية بإسكندرية يطبع فيها جريدة تسما "الأهرام" أيضاً ، تشتمل على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية والزراعية والمحلية وكذا بعض كتب كمقامات الحريرى وبعض ما يتعلق بالصرف والنحو واللغة والطب والرياضيات والأشياء التاريخية والحكمة والنوادر

(١) A. Geiss : Hist. de l'imprimerie en Egypte-Suite-époque contemporaine p.30

والأشعار والقصص الأدبية وما ما ثل ذلك من الأشياء الجايز طبعها. وحيث إنه أخذ على الخواجة المذكور التعهد اللازم بعدم التعرض للدخول مطلقاً فى المواد البوليتيقية وامتثاله لقانون المطبوعات ومعاملته بمقتضاه عند وقوع أى مخالفة منه وعلى أنه يقدم للخارجية نسختين من كل ما يطبعه وأعطيت له الرخصة اللازمة من قلم المطبوعات بالخارجية فاقتضى ترقيمه لسعادتكم للمعلومية وعدم المعارضة للخواجة المذكور فى إنشاء المطبعة المحكى عنها وعلى الوجه المتقدم ذكره . أفندم » .

« فى ٢٩ ذو القعدة سنة ١٢٩٢ .

ناظر خارجية وتجارة[١]

ختم

لم تكن مطبعة الأهرام مقصورة إذن على طبع الجريدة فحسب بل كانت تقوم أيضاً بطبع الكتب الأدبية والقصص . ولم تصدر الأهرام إلا بعد حصول صاحبها على الترخيص بسبعة أشهر وتسعة أيام[٢] . وفى تلك الأثناء أرسل سليم تقلا فى طلب أخيه بشارة فحضر الأخير فى الحال . وبدأ الشقيقان يعملان معاً فاشتريا مطبعة واحدة « هزيلة بطيئة[٣] » . وأول مطبوع أخرجته هو « مثال الأهرام » ، وكان ذلك فى ١٥ يوليه سنة ١٨٧٦ . وكانت المطبعة تستخدم فى أول الأمر الحروف المسبوكة فى بيروت. وكانت لديها أيضاً حروف فرنجية مختلفة الأشكال والأحجام . وتنقسم حروف مطبعة الأهرام العربية إلى نوعين . فالنوع الأول كبير واضح قليل الهمزات يشبه إلى حد كبير حروف الوقائع المصرية . أما النوع الآخر فهو صغير يشبه حرف بنط ١٢ المستعمل اليوم ، وإن متصفح الأعداد الأولى لتلك الجريدة لابد وأن يحكم أنه لم يكن فيها مصحح . وأكبر الظن أن الشقيقين سليم وبشارة كانا يقومان بتلك المهمة بقدر ما كان يسمح لهما وقتهما . ولذا جاءت الأعداد الأولى كثيرة الأخطاء المطبعية . وإن حروف أعداد السنة الثانية من الأهرام أكثر وضوحاً والأخطاء المطبعية قليلة إن لم تكن نادرة . وأخذت مطبعة الأهرام تقوم بنشر

---

(١) وزارة الداخلية ، إدارة المطبوعات دوسيه رقم ١١ — ٢/٩٤٦ الجزء الأول .

(٢) إبراهيم عبده : جريدة الأهرام ، ص ٢٢ وما بعدها ، دار المعارف سنة ١٩٥١ .

(٣) خليل مطران : بشارة تقلا ، القاهرة سنة ١٩٠٢ ، ص ٥ .

الروايات المترجمة إلى اللغة العربية وتعرضها للبيع بأرخص الأثمان[١] .

ولم تستمر مطبعة الأهرام على الحرف الكبير مدة طويلة ، فقد رأت ابتداء من العدد السادس أن تستبدله بحرف أصغر . وقد كتبت تقول « نظراً إلى إقبال المشتركين على الأهرام ، اعتمدنا أن نجعل حروفها فى العدد الآتى وما فوقه من الجنس الثانى – أى الصغير – فتكون جامعة أكثر من الجنس الأول وكافلة بدرج ما يجب وضعه مما يفيد المطالع[٢] » . ولا يقتصر اهتمام مطبعة الأهرام على الحروف وأحجامها وأنواعها فحسب ، بل تضيف إلى أقسامها فرعاً لتجليد الكتب تعلن عنه فى أحد أعدادها ، إذ تقول إن « إدارة الأهرام قد استحضرت على مجلد لتجليد الكتب متقن هذه الحرفة حق الإتقان ويأتى حسب إرادة الطلب سواء كان المطلوب تذهيباً أم كتابة وما شاكل ذلك . فمن يرغب تجليد شىء فليخاطب الإدارة[٣] » .

ويتسع نشاط مطبعة الأهرام وتكثر الطلبات عليها ويقرر آل تقلا شراء طابعة جديدة يعلن عنها فى عدد الأهرام الصادر فى ١٦ أغسطس سنة ١٨٧٨ على النحو الآتى : « إن الوابور الذى كنا ننتظر حضوره حضر فى هذا الأسبوع ، وهو آلة جميلة تطبع فى الساعة نحو ألف طاحة من الورق طبعاً نظيفاً متقناً للغاية . واستحضرنا قبله ومعه جميع أشكال الحرف الإفرنجى الجميل لتقوم إدارتنا بحقوق الجريدة الرسمية المختصة بمجالس الحقانية التى تطبع عندنا الآن بالعربية والفرنسوية والإيتالية ولنقوم أيضاً بخدمة من يشرفنا بطبع ما يروم ، فنرجو من الجمهور أن يثق باستعدادنا لمرضاته وهى حسبنا » .

وكان بشارة تقلا يقوم بترجمة التلغرافات الواردة إلى صحيفته ويوزعها على المشتركين صباحاً ومساء ، مما جعل المطبعة تشتغل ليل نهار لكى تقدم للمشتركين الأخبار الخاصة بالحرب الروسية التركية ساعة فساعة . فمطبعة الأهرام إذن هى المطبعة الأولى فى مصر التى عملت ليلا ونهاراً . وعن تلك المطبعة صدرت خمس صحف وثلاث أخرى عدا الكتب والمطبوعات التجارية المختلفة . واستطاعت الأهرام بعد

---

(١) الأهرام فى ٧ يوليه سنة ١٨٨١ .
(٢) الأهرام فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٧٦ .
(٣) الأهرام فى ٧ أكتوبر سنة ١٨٧٦ .

فترة وجيزة من إنشائها أن تستحضر حروفًا عليها الهمزات والشدات ، بينما كان معظم مطابع مصر خاليًا منها .

وقامت مطبعة الأهرام بطبع صدى الأهرام وهى جريدة يومية أصدرها سليم وبشارة تقلا . ويرجح أن يكون عددها الأول قد صدر فى العاشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٧٦ . وصدرت عن مطبعة الأهرام أيضًا « حقيقة الأخبار » ، وهى مجلة صغيرة أنشأها بشارة تقلا سنة ١٨٧٨ لينشر فيها ترجمة البرقيات التى ترد إلى الأهرام عن الحرب الروسية التركية . ولما أغلقت « صدى الأهرام » أصدر سليم تقلا بدلا منها جريدة أطلق عليها اسم « الوقت » وقد ظهرت فى أوائل سنة ١٨٧٨ . وطبعت مطبعة الأهرام فى سنة ١٨٧٩ كتابا لأمين شميل عن المسألة الشرقية . وكانت قد طبعت قبل ذلك بسنة كتابا للمؤلف نفسه ولسليم تقلا اسمه « الوافى فى تاريخ المسألة الشرقية ومتعلقاتها » .

وقد عمل فى مطبعة الأهرام فى نشأتها الأولى أمين الحداد الذى هاجر إلى الإسكندرية ، وكان مشرفًا على قسم تنضيد الحروف وعلى سائر الأدوات ، وكان يعمل بها فى الوقت نفسه عبده بدران ثم انتقل بعد ذلك إلى قسم التحرير .

وتنشب الثورة العرابية فى صيف سنة ١٨٨٢ ويأمر عرابى باشا ناظر البحرية والجهادية بتعطيل صحيفة الأهرام شهرًا واحدًا ابتداءً من أول يونيه سنة ١٨٨٢ . وتظل مطابع الأهرام حرة طليقة تنجز ما يطلب إليها طبعه من كتب وأوراق تجارية . وقد صرحت الحكومة لسليم تقلا بإصدار صحيفة « الأحوال » التى ظهر عددها الأول فى ٧ يونيه سنة ١٨٨٢ . غير أن حريق الإسكندرية لم يلبث أن يأتى على المطبعة ومحتوياتها؛ وتضطر « الأحوال » إلى الاحتجاب بعد صدورها بأسابيع . ويعود سليم تقلا مع أسرته إلى لبنان .

وفى سنة ١٨٨١ أسس فرنسى يدعى جاك سرير Serrière صحيفة البوسفور إجبسيان بمدينة بور سعيد واشترى لها مطبعة موريس . وخلال الثورة العرابية ألغيت تلك الصحيفة وتعطلت المطبعة .

ومن الملاحظ على مطابع الصحف فى تلك الحقبة من تاريخ الطباعة أنها لم تكن تتميز عن سائر المطابع إلا فى كثرة عدد عمالها . أما الطابعات فكانت

واحدة فى مطابع الصحف ، ومطابع الكتب والأوراق التجارية ، ذلك أن عدد ما كان يوزع من نسخ الصحف كان محدوداً ، فلم تظهر الحاجة بعد إلى استيراد الطابعات السريعة التى كانت قد انتشرت فى أوربا وأمريكا .

الفصل الرابع

عهد التفوق

١٨٨٣ — ١٩٢٤

أولا : المطابع الرسمية

توقفت مطبعة بولاق عن العمل بعض الوقت خلال الثورة العرابية واحتلال الإنجليز للبلاد . ونزح عدد من الأجانب عن مصر ومن بينهم بعض عمال المطبعة من الفنيين. وما لبث أن عاد الجميع بعد أن هدأت الأحوال . واستأنفت المطبعة أعمالها خلال شهر سبتمبر من سنة ١٨٨٢ . وفى ١٦ أكتوبر من السنة نفسها أبعد على جودت بك عن نظارة المطبعة ليتولى أمرها حسين حسنى من جديد . وفى عهده تقدمت المطبعة تقدماً ملحوظاً . إذ بدأت تستبدل وسائلها القديمة بوسائل حديثة لتساير الزمن . وكانت المطبعة تقوم بتجليد سجلات المصالح الحكومية ودفاترها بالجلد الثمين ، فوافق حسين حسنى على الاستغناء عن الجلد فى مثل هذه الأحوال . والاكتفاء بالتيل . ونتج عن هذا الإجراء وفر كبير .

وزاد عدد العمال الإيطاليين زيادة كبرى . وهم من فئة الطباعين وصفافى الأحرف والمجلدين . وقد ألحقوا جميعاً لطبع كتاب عن الإحصاء العام بالعربية والفرنسية . وأنجزت المطبعة فى تلك الفترة جميع الأشغال التى كلفتها بها المصالح الحكومية المختلفة كالأوامر والميزانيات والتقارير والسجلات . واستقدم من تورينو بإيطاليا حفار ماهر يدعى موسكا G. Mosca ، وهو أخصائى فى الطبع على الحجر.

إلا أن شبح الكوليرا ما لبث أن خيم على مصر فى سنة ١٨٨٣ . وراح هذا الداء الوبيل يحصد الناس حصدا . وأبدى عمال المطبعة شجاعة وصبرا وجلدا خلال تلك المحنة القاسية فظلوا يعملون فى غير اكتراث بالوباء الذى بلغت ضحاياه الآلاف . وكان العمال يبيتون فى المطبعة لإنجاز المطبوعات الخاصة بنظارة المالية

وكانت فى حاجة ماسة إليها ، ولإنجاز « لسان العرب » وهو معجم ضخم يتكون من عشرين مجلداً . ولما انتهى الوباء قام الخديو توفيق بزيارة المطبعة وأنعم على حسين حسنى برتبة الميرمران [١] فى الثانى من شهر ذى الحجة سنة ١٣٠٠ الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٨٨٣ . وظل ناظراً لمطبعة بولاق حتى أول مايو سنة ١٨٨٥ حين أنزلت درجته وأصبح ناظراً على القسم الأدنى . ولكن مرتبه ظل على ما هو عليه . وبقى حسين حسنى (باشا) فى وظيفته الجديدة إلى أن توفى فى ١٩ مارس سنة ١٨٨٦ [٢] .

وكانت ميزانية مطبعة بولاق مستقلة عن سائر ميزانيات النظارات حتى سنة ١٨٨٤ . وكان على رأس المطبعة مدير إدارى ومدير فنى ووكيل كان يقوم أيضاً بأعمال التصوير ، ومعاون ورئيس للكتبة ورئيس للمحاسبين وثمانية عشر مستخدماً بين كاتب ومترجم ومعاون وثلاثة مستخدمين هم الصراف وأمين المخزن والمعاون . أما الخدم السائرة فكان عددهم أحد عشر .

وكان فى قسم التصحيح العربى ستة عشر مستخدماً وكان على ورشة الجمع العربى رئيس مصرى وعلى ورشة الجمع الإفرنجى أوربى يتقاضى مرتباً سنوياً قدره ٣٠٤ جنيهات مصرية فى حين أن زميله المصرى لم يكن مرتبه يزيد على ١٣٨ جنيهاً مصريا . وكان على ورشتى الطبع والتجليد رئيسان أجنبيان. أما عدد الطابعين والمجلدين فكان يبلغ الثمانية . يضاف إلى ذلك العمال الذين كانوا يشتغلون بطريق الالتزام .

وقدرت ميزانية سنة ١٨٨٣ دخلا للمطبعة قدره ٢٩٣٤٤ جنيهاً مصريا . أما المصروفات فقدرت بـ ٢٥٠٧٧ جنيهاً مصريا .

واعتباراً من سنة ١٨٨٤ أدرجت مطبعة بولاق فى ميزانية الحكومة العامة . وهكذا سرت عليها ابتداء من تلك السنة جميع الأحكام المتعلقة بتأدية اللوازم بين مصالح الحكومة . ولما كانت كافة المصروفات التى تجريها المطبعة يجرى احتسابها من أصل الاعتمادات الواردة لها بالميزانية ، فقد صار يخصم على الجهات قيمة

---

(١) محفوظات القلعة ، دفاتر استحقاقات المطبعة من سنة ١٨٨٠ إلى سنة ١٨٩٦ .
(٢) المصدر السابق .

الأصناف التى تصرف لها من المطبعة ، بل تضيف الجهات تلك الأصناف بحساباتها بالوجه وأصبح لزاماً على الجهات أن تحرر طلبات صرف الأصناف بدقة وأن تعطى إيصالا بما يسلم إليها .

ولما كانت المطبعة ستنجز كافة مطبوعات الحكومة المصرية بما فى ذلك نشر الوقائع المصرية و Le Moniteur Egyptien ، فقد رفع اعتمادها إلى ٣٢٥٥ جنيهاً مصريا ، فأصبحت الميزانية ثلاثين ألفا . ويلاحظ أن التنظيم الجديد لمطبعة بولاق قد حقق وفراً كبيراً فى باب تموين الشون والمخازن .

وفى عام ١٨٨٤ استقدمت الحكومة المصرية إدمون بانجيه Banget من مطبعة « شيه » Chaix بباريس ليقوم بالتفتيش على المطبعة فنياً وإداريا. وقد أبدى بانجيه إعجابه بمقدرة رؤساء الأقسام جميعاً . واقترح إجراء بعض التغييرات فى الإدارة وفى معدات المطبعة . كما أشار بأن تتخلص المطبعة من حروفها القديمة ومن الآلات البالية التى تخلفت عن المطابع الرسمية الملغاة . وبعد أن قام بانجيه بتقديم تقريره لنظارة المالية ، صدر قرار فى ٢٢ فبراير سنة ١٨٨٥ بتعيينه مديراً للمطبعة ليصلح نظامها ويدير حركتها . أما حسين حسنى (باشا) فقد نقل مديراً للقسم الأدبى كما رأينا ، بينما فصل أنطوان موريس وتقاضى عن فصله تعويضاً مناسباً .

وابتداءً من تعيين بانجيه على رأس المطبعة أطلق عليها رسميا اسم « المطبعة الأهلية » وبالفرنسية[١] Imprimerie Nationale .

وكان لابد لانتظام سير العمل وتقدمه من تعيين عدد آخر من العمال . وكان بانجيه يلحق كل من يتقدم له ، ولو أنه كان يفضل الإيطاليين . فقد عين فى عهده الحفار الإيطالى المعروف داميلانو G. Damilano الذى استقدمه من تورينو .

وإلى العمال الإيطاليين يعود فضل إعادة طريقة الطبع بالقوالب المصبوبة المعروفة فنياً باسم Stéréotypie والطلاء بالكهرباء المعروف باسم Galvanoplastie والحفر على الزنك المعروف باسم Photo Zincotypie . وأحضر بانجيه من إيطاليا

(١) مجموعة القرارات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات فى سنة ١٨٨٥ ، ص ١٥ . .

أحد الخبراء للإشراف على آلات السبك .

وكانت مطبعة بولاق موضع اهتمام الصحافة الأجنبية فى مصر ، فكتبت صحيفة البوسفور إجبسيان فى عددها الصادر فى ٢ يوليه سنة ١٨٨٥ مقالا عنوانه « إصلاح حروف الطباعة العربية والتركية والفارسية » ، ذكرت فيه أن محمد حسن أفندى قد نشر كراسة باللغتين العربية والفرنسية يقترح فيها إصلاح حروف المطبعة العربية تسهيلا لمهمة طبع الحركات . وتضيف الصحيفة أن الحروف الثمانية والعشرين للأبجدية العربية تختلف أشكالها باختلاف أوضاعها مما يجعل عددها حاليًا تسعمائة حرف . ويقرر محمد حسن[1] أفندى إلغاء حروف التعليق والاحتفاظ بشكل الحرف الأصيل . وهكذا خفض حروف الطباعة من تسعمائة إلى ٢٨ فأصبح طبع الحركات من السهولة بمكان . وترى الصحيفة أن الكتابة العربية لم تتغير على الرغم من تبسيطها ، وأن الكتب المطبوعة وفق الطريقة الجديدة ، أى بالحركات والحروف سوف تتكلف نصف أو ثلث ما كانت تتكلفه الكتب التى كانت تطبع بالحروف فقط . هذا من الناحية الاقتصادية أما من الناحية الأدبية ، فإن الأثر الذى سيتركه إصلاح الحروف العربية سيكون عظيماً لأنه سيتيح للطبقة الفقيرة من المجتمع فرصة تعلم لغة الآباء والأجداد . ولاشك فى أن مثل هذه المقالة وغيرها من المقالات التى كتبت عن إصلاح حروف الطباعة العربية هى التى دفعت الحكومة المصرية آخر الأمر إلى تشكيل لجنة تبحث مشكلة الحروف العربية وتصف لها حلا .

وإذا انتقلنا إلى سنة ١٨٨٦ وجدنا أن الميزانية اعتبرت مطبعة نظارة المالية جزءاً من المطبعة الأهلية ، وقد اعتمد لها مبلغ أربعمائة وستة وخمسون جنيهًا مصريا خصصت للموظفين . ويلاحظ أن تلك الميزانية قد خفضت عدد موظفى المطبعتين من ٧٥ فى سنة ١٨٨٥ إلى ٤٤ فى سنة ١٨٨٦ ، كذلك انخفض الاعتماد من ثلاثين ألف جنيه فى سنة ١٨٨٥ إلى اثنين وعشرين ألفًا وأربعمائة وستة جنيهات فى سنة ١٨٨٦[2] .

---

(١) طبق هذه الفكرة المهندس اللبنانى نصرى خطار بعد ذلك بخمس وسبعين سنة (انظر الطباعة فى لبنان الفصل السادس) .

(٢) Budget provisoire du gouvernement égyptien pour l'exercice 1886, Le Caire, Impr. Nationale, section des finances, 1886.

وفى شهر أغسطس سنة ١٨٨٧ زار بعض مهندسى نظارة الأشغال العمومية مبنى المطبعة الأهلية ببولاق ومبنى مطبعة نظارة المالية لدراسة الإجراءات التى يجب أن تتخذ لضم المطبعتين فى مقر واحد . وكانت اللجنة التى شكلت لهذا الغرض قد اقترحت ضم المطبعتين الرسميتين ووقع اختيارها على المبنى الكبير الذى كان فيما مضى إسطبلا للخيل ، ويشغل الدور الأرضى من نظارة المالية . وكان أولو الأمر قد قرروا إجراء الإصلاحات اللازمة لإعداد المقر الجديد لاستقبال المطبعتين فى أواخر سنة ١٨٨٧ . غير أنه عدل عن هذا القرار فى اللحظة الأخيرة . وفكرت نظارة المالية فى الوقت نفسه فى إعادة النظر فى عدد موظفى وعمال المطبعتين [١]. وكان المسيو أورنشتين رئيس مكتب المستشار المالى قد تقدم إلى نظارة المالية بمشروع ضم المطبعتين . كما خفضت ميزانية المطبعة لسنة ١٨٨٨ بمقدار ألفين من الجنيهات تخصم من أجور العمال . وحددت مواعيد العمل فى المطبعة فأصبحت تبدأ فى الساعة السابعة والنصف صباحاً وتنتهى فى الساعة الرابعة والنصف مساء ، أى أصبح العامل يشتغل تسع ساعات يوميا بدلا من سبع ساعات[٢] . وبعد أخذ ورد دام أكثر من نصف سنة تم نقل مطبعة نظارة المالية فى ١٣ يناير سنة ١٨٨٨ [٣] إلى المطبعة الأهلية ببولاق .

وكتبت صحيفة البوسفور إجبسيان فى ١٦ سبتمبر سنة ١٨٨٨ نقلا عن صحيفة كانت تصدر بالإسكندرية ، تقول : « بلغت ميزانية المطبعة الأهلية عن سنة ١٨٨٨ مبلغاً وقدره ٢٧٥٦٥ جنيهاً مصريا وخصص ٦٠١٢ جنيها منه لمصروفات الإدارة . ولما ضمت إليها مطبعة نظارة المالية أصبحت الميزانية نتيجة لهذا الإجراء ٣٥٣٦٥ جنيهاً مصريا منها ٤٤٥٨ جنيها للأعمال الإدارية والمصلحية .

« إن المطبعة الأهلية مؤسسة واسعة وعظيمة ولكنها على الرغم من ذلك فإن الناس يجهلونها كما لو أنها تعمل على ضفاف النهر الأصفر . . . »

وتستطرد الجريدة فتقول : « يعمل فى هذه المؤسسة ٢٨٦ عاملا باليومية ومتوسط أجر كل منهم فى العام ما يساوى ألف فرنك » (أى حوالى أربعين جنيهاً) .

---

(١) Le Bosphore Egyptien, Lundi et Mardi 15 et 16 Août 1887.

(٢) المصدر السابق العدد رقم ١٨٢١ ، السنة العاشرة الأحد ٤/١٢/١٨٨٧ ص ١ عمود ٢ .

(٣) المصدر السابق العدد رقم ١٨٥٥ ، السنة العاشرة الجمعة ١٣/١/١٨٨٨ .

« وإن عدد الطلبات التى تتقدم بها مصالح الدولة المختلفة يصل إلى حوالى خمسة عشر مليون نسخة ، وإلى حوالى ثمانين ألف سجل أو دفتر .

« وتتطلب هذه الأشغال الهائلة استخدام ٢٥٠,٠٠٠ كيلوجرام من الورق و ٢٥,٠٠٠ كيلو جرام من الكرتون وحوالى ٢٠,٠٠٠ متر من القماش . وفى المطبعة ٣٧ طابعة تعمل عملا متواصلا ، ويدار خمس وعشرون منها بقوة البخار . أما الباقى فيدار باليد » .

وكانت إدارة المطبعة قد قامت بفصل عدد من الموظفين اعتبارًا من أول مارس سنة ١٨٨٨ تمشيًا مع سياسة الوفر التى استنتها نظارة المالية فى ذاك الوقت [١]. غير أنه تبين بعد ذلك بسنة واحدة أن ميزانية المطبعة ما زالت فى حاجة إلى ضغط . فقد زارها فى أكتوبر سنة ١٨٨٩ رياض باشا وطلب الاطلاع على ميزانيتها وعلى كشف مستخدميها . وبعد أن عكف رئيس النظار على دراسة تلك الأوراق قرر إلغاء قلم الحسابات فى المطبعة وفصل موظفيه اعتبارًا من أول نوفمبر سنة ١٨٨٩ [٢] .

وفى ٥ يناير سنة ١٨٨٩ زار الخديو توفيق المطبعة الأهلية ، واستقبله مديرها بانجيه (بك) ومعه رؤساء مصالح المطبعة . وطاف الخديو بمسباك الحروف العربية والإفرنجية والقاعة التى تطبع فيها الجريدة الرسمية الفرنسية وقسم جمع الحروف الإفرنجية والعربية وقسم المطابع الحجرية والبخارية واليدوية ومعمل الحفر على الحجر . وقدم إليه فى هذا القسم أقدم عامل من عمال دار الطباعة ، وهو إبراهيم الشبراوى ، وكان قد مضى على خدمته فيها ٤٨ سنة . وعاين الخديو بعد ذلك قسم التجليد وشاهد آلات التنمير والقص ثم انتقل بعد ذلك إلى قسم التوضيب[٣] .

وكانت المطبعة فى عهد بانجيه بك مقسمة إلى ورشة الجمع الإفرنجى وورشة الجمع العربى وورشة الطباعة بالحروف المتفرقة وورشة الطباعة بالحجر وورشة الحفر على الحجر وورشة التصوير والحفر على الزنك وورشة التجليد والمسبك والكليشيهات . وكان جميع رؤساء هذه الورش من الأجانب عدا رئيس ورشة الجمع العربى .

(١) مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات من أول شهر مارس إلى ٣١ منه سنة ١٨٨٨ .

(٢) Le Bosphore Egyptien, No 2397, douzième année, mercredi, 16 octobre 1889.

(٣) الوقائع المصرية فى ٧ يناير سنة ١٨٨٩ .

وعلى الرغم من تمكن المطبعة الأهلية من إنجاز كل ما كان يطلب إليها من مطبوعات فإن بعض الجهات الحكومية كانت تؤثر عليها مطبعة إحدى الصحف مما أثار ، حفيظة البوسفور إجبسيان التى كتبت تقول : « عند ما أسست الحكومة المطبعة الأهلية احتكرت صناعة كان يعيش عليها عدد من الناس[١] ، وليس لنا اليوم أن نعود إلى مناقشة أمر قد تم ، ولكن من حقنا أن نبدى دهشتنا من أن الحكومة ، بعد أن تكبدت نفقات كبيرة لتأسيس مطبعتها ، فإننا نجد الشرطة لا تزال تؤجر مطبوعاتها لمطبعة المقطم دون إجراء مناقصة ، وتدفع فى ذلك أسعاراً جنونية . ويؤكد البعض أن صاحب نفوذ كبير كان له دخل فى الموضوع . وهكذا اكتشفت طريقة جديدة — على حساب مصر — لزيادة مكافأة تلك الصحيفة العربية التى تعمل جاهدة لخدمة الإنجليز[٢] » .

وحدث أن اتهمت بعض الصحف المحلية المطبعة الأهلية بأنها تقوم بطبع كتب منافية للآداب ومخالفة للدين . واهتمت نظارة المالية بالأمر وأحالت وكيل المطبعة حسن بك حسنى إلى مجلس تأديب[٣] الذى قرر أن المذكور « خال من المسئولية مطلقاً » وقد برئت ساحته مما نسب إليه ، وصدر قرار بذلك من ناظر المالية فى ١٥ ديسمبر سنة ١٨٩٢ [٤] .

وفى سنة ١٨٩٣ تدخل المطبعة الأهلية لأول مرة فى مصر طريقة طبع الصور الفوتوغرافية Phototypie . ويقوم الماركيز دى رفيرسو وكيل الحكومة الفرنسية وقنصلها العام فى مصر بزيارة المطبعة بهذه المناسبة ويبدى إعجابه الشديد بها . وعلى الرغم من إدخال تلك الطريقة الجديدة فى نقل الصور وطبعها ، فقد ظلت مطبعة بولاق محتفظة بطباعة الحجر .

ويعتبر عهد بانجيه عهد المطبعة الذهبى . فقد جددت فيه آلاتها وأعيد تنظيمها وأدخلت وسائل جديدة فى الطباعة لم تكن تعرفها المطبعة الأهلية واستقدم خبراء أجانب علموا العمال المصريين فن الطباعة على أصوله فغدا الطابع المصرى

(١) لا شك فى أن الجريدة كانت تقصد إعادة تنظيم المطبعة لا تأسيسها .

(٢) Le Bosphore Egyptien, No 3369, quinzième année, samedi 10 Dec. 1892.

(٣) المصدر السابق ١٤ يناير سنة ١٨٩٣ .

(٤) الوقائع المصرية نمرة ٣ السنة الثانية والستون ، يوم السبت ٧ يناير سنة ١٨٩٣ .

اليوم فى مقدمة عمال الطباعة فى الشرق العربى .

وتولى شيلو (بك) إدارة المطبعة بعد مرض بانجيه (بك) فى سنة ١٨٩٤ . ولم يكن شيلو (بك) مديراً للمطبعة فحسب ، بل كان مديراً للجريدتين الرسميتين أيضاً وهما الوقائع المصرية والجريدة الرسمية التى تصدر باللغة الفرنسية . وكان يمتاز بالحزم والنشاط وحسن الإدارة . وقد أعاد تنظيم المطبعة من الناحية الإدارية وأراد التقدم بها نحو الكمال . ولم يكن فى حاجة إلى بذل مجهود كبير فى هذا المضمار . فقد وجد عند تعيينه أن كل شىء قد أعد الإعداد اللازم ، فلم يكن أمامه إلا السير فى الطريق الذى مهد له ولغيره من الأجانب الذين تولوا إدارة المطبعة من بعده .

أمر المدير الجديد بهدم قاعات المطبعة القديمة وبناء قاعات جديدة بدلا منها وفق آخر مستحدثات الفن المعمارى المعمول بها فى أوربا . وركزت الجهود على القاعات التى ركبت فيها آلات الطباعة ، فقد كانت متمشية تماماً مع الغرض الذى بنيت من أجله . ولم يقتصر جهد شيلو على المبانى فحسب ، بل تعداها إلى استحضار مختلف الآلات اللازمة لورش المطبعة . وكان له فضل إدخال أنواع حديثة من معدات المطبعة لم تكن معروفة فى مصر خلال ذلك العهد . وكان شيلو يجمع رؤساء الأقسام ويطلب إليهم أن يدلوا له برأيهم فى شئون المطبعة المختلفة .

ولما كان شيلو (بك) لا يعرف الكثير عن الطباعة ، فقد قام بعدة رحلات إلى فرنسا وإنجلترا وألمانيا . وكان هدفه منها زيارة أكبر مطابع تلك البلاد سواء كانت مطابع حروف أو مطابع حجرية . وقد تعلم خلال تلك الجولات خصائص الفن المطبعى .

وفى سنة ١٨٩٩ طلب المدير إلى رئيس ورشة التجليد أن يصحبه إلى باريس لكى يتعلم طرق التجليد الجديدة بوساطة آلة الخياطة بالسلك أو بالخيط المصنوع من الكتان وآلات طى الورق وغيرها من الآلات التى اخترعت فى ذلك العهد لتسهيل تجليد الكتب . وقد تبين لشيلو (بك) خلال رحلاته تلك عظم فائدة آلات الطبع المعروفة عند أهل الفن باسم Machines à retiration ، وهى آلة سريعة تطبع وجهى الورقة دفعة واحدة ، كما لمس أيضاً النجاح الذى أحرزته آلات تنضيد الحروف المعروفة باسم مونوتيب Monotype فأرسل فى طلبها وركبت حال وصولها .

وفى عهد شيلو (بك)، وعلى وجه التحديد فى سنة ١٨٩٧ ، وضعت تعريفة

للطبع خفضت فى سنة ١٩٠٣ بمقدار ١٠٪ . وابتداء من ١٤ مارس سنة ١٩٠٨ أضيف إلى التخفيض السابق ٥٪ [١].

وأمر شيلو (بك) فى سنة ١٩٠٠ بهدم باب المطبعة القديم ليحل محله مدخل واسع وضع فى أعلاه اللوحة التذكارية التى كتبت بالتركية سنة وضع الحجر الأساسى للمطبعة . وعمل المدير على فصل الورش بفناء يتوسطها وقام بزرع حديقة صغيرة بها نافورة ماء . وكان يحد البناء من الجنوب حديقة المدير ومسكنه .

وظل شيلو (بك) يعمل على رأس المطبعة الأهلية إلى أن أحيل إلى المعاش لبلوغه السن القانونية فى سنة ١٩١١ . وقد اعترفت الحكومتان المصرية والفرنسية بفضله فمنحته الأولى رتبة الباشوية قبل إحالته إلى المعاش ، فى حين نال من الثانية وسام جوقة الشرف برتبة فارس .

وقد لاحظ المهيمنون على شئون المطبعة أن حروفها العربية لم تعد تجارى العصر ، وأنه لابد من التفكير فى قاعدة جديدة تحل محل القاعدة القديمة المعقدة . فلما زار الخديو عباس الثانى المطبعة فى ١٢ مارس سنة ١٩٠٢ ليفتتح المبانى التى أنشئت فيها خلال عهد مديرها شيلو بك ، استحسن من الإصلاحات المطلوبة صنع حروف جديدة واختصار الحروف وتغيير القاعدة .

وفى ٢٧ صفر سنة ١٣٢٠ الموافق ٤ يونيه سنة ١٩٠٢ تكونت لجنة من الشيخ حمزة فتح الله مفتش أول اللغة العربية بنظارة المعارف وشيلو بك مدير المطبعة الأهلية وأحمد زكى بك سكرتير ثان مجلس النظار وأمين سامى بك ناظر مدرسة الناصرية. وأسندت رياسة تلك اللجنة إلى إبراهيم باشا نجيب وكيل نظارة الداخلية . وكان أحمد مظلوم باشا ناظر المالية قد أمر بتشكيل تلك اللجنة لبحث « عيوب حروف المطبعة وأشكالها وتركيبها وللدلالة على الوسائل التى يترتب على اعتماد العمل بها تقليل عدد الحروف المستعملة مع المحافظة على جودة الخط وترقيها ترقية تناسب احتياج العصر الحالى . . [٢] » . وكان للجنة الحق فى الاستعانة بالخبراء ، إن

---

(١) محفوظات وزارة المالية ، تنظيم المطبعة الأميرية ، دوسيه ع ٧١ — ١/٤٥ خطاب من مدير المطبعة إلى وزير المالية فى ٩ نوفبر سنة ١٩٠٨ .

(٢) أمين سامى (باشا) : التعليم فى مصر ، هامش ص ١٠٧ .

دعت الحاجة إلى ذلك[1] . ثم رأت اللجنة أن تنتدب شيلو بك وأحمد زكى بك لدراسة تقدم صناعة الحروف فى الخارج . فزارا أشهر المطابع والمسابك بالآستانة وفينا وليبزج وبرلين وليدن وأكسفورد وباريس وقدم كل منهم تقريراً وافيا عن زيارته . وعرضا بعض المقترحات وافقت عليها اللجنة بإجماع الآراء .

واهتم أحمد زكى باختصار صندوق الطباعة والعمل على تسهيل جمع الحروف . وتمكن بعد جهد من تقليل عدد الحروف اللازمة للطباعة إلى ١١٢ حرفا ، وكانت الحروف المستعملة فى مطبعة أكسفورد العربية تبلغ ٢٨٢ . وأجرى أحمد زكى عدة تجارب فى مطبعة بولاق . وبعد ثلاثة شهور من العمل المتواصل ، تمكن من اكتشاف قاعدة جديدة أتاحت له جمع أية كلمة عربية أو تركية أو فارسية[2] .

وكانت الطريقة القديمة المستعملة فى مطبعة بولاق تقتضى من الجماعين معرفة ١٥٧٧ شكلا للحروف . أما الطريقة الجديدة فهى لاتطلب منهم أكثر من معرفتهم لمائة وخمسة وأربعين حرفاً أو شكلا[3] .

وكانت قاعدة مطبعة أكسفورد العربية تتكون من ٢٨٢ حرفاً بينما وصلت قاعدة مطبعة ليبزج إلى ٣٢٩ حرفاً وبرلين إلى ٥٠١ والآستانة إلى ٦٣٨ وفينا إلى ٦٦٠ وباريس إلى ٨٠٠ . وكانت قاعدة مطبعة بولاق تتكون من ٩٠٠ حرف فانخفضت بمقتضى الإصلاح الجديد إلى ١٧٨ حرفا .

وأضاف أحمد زكى إلى حروفه علامات الرسم والإملاء المستعملة فى اللغات الأوربية . وهى علامات الوقف ، ثم الوقف القليل ثم الوقف المتوسط ، ثم التفسير والبيان ثم الاستفهام فالتعجب أو النداء أو القسم أو التحذير أو الاستغاثة وأشكالها كالآتى : . ، ؛ : ؟ ! . ولم ينس أحمد زكى الأقواس فى المشروع الذى تقدم به ؛ كذلك قرر أن تبقى بعض التراكيب مجموعة جاهزة مثل « الله » .

وقد خفضت الطريقة الجديدة عدد أدوات الطباعة والجهد والتكاليف وقللت مدة الطبع فضلا عن أنها حسنت شكل الطباعة العربية وجعلت الكتب فى متناول

---

(١) الأهرام فى ٥ يونية سنة ١٩٠٢ .

(٢) أحمد زكى (بك) : خلاصة وجيزة على مباحث وأعمال لجنة إصلاح وتحسين الحروف العربية بمطبعة بولاق ، ص ٥ ، سنة ١٩٠٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٦ .

الجميع بعد أن أنزلت سعرها . وأتاحت استخدام الحروف الجديدة فى الطبع بست لغات ، وهى العربية والتركية والفارسية والهندية والجاوية والماليزية .

وقد وافقت اللجنة على المذكرة المقدمة من أحمد زكى بك فى جلستها المنعقدة فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٢ واعتمدت العمل بموجبها .

وانتقدت مجلة المقتطف[1] مذكرة أحمد زكى . وقالت إن الطباعة العربية لا تستغنى عن بعض الحروف الممدودة مثل ن ، ك ، ے . وهى حروف تستعمل لإكمال السطور الناقصة حتى لا يضطر العامل الذى يقوم بالجمع إلى تقسيم الكلمة الواحدة إلى قسمين فى آخر السطر كما يفعل الأوربيون . وترى المقتطف أيضاً ضرورة « جمع الشدة مع الضمة وتنوين الضم ومع الفتحة وتنوين الفتح » . وفى رأى تلك المجلة أنه لابد « من سبك الحروف والأرقام العددية على درجات مختلفة من الارتفاع حتى يمكن ترتيب الصور الحسابية والكميات الجبرية إذا أريد إبقاء علم الحساب والجبر فى العربية . وترى المقتطف أنه من الضرورى تجويف كل الحروف من طرفين أو من الأطراف الأربعة حتى يمكن وضع الحركات فيها ، ولا بد أيضاً من أنواع مختلفة من الفروق . فإذا تم هذا كله زاد عدد الأشكال مائة أو مائتين هذا بصرف النظر عن العلامات الإملائية كالفصلة والنقطة والأقواس وعلامات التعجب والاستفهام إلخ . . . »

وترد المقتطف على قول أحمد زكى بأن مشروعه الجديد سيخفض تكاليف الطبع بمقدار ٢٥٪ ، بأن أجرة ترتيب الحروف وتفريقها لا تزيد على ٢٠٪ من نفقات الطبع ، فيكون الوفر الحقيقى ٢ ٪ لا ٢٥ ٪ وهو وفر بسيط جدا . وتخلص المجلة إلى القول بأن « الإصلاح الذى أشارت به اللجنة يصلح مطبعة بولاق حتما ، ولو لم تفق به بعض مطابع العاصمة ولا بلغت به مطابع بيروت . . . »

ويأخذ جورجى زيدان على الحكومة المصرية عدم استعانتها بفن الشيخ إبراهيم اليازجى وخبرته « لأنه أقدر من يستطيع ذلك بالدقة والرونق ، ولو فوضت إليه هذا العمل لأحسنت صنعاً واستثمرت قريحته ثمراً نافعاً للغة العربية على الإجمال[2] » .

---

(١) حروف الطباعة العربية : مجلة المقتطف ، الجزء الرابع ، المجلد الثامن والعشرون فى أول أبريل سنة ١٩٠٣ ، ص ٢٨٥ وما بعدها .

(٢) جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٩٢٢ ص ١١٨

وقام جعفر (بك) بكتابة خط القاعدة الجديدة . ومهما يقل فى تلك القاعدة فإن حروفها تعد من خيرة الحروف العربية لجمال خطها وحسن تركيبها وسهولة جمعها وأول عدد من الوقائع المصرية صدر بالحروف الجديدة هو العدد الصادر فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٠٦ ورقمه ١٢٤ . ويلاحظ أن حروف القاعدة الجديدة قد أدخلت بالتدريج . وابتداء من العدد الصادر فى أول يناير سنة ١٩٠٧ أصبحت الوقائع تطبع كلها بالقاعدة الجديدة . ولكن ملحق العدد المذكور جمعت حروفه بالقاعدة القديمة .

وبلغت إيرادات المطبعة فى سنة ١٩٠٧ ٥٢,١٦٤,٠٨٥ جنيهاً مصرياً فى حين أن مصروفاتها لم تتعد ٤٤,٨٧٨,٣٤٥ جنيهاً مصريا . واقترح شيلو بك فى خطابه إلى وكيل المالية أن يصرف الفائض على تشييد منازل للعمال وعلى أعمال السكرتارية والحسابات العمومية وطبع ورق تمغة وشراء مطبعة حجرية بستمائة جنيه . أما الرصيد الباقى فيمكن صرفه على أعمال تحسين الحروف العربية وعلى مساكن العمال وتوسيع مبانى المطبعة وعلى بناء منازل اقتصادية لصغار مستخدمى المطبعة[1].

وازدادت الأعمال فى المطبعة منذ نهاية ديسمبر سنة ١٩٠٧ زيادة كبيرة نتج عنها ارتباك العمل وتأخير طلبات المصالح الحكومية المختلفة . وقرر مدير المطبعة فى ١٥ يناير سنة ١٩٠٨ لتخفيف ذلك الضغط أن تطبع مطبوعات مصلحة البريد التى تمثل ١٥٪ تقريباً من مجموع أشغال المطبعة ، فى المطابع الأهلية .

وقرر شيلو بك فى ٢٠ يناير سنة ١٩٠٨ تحديد ساعات العمل اليومى بثمان ساعات ، على أن يتقاضى العامل عن الساعات الإضافية نفس الأجر الذى يتقاضاه عن ساعات العمل العادية .

وفى العشرين من أكتوبر سنة ١٩٠٨ أرسلت وزارة المالية المستر مدلتون ليفتش على المطبعة . ووضع ذلك المفتش تقريراً لاحظ فيه أن ثلث عدد الطابعات يظل معطلا على مدار السنة . واقترح عدم تشغيل بعض المطبوعات الحكومية فى المطابع الأهلية خاصة وأن طابعتين قد اشتريتا لإنجاز مطبوعات مصلحة البريد .

---

(١) محفوظات وزارة المالية : تنظيم المطبعة الأميرية دوسيه ع ٧١ — ١/٤٥ من شيلو بك إلى وكيل المالية فى ٢٩ فبراير سنة ١٩٠٨ .

ولاحظ المفتش أن هناك طابعات تعمل منذ سنة ١٨٨٤ وسنة ١٨٨٥ وسنة ١٨٨٨. وهو يرى ضرورة استبدالها بطابعات جديدة وسريعة .

ورأى وزير المالية أن إيرادات المطبعة تزيد على مصروفاتها زيادة كبيرة ، فطلب من مديرها أن يتخذ ابتداء من سنة ١٩٠٩ الإجراءات الكفيلة بتخفيض تعريفة المطبعة .

وكانت المطبعة الأهلية إلى ما قبل سنة ١٩٠٩ تقوم بطبع نتائج وتقاويم غاية فى الأناقة والفخامة وتوزعها بالمجان . إلا أن وزارة المالية قررت فى ١٨ مارس سنة ١٩٠٩ أن تتوخى المطبعة الاقتصاد فى طبع تلك النتائج والتقاويم ولا تعطيها إلا بالثمن[1] . ويمكن اعتبار تلك السنة الحد الفاصل بين الإسراف والاقتصاد . فقد كانت المطبعة تقوم بتوريد بعض أصناف المطبوعات بالمجان إلى مختلف المصالح ثم ما لبثت أن قصرت تلك المجانية على مطبوعات الخديو . ويشتم من الخطابات التى كان يرسلها وكيل الوزارة الإنجليزى إلى شيلو بك أن الأول كان يريد الحد من سلطان الثانى . وقد تم له ما أراد ، حين قام بتعيين تريلونى وكيلا للمطبعة . وما لبث أن أصبح الأخير مسئولا عن المطبعة ومشرفاً على الصحف الرسمية ابتداء من سنة ١٩١١ . وظل يشغل هذا المنصب بصفة جدية حتى سنة ١٩١٧ .

واعتباراً من سنة ١٩١١ تقرر مسك حسابات المطبعة الأميرية بمعرفة المطبعة نفسها فقطعت إدارة الخزينة العمومية بواقى حسابات التسوية الخاصة بالمطبعة لغاية ٣١ يناير سنة ١٩١١ وسددت للمطبعة ما يلزم سداده وخصمت عليها ما يلزم خصمه من الأمانات وخلافه من باقى حسابات التسوية .

وكانت ترد للمطبعة الأميرية طلبات غير مصحوبة بالتعليمات والتفصيلات اللازمة فيتسبب عن هذا النقص أخطاء يترتب عليها خسارة فى الوقت والمال . ومنعاً لذلك وضعت المطبعة كتيباً صغيراً وزعته على جميع المصالح الحكومية حاوياً لجميع التعليمات الواجب اتباعها .

وبلغت سرعة بعض طابعات بولاق قبيل الحرب العالمية الأولى أربعة آلاف دورة فى الساعة . وكان بين آلاتها طابعة تدور ستة آلاف دورة فى الساعة .

---

(١) المصدر السابق .

وتتولى أربعة محركات كهربائية مجموع قوتها ١٤٠ حصاناً إدارة آلات المطبعة جميعاً . وكان يعمل فى ذلك العهد ستمائة عامل منهم مائة موظف داخل الهيئة وخمسمائة عامل بالأجرة اليومية .

وفى مارس سنة ١٩١٤ اعتمد وكيل وزارة المالية د. ت. لندسى لائحة الطباعة المصححة بدلا من اللائحة الواردة فى القسم التاسع عشر من الجزء الأول للائحة المخازن . وتنص المادة الأولى من تلك اللائحة على قيام المطبعة الأميرية بطبع وتجليد جميع استمارات الحكومة ودفاترها وتقاريرها وغير ذلك من مطبوعاتها . وتحتم المادة نفسها على مصالح الحكومة ألا تطبع أى مطبوع فى غير المطبعة الأميرية ولكنها تستثنى من ذلك مصلحة الآثار المرخص لها بطبع « كتالوج الأنتيكات المصرية » ومحاضرها السنوية فى غير المطبعة الأميرية . وتستثنى المادة الثانية المصالح المخول لها إيجاد مطابع خاصة بها وهى : مصلحة عموم السكك الحديدية لطبع كل الأعمال المتعلقة بها ، ومصلحة عموم المساحة لطبع الخرائط ونظارة الحربية لطبع الأعمال السرية وغيرها . . . أما المطابع الأخرى الصغيرة المرخصة من نظارة المالية فى بعض المصالح ، وهى مطبعة نظارة الداخلية ومطبعة محافظة القاهرة ومطبعة نظارة المعارف العمومية ومطبعة مصلحة عموم خفر السواحل بالإسكندرية ومطبعة محافظة الإسكندرية ، فإنه يخول لها أن تطبع ما يلزمها من الأعمال مع ملاحظة اتباع تعليمات الحكومة فيما يختص بالطباعة وللمطبعة الأميرية التفتيش عليها . وكل ما يلزم للمطابع المذكورة من الأدوات والأثاث تحصل عليه من المطبعة الأميرية [١].

وتنص المادة ٢٢ فقرة ب من هذه اللائحة على أن المطبعة الأميرية هى المصلحة الوحيدة المخول لها نشر الصور الحقيقية الرسمية للقوانين والأوامر العالية . وتنص المادة ٢٩ فقرة ا على أن « الأصول يلزم أن تكون على وجه واحد من الورق ويجب أن تكتب بالمداد أو آلة الكتابة (التايب رايتر) فالمطبعة الأميرية لا يمكنها قبول أصول مكتوبة بالقلم الرصاص . . وتنص المادة ٤١ على أنه « بعد مضى خمسة عشر يوما من تسليم المطبوع تفك حروفه إذا لم يصل للمطبعة طلب من المصلحة ذات الشأن بحفظها مرصوصة[٢] » .

وبعد أن تولى المستر تريلونى إدارة المطبعة عين أحمد صادق (بك) وكيلاً لها فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٢ وتم اختياره ملاحظاً لها فى ٣٠ أبريل سنة ١٩١٩ بمقتضى

(١) لائحة الطباعة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة ١٩١٤ ص ٢٢١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ١٥ .

أمر وزارى صدر بهذه الترقية . ولم يطل عهد أحمد صادق فى بولاق ، فقد رقى فى أول أبريل سنة ١٩٢٠ مديراً للمكتبة السلطانية[١] . وكانت المطبعة الأميرية فى عهد تريلونى وأحمد صادق تابعة لمراقبة مطبوعات الحكومة بوزارة المالية .

ولما اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى قل ورود الورق وأدوات الطباعة المختلفة من أوربا . وعانت المطبعة الأميرية وغيرها من المطابع المصرية الشىء الكثير من جراء تلك الحرب .

ولم يمكث أحمد صادق ملاحظاً للمطبعة مدة طويلة كما رأينا ، فقد حل محله المستر نيوتن الذى كان فى أول الأمر كبيراً للمصححين الإفرنج . وقد عين فى تلك الوظيفة بقرار من مجلس النظار صدر فى ٧ مايو سنة ١٩١١ ، ثم رقى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٣ رئيساً لورشة المطبعة ووقع عليه الاختيار فى سنة ١٩١٧ ليعمل فى القسم الحربى الخاص بنشر المطبوعات . وظل فى تلك الوظيفة قرابة ثلاث سنوات ؛ ثم عين فى أول أبريل سنة ١٩٢٠ ملاحظاً للمطبعة الأميرية ، وهى أكبر وظيفة فى المطبعة . وقد اعتزل مستر نيوتن خدمة الحكومة المصرية فى ١٧ يناير سنة ١٩٢٤ [٢].

وقد أنشأ جورج نيوتن فى الفترة التى تولى خلالها شئون المطبعة الأميرية ، مدرسة لتعليم فن الطباعة علمياً وعملياً . وكان يعلم فى تلك المدرسة المستر رانديل Randale ، وهو إنجليزى كان يعمل رئيساً لورشة الجمع الإفرنجى . وكان أحمد صادق عفيفى يعلم الحساب والهندسة واللغة الإنجليزية فوق قيامه بأعمال السكرتارية الخاصة بملاحظ المطبعة .

وأعلنت المطبعة عن افتتاح تلك المدرسة فى الصحف المصرية . واشترطت فى تلاميذها أن يكونوا حاصلين على شهادة إتمام الدراسة الابتدائية . وعلى الرغم من نشر الإعلان عدة مرات ، فإن تلميذاً واحداً لم يتقدم للالتحاق بالمدرسة . فاضطر ملاحظ المطبعة إلى اختيار عاملين فى المطبعة يحمل أحدهما الشهادة الابتدائية فى حين كان الآخر من حملة شهادة مدرسة الصنائع . وترغيباً فى الالتحاق بتلك

---

(١) أرشيف وزارة المالية المصرية ، ملف رقم م ٧١ — ١/١٥ .
(٢) أرشيف وزارة المالية المصرية ، ملف رقم م ٧١ — ١٠/٢٦ .

المدرسة أعلن الملاحظ عن عزمه على إنشاء فرقة كشافة للتلاميذ ، فتقدم أربعة فقط فى الأسبوع الأول وخمسة فى الأسبوع الثانى ، فاضطر الملاحظ أن يعدل عن إنشاء تلك الفرقة [١] .

وكان اليوم الدراسى موزعاً على النحو الآتى : من السابعة صباحاً إلى الحادية عشرة إلا ربع دراسة نظرية . ومن الحادية عشرة إلى الثانية بعد الظهر دراسة فى الورش . وبعد اعتزال المستر نيوتن الخدمة فى سنة ١٩٢٤ أغلقت المدرسة ووزع تلاميذها على مختلف ورش المطبعة كرؤساء فرق . وفى تلك السنة فكرت المطبعة فى إرسال بعثات من هؤلاء التلاميذ ليدرسوا فنون الطباعة فى أوربا . وكان المستر نيوتن من خيرة الذين خدموا المطبعة الأميرية فى عهودها السابقة وقد منحته الحكومة المصرية نيشان النيل الرابع وأنعمت عليه برتبة البكوية .

* * *

وإن انتقلنا إلى المطابع الرسمية الأخرى نجد مطبعة المهندسخانة التى قامت بطبع كتب الهندسة حتى نهاية القرن التاسع عشر . ولا يعرف عنها شىء بعد ذلك .

واستمرت مطبعة نظارة الداخلية تعمل طوال الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٢٤ لإنجاز مطبوعات الوزارة .

ومن المطابع التى أنشئت خلال تلك الحقبة مطبعة مدرسة الفنون والصنائع ، وهى مطبعة حجرية بدأت نشاطها بعيد سنة ١٨٨٢ وقامت بطبع الكتب الخاصة بمدرسة الفنون والصنائع .

وفى أواخر ديسمبر سنة ١٨٨٤ تأسست مطبعة نظارة المالية . وابتداء من أول يناير سنة ١٨٨٥ أصبحت صحيفة الوقائع المصرية والصحيفة الرسمية الفرنسية تطبعان فيها . وأدوات ومعدات هذه المطبعة هى عبارة عن أدوات ومعدات المطبعة الفرنسية لصاحبها فرنان موريس وشركاه . ووضعت المطبعة فى مقر النظارة نفسها وكان عدد كبير من عمالها من الإيطاليين .

وقامت بطبع قانون المعاشات الملكية سنة ١٨٨٧ ولائحة تتعلق بإعطاء

---

(١) من ذكريات السيد زكى خليل مدير مطبعة جامعة القاهرة سابقاً ومدير مركز التدريب المهنى لحرف الطباعة بامبابة حالياً .

شهادات الدراسة الثانوية من نظارة المعارف . ولم تعش المطبعة طويلا . فقد تقرر ضمها إلى مطبعة بولاق ، ونقلت فعلا إليها فى ١٣ يناير سنة ١٨٨٨ [١] .

ويعود إنشاء مطبعة ديوان الأوقاف إلى حوالى سنة ١٨٨١ فقد طبعت فى تلك السنة « قانون ديوان عموم الأوقاف » . ويمكن اعتبار سنة ١٩٠٠ الحد الفاصل بين ماض هزيل لتلك المطبعة قل فيه شأنها ومستقبل زاهر استطاعت المطبعة خلاله أن تثبت وجودها .

ويبدو أن المطبعة حتى سنة ١٩٠٥ لم تكن لها لائحة تنظم أمورها مما دعا الخديو عباس الثانى أن يكتب إلى رئيس ديوانه فيقول : « . . . ترون طى هذا قصيدة رثاء[٢] قالها أحد مستخدمى الأوقاف العمومية وقد طبعت أيضاً بمطبعة الديوان المذكور والجناب يحب أن يعرف إن كانت مطبعة الديوان جعلت لأعمال المصلحة فقط أو لها ولغيرها فقط . فاستدعوا عبد الحليم عاصم باشا عندكم واستفهموا منه هذه الاستفهامات واسألوه إن كان ذلك الشاعر المطبوع طبع هذا الرثاء بأمر من الباشا أو بغير علمه ، فإذا كان بغير علمه ، فكيف يقع ذلك وسعادته يشرف على كليات وجزئيات هذا الديوان ؟ وإن كانت طبعت بأمره ، فكيف يكون ذلك وصاحب الأمر موجود ؟ وبالجملة فالمطلوب كتابة تقرير مسهب عن تفصيل هذه المسألة ويكون ممضى بإمضاء سعادته وإمضاء سعادتكم ، ولا يمنعكم ذلك من تعليق ملحوظاتكم وأرسلوا جميع ذلك إلى الجناب العالى ليطلع عليه ليرى رأيه فيه[٣] » .

وتخبرنا المجلة المطبعية الصادرة فى ٣ مارس سنة ١٩٠٩ باختيار « حضرة الشاب المهذب النجيب سليمان أفندى إبراهيم مأموراً لمطبعة مصلحة الأوقاف » وتردف بأن تلك المصلحة « منحته علاوة أربعة وعشرين جنيهاً فى العام ليبلغ مرتبه ١٤٤ جنيهاً » . وتقول المجلة إن « من مقدمات عمله ونفحات نشاطه طبعه النتيجة السنوية المعتاد طبعها هذه السنة بشكل جميل يسر الناظر وهى محمدة له تؤثر على الأيام وتشكر » .

---

(١) Le Bosphore Egyptien, vendredi 13 Janvier 1888.

(٢) قصيدة فى رثاء الشيخ محمد عبده .

(٣) أحمد شفيق (باشا) : مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الثانى ص ٧٣ ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ .

وكانت المطبعة فى ذلك العهد عبارة عن ثلاث حجرات . الأولى لصف الحروف والثانية للطبع . وكان فيها آلة طبع كبيرة وأخرى صغيرة والثالثة للتجليد . ومن مطبوعاتها فى تلك الحقبة « روض القلوب المستطاب » للشيخ حسن رضوان (١٣٢٢هـ) و « أحكام الأوقاف » للإمام أحمد بن عمر الخصاف (١٣٢٢ هـ) و « التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية » لإبراهيم حليم باشا القوقاسى . . .

وفى حوالى سنة ١٨٨٢ أنشئت مطابع سكك حديد الحكومة المصرية . وظلت إلى سنة ١٩٠٥ تابعة لقلم المخازن ثم انتقلت تبعيتها إلى قلم المراقبة العام لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية . وكانت حتى سنة ١٩١٤ تقوم بتزويد السكك الحديدية والتلغرافات بالمطبوعات المستعجلة أما الكتب والصكوك فكانت تطبع فى الخارج .

وفى ٧ يونيه سنة ١٩٠٨ أضرب عمال تلك المطبعة لخلاف وقع بينهم وبين المستر أرز وكيل قلم التوريدات والمطابع لأنه أمر بإغلاق نوافذ المطبعة . وكان أن قدم عمال المطبعة مذكرة طالبوا فيها بزيادة أجورهم ومنحهم إجازة ١٥ يوماً فى السنة وفتح النوافذ ونقل المسبك من مقر المطبعة وأن تكون ساعات العمل من السابعة صباحاً إلى الثانية بعد الظهر (١) .

وكانت المطبعة فى سنة ١٩١٠ تتكون من ورشة للجمع الإفرنجى وأخرى للجمع العربى وورشة لصب الفورم وورشة للطبع تحتوى على تسع طابعات بينها اثنتان ماركة بابكوك الأمريكية وواحدة ماركة ألوزيه الفرنسية وواحدة ماركة برمو وواحدة ماركة فولكون وواحدة ماركة كوهينور وثلاث آلات ماركة هاريلد . والآلات الخمس الأخيرة كانت تدار بالقدم ، وكانت توجد أيضاً طابعتان حجريتان الأولى ماركة ألوزيه والثانية ماركة بوليتو ، عدا عدد كبير من آلات الترقيم ماركة رافاس .

ولما ضمت التليفونات إلى الحكومة فى سنة ١٩١٨ أصبحت المطبعة تنجز جميع أشغال السكك الحديدية والتلغرافات والتليفونات كجداول المواعيد وتعاريف البضائع ودفاتر تليفونات المشتركين والأدوات الكتابية .

(١) الأهرام فى ٨ يونية سنة ١٩٠٨ .

وعندما أنشئت مصلحة المساحة فى سنة ١٨٩٨ لم تكن مطبعتها تطبع إلا الخرائط الخاصة بالمصلحة ذات المقياس ١/٤٠٠ و ١/٢٥٠٠ . وجاءت بعد ذلك الخرائط الطبوغرافية مقياس ١٠٠٠٠ / ١ التى طبعت باللونين الأسود والأزرق .

ومما هو جدير بالذكر أن التصوير الفوتغرافى لم يقم بأى دور فى أول الأمر . وظل الحال كذلك إلى سبتمبر سنة ١٩٠٢ حين استدعى إلى مصر أحد خبراء الإنجليز فى التصوير الفوتغرافى وهو المستر كيرنى Kearny ولم يبدأ هذا الخبير عمله فعلا إلا فى أوائل سنة ١٩٠٣ . وقد استغرق إنشاء قسم التصوير وقتاً طويلا . ولم يتم إلا فى سنة ١٩٠٧ .

وفى سنة ١٩٠٦ بدئ فى إصدار مجموعة من الخرائط ذات المقاييس الصغيرة (١/٥٠٠٠٠) وبلغ عدد خرائطها ١٥٣ خريطة سنة ١٩١١ .

واحتاجت وزارة المعارف العمومية فى سنة ١٩٠٧ إلى خرائط باللغة العربية لتستعملها فى مدارسها فتوجهت بطلبها إلى مصلحة المساحة التى بادرت إلى طبع إحدى وعشرين خريطة طبيعية وسياسية فى سنة ١٩١١ . وأخرجت مصلحة المساحة فى سنة ١٩٢٠ أطلساً ابتدائيًّا باللغة العربية كان أول أطلس تخرجه مطابعها .

وبدأت المصلحة تطبع بأربعة ألوان سنة ١٩٠٩ ، وكانت تستعمل الألوان الأسود والأزرق والأخضر والبنى .

وكانت مطبعة المساحة تستخدم فى سنة ١٩١٠ حوالى الثمانين بين رسام وعامل وكان لديها اثنتا عشرة آلة طباعة بينها ثمان ماركة فيتشنر وآلة طبع حجر تدار باليد وثلاث آلات أخرى ماركة فواران واثنتان أخريان من طراز إنجليزى . وكانت تلك المطبعة أول مطبعة فى مصر تقتنى طابعة أوفست ، وقد اشترتها من مصانع مان Mann سنة ١٩١٢ (١) .

وفى عام ١٩١٣ وضع ج . هارفى راونترى كتاباً عن الطباعة بالحجر باللغة الإنجليزية ليستفيد منه المعنيون بهذه الطباعة فى مصر عامة وفى مصلحة المساحة خاصة . وقد طبع الكتاب بمطبعة بولاق (٢) .

---

(١) الكتاب الذهبى لاتحاد الصناعات المصرية ، ص ٢٤٠ .

(٢) J. Harvey Rowntree : The process of lithography Cairo Government Press, 1913.

وقد رأى الحكومة المصرية فى السنوات الأولى من القرن العشرين على طبع المصحف الشريف طبعة جديدة . وأعدت لتلك الطبعة حروف جديدة غاية فى الجمال ودقة الصنع . غير أنه اتضح عند التجربة أن سبيكة تلك الحروف ضعيفة مما يعرضها للانكسار أثناء عملية الطبع . وفى ديسمبر سنة ١٩١٢ فكرت مصلحة المساحة فى طبع المصحف بطريقة الفوتوليتو على أن تقوم مطبعة بولاق بتقديم تجارب الصفحات مطبوعة طبعاً متقناً توطئة لتصويرها بالطريقة سالفة الذكر . وفى تلك الأثناء عرض اقتراح جديد يقضى بعمل كليشيهات الصفحات بطريق الحفر على الزنك . وقد استغرقت دراسة الطريقتين مدة طويلة . وفى سنة ١٩١٤ تقرر صنع الحروف بطريقة الطلاء بالكهرباء فى أوربا . ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى تأجل المشروع ليطرح مرة أخرى على بساط البحث سنة ١٩١٧ . وفى هذه المرة تقرر الطبع بطريقة الفوتوليتو فى مصلحة المساحة . فقامت مطبعة بولاق عندئذ بتقديم نسختين مطبوعتين لكل صفحة من صفحات القرآن إلى مصلحة المساحة لتصويرها . ولكن كثرة العمل وقلة المواد حالا دون القيام بتلك المهمة فوراً . واتضح فى الوقت نفسه أن الزخارف المحيطة بالنص غير مناسبة فطلب إلى مصلحة المساحة إعداد نقوش جديدة استغرق رسمها وقتاً طويلا . وأخيراً تم طبع المصحف الشريف فى سنة ١٩٢٤ بطريقة الطباعة الملساء (أوفست) .

وقامت المطبعة خلال الحرب العالمية الأولى بطبع الخرائط الطبوغرافية للجيش البريطانى ، ولما انقطع ورود البضائع من أوربا فى تلك الحرب ، قامت مصلحة المساحة بطبع طوابع بريد الحكومة الحجازية وطوابع حملة فلسطين . وقامت المصلحة أيضاً برسمها . وطبعت أوراق النقد من فئة الخمسة قروش صاغ .

وكان لنجاح التجربة التى قامت بها المطبعة فى طبع طوابع البريد أن فكرت الحكومة المصرية جديا فى أن تكلفها بإصدار طوابع البريد المصرية . وبدأت مصلحة المساحة منذ سنة ١٩١٩ فى دراسة طريقة إخراج هذه المطبوعات الجديدة إلى حيز الوجود . واستطاعت المطبعة فى سنة ١٩٢٣ أن تطبع أول طابع بريد وكان يحمل صورة الملك فؤاد مرسومة رسماً خطياً .

وكان الديوان السلطانى يطبع مطبوعاته فى المطابع الأهلية المختلفة ثم رؤى عند

تولى الملك فؤاد أن تنشأ مطبعة فى قصر عابدين لتوحيد طبع النماذج المطلوبة للخاصة والأوقاف الملكية فخوبرت مطبعة وزارة الأوقاف وقلم مطبوعات الحكومة لتنفيذ هذه الفكرة . وكانت المطبعة فى أول الأمر عبارة عن طابعتين صغيرتين وبعض الأدوات الضرورية اللازمة لتشغيلها .

واستقر الرأى فى سنة ١٩٢١ على نقل القسم الأدبى ومطبعته من دار المطبعة الأميرية إلى دار الكتب المصرية . وتقبل هذه المطبعة طبع المؤلفات العلمية والأدبية على نفقة ناشريها أو أصحابها (١). وهدفها إحياء الآداب العربية بنشر أمهات الكتب .

ثانياً : مطابع الأجانب

وتعتبر هذه الحقبة من تاريخ الطباعة فى مصر أفضل حقبة بالنسبة لمطابع الأجانب . فقد نمت تلك المطابع وازدهرت بسبب زيادة عدد الأجانب واستتباب الأمر بالنسبة لهم بعد إخماد الثورة العرابية . فتأسست المصارف ودور التجارة والصناعة فى القاهرة والإسكندرية وبعض مدن الوجهين البحرى والقبلى .

وعلى الرغم من بيع أنطوان موريس مطبعته بالإسكندرية إلى مطبعة بولاق فى سنة ١٨٨٥ ، فقد قام ابنه فى السنة التالية بتأثيث مطبعة جديدة بالاشتراك مع لويس كارير .

وفى سنة ١٩٠٠ استطاع موريس الابن أن يشترى المطبعة من شريكه فأصبحت تعرف باسم المطبعة العمومية . واحتلت هذه المطبعة الجديدة الصف الأول بين دور الطباعة فى القاهرة والإسكندرية . ولما تبين لصاحب المطبعة أن مقرها ضاق بعمالها الذين بلغوا الثمانين ، ضم إليها محلين آخرين . وهى أول مطبعة أجنبية فى مصر تجلب آلات تنضيد الحروف لينوتيب ماركة مارجنتالر الأمريكية ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٨ .

---

(١) نبذة تاريخية فى أصل دار الكتب المصرية وتأسيسها وحركة أعمالها ومطبوعاتها ص ٧ . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، سنة ١٩٢٧ .

وفى سنة ١٩١١ اشترت شركة النشر المصرية مطبعة أنطوان موريس الابن . وكانت تلك الشركة قد ضمت إليها فى سنة ١٩٠٦ مطبعتى بناسون والبورص إجبسيين .

أما مطبعة كاستاليولا فقد تولى أمرها فى سنة ١٩١٠ المسيو جوجون فجلب لها طابعات جديدة من أوربا . ومُنحت بجودة مطبوعاتها لقب « مورد سمو الخديو » .

وفى سنة ١٨٨٤ افتتح المسيو هاريسيادس مطبعة باسم زوجته فيليسيا هاريسيادس وقد أشرفت تلك السيدة على تركيب الآلات بنفسها ذلك أنها كانت قد تدربت على هذا الفن أثناء اشتغالها فى مطبعة لاجوداكيس بالإسكندرية . وتعتبر المرأة الأولى التى امتهنت صناعة الطباعة فى مصر .

وقد نجحت المطبعة نجاحاً كبيراً فى أول الأمر ثم بدأت الأحوال تتغير والأعمال تقل شيئاً فشيئاً . وكاد يقضى على المطبعة لولا دخول المسيو ماتاندوس شريكاً فى سنة ١٨٩٧ . واتخذت المطبعة منذ ذلك الحين إسم مطبعة ن . ماتاندوس وشركائه .

وأنشئت مطابع حجرية بعد ذلك عند كل من سرباكيس وأرواند وأميرايان والرغائب وتشايليكيان والمستقبل ولانشيرنى ومصر وأندريه ليوكيس .

ولما عاد لاجوداكيس إلى الإسكندرية فى سنة ١٨٨٢ بعد أن طاف بأوربا دارساً طرق الطباعة الحجرية ومستحدثاتها ، أسس ورشة جديدة فى شارع كليوباطرة. وكان لاجوداكيس أول طابع يقوم بإنتاج البطاقات والأغلفة التى تلصق على علب السجاير . وكانت السجاير المصرية تقدم حتى ذلك الوقت فى صناديق بعيدة عن الذوق السليم .

واتسعت أعمال تلك المطبعة حتى ضاق بها المقام فانتقل لاجوداكيس بمطبعته إلى حى محرم بك حيث شيد لها مبنى كبيراً . وحل لاجوداكيس الابن محل أبيه بعد وفاته ، فى إدارة المطبعة التى أصبحت بعد ذلك شركة توصية .

ومن المطابع الشهيرة فى ذلك العصر مطبعة س . بورس التى كانت فى أول شارع الموسكى .

وفى سنة ١٨٨٢ تأسست بالقاهرة مطبعة متاندوس وهارسياديس وتخصصت

فى طبع البرونز والألوان وورق السجاير وأغلفة العلب المطبوعة بالكرومو والعلب الملونة ذات الكتابة البارزة . وكانت تستخدم ١٨٦ عاملا .

وأنشئت فى سنة ١٨٨٣ مطبعة بوهم واندرر وهى مطبعة ألمانية تخصصت فى طبع الكراريس ومن المرجح أنها صفيت خلال الحرب العالمية الأولى مثلها فى ذلك مثل جميع المؤسسات الألمانية .

وفى سنة ١٨٨٥ تأسست فى القاهرة مطبعة مونافو واتخذت مقرها فى شارع السبتية رقم ٦ . وطبعت ابتداء من سنة ١٨٩٤ صحيفة الأمبرسيالى الإيطالية . وعمل صاحب تلك المطبعة قبل أن يؤسسها فى مطبعة صحيفة البوسفور إجبسيان وفى مطبعة صحيفة الجورنال إجبسيان .

وفى سنة ١٨٩٨ تأسست بالقاهرة مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية . وقد قام بتنظيمها إميل جيوم الذى كان يعمل فى قسم صف الحروف الشرقية فى المطبعة الأهلية بباريس . وقد تمكن بسهولة من العثور على صفافى الحروف العربية والقبطية ، ولم يجد كبير عناء فى إيجاد من يصف حروفاً عبرية ويونانية . ولكنه صادفته أكثر من عقبة عندما بدأ فى تعليمهم صف الحروف الهيروغليفية والنيناوية .

وقد رصدت الحكومة الفرنسية لعام ١٨٩٨ اثنى عشر ألف فرنك لمستخدمى المطبعة وثلاثة آلاف فرنك لتجديد معداتها . وأول مطبوع ظهر عن تلك المطبعة هو لائحة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة . وهى أول مطبعة فى مصر تستخدم الحروف أو الأشكال الهيروغليفية . وكانت مصلحة الآثار المصرية من أكبر عملائها .

وفى منتصف شهر سبتمبر سنة ١٩٠٣ وصل ألبير جيس القاهرة ليحل محل مدير المطبعة السابق بول باربيه . وفى عهد المدير الجديد نقلت المطبعة إلى مقرها الحالى بالمنيرة بعد أن كان فى قصر النيل .

واستخدمت المطبعة الحروف العربية واليونانية والعبرية والقبطية والآشورية والهيروغليفية . وللحروف الأخيرة قصة جديرة بأن يعرفها كل من يعنى بتاريخ الطباعة . فقد كان عدد رموز تلك اللغة عندما أحضرها إميل جيوم لا يتجاوز

(١) كان الفرنك يساوى أربعة قروش تقريباً .

الـ ٥٦٨٨ بأبناطها الثلاثة ، فبلغ عددها فى سنة ١٩١٠ : ٦٨٠٠ رمز .

وتأسست بالإسكندرية سنة ١٨٩٨ مطبعة مدرسة الفرير للفنون والصنائع وألحقت بها ورشة للتجليد . وكان الغرض من إنشاء هذه المؤسسة تعليم الفن المطبعى وفن التجليد لكل من يرغب فى ذلك ، وطبع مطبوعات مدارس الفرير المنتشرة فى مصر . ولما أخذ عدد تلك المدارس فى الازدياد ، رأى المهيمنون على شئون المطبعة تلبية للطلبات المتكاثرة التى ترتبت على هذه الزيادة ، توسيع المطبعة وورشة التجليد، فتم لهم ما أرادوا . وفى خلال الحرب العالمية الأولى فتر نشاط المطبعة لسفر بعض معلميها إلى ميدان القتال. وما أن وضعت الحرب أوزارها حتى بدأ النشاط يدب فى أركان المطبعة التى لم يقتصر إنتاجها على مدارس الفرير فحسب ، بل تعداها إلى البيوتات الفرنسية التجارية التى صارت ترسل مطبوعاتها إلى تلك المؤسسة تشجيعاً لها .

وقد ألف الأخ سيريل لوسيان مدير المطبعة كتاباً فى الطباعة نشره سنة ١٩٢٣ .

وفى القاهرة أنشأ أورست مورافتلى اليونانى مطبعة حجرية فى سنة ١٨٩٨ . وكانت تطبع أوراق الخطابات والفواتير والنشرات والشيكات والسندات والأسهم ونوتات الموسيقى وأوراق علب السجاير وعلب الأدوية والحلوى والأشربة والإعلانات وأوراق اليانصيب .

واتخذت المطبعة فى نشأتها الأولى مكاناً فى شارع البواكى ثم انتقلت منه إلى شارع نوبار (الجمهورية اليوم) وتركته إلى شارع علوى ومنه إلى شارع الترجمان ببولاق .

وأسس أنجلو بروكاشيا بالقاهرة فى سنة ١٩٠٠ ، مطبعة لتنمية وتحسين الفن المطبعى فى مصر. واتخذ لها مقرًا فى سوق المرور ثم انتقل بها إلى شارع المدابغ (شريف اليوم) فشارع المناخ (عبد الخالق ثروت اليوم) وفتح لها فرعاً بالإسكندرية فى شارع سعد زغلول بالقرب من محطة الرمل . وقد أصبح هذا الفرع الأخير أصلا ، ثم ابتنى لمطبعته بالقاهرة عمارة فى ١٢ شارع جلال انتقلت ملكيتها بعد ذلك إلى شركة الإعلانات الشرقية فاتخذتها مركزاً رئيسياً لها . وكانت المطبعة فى عهدها

الأول تقوم بإنجاز جميع أشغال المدينة والنشرات والمطبوعات الفاخرة وإعلانات الحائط الملونة .

وفى سنة ١٩٠٥ أنشأ فرنسى يدعى بول باربيه مطبعة بالقاهرة اتخذ لها مقراً فى شارع عبد العزيز حيث ظلت إلى سنة ١٩١٨ ثم انتقلت إلى حارة فايد رقم ٨ بقسم عابدين .

وكان بول باربيه قد درس فن صف الحروف الشرقية فى المطبعة الأهلية بباريس ثم قدم القاهرة ليتولى إدارة مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية حتى سنة ١٩٠٣ . وبعد وفاته فى سنة ١٩٠٨ انتقلت ملكية مطبعته إلى أرملته . وكانت الحكومة الفرنسية قد منحته وسام جوقة الشرف برتبة فارس مكافأة له على الخدمات التى أداها لفرنسا فى مصر .

وكانت المطبعة تقوم بطبع بعض الصحف والأشغال التجارية والكتب وإعلانات الحائط والكتب المدرسية الخاصة بمدارس الفرير بمصر . كما قامت بطبع نشرات جمعية الحشرات المصرية وتذاكر سباق الخيل منذ سنة ١٩٠٩ .

وأسس موريس جرونبرج مطبعته بالقاهرة سنة ١٩٠٤ لإنجاز المطبوعات التجارية . وكانت فى أول الأمر بالعتبة الخضراء .

* * *

كثر عدد مطابع الأجانب فى مصر خلال الربع الأول من القرن العشرين . وترجع أسباب هذه الكثرة إلى الانتعاش الاقتصادى الذى عم البلاد وتأسيس الشركات المساهمة وازدياد عدد المدارس وانتشار العلم والصحف انتشاراً لم تعرفه مصر فى القرن التاسع عشر . وكان لتشجيع المصريين للأجانب أطيب الأثر على الطباعة . فقد نزح من إيطاليا وفرنسا وألمانيا عدد كبير من رجال الطباعة وافتتحوا بالقاهرة والإسكندرية وبور سعيد مطابع كانت لا تقل كثيراً عن مطابع أوربا ، وقد عمل المصريون فى هذه الدور فتعلموا الكثير من الفنون المطبعية التى كانت خافية عليهم ، وإن كانت مصر قد بزت غيرها من الدول العربية ، بل بعض دول أوربا

فى الطباعة . فالفضل يعود إلى الحكومة والشعب اللذين شجعا الأجانب على ترك بلادهم ليعيشوا فى أرض الكنانة معززين مكرمين ، مطمئنين على أرواحهم وأموالهم ، فتعلم بعض المصريين هذا الفن منهم وأجادوه إلى حد كبير .

ثالثاً : مطابع المصريين

نشطت مطابع المصريين نشاطاً ملحوظاً بعد سنة ١٨٨٢ . فقد تأسست مطابع جديدة وتوسعت معظم المطابع القديمة بفضل انتشار التعليم وازدياد عدد الصحف والمجلات والانتعاش الاقتصادى . فبعد وفاة أحمد البابى الحلبى فى سنة ١٨٩٨ خلفه مصطفى البابى الحلبى . وظلت مطبعة الحلبى محتفظة باسمها القديم ألا وهو المطبعة الميمنية حتى سنة ١٩١٩ حين انفصل ورثة المؤسس وحلوا الشركة التى كانت لهم باسم « شركة دار الكتب العربية الكبرى لأصحابها مصطفى البابى الحلبى وأخويه » . وفى تلك السنة أسس مصطفى شركة جديدة له ولأبنائه باسم شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ومقرها شارع الشيخ محمد عبده رقم ١٢ (التبليطة سابقاً) .

ومن المطابع التى لم تعش طويلا المطبعة الأهلية القبطية . فقد تولى أمرها رزق باك جرجس ثم انتقلت إلى أخيه إبراهيم جرجس وأصبح يطلق عليها اسم « مطبعة الوطن » . وفى سنة ١٨٩٣ بيعت المطبعة إلى يوسف بك منقريوس فطبع عليها مجلة الحق . وانتهت آخر الأمر إلى حبيب جرجس فأدارها مدة إلى أن استهلكت فبيعت مجزأة إلى أحد تجار الخردة . وهكذا انتهت قصة أول مطبعة قبطية عرفتها مصر .

وفى حوالى سنة ١٨٨٣ أنشأ محمد درى باشا مطبعة لطبع الكتب الطبية وبعض الكتب التاريخية . ولم يكن الغرض من تلك المطبعة الكسب المادى . ويرجح أنها أغلقت قبل وفاة صاحبها فى سنة ١٩٠٠ .

وكتبت الوقائع المصرية فى عددها الصادر يوم الأربعاء ٤ فبراير سنة ١٨٨٥

بأنه « صدرت الرخصة من نظارة الداخلية لحضرة على أفندى عزمى من أهالى المحروسة بفتح مطبعة حروف وحجر فى مصر وكتب له من الداخلية فى ٢ فبراير سنة ١٨٨٥ بذلك مشروطاً عليه التزام العمل بقانون المطبوعات ولمحافظة مصر إخطار بفتح تلك المطبعة حتى يكون ذلك معلوماً » .

وكان للشيخ حسن الطوخى مطبعة ألغتها نظارة الداخلية لوفاته . وقد كتبت الداخلية إلى المحافظة فى ٦ يونيه سنة ١٨٨٩ « بمراقبة عدم فتح المطبعة المذكورة[1] » .

وأشهر المطابع المصرية بالقاهرة فى سنة ١٨٨٩ هى مطبعة المقتطف بشارع عابدين ومطبعة الوطن بشارع كلوت بك ومطبعة الفلاح بشارع عبد العزيز ومطبعة الآداب بشارع محمد على ومطبعة القاهرة بشارع قنطرة الدكة ومطبعة الشيخ شرف بخان أبو طاقية ومطبعة محمد مصطفى بجوار الشيخ الدردير ومطبعة أحمد الحلبى بجوار الشيخ الدردير ومطبعة الطوبى والخشاب بالجمالية ومطبعة عثمان عبد الرازق بالفراخة والمطبعة العمومية لصاحبها يوسف آصاف اللبنانى ، وكان مقرها بشارع عبد العزيز رقم ١٨ أمام سراى على باشا شريف .

وفى سنة ١٨٩٠ أنشأ نجيب مترى « مطبعة المعارف ومكتبتها » . وقد عملت هذه المؤسسة منذ اللحظة الأولى على ترقية فن الطباعة العربية والنهوض بها إلى مصاف الطباعة الإفرنجية . وكان مقرها فى الدور الأرضى من عمارة الدمرداش الكائنة فى شارع الفجالة (كامل صدقى اليوم) ثم انتقلت إلى العمارة رقم ٧٠ من الشارع نفسه بالقرب من ميدان باب الحديد .

وقد ولد صاحبها نجيب مترى فى أول مايو سنة ١٨٦٥ فى الشويفات من أعمال جبل لبنان وتلقى دروسه الأولية فى مدرسة البلدة التى ولد فيها . ثم نزل إلى بيروت حيث تعلم صناعة الطباعة . وفى سنة ١٨٨٤ اتفق عزيز الزند معه ليتولى إدارة مطبعة المحروسة بالقاهرة . ولكن لم يلبث نجيب أن ترك تلك المطبعة فى سنة ١٨٨٩ ليؤسس مع جورجى زيدان مطبعة التأليف . وقام نجيب بإدارتها سنة واحدة ثم تركها لشريكه وأنشأ لنفسه « مطبعة المعارف » .

اختار نجيب مترى لمطبعته ثلاث غرف وحوشاً صغيراً داخل بوابة بأول شارع

---

(١) مجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات من أول يوليه سنة ١٨٨٩ إلى ٣٠ منه ، ص ٥٢٣ .

الفجالة ملك خليل الزهار . وكانت المطبعة فى أول عهدها عبارة عن آلة صغيرة للطبع تدار باليد وآلة لطبع التجارب وبضعة صناديق للحروف بنط ٢٠ ، ٢٤ .

وبعد خمس وعشرين سنة من الجهد المتواصل غدت « مطبعة المعارف » من أكبر مطابع القاهرة وأكثرها استعداداً . واشتهرت تلك المطبعة بنظافة طبعها وإتقانه.

وأضاف نجيب إلى مطبعته قسما جديداً لتجليد الكتب واستأجر بعد ذلك محلا فى شارع الفجالة نفسه خصصه لبيع الكتب وأطلق عليه اسم « مكتبة المعارف » .

وكان يتردد على « مطبعة المعارف » فى نشأتها الأولى عدد كبير من الكتاب والأدباء والشعراء نذكر منهم خليل مطران وصالح جودت ومحمد الببلاوى وإسماعيل باشا حسنين وحافظ بك إبراهيم شاعر النيل وحلمى بك عيسى وعبد الحميد أبو هيف ومصطفى لطفى المنفلوطى وولى الدين يكن ، وإسماعيل باشا صبرى والشيخ إبراهيم اليازجى وقاسم بك أمين وفتحى باشا زغلول وغيرهم من فحول الأدب والسياسة .

ولم ينهض نجيب مترى بالفن المطبعى فى مطبعته فحسب ، بل حاول أن ينهض به فى مطابع مصر كلها بمن درب من العمال الذين خرجوا ينشرون فنه فى مختلف مطابع مصر .

ولما أتمت مطبعة المعارف خمساً وعشرين سنة من حياتها ، قدم فريق من المؤلفين والأدباء إلى صاحبها كأساً تذكارية للعيد الفضى الذى أقاموه بفندق الكونتيننتال بالقاهرة فى ٢٨ أبريل سنة ١٩١٦ .

وفى أوائل سنة ١٨٩٣ فكر بعض تجار الإسكندرية فى إقامة معرض وطنى فأدرجت الحكومة له ألفاً من الجنيهات كما دفعت بلدية الإسكندرية أربعمائة جنيه . وجمع اكتتاب بالقاهرة للغرض نفسه . وافتتح المعرض فى ٢٢ أبريل سنة ١٨٩٤ .

وفى المجموعة الأولى من قسم الفنون الجميلة قدم شولر فى قسم النحت والحفر رسم ثعلب مطبوعاً بالزنكغراف . وساهم فى هذا المعرض أيضاً دانيال وجان ستيل الحفاران والطابعان بالحجر . وقد عرض أيضاً دى لاروكا وبناسون ومطبعة ديلوسترولوجو ببورسعيد ومطبعة لاجوداكيس بالإسكندرية ومطبعة فروزان أخوان

بالمنصورة ومطبعة محمد مسعود .

ونال لاجوداكيس وبناسون الميداليتين الذهبيتين وحازت مطبعة البورصة ومطبعة ديلوستر ولوجو الميداليتين الفضيتين . وفاز بالميداليات البرونزية مطبعة لاروكا ودانيال وستيبل وجميل . واستحق بلا دينو الميدالية الفضية لفن التجليد .

وعرفت سنة ١٨٩٤ ثلاث مطابع جديدة ، وهى المطبعة العمومية بطنطا لأنطون غوش . وكانت تطبع بالعربية والفرنسية واليونانية . وفى ٢٧ نوفمبر من السنة نفسها صرحت نظارة الداخلية لخليل الشدياق من محررى الجرائد العربية بإنشاء مطبعة عربية باسم المطبعة الشدياقية . وثالثة هذه المطابع هى مطبعة جمعية التوفيق القبطية ، وهى أول مطبعة قبطية تؤسس بأسهم بلغ عددها ثلاثمائة سهم وثمن السهم جنيه مصرى واحد . وقام بإنشاء المطبعة جمعية التوفيق القبطية واختارت لها ورشة فى شارع كلوت بك . وقد طبعت فيها مجلة التوفيق طوال ثلاث عشرة سنة[١] وإلى مساعى الدكتور إبراهيم منصور يعود فضل إنشاء تلك المطبعة [٢] .

ولما رأى الشيخ إبراهيم اليازجى أن الآداب العربية والصحافة قد انتقلت من بيروت إلى مصر لانطلاق الحرية فيها ، قرر السفر إليها لينشئ فيها مطبعة ومجلة علمية . وقد تم الاتفاق بينه وبين صديقه الدكتور زلزل وهو شريكه فى مجلة « الطبيب » على أن يذهبا إلى مصر معاً حيث أسسا مطبعة البيان فى سنة ١٨٩٧ . ولم تعش تلك المطبعة أكثر من سنة ، فقد فضت الشركة وأغلقت المطبعة . وتمكن إبراهيم اليازجى خلال إقامته فى القاهرة من صنع حرف جديد بنط ٢٠ . وقد استخدمته مسابك القاهرة وشاع استعماله فى المطابع المصرية .

وكان من نتيجة ازدياد عدد المطابع اشتداد المنافسة بينها فانخفضت أسعار الطبع واختفت بعض المطابع التى لم تستطع مسايرة التقدم الذى أصاب الفن المطبعى فى أوائل القرن العشرين . وظهرت مطابع جديدة جهزت نفسها بآخر المستحدثات المطبعية ودخل المصريون ميدان الطباعة الراقية واستطاعوا أن يقفوا على أقدامهم

---

(١) من حديث مع السيد جرجس فلتئوس عوض صاحب المطبعة العصرية .
(٢) رمزى تادرس : الأقباط فى القرن العشرين ، الجزء الرابع ، مطبعة رعمسيس ، ص ٦٨ .

وقفة الواثق من نفسه الخبير بشئون هذا الفن . ولم يمض وقت طويل حتى أصبحوا أسياد الموقف .

ولكن دخول الآلات المطبعية الحديثة مصر لم يمر دون جلبة . ففى أوائل سنة ١٩٠٨ جلب أنطوان موريس الابن إلى مطبعته بالإسكندرية آلة تنضيد الحروف المعروفة باسم « لينوتيب » . فقامت قيامة العمال لأنهم رأوا فيها منافساً خطيراً لهم .

وبعد بضعة شهور جلبت مطبعة الإيتاندار إجبسيان والإجبشيان ستاندرد صحيفتا مصطفى باشا كامل آلة لينوتيب فاستغنت عن عدد كبير من عمالها صفافى الحروف بعد أن دفعت ٤٧٥ فرنكاً تعويضاً لكل عامل استغنت عنه وكان يتقاضى مرتباً شهرياً . أما عمال اليومية ، فقد صرف لهم ما يساوى أجر عشرة أيام .

وفى السنة نفسها قامت منافسة شديدة بين مصنعين لآلات تنضيد الحروف ، واسم المصنع الأول مرجنتالر وهو أمريكى . أما المصنع الثانى فانجليزى واسمه لينوتيب آند ماشينرى لمتد Linotype & Machinery Ltd وادعى المصنع الأخير حق تصدير آلاته إلى بعض البلاد وخاصة إلى وادى النيل على اعتبار أنه تحت الاحتلال البريطانى . وقد انتهى هذا النزاع بحكم أصدرته محكمة الإسكندرية المختلطة فى ٢١ أبريل سنة ١٩٠٨ ويقضى برفض دعوى المصنع الإنجليزى الذى استأنف الحكم فرفضته المحكمة ، وانتهى النزاع بعقد اتفاقية تجارية بين المصنعين .

وكان للنشاط المطبعى الذى ظهر واضحاً فى السنوات العشر الأولى من القرن العشرين أطيب الأثر على هذا الفن . وقد شعر بعض المعنيين به من مصريين وأجانب بالحاجة إلى إصدار نشرة كانت تطبع بمطابع الدليل المصرى بدون مقابل . وكانت تلك النشرة واسمها Le Bulletin Typographique تعيش من الإعانات التى تقدمها لها المطابع الكبرى . ولكن على الرغم من دسامة موضوعاتها وحسن إخراجها فإنها لم تعش طويلا . واحتجبت بعد العدد الخامس .

وفى يناير سنة ١٩٠٩ صدرت بالقاهرة مجلة شهرية مطبعية باللغة العربية اسمها « المجلة المطبعية » . وكان يحررها ويطبعها صاحباها أحمد الزايط وفرنسيس ميخائيل .

وكان اشتراكها السنوى خمسة عشر قرشاً . إلا أنها احتجبت بعد قليل.

ومن المطابع الهامة التى تأسست فى تلك الحقبة مطبعة الرغائب . أنشأها عبد الرحيم بدوى فى سنة ١٩٠٨ واتخذ لها محلا فى شارع المنجلة بقسم الدرب الأحمر ، وكانت فى أول أمرها مطبعة حروف تطبع الكتب والمطبوعات التجارية . ولم تلبث أن انتقلت المطبعة فى سنة ١٩١٢ إلى دارها الحالية حيث شغلت المقر الذى كانت تحتله جريدة المؤيد للشيخ على يوسف بشارع محمد على رقم ١٣٠ .

وبدأت مطبعة الرغائب فى مسايرة النهضة التمثيلية فى مصر فأدخلت طباعة الحجر لتخرج إعلانات الحائط الضخمة التى كان يقوم بتنفيذها فنانون مصريون بعد أن كانت مقصورة على الفنانين الأجانب .

وفى سنة ١٩٠٩ توصل على خليل النجار إلى اختراع آلة من خشب لطبع التجارب وهى عبارة عن منضدة من الخشب الموسكى ذات ظهر مرخم بالرخام وطنبور من خشب البلوط سككه من خشب الزان وفى باطن المنضدة درج للمحبرة مرخم من الداخل وبه سلندر (أى أسطوانة) للتحبير يعلق فى المنضدة . وسجل هذا الاختراع تحت رقم ٤٨٠٤ وكان ثمنه ٣٠٠ قرش .

وفى السنة نفسها أقيم بالجيزة معرض زراعى صناعى . ولم يتقدم من المطابع إلى هذا المعرض سوى المطبعة الملحقة بإصلاحية الأحداث بالجيزة . ونالت جائزة على تجليد الكتب .

وبلغ عدد المطابع فى مصر سنة ١٩٠٩ اثنتين وستين مطبعة فى القاهرة وستاً وأربعين بالإسكندرية واثنتين بأسيوط وواحدة فى كل من بنها وبنى سويف ودمنهور والفيوم والمنيا وميت غمر والسويس وأربعاً فى كل من المنصورة وطنطا وبور سعيد واثنتين فى الزقازيق فيكون مجموع تلك المطابع مائة وإحدى وثلاثين مطبعة عدا المطابع الصغيرة التى لا يعمل فى كل منها أكثر من صبيين .

وفى سنة ١٩١٠ أنشأ جرجس فلتئوس المطبعة المصرية الأهلية واتخذ لها محلا فى عطفة شق الثعبان المتفرعة من شارع كلوت بك ، ثم انتقلت إلى حارة العتبة المتفرعة من شارع محمد على حيث اشترى لها محرك بخارى لإدارة طابعاتها . وطبعت فى تلك المطبعة مجلة المنارة للقمص مرقس سرجيوس ومجلة الإيمان ومجلة أسيوط ومجلة الوطنية لأيوب صبرى ورسالة الحياة والمجلة القبطية لجرجس فلتئوس .

وفى سنة ١٩١٢ أنشأ كيرلس تادرس المنقبادى مطبعة رعمسيس فى أول شارع الفجالة . وقد أعطاه والده تادرس المنقبادى بعض الآلات المطبعية التى كانت فى حوزة مطبعة جريدة مصر . وقامت المطبعة بطبع الكتب القبطية والمدرسية والمطبوعات التجارية والبطاقات والفواتير ومجلة رعمسيس التى أنشأها كيرلس تادرس المنقبادى ورمزى تادرس فى سنة ١٩١٢ ، وظلت تصدر حتى سنة ١٩١٨ .

تأثرت صناعة الطباعة كثيراً فى مصر عقب إعلان الحرب العالمية الأولى ، فقد قل ورود الورق من الخارج وأصبحت الجرائد الكبرى تصدر فى ورقة واحدة مطبوعة طبعاً رديئاً لرداءة نوع الورق نفسه . وقد انقطع أو كاد ورود أدوات الطباعة نفسها واضطرت بعض المطابع إلى إغلاق أبوابها فى حين صمدت مطابع أخرى إلى أن انجلى كابوس الحرب وعادت المياه إلى مجاريها .

غير أنه ما لبث أن اشتعلت نار الثورة المصرية وقام المصريون يطالبون المحتل بالجلاء . وفرضت الرقابة على الصحف والمطابع . ومع ذلك فقد ظهرت فى زفتى منشورات مطبوعة . . . منشورات تحض الناس على الثورة وتذيع قرارات لجنة الثورة وتعليماتها وأخبارها . لقد كانت هذه المنشورات تطبع فى مطبعة محمد عجينة بزفتى وتوزع على الوطنيين فى كل مكان . . . كانت مطبعة صغيرة ولكنها استطاعت أن تثبت وجودها وتخلد اسمها بفضل كفاحها المرير فى سبيل استقلال مصر .

وخلال تلك الفترة من حياة مصر أسس إلياس أنطون إلياس المطبعة العصرية ليطبع عليها قاموسه العصرى الإنجليزى العربى ، بعد أن طبعه فى المرة الأولى فى مطبعة المقطم .

وكانت المطبعة فى شارع علوى خلف البنك الأهلى حيث كانت أيضاً إدارة جريدة البلاغ . وكانت المطبعة فى عهدها الأول تستورد حروفها من مسبك يوسف الحاج ، وهو من المسابك التى كان لها شأنها فى الربع الأول من القرن العشرين .

وفى سنة ١٩٢٢ تأسست شركة مطبعة مصر برأس مال قدره خمسة آلاف من الجنيهات . وكان الغرض من إنشاء تلك المطبعة فى أول الأمر أن تقوم بطبع مطبوعات بنك مصر وشركاته . ولم يكن فيها سوى طابعتين مقاس ٧٠×١٠٠ وطابعتين متوسطى الحجم وأربع آلات من الحجم الصغير . كما كانت توجد آلة

« ليتو أوفست » لطبع السندات والإعلانات الملونة والأشغال الفاخرة . وكان يوجد أيضاً قسم خاص للطباعة على الحجر . وكانت الحروف تجمع باليد . أما عدد العمال فلم يكن يتجاوز الخمسين .

وفى سنة ١٩٢٤ أصدرت الشركة سندات قيمتها عشرون ألفاً من الجنيهات وأمدها بنك مصر بمبلغ آخر حتى زاد رصيدها المدين فى نهاية سنة ١٩٢٤ على أربعة وثلاثين ألفاً من الجنيهات .

تلك هى حال مطابع المصريين حتى نهاية سنة ١٩٢٤ وهى حال تبشر بمستقبل زاهر بفضل إقدام المصريين أنفسهم على افتتاح المطابع وجلب المعدات الحديثة ليقفوا بها جنباً إلى جنب مع مطابع الأجانب .

رابعاً : مطابع الصحف

ازداد عدد مطابع الصحف فى تلك الفترة من تاريخ الطباعة فى مصر ، وافتتحت مطابع جديدة وأغلقت فى الوقت نفسه مطابع قديمة كمطبعة وادى النيل التى توقفت عن العمل فى سنة ١٨٨٣ وتوفى صاحبها أنسى بك فى سنة ١٨٨٦ .

أما مطبعة جريدة الأهرام فقد عاد صاحباها إلى الإسكندرية بعد الثورة العرابية وافتتحا مطبعة جديدة . وإلى فتح الله بك جاويش يعود فضل استكمال معدات مطابع الأهرام . فقد كان وكيلا للأهرام فى سوريا لمدة عشرين سنة ، وكان يقوم بشراء أدوات الطباعة والمسابك والحروف ويرسلها إلى الإسكندرية برسم مطابع الأهرام . ولكن لم تلبث المطبعة بعد ذلك بسنتين أن مرت بمحنة جديدة . فقد أغلقت حكومة نوبار الأهرام ومطبعتها شهراً نظراً لأنها « نشرت جملة مواد سياسية من شأنها خدش سلطة واعتبار الحكومة الخديوية . . . » وكان ذلك فى ١٩ أغسطس سنة ١٨٨٤ .

وتوفى سليم تقلا فى أغسطس سنة ١٨٩٢ وانتقلت ملكية الأهرام ومطابعها إلى شقيقه بشارة تقلا الذى عين « عزتلو رشيد بك الشميل مديراً مطلقاً للجريدة

وإدارة المطبعة فى كل ما يختص بها[١]» .

وفى أول نوفمبر سنة ١٨٩٩ انتقلت الأهرام ومطابعها إلى القاهرة وظلت مطبعة الإسكندرية لتطبع جريدة الأهرام صغيرة الحجم الخاصة بذلك الثغر .

وكان لمطابع الأهرام بالقاهرة اثنتا عشرة طابعة يدار أكثرها بالبترول . ولما توفى بشارة تقلا فى سنة ١٩٠١ انتقلت ملكية الأهرام ومطابعها إلى أرملته وابنه جبرائيل .

وطبعت مطبعة الأهرام أيضاً الصحيفة الفرنسية « لى بيراميد » Les Pyramides التى صدر عددها الأول فى يناير سنة ١٩٠٠ واحتجبت فى ٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ .

وكانت المطبعة مقسمة فى سنة ١٩١٠ إلى ورشة جمع إفرنجى وورشة جمع عربى وورشة جمع يونانى . واشترت الأهرام آلتين لينوتيب لجمع أصول الصحيفة الفرنسية . وأصبحت الطابعات تدور بواسطة محرك كهربائى .

وفى سنة ١٩٢٤ توفيت أرملة بشارة تقلا فانتقلت ملكية المطبعة والصحيفة إلى جبرائيل تقلا وحده .

وانتقل چاك سرير بجزء من مطبعته إلى القاهرة بعد الثورة العرابية وأصدر صحيفة البوسفور إجبسيان بالاشتراك مع بول جيرو . وهاجمت الصحيفة السياسة الإنجليزية فى مصر ، فما كان من المعتمد البريطانى إلا أن أمر بتعطيل الجريدة وإغلاق مطبعتها . وعبثاً حاول قنصل فرنسا أن يثنى المعتمد البريطانى عن عزمه . وكان يوم تنفيذ أمر الإغلاق مشهوداً . فقد جاء جيرو رئيس تحرير الصحيفة ومحرروها أمام باب المطبعة مدججين بالسلاح . وكان فى الانتظار أيضاً مستشار القنصلية الفرنسية محاطاً برجاله وقواسيه . وضربت الحراسة على جميع الشوارع المؤدية للمطبعة . وحضر ضابط إنجليزى كبير ليشرف على إجراءات الإغلاق ، وقام بتلاوة المحضر علناً . ولكن أحداً من رجال « سرير » لم يتحرك . وبدا على وجه الضابط الإنجليزى الحيرة . فما كان من جيرو إلا أن تقدم منه قائلا : « امسكنى على الأقل من عنقى ليبدو علىّ أننى استسلمت للقوة » . فلمس الضابط ذراع جيرو بكل أدب وقال له : « أهذا يكفى ؟ » فأجاب جيرو : « بكل تأكيد » . وهكذا

(١) الأهرام فى ٣١ أكتوبر سنة ١٨٩٣ .

أغلقت البوسفور ومطبعتها فى سنة ١٨٨٤[١] . وقد صرفت الحكومة للمسيو سرير مبلغ اثنين وأربعين ألف فرنك تعويضاً له على إغلاق مطبعته .

ولم تقتصر تلك المطبعة على طبع البوسفور إجبسيان؛ فقد طبعت أيضاً صحيفة « الحماسين » ، وكانت تصدر باللغة الفرنسية . كما أخرجت صحيفة أسبوعية انتقادية باللغة الفرنسية اسمها « مفيستو » . ولم تعش الصحيفة الأخيرة طويلا ، فقد حلت محلها « لاجوريسبرودانس إجبسيين La Jurisprudence Egyptienne وهى صحيفة قضائية . وقد توفى جاك سرير فى سنة ١٨٨٧ أثر حادث أليم .

وتأسست بالقاهرة سنة ١٨٨٠ مطبعة صحيفة الإجبشيان جازيت لصاحبيها ساك ومانسون Sack & Manson ، وكان مقرها فى عمارة البورصة القديمة . وكانت تقوم إلى جانب طبع صحيفة الإجبشيان جازيت بطبع الأشغال التجارية المختلفة .

ومن المطابع الكبرى التى أنشئت فى ذلك العهد مطبعة المقتطف والمقطم . ففى شهر مايو من سنة ١٨٧٦ أنشأ يعقوب صروف وفارس نمر مجلة المقتطف ببيروت ثم انتقلا بها إلى القاهرة فى سنة ١٨٨٥ . وكان شاهين مكاريوس يشرف على تلك المجلة أثناء إصدارها ببيروت فى مطبعة الأميركان ، ثم ما لبث أن انضم إلى الشريكين وجاء معهما إلى مصر بعد أن حمل معه مجموعة من حروف مسبك خليل سركيس ببيروت . وأسس الشركاء الثلاثة بالقاهرة مطبعة لطبع المقتطف وغيره من المطبوعات .

وكانت المقطم حتى سنة ١٩٠٨ تطبع على آلا ت الطباعة المسطحة ، ثم حذت حذو المؤيد والأهرام واللواء فابتاعت آلة طباعة دوارة (روتاتيف) . وكانت المطبعة فى أول أمرها تشغل مكاناً ضيقاً أمام جامع أولاد عنان فى ميدان باب الحديد . وبقيت المطبعة هناك إلى سنة ١٨٩٢ ثم انتقلت إلى عابدين فى ملك سالم باشا سالم فبقيت هناك إلى سنة ١٩٠٥ حين انتقلت إلى سراى المرحوم عبد الخالق ثروت باشا بشارع القاصد (شارع محمد محمود باشا اليوم) .

وفى سنة ١٩١٣ عرض محل نكامولى على إسكندر مكاريوس مدير المطبعة شراء آلة ألمانية لصف الحروف ماركة تيبوجراف . ووضعت الآلة فى المطبعة

(١) Munier : La Presse en Egypte, Le Caire 1930, p. 11, 13 et 14.

لتجربتها . ولكنها أعيدت إلى صاحبها بعد بضعة شهور . وفى تلك الأثناء سعى مدير المطبعة لدى شركة لينوتيب الإنجليزية لشراء آلة تصف الحروف العربية . ووضعت الآلة فى دار المقطم لتجربتها وظلت هناك منذ قيام الحرب العالمية الأولى حتى سنة ١٩١٥ حين توقفت الشركة عن إمداد تلك الآلة بقطع الغيار اللازمة بسبب الحرب فاضطرت المطبعة إلى إعادة الآلة إلى الشركة صاحبتها . وظلت مطبعة المقتطف والمقطم تجمع حروفها باليد إلى أن احتجبت الصحيفتان .

أما الطابعات فقد جددت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . وقامت تلك المطبعة بطبع عدد كبير من الكتب العلمية والأدبية على نفقة أصحابها ، كما قامت بطبع بعض مطبوعات الحكومة فى أواخر القرن الماضى .

وأنشأ الشيخ على يوسف صحيفة المؤيد فى سنة ١٨٨٩ . وكانت مطبعتها صغيرة تدار باليد وتطبع طبعاً مسطحاً ولا يزيد عدد ما تطبعه فى الساعة على مائة نسخة . وبعد سنتين من إنشاء الجريدة اشترى لها صاحبها طابعة «ألوزيه» تطبع بكابس أسطوانى إلى ٦٠٠ نسخة فى الساعة الواحدة . وزاد الإقبال على صحيفة المؤيد زيادة كبيرة حتى بلغ عدد المطبوع منها خمسة آلاف نسخة . فرأى الشيخ على يوسف أن يستورد مطبعة ألمانية كبيرة ذات مكبسين أسطوانيين تدار بقوة البخار . وهكذا أمكن إصدار المؤيد فى ثمانى صفحات ابتداءً من ١٦ يوليه سنة ١٨٩٩ .

ورأى صاحب المؤيد فى سنة ١٩٠٦ أن يشترى لجريدته طابعة «من اختراع الخواجة مارينونى الفرنساوى المشهور باختراعاته المطبعية . ولما كانت هذه أول مطبعة من نوعها أوصى بها من مصر وجلبت إليها وتبدأ عملها منذ اليوم، فقد دعونا الكثيرين من حضرات العلماء والذوات والأعيان لتشريف إدارة الجريدة وقت الشروع فى الطبع . . .[١]» وهكذا عرفت مصر أول مطبعة روتاتيف فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ بفضل همة الشيخ على يوسف .

وكان مقر الجريدة والمطبعة فى شارع محمد على رقم ١٠٧ . وكان فى المطبعة ورشة للحفر على الزنك . وظلت مطبعة المؤيد حتى سنة ١٩٠٧ سيدة مطابع الصحف المصرية، ثم أحضرت اللواء مطبعة روتاتيف وتلتها مطبعة الجريدة فالمقطم فالعلم[٢] .

---

(١) المؤيد فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ .

(٢) محمد فريد وجدى ، دائرة معارف القرن الرابع عشر ، المجلد الخامس، ص ٦٨٥ المادة مطبعة .



العدد الأول من صحيفة المؤيد

وفى سنة ١٨٩١ أنشأ جورجى زيدان بالاشتراك مع نجيب مترى مطبعة صغيرة أطلقا عليها اسم مطبعة التأليف . وكان مقرها آخر شارع الفجالة . وبعد ذلك بسنة انفضت الشركة واحتفظ جورجى زيدان بالمطبعة بعد أن أطلق عليها اسم الهلال فى حين أسس نجيب مترى مطبعة المعارف .

وأصدر جورجى زيدان فى تلك السنة مجلة الهلال . وكانت مطبعة الهلال حتى سنة ١٨٩٩ لا تطبع إلا الكتب التى تقوم بنشرها على حسابها ، غير أن صاحبها لما رأى « إقبال الناس على الكتابة والتأليف والطبع والنشر . . . » بعث يستحضر آلات طبع أخرى « من أتقن طراز وأجمل وضع فى أوربا » فوق ما عنده من آلات ومعدات . وقد استوردت مطبعة الهلال فى أوائل فبراير سنة ١٨٩٩ « آلة (ماكنة) كبيرة من طراز ألوزيه المشهور بدقته وسرعته وستصلنا العدد الباقية قريباً » . وكانت المطبعة تقوم بمراجعة التجارب وتصحيحها إن كان صاحب المطبوع خارج القاهرة (١) .

وكان لدى مطبعة الهلال فى نهاية القرن الماضى ستة أنواع من الحروف العربية وهى « الحرف الفارسى الجديد والحرف الثالث الصغير والحرف الجنس الأول الإسلامبولى والحرف الجنس الثانى الأسود والحرف الثانى الأميركانى والحرف الجنس الثالث المصرى الجديد » . وجلبت المطبعة لطبع رقاع الدعوة والبطاقات الخصوصية « سبعة عشر نوعاً من الحروف الإفرنجية » . وكان فى المطبعة قسم للتجليد يجلد « كل أنواع التجليد موسومة بالذهب حسب الطلب » .

ظلت مطبعة الهلال بشارع نوبار رقم ٤ حتى سنة ١٩٢٣ ثم انتقلت إلى شارع الأمير قدادار حيث احتلت بناءً مكوناً من طابق واحد .

وكانت دار الهلال أول دار صحفية فكرت فى إدخال طباعة الروتغرافور . وفى يوم الجمعة ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٤ صدر العدد الأول من مجلة المصور الأسبوعية مطبوعاً بالروتغرافور . وكان ظهورها فتحاً جديداً فى عالم الطباعة والصحافة العربية .

وأسس تادرس (بك) شنودة المنقبادى جريدة مصر فى سنة ١٨٩٥ وكانت تلك الجريدة فى أول أمرها تطبع فى مطبعة جمعية التوفيق القبطية . ولكن ما لبث

(١) مجلة الهلال فى ١٥ فبراير سنة ١٨٩٩ ص ٣٢٠ .

أن دب الخلاف بين صاحب الجريدة وجندى (باك) إبراهيم وكيل جمعية التوفيق فاضطر الأول فى سنة ١٨٩٧ إلى شراء مطبعة تدار باليد واختار لها ولإدارة الجريدة مقرّا فى شارع كلوت (بك) بأول الدرب الإبراهيمى. أما الحروف فقد اشتراها من مسبك نجرونى بالإسكندرية . وظلت المطبعة فى هذا المقر حتى سنة ١٩٠١ ، ثم انتقلت هى وإدارة الجريدة إلى حى الفجالة فى منزل تادرس (باك) المنقبادى بشارع منظرة اللؤلؤة .

وأدخلت على المطبعة فى طورها الجديد بعض التحسينات وألحق بها قسم تجارى لطبع الكتب والبطاقات والظروف والحوابات والفواتير . وجلب لهذا القسم مطبعة خاصة تدار بالقدم . وفى مستهل القرن العشرين اشترى صاحب المطبعة محركاً بخارياً لإدارة الطابعات الثلاث التى اقتناها وخصص واحدة منها لطبع الجريدة والاثنتين الأخريين للأعمال التجارية وطبع الكتب .

وتولى إدارة المطبعة فى نشأتها الأولى فرنسيس جرجس ثم خلفه زكى رزق الله وجاء بعده مسيحة أفندى . وتولاها بعد ذلك قيصر المنقبادى ، وهو ابن المؤسس ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٤ .

وقامت مطبعة جريدة مصر بإصدار عدة مطبوعات نذكر منها « بوق الإصلاح» وهى مجلة أسبوعية كانت تصدرها جمعية أمريكية دينية فى أسيوط و « مجلة النور » التى أنشأها تادرس المنقبادى فى عيد النيروز (١١ سبتمبر سنة ١٩٠٥) وكان يحررها عوض واصف ، و « الهدية التوتية » وهى مجلة سنوية كانت تصدر فى عيد النيروز من كل عام . وطبعت تلك المطبعة عدة كتب .

وأسس رشيد شميل بمدينة الإسكندرية فى سنة ١٨٩٧ مطبعة ليطبع عليها صحيفة « البصير » . وكانت المطبعة فى أول الأمر بدائية ، وكان مقرها فى شارع بولانا كى حيث ظلت إلى سنة ١٩٠٣ ثم انتقلت إلى شارع سيزوستريس . وكان رشيد شميل يتولى إدارة المطبعة . فلما توفى حل ولداه شارل وموريس محله .

ورأى الزعيم مصطفى كامل أن لابد له من جريدة يومية يتصل بالرأى العام عن طريقها فأسس صحيفة « اللواء » . واشترى لهذا الغرض مطبعة كاملة المعدات . وصدر العدد الأول من « اللواء » فى ٢ يناير سنة ١٩٠٠ . وكان مقر المطبعة الأول

بالمنزل رقم ١٣ شارع فهمى بجوار محطة باب اللوق . ثم انتقل بعد حوالى عامين إلى المنزل رقم ٢٩ بشارع الدواوين ، وهو المنزل الذى أطلق عليه « دار اللواء » وتوفى فيه مصطفى كامل . وعندما أصبحت صحيفة « اللواء » تصدر فى ثمانى صفحات استورد لها أصحابها طابعة روتاتيف تطبع فى الساعة الواحدة اثنى عشر ألف نسخة . وطبعت مطبعة اللواء صحيفتى The Egyptian Standard و L'Etendard Egyptien ومجلة اللواء . وطبعت تلك المطبعة أيضاً جريدة أسبوعية اسمها « العالم الإسلامى » . وسافر مصطفى كامل بنفسه إلى أوربا لشراء الطابعة الروتاتيف والمعدات المطبعية الأخرى التى لابد منها لطبع ثلاث صحف يومية(١) . وانتقلت ملكية المطبعة بعد وفاة صاحبها إلى على (بك) كامل وشركاه . واستخدمت المطبعة آلتين لينوتيب من طراز أمريكى . وكانت مطبعة اللواء أكبر مطبعة مصرية فى سنة ١٩١٠ . ولما توقفت اللواء عن الصدور بيعت الطابعة الروتاتيف إلى هنرى بوتنييه صاحب البورص إجبسيين .

ومن مطابع الصحف التى أسست فى أواخر القرن التاسع عشر بالقاهرة مطبعة البورص إجبسيين؛ فقد أنشأها هنرى بوتنييه فى سنة ١٨٩٩ ليطبع عليها صحيفته . ولم يكن فى وسع هذه المطبعة أن تطبع أكثر من أربعمائة نسخة من تلك الصحيفة فى الساعة الواحدة . وكان شريك بوتنييه فى هذا المشروع أحد رجال المال الهولنديين؛ فقد دفع له مبلغاً ساعده على شراء مطبعة مستعملة واستئجار حانوت صغير فى شارع بولاق ، فى المكان الذى تشغله اليوم محلات شيكوريل . وفى سنة ١٩٠١ قرر بوتنييه تأجير المطبعة لتاجر يهودى صغير وشراء مطبعة البروجريه التى كانت تقع خلف ميدان الأوبرا فى شارع كان يعرف باسم شارع التليفون .

وانتقلت المطبعة بعد ذلك إلى شارع شريف باشا حيث توجد اليوم شركة السياحة الإيطالية . وفى عام ١٩٠٨ سافر بوتنييه إلى باريس حيث اشترى لمطبعته آلتى لينوتيب .

وظلت المطبعة فى شارع شريف حتى سنة ١٩٢٠ . وكانت قد ضمت إليها فى سنة ١٩١١ مطبعة بناسون تحت اسم شركة النشر المصرية . وفى سنة ١٩١٥

---

١) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، ص ١٤٣ ، ٢٤٥ ، القاهرة سنة ١٩٣٩ .

اشترت المطبعة الطابعة الروتاتيف ماركة مارينونى التى كانت فى مطبعة « اللواء » . وكان صاحب البورص فى حاجة إلى مثل تلك الطابعة السريعة ليطبع عليها مائة ألف نسخة من صحيفة الإجبشيان ميل التى كانت توزع على القوات البريطانية المعسكرة على ضفاف القناة .

وانتقلت المطبعة بعد سنة ١٩٢٠ إلى شارع قصر النيل حيث توجد الآن محلات الصالون الأخضر .

وشهد مطلع القرن العشرين مولد عدد من مطابع الصحف العربية والأفرنجية ، نذكر منها مطبعة صحيفة « فوس » اليونانية التى أسسها جان بوليتس سنة ١٩٠٢ . وقد استقرت منذ تأسيسها فى الدور الأرضى من عمارة ستون الكائنة فى شارع جلال رقم ١٤ . وتقوم المطبعة إلى جانب إصدار الجريدة بإنجاز المطبوعات التجارية المختلفة . وقد انتقلت ملكيتها من مؤسسها إلى الكسندر كناكيس و ك . بونارس . ويمكن وضع تلك المطبعة فى مصاف مطابع الصحف الصغيرة .

وفى سنة ١٩٠٤ أسس إدريس راغب بك مطبعة جريدة « ليجيبت » L'Egypte . وأسس كامل تويج مطبعة الجورنال دى كير Le Journal du Caire فى سنة ١٩٠٥ . وكانت تطبع إلى جانب الجريدة المذكورة صحيفة « لوريان » L'Orient ونشرة بالفرنسية اسمها لاكوت إجبسيين La Côte Egyptienne .

وتأسست فى سنة ١٩٠٦ مطبعة شركة النشر المصرية[١] وهى عبارة عن مطبعتى بناسون والبورص بعد أن ضمتا إلى بعضهما البعض . وفى سنة ١٩١١ ضمت إلى تلك الشركة أيضاً المطبعة العمومية بالإسكندرية لصاحبها أنطوان موريس الابن . وكان فى تلك المؤسسة آلتان لتنضيد الحروف (لينوتيب) من طراز أمريكى واحدة بخزان بسيط والأخرى بخزانين . وقامت المطبعة إلى جانب طبع بعض الصحف الأجنبية بإنجاز الأشغال التجارية التى كانت تكلف بها .

وتأسست مطبعة « الجريدة » فى سنة ١٩٠٧ ، وهى شركة مساهمة برئاسة محمود باشا سليمان وإدارة أحمد لطفى السيد بك . وكان يدير آلتها محركان أحدهما

---

(١) Société de Publications Egyptiennes.

يسير بقوة الكهرباء والآخر يسير بقوة البترول . وبعد توقف « الجريدة » بيعت المطبعة .

وعلى الرغم من قيام الحرب العالمية الأولى وقلة ورود الأدوات المطبعية من أوربا وأمريكا فقد تمكن إسكندر مكاريوس فى سنة ١٩١٥ من إنشاء مجلة « اللطائف المصورة » . واستحضر آلة لطبع الكليشيهات المحفورة على الزنك . وظلت تلك المجلة المصورة تطبع بطريقة الزنكغراف حتى سنة ١٩٢٦ . وكان مقر المطبعة فى عهدها الأول فى عمارة مظلوم باشا التى تواجه دار جريدة الأهرام أمام جامع جركس . وقد شيدت مكانها الآن عمارة شوشة . وبقيت المطبعة فى ذلك المقر حتى سنة ١٩٢٦ .

وتعاقد نجيب ولاية صاحب الجريدة التجارية المصرية مع عبد الحميد شرارة على شراء مطبعته ، وكان مقرها بشارع الجمرك القديم بالإسكندرية . وبعد طبع العدد الأول من الجريدة فى ١٦ مايو سنة ١٩٢١ أصيبت الطابعة بعطب يتعذر إصلاحه فاقتصر عمل المطبعة وقتذاك على جمع حروف الصحيفة . أما الطبع فكان يتم فى مطبعة السلام بالإسكندرية .

وظلت جريدة السياسة تطبع فى مطبعة صحيفة « الأخبار » لمدة أربعة شهور ثم استحضر لها أصحابها مطبعة روتاتيف من نوع ألمانى كانت تطبع ١٢ ألف نسخة فى الساعة . وطبع فى هذه المطبعة أيضاً مجلة السياسة الأسبوعية ، وكانت تطبع على طابعة حجر لأن غلافها كانت ملونة . أما سائر صفحات المجلة فكانت تطبع على طابعة مسطحة . وكانت المطبعة فى أول أمرها فى شارع المبتديان وانتقلت بعد ذلك إلى شارع المناخ (عبد الخالق ثروت الآن) فى منزل عبد الحميد الشواربى[1] .

وبدأت مطبعة « البلاغ » عملها فى ٢٨ يناير سنة ١٩٢٣ . وكانت عبارة عن طابعة روتاتيف اشتراها محمد عبد القادر حمزة من أوربا . وكان مقرها فى أول شارع عماد الدين عند تقاطعه مع شارع السلطان حسين .

وهكذا نرى أن عدد مطابع الصحف قد زاد زيادة كبيرة فى الفترة الواقعة بين سنة ١٨٨٢ وسنة ١٩٢٤ . إن ظهور الأحزاب جعل كل حزب يفكر فى إصدار جريدة أو مجلة تدافع عن وجهة نظره . فجلبت الطابعات الحديثة وانتشرت

---

(١) استقينا هذه المعلومات من المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل .

طابعات الروتاتيف بحيث أصبحت معظم الصحف اليومية المصرية تطبع بها . أما الصحف الإفرنجية فقد تسابقت على اقتناء آلات تنضيد الحروف من صنع إنجلترا وأمريكا . وتوسعت المجلات فى نشر الصور الفوتوغرافية فجلبت ورش الحفر على الزنك . وبدأت بعض المجلات فى طبع غلافاتها بالألوان فاستخدمت لهذا الغرض مطابع الحجر فى انتظار الوسائل الطباعية الأخرى التى لم تكن تعرف فى مصر إلا فى مطبعة مصلحة المساحة .

لقد احتلت الطباعة فى مصر فى هذه الفترة من حياتها المكانة اللائقة بها بفضل الجهود التى بذلتها الحكومة من ناحية والأفراد من ناحية أخرى .



الفصل الخامس

الطباعة قوة

١٩٢٤ – ١٩٣٩

أولا : المطابع الرسمية

فقدت مطبعة بولاق الشيء الكثير من مصريتها فى عهد الاحتلال ، فقد تولى أمرها بعد حسين حسنى مديرون فرنسيون وإنجليز ولم تشذ عن هذه القاعدة إلا مرة واحدة ولمدة سنة فقط حين عين أحمد صادق ملاحظاً لها . وفى ذلك العهد زاد عدد العمال والموظفين الأجانب زيادة كبرى واتسعت أعمال المطبعة وجلبت لها أدوات وآلات حديثة تدار بالكهرباء ، كما جددت بعض الأبنية واستحضرت آلات المونوتيب للجمع الإفرنجى حتى غدت قبيل الحرب العالمية الأولى أكبر مطبعة عربية فى الشرق والغرب على السواء .

وعلى الرغم من تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ فقد ظل أمر المطبعة الأميرية موكولا إلى الأجانب فترة من الزمن . وقد زادت المطبوعات من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٣ بنسبة ٤٦ ٪ . وقامت المطبعة خلال سنة ١٩٢٣ بإعادة طبع طوابع البريد على الحجر .

وزود قسم الطباعة بآلتين جديدتين للطبع سرعة الواحدة منهما ألفا فرخ ورق فى الساعة . واستوردت المطبعة أيضاً طابعتين أصغر حجماً من طراز بلاتن Platen زودتا بجهاز لمناولة الورق وسرعة كل منهما ثلاثة آلاف فرخ فى الساعة .

وشيد فى تلك السنة بناء جديد فى الحديقة بين المطبعة والنيل لتخزين الورق .

وبعد اعتزال جورج نيوتن خدمة الحكومة عين إميل فورجيه مكانه فى سنة ١٩٢٤ [١] وقد ظل فى هذه الوظيفة زهاء سنتين ونصف ثم اعتزل الخدمة سنة ١٩٢٦ .

---

(١) محفوظات وزارة المالية م ٧١ – ١٢/٥ .

وعمل محمد أمين بهجت ، الذى تولى شئون المطبعة بعد اعتزال فورجيه ، على النهوض بالمطبعة فى شتى النواحى ومنع أية سلطة حكومية من التدخل فى شئونها . وأخيراً استطاع فصلها عن مراقبة مطبوعات الحكومة وإلغاء مراقبة المطبوعات نفسها وقصرها على إدارة التوريدات .

وقد أصدرت وزارة المالية قراراً بإبدال وظيفة « ملاحظ » المطبعة بوظيفة « مدير » المطبعة .

وبعد زيارة أمين بهجت بك لمعرض الطباعة فى لايبزج سنة ١٩٣٢ قدم تقريراً إلى رئيس الوزراء طلب فيه بناء المخازن الفسيحة والورش الواسعة حسنة التهوية والإضاءة وتجديد المحركات والآلات . وطلب فيه أيضاً ضم المطابع الفرعية التابعة للوزارات المختلفة إلى المطبعة الأميرية توحيداً للعمل واقتصاداً للوقت . وقد ظلت هذه المقترحات حبراً على ورق .

وأدخلت المطبعة فى سنة ١٩٢٨ طريقة جديدة فى الطبع بالحفر على الصلب ، وهى طريقة الطبع بالحبر البارز وذلك بحفر الصورة المراد طبعها حفراً عميقاً فى الصلب . وفضلا عن الآلات اليدوية المستعملة فى هذا اللون من الطباعة ، فإن المطبعة الأميرية اقتنت آلة تدور أوتوماتيكيا وتطبع بمعدل ١٠٠٠ نسخة فى الساعة .

وفى سنة ١٩٢٩ أمر الملك فؤاد بأن تشكل لجنة لتنظيم مسابقة الغرض منها ابتكار حروف جديدة توضع فى أول الكلمة مثل الحروف الكبيرة المستعملة فى اللغات الأوربية . وقد توصلت تلك اللجنة إلى عمل حروف التاج[١] . إلا أن تلك الحروف لم يكتب لها البقاء طويلا ، إذ لم تستعمل إلا فترة من الزمن ثم تلاشت تماماً .

وفى سنة ١٩٣١ اشترت المطبعة أول آلة أنترتيب ألمانية لتنضيد الحروف الإفرنجية . وهى آلة سهلة الاستعمال .

وجهزت المطبعة بحروف اللغات الهيروغليفية والقبطية واليونانية والعبرية والسريانية لطبع المؤلفات العلمية .

وحدث فى سنة ١٩٣٧ أن ثار عمال المطبعة وتمردوا ضد المشرفين عليها فتعطلت

---

(١) محمد أمين بهجت : تقرير عن معرض الطباعة بمدينة لايبزج ، ص ١٧ .

مطبوعات الوزارات والمصالح ثلاثة أشهر مما جعل الحكومة تفكر فى الأمر مليًّا . ولم تر بدًّا من تعيين محمد بكرى مديراً للمطبعة ، فعاد العمال إلى عملهم واستأنفت المطبعة نشاطها وظلت تعمل ليلا ونهاراً حتى أتمت طبع المتأخر من الأعمال .

ولما أقيلت وزارة الوفد فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٧ فصل محمد بكرى من الخدمة وعين خلفاً له محمود زكى إبراهيم . وهكذا أصبحت المطبعة الأميرية فى تلك المرحلة من حياتها ألعوبة فى يد الحكام ومسرحاً للنزاع الحزبى الذى اشتد واستفحل بين سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٥٢ .

وكما كانت مطبعة بولاق توفد البعثات ، فقد كانت تستقبل البعثات المرسلة إليها . وقد رأت الحكومة العربية السعودية فى سنة ١٩٣٨ أن توفد إلى مصر بعثة مكونة من ستة عمال للتخصص فى فن الطباعة . غير أنها فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ اضطرت إلى استدعاء أعضاء بعثاتها من مصر ، وكان من ضمنهم أعضاء بعثة الطباعة ، وذلك لقيام الحرب العالمية الثانية .

* * *

وكما تقدمت مطبعة بولاق فى هذه الحقبة من تاريخ الطباعة فى مصر ، تقدمت أيضاً المطابع الرسمية الأخرى وازداد عددها . فقد استمرت مطبعة وزارة الداخلية فى عملها بعد أن جددت آلاتها . وهى من المطابع الفرعية التابعة إداريا وفنيًّا لمطبعة بولاق .

وألحق بمدرسة الفنون والصنائع مطبعة لتدريب تلاميذها على فن الطباعة ، كما أنشئت مطبعة فى إصلاحية الأحداث بالجيزة .

أما مطبعة وزارة الأوقاف فقد تقدمت تقدماً ملحوظاً . فاشترت طابعات جريدة اللواء عندما تمت تصفيتها . وأدخلت المحركات الكهربائية لإدارة آلاتها .

وكان أول عهد مطبعة السكك الحديدية بآلات تنضيد الحروف سنة ١٩٢٤ ، فقد اشترت آلتين واحدة عربية والأخرى إفرنجية .

وفى سنة ١٩٢٧ قامت المطبعة بإنجاز مطبوعات مؤتمر الإحصاء الذى عقد بالقاهرة . ولما تولت الحكومة مراقبة خط رمل الإسكندرية الكهربائى فى سنة ١٩٢٨ طلبت إلى المطبعة توريد التذاكر اللازمة . وقد تمكنت فى عشرة أيام من طبع

وتجليد وتوريد أحد عشر مليوناً وستمائة ألف تذكرة .

وفى سنة ١٩٢٩ تم وضع نظام جديد للعمل وأدخلت أساليب جديدة ضابطة لعمليات الاستلام والحفظ وتصريف المخزون ، وجددت بعض آلات الطبع والتجليد والتسطير وأضيف إلى البناء طابق ثالث .

وإن انتقلنا إلى مطبعة مصلحة المساحة ألفيناها تتقدم بخطوات سريعة . وقد نالت مطبوعاتها الدبلوم والميدالية الذهبية فى المعرض الدولى الذى أقيم بمدينة لييج ببلجيكا سنة ١٩٣٠ ، وجائزة سوق الشرق الذى أقيم سنة ١٩٣٣ بمدينة بارى بإيطاليا ، والدبلوم والجائزة الأولى من المعرض الدولى الذى أقيم بمدينة بروكسل سنة ١٩٣٥ . وغيرها وغيرها من الجوائز .

ولطبع طوابع البريد استقدمت مصلحة المساحة خبيرين أجنبيين فى طباعة الروتغرافور لتشغيل الطابعتين اللتين اشترتهما فى سنة ١٩٢٥ . وفى سنة ١٩٣٠ أدخلت المصلحة تحسيناً على طباعة الروتغرافور ، وذلك باستعمال فيلم رقيق جداً من الكروم يلصق على الأسطوانة النحاسية بالكهرباء لتتمكن من طبع أربعة أضعاف الكمية التى كانت تطبعها .

وعندما تأزمت الأمور فى أوربا سنة ١٩٣٨ أدرجت وزارة المالية اعتماداً قدره مائة ألف من الجنيهات لمصلحة المساحة لكى تشترى الآلات والحبر والورق وجميع الأدوات الخاصة بالتصوير والطباعة حتى لا تتعطل أعمالها إن قامت الحرب . وهكذا استطاعت المصلحة أن تقتنى أحدث آلات التصوير والطباعة فى الشرق العربى .

أما مطبعة الأوقاف الملكية والخاصة فقد زاد عدد عمالها ولكنها ظلت فى عداد المطابع الصغيرة .

وتمكنت مطبعة دار الكتب الأهلية فى سنة ١٩٢٤ من طبع أربعة عشر ألف نسخة من المؤلفات العربية وحوالى خمسين ألف نسخة من الكتب المطبوعة على نفقة أصحابها . وفى مايو سنة ١٩٢٥ رأت الدار أن تخفض أسعار الطبع فى مطبعتها ليقبل عليها المؤلفون ودور النشر .

وفى سنة ١٩٣٢ قدمت وزارة المعارف إلى وزارة المالية مذكرة بطلب فتح اعتماد

بمبلغ ١٥٥٠ جنيهاً لإنشاء وإعداد الجناح الشرقى بمدرسة المعلمين العليا للمطبعة السرية التى تطبع فيها أسئلة الامتحانات ، وفى السنة نفسها أصدرت وزارة المعارف لائحة لتلك المطبعة حصرت المسئولية من حيث سرية الأسئلة فى رئيس الامتحانات العام ورئيس المطبعة وواضعى الأسئلة . وكان فراش المطبعة قبل ذلك بعام قد اتصل ببعض الأشخاص فى أثناء نقل المطبعة من مكان إلى آخر .

وبدأ التفكير فى إنشاء مطبعة لجامعة القاهرة فى سنة ١٩٣٨ . وأدرجت فى ميزانية الجامعة بعض الدرجات للموظفين الإداريين فى المطبعة . وظل الأمر عند هذا الحد إلى أن أعلنت الحرب العالمية الثانية .

لقد برزت ثلاث مطابع رسمية فى هذه الفترة من تاريخ الطباعة فى مصر ، وهى مطبعة بولاق أو المطبعة الأميرية ومطبعة مصلحة المساحة ومطبعة السكك الحديدية ، أما بقية المطابع الرسمية فكانت مطابع صغيرة معاونة ليست ذات شأن .

ثانياً : مطابع الأجانب

بدأت مطابع الأجانب فى مصر تشعر بوطأة منافسة المطابع المصرية التى ظهرت واضحة بعد سنة ١٩٢٤ الأمر الذى حدا ببعض أصحاب المطابع أن يصفى مركزه . ولم يثبت فى الميدان إلا مطابع الهيئات وشركات النشر ودور الصحف ، وبعض مطابع الأفراد .

أما مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية فقد ظلت معداتها على ما كانت عليه حتى سنة ١٩٣٠ تقريباً ، غير أن عدد عمالها وصل إلى الستين ثم قل بالتدريج تبعاً لقلة المطبوعات . وقد منحت الجمعية الزراعية الملكية المطبعة فى أوائل أبريل سنة ١٩٣١ الميدالية الذهبية ودبلوم الشرف بناء على قرار لجنة التحكيم .

ومضت مطبعة مدرسة الفرير للفنون والصنائع قدماً فجلبت المعدات الحديثة وألف مديرها كتاباً فى فن التجليد طبعه فى سنة ١٩٣٢ . واشتمل برنامج المدرسة على دراسة تهيئ التلميذ للحصول على معلومات فى مستوى شهادة إتمام الدراسة

الابتدائية الفرنسية ودراسة هذه الصنعة نظرياً ثم عملياً وذلك بالتدريب فى ورش الطباعة والتجليد . والدراسة فيها تستغرق أربع سنوات قد تختصر إلى ثلاث بالنسبة للتلاميذ الممتازين. وإلى هذه المدرسة يعود فضل تزويد مطابع الإسكندرية بعدد من عمال الطباعة المهرة فى فنهم .

وظلت مطبعة مورافتلى بالقاهرة تعمل بجد ونشاط حتى سنة ١٩٣٠ حين انفصل ثلاثة من الإخوة عن أخيهم الأكبر صاحب المطبعة وأسسوا مطبعة جديدة باسم « مطبعة إخوان مورافتلى » واتخذوا لها مقراً فى شارع جامع البنات رقم ٩ .

وفى سنة ١٩٣٠ أيضاً أدخل أنجلو بروكاشيا على مطبعته أول آلة لتنضيد الحروف المعروفة باسم أنترتيب .

وانتقلت المطبعة فى سنة ١٩٣٢ إلى شارع صلاح الدين بالإسكندرية . وبعد ذلك بسنتين اشترى صاحبها لها أول مطبعة روتاتيف عرفتها عاصمة مصر الثانية لتطبع عليها صحيفة البورص التىكانت تصدر بالإسكندرية .

وباعت أرملة بول باربيه فى سنة ١٩٣٢ مطبعته إلى سلامون كلمن الذى جدد بعض معداتها إلا أنه لم يحاول الانتقال بها إلى مكان أكثر رحابة .

وانتقلت مطبعة جرونبرج فى سنة ١٩٢٥ إلى الممر التجارى ثم استقرت بعد ذلك بثلاث سنوات فى ممر كوداك المتفرع من شارع عدلى باشا . وقامت فى تلك الفترة بتجديد آلاتها تدريجياً . وبعد وفاة مؤسسها موريس جرونبرج انتقلت ملكية المطبعة إلى ابنيه لازار وشارل جرونبرج .

وحاول حفار أرمنى يدعى كالفيان إصدار مجلة مطبعية أسماها L'art Graphique وعاشت تلك المجلة من سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٥ وأدت لفن الحفر فى مصر أجل الخدمات .

لقد تقدمت مطابع الأجانب فى مصر تقدماً ملحوظاً إلا أن هذا التقدم كان بطيئاً إذا قيس بتقدم مطابع المصريين . إن عدد المطابع الأجنبية أخذ يتناقص رويداً رويداً . أما المطابع التى ظلت فى الميدان فقد اقتنت الآلات وخفضت من أسعارها المرتفعة وبدأت تقبل المطبوعات العربية .

ثالثاً : مطابع المصريين

شعر المصريون بقوة الطباعة وبفائدتها فأخذت مطابعهم تنمو بصورة واضحة ، بعد أن استقرت الأحوال فى مصر وقامت الحياة النيابية . لقد كانت مطابع الأجانب ذات رءوس أموال ضخمة وكانت فى حمى الامتيازات الأجنبية . ولكن المصريين قبلوا المنافسة واستطاعوا بعد جهد مضن أن يصلوا بمطابعهم إلى مستوى مطابع الأجانب من حيث الفن والدقة مع رخص الأسعار .

ومن المطابع التى برزت فى هذا المضمار مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، فقد اتسعت أعمالها مما حدا بأصحابها أن يشيدوا بناء جديداً لها بشارع مصنع الطرابيش ، انتقلت إليه فى سنة ١٩٣٥ بعد أن جددت معظم أدواتها .

ونهجت مطبعة المعارف نهج سابقتها فى التجديد والتوسع واهتمت أكثر ما اهتمت بطبع الكتب المدرسية التى تقررها وزارة المعارف . وفى سنة ١٩٢٨ توفى منشئها نجيب مترى فانتقلت ملكيتها إلى ولديه إدوار وشفيق . وبدأت المطبعة تطبع بالألوان طبعاً دقيقاً ، يشهد على ذلك سلسلة الكتب التى أخرجتها للأطفال .

وفى سنة ١٩٣٥ توفى إدوار مترى فتولى أخوه شفيق الإدارة وحده . وعلى الرغم من ازدياد عدد المطابع فى القاهرة والمدن الكبرى واشتداد المنافسة بين أصحابها ، فقد استطاعت مطبعة المعارف أن تثبت فى الميدان وتحتفظ بمكانتها .

وسارت مطبعة الرغائب قدماً فى طبع إعلانات الحوائط . واعتبرت منذ سنة ١٩٣٠ فى مقدمة المطابع التى من نوعها . وعاصرت تلك المطبعة النهضة الصحفية فى مصر وطبعت المجلات السياسية والأدبية مثل روز اليوسف وآخر ساعة ومجلتى العمارة وأنا وأنت . وكان للنهضة السينمائية فى مصر أطيب الأثر على المطبعة إذ قامت بطبع الملصقات الملونة .

وظلت مطبعة رعمسيس تعمل بهمة ونشاط حتى أواخر سنة ١٩٣١ أى إلى حين وفاة كيرلس تادرس المنقبادى . وأجرت بعد ذلك لمدة سنة ثم بيعت فى

سنة ١٩٣٢ إلى إحدى مطابع فلسطين .

وظلت المطبعة العصرية فى شارع علوى حتى سنة ١٩٢٨ ثم رأى صاحبها أن الحالة تقتضى توسيعها لتصبح قادرة على تلبية جميع الطلبات التى تكلف بها ، فانتقل بها إلى شارع الخليج الناصرى بالفجالة .

وكان للمطبعة عملاء فى السودان ، إذ قامت فى فترة من الوقت بطبع مطبوعات شركة السودان الزراعية بالخرطوم .

وبدأت شركة مطبعة مصر بطبع الكتب فى سنة ١٩٢٥ . وحصلت فى سنة ١٩٣٠ على سلف صناعية قدرها عشرة آلاف من الجنيهات فأجرت عدة تحسينات كتأسيسها قسماً للزنكغراف والتصوير والرسم ، غير أنها ألغت قسم الطباعة على الحجر مكتفية بقسم « الليتوأوفست » . وفى سنة ١٩٣٢ رأت المطبعة أن تستغنى عن بعض آلاتها القديمة بعد أن اشترت آلات حديثة بدلا منها .

ومن المطابع التجارية التى أنشئت فى ذلك العهد مطبعة الحاج عبد السلام سليمان القناوى الذى دخل ميدان الطباعة فى سنة ١٩٢٧ . وكانت المطبعة فى أول أمرها تدار باليد ثم تطورت بسرعة .

وأنشأ محمد خلف فى سنة ١٩٣٠ مصنعاً لإنتاج الكراريس والدفاتر التجارية كان الأول من نوعه فى مصر . وما لبث أن أقبل الناس على شراء منتجاته لجودتها ورخص ثمنها بالنسبة للمنتجات الأوربية .

ووصل عدد المطابع بالقاهرة فى سنة ١٩٣٦ إلى مائة وإحدى وأربعين مطبعة وبالإسكندرية إلى ست وسبعين . وكان فى أسوان مطبعة واحدة وفى أسيوط ست مطابع ، وفى كل من بنها وشبين الكوم والفشن وقنا والأقصر والمنزلة وميت غمر مطبعة واحدة ، وفى كل من بنى سويف ودمياط والسويس والمحلة الكبرى والزقازيق ثلاث مطابع ، وفى دمنهور ثمانى مطابع ومطبعتان فى كل من سوهاج والإسماعيلية وأربع فى الفيوم وخمس عشرة فى كل من المنصورة وطنطا وسبع فى المنيا وعشر فى بورسعيد ، فيكون مجموع المطابع فى تلك السنة ثلاثمائة وتسع عشرة مطبعة .

وقد أدى ازدهار حركة الطباعة فى مصر إلى ظهور محلات لبيع لوازم المطابع وحاجاتها . وكان عدد تلك المحلات بالقاهرة ستة عشر وبالإسكندرية اثنى عشر .

وقد زاد بالطبع عدد مسابك الحروف فأصبح خمسة بالقاهرة ؛ وتبع ذلك فتح ورش الطلاء بالكهرباء . فأصبح عددها بالقاهرة تسع عشرة وبالإسكندرية خمساً وببورسعيد اثنتين وطنطا ثلاثا .

أما الحفارون فكان عددهم فى تلك السنة اثنين وعشرين بالقاهرة ومثلهم بالإسكندرية . وكان يوجد حفار واحد بالإسماعيلية وآخر ببورسعيد . وكان أشهر هؤلاء الحفارين آرام بربريان. وكان له ورشتان، واحدة بالقاهرة والأخرى بالإسكندرية .

وأسس ه . د . توباليان وولتر شارف مطابع محرم بالإسكندرية فى شهر يوليه سنة ١٩٣٧ . وبدئ العمل فعلا فى فرع الطباعة خلال الربع الأول من سنة ١٩٣٨ ، بعد أن استغرق إعداده حوالى ثمانية شهور .

وتعتبر مطابع محرم أول من أنشأ ورشة للتصوير على الحجر مجهزة بأحدث الآلات التى تلتقط الصور مباشرة على مقاس متر طولا فى متر عرضاً . واقتنت تلك المطبعة أيضاً آلات أوفست للطباعة السريعة بلونين .

وأنشئ فيها فرع لصناعة ورق اللعب وفرع آخر للكرتون المجعد . وهى أول مطبعة فى الشرق العربى تختص بهذه الصناعة . وكان ولتر شارف قد قضى عشرين سنة رئيساً لاتحاد صناع ورق اللعب فى ألمانيا . وهو أول من أدخل تلك الصناعة إلى مصر حين افتتح مصنعاً بالقاهرة لورق اللعب « محرم ١١١ » .

لقد وفرت المطابع المختلفة على الدولة مئات الألوف من الجنيهات كانت تنفقها على استيراد المطبوعات الفاخرة بعد أن أصبح فى مصر مطابع تقوم بهذه المهمة خير قيام وبأقل تكاليف ممكنة .

رابعاً : مطابع الصحف

وكما تقدمت المطابع العادية والمطابع التجارية فقد تقدمت أيضاً مطابع الصحف بفضل إقبال الناس على القراءة وتطور الحركة السياسية وتعدد الأحزاب واتساع رقعة الإعلانات فى الصحف .

ففى حوالى سنة ١٩٢٧ سعى جبرائيل تقلا فى استحضار آلة لصف الحروف العربية من شركة لينوتيب ، ولكن الاتفاق لم يتم بين صاحب الأهرام وبين تلك الشركة ، ذلك أن الأول طلب عمل بعض التعديلات فى أشكال الحروف وعددها

وطريقة تركيبها . فلما رفضت اللينوتيب إجراء تلك التعديلات ، اتفق مع شركة منافسة تدعى شركة أنترتيب ، قبلت أن تصنع أمهات الحروف بالوصف الذى تريده الأهرام . واعتمد جبرائيل تقلا على بعض الخطاطين والفنانين مثل نجيب هواوينى الذى استنبط أشكال الحروف التى كانت أساساً لصنع أمهات حروف الأنترتيب . واستقدمت الأهرام أربع آلات كدفعة أولى . وما لبثت أن أضافت إليها آلات أخرى تكفى لإصدار الأهرام فى عشرين صفحة [١].

أما قصة دخول آلات الأنترتيب إلى مصر فيقصها علينا صاحب مطبعة بروكاشيا بالإسكندرية . ففى سنة ١٩٣٠ ، أدخل أنجلو بروكاشيا أول آلات لتنضيد الحروف المعروفة باسم أنترتيب . وقد رأى أن هذه الآلة يمكن الاستفادة منها فائدة كبرى فيما لو حولت إلى آلة لتنضيد الحروف العربية ، فلم يلبث أن أوحى برأيه هذا إلى جبرائيل تقلا بواسطة وكيل تلك الشركة فى مصر . ورحب صاحب الأهرام بتلك الفكرة واستعان بمحمود الليثى الأخصائى فى آلات اللينوتيب وبسليم حداد الأخصائى فى الآلات الكاتبة العربية . وابتداء من شهر يوليو سنة ١٩٣٢ بدأت الأهرام تجمع حروفاً بآلات الأنترتيب .

أما مطابع المقطم فلم يطرأ على آلاتها تغيير يذكر فى فترة ما بين الحربين العالميتين . وقد ظلت حروفها تجمع باليد حتى آخر يوم من حياتها .

ولما ازدادت أعمال مطابع الهلال قرر صاحباها إميل وشكرى زيدان إضافة ثلاثة طوابق على البناء القديم ابتداءً من سنة ١٩٣٠ .

وبعد « المصور » صدرت عن تلك الدار مجلة « كل شىء » فى نوفمبر سنة ١٩٢٥ ومجلة « الفكاهة » فى سنة ١٩٢٦ ومجلة « الدنيا المصورة » فى سنة ١٩٢٨ وقد أدمجت بعد ذلك فى مجلة « كل شىء » وأطلق على المجلة الجديدة اسم « كل شىء والدنيا » ، ثم أدمجت المجلة الأخيرة «بالفكاهة» وسميتا « الاثنين والدنيا » . وفى سنة ١٩٣٢ صدرت عن دار الهلال مجلة الكواكب . وصدرت عن هذه الدار أيضاً المجلة الفرنسية « إيماج » Images ومجلة « الأبطال » ومجلة « سينى إيماج » Ciné-Images الفرنسية وكانت كل هذه المجلات تطبع بالروتغرافور .

---

(١) من حديث مع المرحوم إسكندر مكاريوس مؤسس اللطائف المصورة وذلك فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ .

وتنازل تادرس المنقبادى فى سنة ١٩٢٩ عن امتياز جريدة مصر ومطبعتها إلى شاكر المنقبادى والدكتور إدوار المنقبادى اللذين نقلا المطبعة إلى شارع الجد بالفجالة واستحضر لها آلة طباعة من الخارج تدار بالبخار وتطبع فى الساعة ستة آلاف نسخة . غير أن تلك الآلة لم يحالفها الحظ ؛ فقد خسرت الجريدة فى عهدها مبالغ طائلة واضطر صاحباها بعد وفاة تادرس المنقبادى فى سنة ١٩٣٢ إلى بيعها بنصف ثمنها . ونقلت المطبعة وإدارة الجريدة بعد ذلك إلى ملك جوانى بجاد بالفجالة . وجلبت لها طابعة من طنطا تدار باليد .

وانتقلت مطبعة جريدة البصير فى الإسكندرية فى سنة ١٩٣٤ إلى دراها الكائنة بشارع أديب إسحق . وقامت المطبعة إلى جانب إصدار الجريدة بطبع الكتب والكراريس والأوراق التجارية المختلفة .

واضطر هنرى بوتنييه صاحب جريدة البورص ومطبعتها إثر الضائقة المالية التى حلت بشركائه وصحفه ومطبعته إلى بيعها جميعاً فى سنة ١٩٢٥ إلى أوزولد فنى الذى أسس شركة تحت اسم « شركة الإعلانات الشرقية »[١] . أما صحيفة البورص فلم يشترها أوزولد فنى إلا فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

وكانت الشركة والمطبعة حتى سنة ١٩٣٨ فى شارع قصر النيل رقم ٣٠ (فيلا موسكات) ثم ابتاعت الشركة صحيفة الإجبشيان جازيت ومطبعتها والبناء الذى تحتله فى شارع جلال باشا رقم ٢٤ ، فانتقلت إليه سنة ١٩٣٩ . وقد أشرف أنجلو بروكاشيا على إعادة تركيب معدات المطبعة .

وقرر إسكندر مكاريوس أن يدخل طباعة الفوتغرافور على مجلته « اللطائف المصورة » ، وعرض طبعها أو طبع جزء منها على مطبعة الهلال ولكن صاحبيها لم يوافقا على هذا العرض . فاضطر مكاريوس فى سنة ١٩٢٦ إلى استحضار طابعة صغيرة بالفوتغرافور . وصدرت المجلة وقد طبع بعض صفحاتها بتلك الطريقة الجديدة . وفى سنة ١٩٣٠ استوردت إدارة « اللطائف المصورة » طابعة روتاتيف لطبع جريدة يومية بأربعة ألوان . وقد أنشئت تلك الجريدة فعلا وأطلق عليها اسم « السيار » . وكانت مصورة على غرار الجرائد اليومية اللندنية والنيويوركية . ولكن

---

(١) حديث مع المرحوم هنرى بوتينييه فى يوم الجمعة ٢٣ مايو سنة ١٩٥٢ (بنسيون سلكت) .

لأسباب مالية عجز صاحب اللطائف عن استحضار آلة لينوتيب عربية . فكانت جميع أصول الجريدة تجمع باليد مما أوجد متاعب ومشاق لا توصف . واضطرت « السيار » إلى الاحتجاب بعد أن كبدت صاحبها خسائر فادحة .

وقامت مطبعة اللطائف إلى جانب ذلك بطبع مجلة للسيدات اسمها « العروسة والفن السينمائى » ، ومجلة أسبوعية للأولاد كانت الأولى من نوعها ، أطلق عليها اسم « مجلة الأولاد » . وقد توقفت عن الصدور حين شرعت الدار فى إصدار الصحيفة اليومية . وطبع فى تلك المطبعة أيضاً « المجلة الشهرية » ، ومجلة « على كيفك » وهى أول مجلة فى حجم الجيب ، ومجلة « دلتا » وكانت صورها مشروحة بالإنجليزية والفرنسية واليونانية .

وانتقلت مطبعة جريدة « السياسة » إلى شارع المناخ (عبد الخالق ثروت) فى منزل عبد الحميد الشواربى باشا وبقيت فى هذا البيت من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١٩٣٦ . وكانت الجريدة تصف فى بدروم بشارع الشيخ بركات ثم ترسل الكرتون (الغلاف) إلى شارع المناخ حيث تطبع .

واستبدلت مطبعة البلاغ فى سنة ١٩٣٠ طابعتها الروتاتيف القديمة بطابعة ألمانية حديثة سرعتها ١٥،٠٠٠ نسخة فى الساعة الواحدة .

ولشراء تلك الطابعة قصة ، فقد أقيم فى سنة ١٩٢٧ بألمانيا معرض اسمه معرض بولونيا للصحافة والطباعة اشتركت فيه مصر ومثلها عبد القادر حمزة وحسن فهمى رفعت والدكتور أحمد فريد رفاعى . وشاهد عبد القادر حمزة فى هذا المعرض الطابعات الحديثة فقرر شراء الطابعة الروتاتيف سالفة الذكر . ولما عاد إلى القاهرة ابتاع قطعة الأرض التى شيد عليها بعد ذلك ضريح سعد . فاختار عبد القادر حمزة قطعة الأرض التى أقيم عليها بناء صحيفة البلاغ [١] ، وقد تم تشييده فى سنة ١٩٢٩ . وقبل ذلك كانت دار البلاغ فى شارع الدواوين بجوار مطبعة مصر . أما المطبعة الأولى فكانت فى أول شارع عماد الدين عند تقاطعه بشارع السلطان حسين ، ثم انتقلت إلى شارع شريفين أمام المبنى الذى تحتله الآن بورصة الأوراق المالية حيث كان قصر قطاوى باشا . وكانت مطبعة البلاغ الأسبوعى فى المبنى نفسه . والبلاغ الأسبوعى هى النسخة الفنية للبلاغ اليومى . وفى ذلك البناء أيضاً

---

(١) مبنى مطبعة البلاغ اليوم .

صدرت مجلة « الأمل » باللغة العربية ، ومجلة « الأسبوار » L'Espoir باللغة الفرنسية لمنيرة ثابت . وكانت هاتان الصحيفتان تطبعان مع البلاغ اليومى حتى سنة ١٩٢٨ .

واشترى صاحب البلاغ مع الطابعة الروتاتيف آلة كهربائية لكبس الصفحات وآلة لصب قوالب الرصاص وآلة لقطع الجوانب وتهذيب ظهر القالب .

وقامت مطبعة البلاغ فى سنة ١٩٣٦ بطبع صحيفة المصرى ، كما طبعت أيضاً جريدة روز اليوسف اليومية والجورنال ديجبت لفترة قصيرة والإيكو L'Echo .

وأنشئت مطبعة جريدة الشعب بالقاهرة فى سنة ١٩٣٠ ، وقد صار إنشاؤها على مرحلتين ، إذ تم فى المرحلة الأولى شراء حروف تكفى لإخراج صحيفة فى ثمانى صفحات كانت تطبع فى مطبعة جريدة « الاتحاد » . وما لبث إسماعيل صدقى باشا أن كلف محمد يوسف السركى المدير العام لجريدة « الشعب » وقتئذ بأن يتصل بحسن نشأت باشا وزير مصر المفوض بألمانيا وقد تم بواسطته شراء آلة روتاتيف ماركة « كونبرج » . وقد وصلت إلى مصر وركبت فى سنة ١٩٣١ . وكان فى المطبعة عدا الطابعة الروتاتيف مكبس لعمل القالب الكرتونى بواسطة الدق بالفرشاة ثم استبدل بمكبس هيدروليكى وقالب لصب الصفحات وآلة تهذيب الصفحات المصبوبة . وكانت المطبعة تستورد حروفها من مسبك التمدن ومسبك حروف الاتحاد الشرقى . وكانت تطبع إلى جانب جريدة الشعب نشرات الدعاية الخاصة بحزب الشعب وبالجريدة نفسها .

ولما أغلقت جريدة « الشعب » عقب إبرام معاهدة سنة ١٩٣٦ ، رأى الحزب تصفية المطبعة فبيعت الحروف للمسابك والصناديق لتجار المطابع القديمة . أما طابعة الروتاتيف وما يتبعها من الأدوات ، فقد بيعت لمطبعة « بروكاتشيا » بالإسكندرية .

وأنشأ محمد يوسف السركى فى سنة ١٩٣٣ مطبعة جريدة المرشد ، وهى عبارة عن طابعة ماركة « مارينونى » تدار بمحرك كهربائى وطابعة تدار بالقدم لطبع الغلافات وإعلانات اليد وطابعة صغيرة للبطاقات وغيرها من الآلات الخاصة بقسم التجليد . وكانت المطبعة إلى جانب طبع جريدة المرشد ، تقوم بطبع بعض الكتب وتقارير الشركات وبطاقات الزيارة ونشرات الدعاية المختلفة وغيرها من المطبوعات التجارية . ولكن سوء الحالة المالية اضطر صاحبها إلى إغلاقها فى سنة ١٩٣٧ .

وأسس محمود أبو الفتح وكريم ثابت ومحمد التابعى جريدة « المصرى » سنة ١٩٣٦ . وطبعوا أعدادها الأولى الصادرة من ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٦ إلى ٣١ ديسمبر من السنة نفسها فى مطابع جريدة البلاغ . ثم اتفق أصحاب الجريدة مع شركة طباعة الصحف المصرية حجاز وشركاه على طبع الجريدة على طابعة الشركة ببولاق ، وكانت قبل ذلك ملكاً لصاحب جريدة « الجهاد » . ورأى أصحاب « المصرى » بعد ذلك شراء الطابعة من الشركة المذكورة ، وكان ذلك خلال سنة ١٩٣٩ . والطابعة من طراز كينج آند باور Koening & Bawr روتاتيف . وتطبع ٣٢ صفحة من قطع الجريدة بسرعة ١٤ ألف نسخة فى الساعة ، أو ١٦ صفحة من القطع نفسه بسرعة ٢٨ ألف نسخة فى الساعة ، أو ثمانى صفحات بسرعة ٥٦ ألف نسخة فى الساعة . كما تطبع أربع صفحات بلونين خلاف اللون الأسود .

وعند تأسيس « الجورنال ديجبت » فى سنة ١٩٣٦ كانت أصولها تجمع على اللينوتيب وتطبع فى مطابع لنشيونى بشارع عبد الخالق ثروت .

إن معظم الصحف المصرية العربية والإفرنجية أصبحت تطبع فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين بطابعات الروتاتيف السريعة ، وذلك بفضل إقبال الناس على قراءة الصحف مما ضاعف توزيعها ، كما أن حروفها بدأت تجمع آلياً . أما طباعة الروتغرافور أو الهليوجرافور فقد قطعت شوطاً بعيداً فى مضمار التقدم والإتقان ، وبدأت محاولات الطبع بالألوان بهذه الطريقة وجاءت نتائجها طيبة .

الفصل السادس

التجديد

١٩٤٠ – ١٩٥٢

على الرغم من اشتعال نار الحرب العالمية الثانية لمدة ست سنوات تقريباً فإن الطباعة فى مصر لم تتأثر بهذه الحرب كما تأثرت بالحرب الأولى . ذلك أن الشرق العربى كان محتلا بالجيوش البريطانية والفرنسية أو واقعاً تحت نفوذ القوات الحليفة . وآمن الغرب بالدعاية فأكثر منها . وأصبحت مطابع الشرق العربى لاسيما مطابع القاهرة وبيروت تزود أجهزة الدعاية المختلفة بشتى المطبوعات التى كانت فى حاجة إليها فازدهرت الطباعة ازدهاراً لم يعرف له مثيل . ومع أن الورق كان يوزع بالبطاقات فإن المطبوعات كانت وفيرة؛ ذلك أن مخازن الجيوش البريطانية كانت مليئة به . وكانت إذا أرادت طبع شىء فى مطبعة من المطابع أرسلت لها الورق من عندها .

أولا : المطابع الرسمية

تعطلت بعض آلات مطبعة بولاق وذلك لعدم وجود قطع الغيار فى السوق المحلى وعدم ورودها من الخارج . ولكن ورش المطبعة تمكنت من صنعها فأصلحت الآلات المعطلة فاستأنفت عملها كسابق عهدها .

وفُصل الجمع العربى عن الجمع الإفرنجى وعين رئيس لكل منهما . وبذلت محاولات جدية لتعليم بعض عمال الجمع الرموز الهيروغليفية .

وكانت تلك المؤسسة تضم فى سنة ١٩٤٨ نحو ألفى عامل وموظف وتستهلك ما لا يقل عن ٣٥٠٠ طن من الورق فى السنة الواحدة .

ويبدو أن زيادة العمل على المطبعة جعلتها لا تهتم كثيراً بدقة الطبع ؛ فقد

شكا نائب فى إحدى جلسات مجلس النواب التى عقدت فى خلال شهر فبراير سنة ١٩٥١ من أن الحروف التى تطبع بها المضابط قد تآكلت وأن مناقشات النواب تضيع بين السطور المكسورة ، وهو أمر لا يليق بمطبعة المجلس . وتدارك عبد السلام فهمى جمعة باشا رئيس المجلس مصححاً ، فقال إنها ليست مطبعة المجلس . . . ولكنها المطبعة الأميرية . . المطبعة الميرى ! وعاق بعض النواب قائلا : نرجو أن تكون مطبعة المجلس المزمع إنشاؤها خيراً من مطبعة الميرى هذه[1] .

وكانت المطبعة الأميرية تقوم قبيل حلول شهر رمضان المبارك بطبع إمساكية على الحرير الأبيض ويتوجه إلى القصر الملكى مدير المطبعة « فيرفع » إلى الملك والملكة وإلى الأمراء والأميرات نسخاً من تلك الإمساكية . ويتوجه المدير بعد ذلك إلى رئاسة الوزراء ليقدم نسخاً من الإمساكية إلى الوزراء ورئيسهم[2] .

وتمكنت مطبعة بولاق — على الرغم من قصور إمكانياتها — من أن تنتج للمصالح الحكومية المختلفة والمدارس هذا العدد الضخم من المطبوعات النظيفة .

وقد خرج كثير من عمال المطبعة الأميرية وافتتحوا لأنفسهم مطابع كان لها أطيب الأثر على تقدم الفن المطبعى فى مصر .

وبدأ ولاة الأمر يفكرون فى إحلال الطباعة الملساء أو طباعة الأوفست محل الطباعة الحجرية التى دالت دولتها فى أوربا منذ زمن طويل . كما بدأوا يفكرون فى إنشاء قسم للتصوير والحفر على الزنك . وعلى أى حال ، فإنه على الرغم من تقادم العهد على مطبعة بولاق ، فقد ظلت أكبر مطبعة فى الشرق العربى وأكبر مطبعة عربية فى العالم .

وإن انتقلنا إلى مطبعة السكك الحديدية وجدناها المطبعة المصرية الوحيدة التى تطبع بالمقاسات الإنجليزية . إذ أن المطابع فى مصر جرت على اتخاذ القاعدة الفرنسية مقياساً لها .

وقامت مطبعة مصلحة المساحة خلال الحرب العالمية الثانية بطبع عدد من الكتب لجيوش الحلفاء وأوراق النقد لسوريا ولبنان وللبنك الأهلى المصرى من فئة

---

(١) صحيفة الزمان فى ٢٠ فبراير سنة ١٩٥١ .
(٢) الأهرام فى ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ .

المائة جنيه وطوابع بريد العراق والأردن وطوابع تمغة للقنصلية اليونانية .

وتطبع هذه المطبعة منذ سنة ١٩٤٣ نتيجة سنوية مصورة كما طبعت صور مساجد مصر بالألوان لحساب وزارة الأوقاف . وقامت إلى جانب طبع الخرائط بإصدار طوابع البريد والتمغة وأوراق النقد فئة خمسة وعشرة قروش . وكانت تقوم بطبع طوابع تموين الكيروسين .

ونالت مطبعة مصلحة المساحة المدالية الذهبية من معرض طوابع البريد الذى أقيم بالقاهرة سنة ١٩٤٦ بمناسبة مرور ثمانين سنة على إصدار أول طابع بريد مصرى ؛ والمدالية الذهبية من معرض طوابع البريد الدولى الذى أقيم بنيويورك سنة ١٩٤٧ ؛ والمدالية الذهبية من معرض طوابع البريد الدولى الذى أقيم بمدينة بال بسويسرة سنة ١٩٤٨ .

وقامت مصلحة المساحة فى سنة ١٩٥٢ بطبع المصحف الشريف على ورق ممتاز بحجم كبير وبكمية كبيرة للوفاء بحاجة مصر والبلاد الإسلامية والمسلمين فى العالم . وجاء المصحف آية فى فن الطباعة والرسم .

وتعتبر مطبوعات مصلحة المساحة من أدق المطبوعات وأجملها لا فى الشرق العربى فحسب بل فى أوربا وأمريكا أيضاً .

واشترت جامعة القاهرة فى سنة ١٩٤٠ طابعة وكمية من الحروف العربية ظلت مخزونة إلى أواخر سنة ١٩٤٥ ، ثم كتب للمطبعة أن ترى النور . وبدأ العمل فى مطبعة الجامعة رويداً رويداً . وكانت فى أول أمرها تطبع المطبوعات الإدارية الخاصة بالجامعة كالسجلات والاستمارات . وبدأت بعد ذلك فى طبع الرسالات والمجلات والأبحاث العلمية وكراسات الامتحانات . وفى سنة ١٩٥٢ كانت تطبع إلى جانب ذلك مؤلفات الأساتذة ومطبوعات جامعة الإسكندرية [1] ومجلس الدولة .

والذى عطل نمو مطبعة جامعة القاهرة فى أول الأمر أنها أنشئت خلال الحرب العالمية الثانية ، فلم يكن فى الاستطاعة تزويدها بما هى فى حاجة إليه من أدوات ومعدات . وظل الحال كذلك إلى أن تمكنت إدارة الجامعة من شراء بعض آلات الطباعة من مخلفات الجيوش البريطانية بحوالى خمسة آلاف جنيه . وقد ابتاعت من

(١) أصبح لجامعة الإسكندرية مطبعة خاصة بها .

تلك المخلفات ورشة للحفر على الزنك وبعض الآلات الخاصة بورشة التجليد ومجموعة من الحروف المختلفة . وبشراء تلك الآلات والأدوات استطاعت الجامعة أن تقوم بجميع الأشغال التى كلفت بها فاستغنت بذلك تماماً عن مساعدة المطبعة الأميرية .

وتشغل المطبعة منذ تأسيسها الدور الأرضى لمبنى مكتبة الجامعة ، وهو مكان ضيق غير صحى ، يتعرض لرشح المياه فى أشهر الخريف ويضاء إضاءة صناعية فى رائعة النهار .

لقد قامت المطابع الرسمية فى مصر بدور رئيسى فى إرساء صناعة الطباعة فى وادى النيل ، إذ أنها تحملت العبء بمفردها حوالى أربعين سنة ، وبفضلها ارتقت الطباعة بعد أن رسخت أقدامها وتعلم المصريون فناً رفيعاً لم يكن لهم به دراية وأصبحت المهمة التى ألقيت على عاتق المطابع الرسمية فى مصر من أخطر المهام ، فقد ساهمت مساهمة فعالة فى نشر العلم والعرفان وجعلت الكتاب فى متناول كل من يطلبه فقيراً كان أو غنياً .

ثانياً : مطابع الأجانب

لما أعلنت إيطاليا الحرب على الحلفاء وضعت الحراسة على جميع مطابع الإيطاليين فى مصر ، وعندما صفيت هذه المطابع اشترى معظمها طابعون مصريون. وعلى أى حال ، فقد هبط عدد مطابع الأجانب عموماً . أما المطابع التى ثبتت فى الميدان فقد زودها أصحابها بكل مستحدث جديد .

فى حوالى سنة ١٩٤٠ جلبت مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية آلة تنضيد حروف طراز مونوتيب للجمع الإفرنجى ، وأردفتها بآلة أخرى من الطراز نفسه تستطيع أن تنضد الحروف اللاتينية والحروف العربية حسب الحاجة . وقد تم شراء هذه الآلة الأخيرة فى سنة ١٩٥١ .

ولا ننسى أن نذكر أن الصور الملونة التى قامت بطبعها تلك المطبعة كانت دقيقة للغاية ، ولا نكون مغالين إذا قلنا إنها كانت لا تقل دقة عن الصور المطبوعة فى المطبعة الأهلية بباريس .

واستأجر الإخوة مورافتلى فى سنة ١٩٤٠ مطبعة أخيهم الكائنة فى شارع عبد الحق السنباطى رقم ٤ خلف كازينو أوبرا ، وجعلوها فرعاً من مطبعتهم .

وعلى الرغم من قيام الحرب فقد أسس لوسيان كاستليولا الفرنسى المطبعة الفرنسية فى سنة ١٩٤٢ واتخذ لها مقراً فى عمارة شواربى بشارع ٢٦ يوليو بالقاهرة . وقد طبع فى هذه المطبعة عدد كبير من الكتب المدرسية باللغة الفرنسية .

وكان فى القاهرة والإسكندرية وبورسعيد حتى ذلك العهد عدد من المطابع يملكها أجانب من مختلف الجنسيات إلا أن مركزها تأثر كثيراً بمنافسة المطابع المصرية لها من حيث الكم والكيف .

ثالثاً : مطابع المصريين

استطاعت مطابع المصريين أن تتفوق فى هذه الحقبة من تاريخ الطباعة فى مصر على مطابع الأجانب . فقد كانت الشركات أجنبية فى معظمها وكانت لا تطبع إلا فى مطابع أجنبية ؛ إلا أن الاقتصاد فى مصر أخذ يتحول شيئاً فشيئاً إلى اقتصاد مصرى قومى . وتألفت الشركات المصرية وأنشئت المصانع المصرية وانتشرت البيوتات التجارية المصرية فى كل البلاد . وأصبح التعليم الابتدائى مجاناً وحذا حذوه بعد فترة وجيزة التعليم الثانوى . أما الجامعات فقد فتحت أبوابها للجميع وتساهلت فى منح المجانية ونشطت سوق الكتب . وكان لا بد لكل هذا التقدم من مطابع لطبع الكتب ومن مطابع لطبع الكراريس ومن مطابع لطبع الأوراق التجارية المختلفة .

وعلى الرغم من قلة الورق الفاخر فى فترة الحرب ، فقد أخرجت مطبعة المعارف فى سنة ١٩٤١ طبعة فاخرة من كتاب كليلة ودمنة تذكاراً لعيدها الذهبى .

ورأت هذه الدار أن الحرف العربى الذى تصبه آلا ت تنضيد الحروف التى ابتكرها الغرب ، لا يرضى الذوق العربى لعدة أسباب أهمها بعد ذلك الحرف من حيث الجمال عن الحرف الذى ينضد باليد وافتقاره إلى الحركات والضوابط . فما كان من شفيق مترى إلا أن سافر إلى إنجلترا حيث اتفق مع شركة المونوتيب على صنع قوالب جديدة للحرف العربى ، قدم لها أنموذجاً منه ، فقررت الشركة

إدخاله فى جميع الآلات التى تنضد الحروف العربية . وأدخلت الدار أول مونوتيب عربية بالحروف الجديدة سنة ١٩٤٥ . وكانت قد غيرت اسمها منذ سنة ١٩٤٤ من « مطبعة المعارف ومكتبتها » إلى « دار المعارف للطباعة والنشر [١] » .

وحرصت الدار على أن تقدم إلى القارئ العربى زاداً ثقافياً متنوعاً ، فهى تغذيه منذ طفولته إلى أن يصبح شيخاً هرماً لا متعة له فى الحياة إلا القراءة . . . ويشمل نشاطها فى هذا الميدان مكتبة الطفل ومكتبة التلميذ وسلسلة اقرأ ومكتبة الشباب والمثقفين ومجلة الكتاب وذخائر العرب .

وقامت دار المعارف فى مستهل سنة ١٩٥٢ بإصدار مجلة أسبوعية للأطفال مطبوعة بالأوفست تمتاز بصورها ورسومها الملونة ، أطلقت عليها اسم « السندباد » وقامت إلى جانب ذلك بطبع ونشر مجلة علم النفس ومجلة صحيفة التربية وكراسات التاريخ المصرى .

وشعر صاحب هذه الدار بأن المقر الذى تشغله فى شارع الفجالة رقم ٧٠ لم يعد يتسع لأعمالها ، فقر الرأى على تشييد بناء متسع فخم فى شارع مسبيرو المحازى للنيل انتقلت إليه المطبعة والإدارة منذ أول مارس سنة ١٩٥٠ ، وهو من أكبر وأفخم دور النشر فى الشرق العربى .

وإن تصفحنا ميزانية شركة مطبعة مصر فى نهاية سنة ١٩٤١ وجدنا أنه لم يبق من قيمة السندات سوى ثلاثة آلاف من الجنيهات ، بينما تم سداد السلفة الصناعية وهبط حسابها المدين لبنك مصر إلى نحو ستة آلاف من الجنيهات فى حين تم سداد السلفة الصناعية وهبط حسابها المدين للبنك إلى نحو ستة آلاف من الجنيهات فقط .

وفى سنة ١٩٤٣ ضربت المطبعة الرقم القياسى فى طبع المجلات ، إذ قامت بطبع مجلة « المختار » التى كان يطبع من العدد الواحد منها مائتا ألف نسخة توزع فى أنحاء العالم العربى . وطبعت أيضاً النسخة الإنجليزية من مجلة ريدرز دايجيست ، وكان يطبع منها أربعون ألف نسخة ، ومجلة الفصول التى كان يطبع منها اثنتا عشرة ألف نسخة ، ومجلة الغرفة التجارية ومجلة الطيران ؛ هذا إلى جانب مطبوعات بنك

---

(١) تمكنت هذه الدار فى سنة ١٩٥٨ من اقتناء آلة مونوتيب تجمع الحروف مشكولة . وهى أول آلة من نوعها . وقد قام بوضع قاعدتها المرحوم جبرائيل قاروط مدير مطابع الدار فى ذاك الحين .

مصر وشركاته . وطبعت مطبعة مصر بعض كتب الدعاية لوزارة الاستعلامات البريطانية . وفضلا عن ذلك فقد قامت بطبع النتائج والمفكرات .

وفي سنة ١٩٥٠ جددت مباني المطبعة وأصبحت مثالا يحتذى في النظام والدقة في العمل . وغدت شركة مطبعة مصر من أكبر المطابع المصرية وأدقها عملا .

وتقدمت مطبعة الحاج عبد السلام سليمان قناوي تقدماً ملحوظاً خلال الحرب العالمية الثانية وفي السنوات التي تليها . فقد استوردت آلة تطبع من خمسة آلاف إلى سبعة آلاف متر ورق في الساعة الواحدة . وتنتج هذه المطبعة كميات ضخمة من أكياس التعبئة فضلا عن المطبوعات التجارية المختلفة .

واستطاعت مطبعة خلف وولده خلال الحرب العالمية الثانية أن تؤدي للبلاد أجل الخدمات ، فقد لجأت إليها وزارة المعارف (وزارة التربية والتعليم الآن) لتفرج أزمة الدفاتر والكراريس . وعهدت جريدة الأهرام إلى هذه المؤسسة بتجليد ما تصدره من أعداد خاصة .

وقامت مطابع محرم بالإسكندرية بطبع ورق النقد لحساب الحكومتين السورية واللبنانية وورق البندرول للحكومة العراقية وطبعت أيضاً صورة الرئيس روزفلت . ومنحتها وزارة التجارة والصناعة المدالية الذهبية في سنة ١٩٤٠ . وقد تحولت في سنة ١٩٤٦ إلى شركة توصية ذات أسهم وأصبح رأس مالها تسعين ألفاً من الجنيهات المصرية .

وانتهز عارف إبراهيم الصوص قلة ورود المظاريف من الخارج ليؤسس مصنعه في سنة ١٩٤٠ . وكان المصنع يوزع إنتاجه على مصلحة سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية . واستوردت الحكومة المصرية منه ما لا يقل عن أربعين مليون ظرف في السنة . وكان يعمل فيه مائة وثلاثون عاملا يمكنهم إنتاج أربعمائة ألف ظرف في اليوم . وفي المصنع مطبعة لإنتاج المطبوعات التجارية والكراسات والدفاتر وما إليها .

وفي مصر اليوم مئات المطابع التجارية التي وفرت على البلاد مئونة استيراد المطبوعات الفاخرة من الخارج ، إذ أنه أصبح في الاستطاعة صنع أغلب المطبوعات الدقيقة الأنيقة بتكاليف زهيدة .

رابعاً : مطابع الصحف

نشطت مطابع الصحف نشاطاً كبيراً خلال الحرب العالمية الثانية وذلك على الرغم من قلة ورود الورق وقطع الغيار ، ذلك أن الصحف قد استعدت للحرب منذ سنة ١٩٣٨ فخزنت كميات هائلة من الورق وحبر الطباعة وقطع الغيار .

وفى شهر يوليه سنة ١٩٤٣ توفى جبرائيل تقلا فانتقلت ملكية الأهرام إلى ابنه بشارة وابنتيه وأرملته . ومضت الأهرام فى طريقها المرسوم بنفس الهمة والنشاط وزاد عدد قرائها مما حدا بها فى سنة ١٩٥٢ إلى شراء طابعة روتاتيف جديدة ماركة « هاو آند كرابترى » من لندن . وتطبع هذه الآلة بأربعة ألوان وسرعتها ١٢٠ ألف نسخة فى الساعة إن كانت الصحيفة ذات ست عشرة صفحة . ومن خاصيتها أنها تغير بوبينات الورق أوتوماتيكياً دون توقف حركتها . ويتحكم فى إدارة المطبعة أربعة محركات قوة كل واحد منها خمسون حصانا .

ونظراً لكبر حجم الطابعة ، فقد رأى أصحاب الشأن فى الأهرام إنشاء بناء خاص لها فى شارع الجلاء . وهو مصمم على أحدث طراز ليتسع لأقسام الجمع والسباك والطبع . وجهز بمطاعم ومغاسل صحية للعمال يجرى فيها الماء العادي والساخن والمثلج .

وفى السنة نفسها أى فى سنة ١٩٥٢ زودت الأهرام مطابعها بمسبكين حديثين لصب الفورم وهما من ماركة مارينونى الفرنسية . وفى استطاعة المسبك الواحد أن يصب ست عشرة صفحة فى اثنتى عشرة دقيقة . ويصهر الرصاص فى فرن كهربائى ويبرد الماء آلياً . ولا يستغرق صب الفورمة الواحدة أكثر من اثنتين وعشرين ثانية . وقد حل محل مسبك آخر كان يعمل بالكهرباء غير أن لهب فرنه كان يشعل بالمازوت .

وجددت مطابع دار الهلال طابعاتها الروتغرافور فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فجلبت طابعات تطبع بلونين وبأربعة ألوان . وعندما صدرت مجلة « التحرير » فى أواخر سنة ١٩٥٢ طبعت أول الأمر فى هذه المطابع .

وأخرجت دار الهلال أعداداً خاصة تعتبر تحفة فى فن الإخراج والطبع لا فى الشرق العربى فحسب بل فى أوربا وأمريكا أيضاً . وحرصت هذه المؤسسة على تزويد مطابعها بكل مستحدث فى فن الطبع بالروتغرافور لتجارى النهضة الصناعية وتساير التقدم الذى أصابته البلاد فى كل ميدان .

وعمت حركة التجديد مطابع صحف الإسكندرية فاشترت جريدة البصير لمطبعتها فى سنة ١٩٥١ آلة مونوتيب حديثة لتنضيد الحروف العربية والإفرنجية .

وتعاقدت شركة الإعلانات الشرقية مع ماكس كوخ Max Koch الذى كان يعمل حتى سنة ١٩٤٥ مديراً فنياً لمطبعة شندلر بالقاهرة . فارتفع فى عهده مستوى الطباعة فى مطابع هذه الشركة ، وآية ذلك مجلة المرأة الجديدة التى كانت تطبع طبعاً فاخراً ، وبالألوان الأربعة على ورق مصقول .

وعندما نسفت المطبعة وإدارة الشركة فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين من صباح يوم الجمعة ١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، لم تتعطل الصحف التى تصدر عن تلك الدار بفضل مؤازرة مطبعة الجورنال ديجبت والزمان ومطبعتى جريدة لابترى وجرونبرج . ولم يمض شهر واحد إلا وعادت المطبعة إلى ما كانت عليه قبل النسف .

وفى سنة ١٩٥٢ كان يخرج من هذه المطبعة جرائد البورص والبروجريه والإجبشيان جازيت والإجبشيان ميل والسفانكس و « لا ريفو ديجبت إيكونومياك إيه فينانسيير [١] الفرنسية ومجلة « مديكال برس أوف إيجبت [٢] » .

أما مطابع اللطائف المصورة فقد اعتلت صحة صاحبها فى أوائل الحرب العالمية الثانية ولم يجد بدا من أن يلقى بمقاليد المجلة والمطبعة إلى أناس توسم فيهم المقدرة والكفاءة . ولكن ما لبث أن انضم إليهم ممول أراد استغلال الدار ، وكانت الجيوش البريطانية فى مصر ، فأوقف « اللطائف المصورة » ليصدر عوضاً عنها مجلة إنجليزية أطلق عليها اسم « فيكتورى » . وقد راجت تلك المجلة فى أول الأمر ، ولكنها لم تعش طويلا ، فقد دب الخلاف بين المستأجر الأول والممول وأعيدت المطبعة لصاحبها الأصيل . ولكنه لضعف صحته لم يستطع إعادة إصدار اللطائف . وقد

---

(١) La Revue d'Egypte Economique et Financière.

(٢) Medical Press of Egypt.

استأجر المطبعة أناس مختلفون قبل وفاته .

وإذا انتقلنا إلى جريدة « البلاغ » نرى المحكمة تقضى بتعطيلها شهراً فى سنة ١٩٤٥ بتهمة العيب فى الذات الملكية . وخلال هذا الشهر قامت المطبعة بطبع جريدة « الوادى » . ولم تطبع « البلاغ » خارج مطبعتها الخاصة منذ إنشائها حتى توقفت عن الصدور .

وقد اشتري لها صاحبها فى سنة ١٩٤٨ آلتى لينوتيب من إنجلترا وآلة أنترتيب من أمريكا . وكانت حروف هذه الجريدة تجمع باليد حتى هذا التاريخ ، أما العناوين فقد ظلت تجمع باليد .

وشملت حركة التجديد مطابع « المصري » فقد اشترت فى سنة ١٩٤٨ طابعة روتاتيف أمريكية وركبت فى مبنى مطابع الجريدة بمصر القديمة .

واشترى إدجار جلاد صاحب « الجورنال ديجبت » ست آلات لينوتيب من مطابع لنشيونى بعد اعتقال صاحبها فى سنة ١٩٤٢ . وأسس مطبعة للجمع والتوضيب فى حارة زغيب المتفرعة من شارع قصر النيل . أما الطبع فكان يجرى فى مطابع المصرى وكانت طابعة الروتاتيف ملك خجاز ثم انتقل إلى مطابع البلاغ . وفى سنة ١٩٤٥ وصلت « الزمان » طابعة روتاتيف ماركة « جوس » الأمريكية ومعها آلات صب الفورم . وابتدأ الطبع بهذه الآلة فى السنة نفسها بعد أن شيد لها بناء خاص فى شارع الصحافة . وعلى هذه الطابعة طبعت « الكتلة » و « الأساس » و « الإخوان المسلمون » و « أخبار اليوم » و « آخر لحظة » و « الرأى العام » و « الأسبوع » و « الراية » و « الجمهور المصري » و « اللواء الجديد » و « السودان الحديث » و « الحوادث » و « الأنباء الجديدة » و « النداء » و « السوادى » . وكانت « المصرى » تطبع أحياناً فى مطابع « الجورنال ديجبت » إن أصيبت مطابعها بخلل .

ولما أنشأ إدجار جلاد جريدة « الزمان » فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٧ لم يكن لديه آلات لينوتيب عربى ، فكانت تجمع أصول الجريدة فى مطابع « أخبار اليوم » إلى أن وصلت آلات اللينوتيب الخمس فى أواخر سنة ١٩٤٨ .

وكانت أصول صحيفة « أخبار اليوم » التى صدرت فى نوفمبر سنة ١٩٤٤ تجمع فى مطبعة مصر ثم ترسل إلى مطابع جريدة الأهرام لتقوم بطبعها . وظلت تجمع

بتلك الطريقة إلى أن اشترى مصطفى أمين وعلى أمين الأرض الكائنة ببولاق والتى أقيمت عليها الدار بعد ذلك . وقد بنى أول ما بنى من الدار عنبر قسم اللينوتيب وهو عبارة عن آلتين اشتريتا من إنجلترا ثم استوردت إدارة الصحيفة آلتى أنترتيب من أمريكا ، وكان ذلك فى نهاية سنة ١٩٤٥ . وأصبح عدد تلك الآلات فى سنة ١٩٥٢ اثنتى عشرة آلة .

وعندما وصل عدد الآلات إلى أربع ، بدأت المطبعة تجمع أصول جريدة «أخبار اليوم » التى أصبحت تطبع فى مطبعة « الجورنال ديجبت » . ونظراً لضخامة الكمية التى كانت تطبع من « أخبار اليوم » فقد تقاسم طبعها مطبعة « الجورنال ديجيبت » ومطبعة شركة الإعلانات الشرقية . ولأسباب فنية انتقل الطبع بعد ذلك إلى مطابع جريدة « المصرى » . وفى تلك الأثناء تألفت شركة بين المصري وأخبار اليوم ولكنها انفضت بعد سبعة أشهر ، وعادت « أخبار اليوم » إلى مطابع الزمان والجورنال ديجبت . وفى ذلك الوقت ظهرت « آخر لحظة » ، وكانت تصدر مرة واحدة فى الأسبوع خلاف صدورها مع « « آخر ساعة و « الجيل الجديد » وتبين أن مطبعة الجورنال ديجبت والزمان لا تسعف فى طبع « أخبار اليوم » و « آخر لحظة » فقرر صاحبا الدار طبع الصحيفة الثانية فى مطابع شركة الإعلانات الشرقية .

واستمر الحال كذلك مدة من الزمن إلى أن تعاقدت « أخبار اليوم » على صنع آلة روتاتيف فى مصانع « سكوت فيكرز » تطبع حوالى مائة ألف نسخة فى الساعة الواحدة من جريدة يبلغ عدد صفحاتها اثنتى عشرة صفحة بلونين أو بأربعة ألوان . ووصلت تلك الآلة من إنجلترا سنة ١٩٥٢ . وقامت أول ما قامت بطبع صحيفة « الأخبار الجديدة » التى صدر عددها الأول فى ١٥ يونيه سنة ١٩٥٢ وجريدة « أخبار اليوم » و « آخر لحظة » يضاف إليها الصحف التى تصدر عن غير « دار أخبار اليوم » مثل جريدة « الاشتراكية » و « اللواء الجديد » و مجلة المهندسين » . ودارت الأيام دورتها وطبعت صحيفة « الزمان » فى هذه المطبعة لخلل أصاب مطابع الزمان والجورنال ديجبت .

ولما اكتمل بناء الدار بدأت الاستعدادات على قدم وساق لإنشاء قسم طباعة الروتغرافور . واستقدم لتنظيم ذلك القسم بعض المهندسين الإنجليز واستوردت الآلات لهذا الغرض فى حوالى سنة ١٩٤٧ وأعد القسم بالأجهزة والمعدات ، وهى

من أحدث ما وصل إليه فن الروتغرافور بعد الحرب العالمية الثانية . وأضيف إلى المهندسين الإنجليز مهندسان آخران للعمل بقسم الرتوش التابع للروتغرافور أيضاً . وكان عمل هؤلاء الإنجليز إعداد الأقسام الفنية والعمل فيها وتدريب المصريين على هذا النوع من الطباعة . وقد توصل المصريون بعد تمرين دام سنتين إلى اجادة هذا الفن الدقيق وبذا استغنى عن نصف الإنجليز . وأصبح عدد الفنيين الأجانب فى مطابع دار الأخبار سنة ١٩٥٢ لا يزيد على اثنين يعملان فى قسم الروتغرافور . أما سائر الفنيين فهم مصريون .

وأشرف على تركيب طابعات الروتغرافور مهندسان أحدهما إنجليزى والآخر ألمانى . وأشاعت بعض الجرائد أن دار أخبار اليوم استوردت آلات طباعة اتضح عند تركيبها أنها مطابع للنسيج . ولكن بعد نشر هذا الخبر بمدة وجيزة ظهرت « آخر ساعة » وقد طبع بعض صفحاتها بالروتغرافور طبعاً يضارع خير المجلات الأوربية . وبعد شهرين تقريباً طبعت جميع صفحات « آخر ساعة » بالروتغرافور. ثم صدرت مجلة « الجيل الجديد » فى سنة ١٩٥١ مطبوعة بالروتغرافور أيضاً .

وقامت مطابع « أخبار اليوم » بطبع عدد من المجلات التى تظهر فى السوق بالروتغرافور مثل « مجلة الإذاعة » ومجلة « الفن » و « مجلة المهندسين » ومجلة « صوت الشرق » ، هذا عدا أعمال الدعاية للسينما المصرية ونشرات خاصة بالحكومة للدعاية لمصر فى الخارج[1] .

إن تقدم الطباعة فى مصر يرجع إلى حد كبير إلى انتشار الصحافة وازدهارها ؛ فلولا صحيفة « الوقائع المصرية » لما فكر محمد على فى توسيع مطبعة بولاق وجلب الطابعات الحديثة لها ، ولولا « الوقائع » أيضاً ، لما قرر إنشاء مطبعة خاصة فى القلعة لهذا الغرض . وإذا انتقلنا إلى سنة ١٨٦٦ ألفينا عبد الله أبو السعود أفندى ينشئ مطبعة « وادى النيل » لطبع صحيفته ورأينا مطابع أجنبية تؤسس فى القاهرة والإسكندرية لتطبع الصحف الفرنسية والإيطالية والإنجليزية التى ظهرت فى تلك الحقبة من تاريخ مصر . ولولا الصحافة وانتشارها والتنافس بينها لما بادر الشيخ

(١) استقينا هذه المعلومات من السيد/سعد عبد العليم مدير مطابع « أخبار اليوم » وذلك فى ٦ أكتوبر سنة ١٩٥٢ .

على يوسف فى سنة ١٩٠٦ بشراء أول آلة روتاتيف عرفتها مصر لجريدته « المؤيد » ولما تبعه الزعيم مصطفى كامل فاشترى فى السنة التالية طابعة روتاتيف قامت بطبع صحفه الثلاث .

لقد قامت الصحافة بدور هام فى تطور الطباعة فى مصر ، وساهم فى ذلك المصريون والأجانب .

* * *

عندما وضعت الحرب العالمية أوزارها هبت دور الطباعة الكبرى فى مصر لتستورد الآلات والمعدات الحديثة لتجارى بها التقدم الذى أصاب تلك الصناعة فى أوربا وأمريكا لتعوض ما لحق آلاتها من إجهاد طول سنى الحرب . وبلغ ما استوردته مصر من آلات الطباعة وأجهزة حفر الكليشيهات بين سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٥٠ ما قيمته ٥٢٧,١٥٧ جنيهاً . وعلى الرغم من ارتفاع أسعار الورق بعد قيام الحرب الكورية فى منتصف سنة ١٩٥٠ فإن الطباعة فى مصر ازدهرت وتضاعف نشاط العاملين فيها .



الفصل السابع

الطباعة للشعب

١٩٥٢ – ١٩٦٥

خطا الفن الطباعي في مصر خطوات جديدة بعد الحرب العالمية الثانية ، كما رأينا في الفصل السابق فزاد عدد المطابع حتى بلغ في سنة ١٩٥٢ ستمائة وأربعا وستين مطبعة ، وأخذ هذا العدد في الارتفاع حتى وصل في سنة ١٩٦٢ إلى تسعمائة وتسع وسبعين مطبعة ، فكانت النسبة المئوية لهذه الزيادة في مدي عشر سنوات ٤٣ ٪ . وهذا العدد في زيادة مستمرة لمسايرة النهضة التي شملت البلاد من أدناها إلى أقصاها .

فى ١٣ من أغسطس ١٩٥٦ صدر القانون رقم ٣١٢ بإنشاء هيئة عامة تلحق بوزارة الصناعة يطلق عليها (الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية) وتكون لها شخصية اعتبارية، وتختص بإدارة المطبعة الأميرية (مطبعة بولاق) والمطابع التابعة لها . وبمقتضى هذا القانون أصبح لهذه الهيئة مجلس إدارة يهيمن على شئونها ويصرف أمورها دون التقيد بالنظم الإدارية والمالية المتبعة في المصالح الحكومية . كما أصبح لها رأس مال مستقل وميزانية مستقلة طبقاً للقواعد المتبعة في المشروعات الصناعية .

وفى السنة المالية ١٩٥٧ – ١٩٥٨ استوردت الهيئة أربع آلات طباعة حديثة من ذات اللفتين يبلغ إنتاج الواحدة منها ٣٠٠٠ كبسة في الساعة . وقد أعد لها عنبر جديد أطلق عليه اسم عنبر « ناصر » للطباعة الحديثة . وأرسلت الهيئة بعض عمالها للتمرن على فنى الحفر على الزنك والفوتوليتو في مطابع المساحة ومؤسستى الهلال وأخبار اليوم وشركة ديكنسون . كما سافر شابان في بعثة إلى معهد بارافيا بإيطاليا للتخصص في التصوير الضوئى والحفر والطبع الفوتغرافى على المعادن تمهيداً لإنشاء قسم الزنكغراف . وقامت الهيئة بتدريب خمسة وأربعين مبعوثاً من أبناء الكويت على مختلف فروع الطباعة ومبعوث واحد من مطبعة الحكومة الليبية وثلاثة من سوريا .

وإذا انتقلنا إلى السنة المالية ١٩٥٨ – ١٩٥٩ رأينا الهيئة تشترى خمس طابعات من ذات اللفتين وطابعة دوارة (روتاتيف) وأربع آلات للقص . وكانت صالة بيع المطبوعات الأميرية تشغل مكاناً بمبنى وزارة الاقتصاد ، فانتقلت إلى ميدان الأوبرا تيسيراً للجمهور .

وفى السنة المالية ١٩٥٩–١٩٦٠ تم تخصيص مساحة قدرها ثلاثون ألف متر مربع بامبابة لإقامة مبنى المطبعة الجديدة عليها والمنتظر أن تبدأ العمل فى غضون سنة ١٩٦٦ ، بعد أن تستكمل مبانيها ومعداتها . وفى السنة المالية ١٩٦٠–١٩٦١ اشترت الهيئة سبع عشرة طابعة أوتوماتيكية وآلتى جمع أنترتيب وأربع آلات لورشة صب الفورم . كما ساهمت مع مجمع اللغة العربية والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية فى الجهود التى بذلت لتيسير الكتابة العربية . وأدت الجهود فى سنة ١٩٥٩ إلى التزام الأساسين الآتيين :

١ – محاولة اختصار الحروف إلى أقل عدد ممكن . وذلك بتمثيل الحرف بصورة واحدة على اختلاف مواقعه فى الكلمة ما أمكن .

٢ – الاحتفاظ بطبيعة الخط العربى وفنه ، وتجنب المباعدة بين القديم والجديد .

وهكذا أمكن اختصار صور الحروف العربية إلى ١٣٥ صورة للمشكول وإلى ١١٢ صورة بغير المشكول ، مع الاستفادة من حروف المطبعة الأميرية فى فنها الخطى الذي يعتبر مثالا عالياً للكتابة العربية . وإن الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية فى صدد وضع المشروع موضع التنفيذ .

وعلى الرغم من انتقال طبع الخرط الطبوغرافية إلى مطبعة المساحة العسكرية وطبع طوابع البريد إلى مطبعة هيئة البريد ، فلا تزال مطابع مصلحة المساحة تتميز على غيرها من مطابع مصر فى دقة الطبع بالفوتغرافور (الهليوجرافور) والأوفست . وقد أدخلت فى السنوات الأخيرة آلات الأنترتيب لجمع الحروف العربية ، بعد أن كانت تجمعها فى المطبعة الأميرية وتكتفى هى بتصويرها . كما وسعت مختلف الأقسام تمشياً مع تزايد احتياجات العمل . وترسل مصلحة المساحة بعثات للخارج لتعلم الطباعة والتصوير الآلى وتصميم الخرائط . وتعتبر

هذه المطبعة بحق مدرسة يتخرج فيها عدد كبير من أساتذة فن الروتغرافور والأوفست لا فى مصر فحسب ، بل فى بعض بلاد الشرق العربى .

وسايرت إدارة المطابع والتوريدات التابعة لسكك حديد مصر التقدم الذي طرأ على الطباعة . فقد جلبت آلتى لينوتيب عربى بنط ١٠ أسود وأبيض وآلة دوارة (روتاتيف) صغيرة تنتج ٣٠ ألف فرخ فى الساعة مع جهاز الكبس المائى وصب الفورم المعروف عند أهل هذا الفن باسم الستريوتيب . وكان أول إنتاج هذه الآلة دليل تليفونات القاهرة لسنة ١٩٦٠ . ووجهت هذه المطبعة عنايتها على وجه الخصوص إلى قسم التجليد فزودته بآلة للتجليد البلاستيك ذات السرعة العالية (٢٥٠٠ نسخة فى الساعة) ، وآلة تجميع الملازم ذات ١٨ محطة تصحح خطأها أوتوماتيكياً ، وهى أكبر آلة من نوعها فى مصر . كما جلبت لهذا القسم آلتى قص من أحدث طراز . وفى المطبعة قسم للصيانة ، استطاع أن يجدد ما تعطل من آلات الطباعة بأقل تكاليف ممكنة .

وخطت مطبعة جامعة القاهرة خطوات إلى الأمام ، فقد أدخلت آلات جمع المونوتيب والأنترتيب وأضافت إلى مجموعة طابعاتها السريعة ثلاث آلات للطبع الأوتوماتيكى بالشفاط . ونال قسم التجليد نصيباً كبيراً من العناية إذ زود بالآلات الحديثة للتطبيق وقص هوامش الكتاب الثلاثة دفعة واحدة ، كما زود بآلات الحياكة بالتيل . وجامعة القاهرة فى صدد إنشاء مبنى جديد خاص بالمطبعة داخل أسوارها مستوف من النواحى الفنية ، يساعد على تحقيق برنامج واسع يشمل تزويدها بوحدات أخرى للجمع الآلى ووحدات لتصنيع مختلف مراحل التجليد آلياً وإنشاء قسم لصنع الظروف وقسم للطباعة الدوارة (روتاتيف) . وتقوم مطبعة جامعة القاهرة بطبع الكتب الجامعية المعربة إلى جانب عملها العادي ، وهو طبع المجلات العلمية ورسائل الدكتوراه التى يتقرر تبادلها مع الجامعات الأخرى والمطبوعات الإدارية ونصف مليون كراسة امتحان . وكانت هذه المطبعة إلى وقت قريب تقوم بتزويد جامعتى الإسكندرية وعين شمس بما هما فى حاجة إليه من مطبوعات . غير أنه ما لبث أن أصبح لكل من الجامعتين المذكورتين مطبعة خاصة بهما .

وتعتبر مطبعة هيئة البريد أحدث مطبعة رسمية فى الجمهورية . فى ٢٣ يوليه

سنة ١٩٦١ تم افتتاح هذه المطبعة بمدينة نصر بالعباسية ، وهى ببنائها المصمم على أحدث طراز وآلاتها ومعداتها تضارع كبريات مطابع البريد فى العالم . ويتكون البناء من سبعة طوابق . وأهم أقسام هذه المطبعة قسم الروتغرافور (الهليوجرافور) ويشمل طابعتين سريعتين يمكن أن يصل إنتاج كل منهما إلى ٤٨٠٠ فرخ من الطوابع فى الساعة . وتنتج هاتان الطابعتان طوابع من لونين رئيسيين وطوابع من أربعة ألوان رئيسية . أما ضبط الألوان فيتم بوساطة جهاز الكترونى . وفى قسم الأوفست طابعتان بلونين من أحدث طراز سرعتهما سبعة آلاف فرخ فى الساعة . وقسم التصوير مزود بأحدث الآلات وأدقها .

وعندما أنشئ البنك المركزى ، كان من بين مشروعاته العديدة تأسيس مطبعة لطبع أوراق البنك نوت ؛ فالجمهورية العربية المتحدة ما زالت تطبع أوراق نقدها فى إنجلترا ، وذلك فيما عدا أوراق النقد فئة عشرة وخمسة قروش التى تطبع فى مطبعة المساحة . ومن المنتظر أن تبدأ هذه المطبعة عملها — وقد كاد بناؤها أن يتم — فى غضون سنة ١٩٦٧ .

وإذا كانت الدولة قد ساهمت فى تقدم الطباعة فى مصر ، فإن دور الطباعة فى القطاعين العام والخاص قد قامت هى الأخرى بدورها على خير وجه ، وفى حدود إمكانياتها . فقد تضاعف عدد آلات جمع المونوتيب فى مطابع دار المعارف وأصبح لديها الآن آلتان لجمع الحروف المشكولة جلبت إحداهما من الخارج فى حين تم تعديل الثانية فى مصر وبمعرفة الدار . كما تضاعف عدد الطابعات وتم شراء طابعة أوفست كبيرة تطبع بلونين وأصبحت الشلندرات والشاسيهات تغسل أوتوماتيكياً . وأدت زيادة الإنتاج إلى مضاعفة عدد العمال . وفى سنة ١٩٦٣ ضمت هذه الدار إلى القطاع العام وأصبحت تتبع مؤسسة الأهرام .

وتقدمت شركة مطبعة مصر تقدماً ملحوظاً فى مضمار الطباعة فضاعفت آلات الجمع من مونوتيب ولينوتيب وأنترتيب . وتجمع الآلة الأولى بنط ٢٤ وبنط ٢٠ بالشكل . كما وسعت الشركة قسم الأوفست وقسم الطبع التجارى واهتمت بطبع كتب التراث القديم بالأوفست . وأدخلت طباعة مطبوعات الآلات الحاسبة والطبع بالضغط على البلاستيك لعمل الأغلفة والتجليد اللولبى . وأرسلت بعثة من

عضوين إلى إنجلترا للتخصص فى الفوتوليتو أوفست .

وعقب صدور القرار الجمهورى رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١ بتأميم بنك مصر وشركاته تبعت المطبعة وزارة الخزانة . وعندما صدر القرار الجمهورى رقم ٢٤٩ لسنة ١٩٦١ بإنشاء مؤسسة مصر ألحقت المطبعة بها وضمت إليها مطبعة روز ماتوسيان لصناعة علب السجاير وطبعها ، بعد شرائها من الحراسة على أموال البلجيكيين . ثم صدر القرار الجمهورى رقم ١٩٠٠ لسنة ١٩٦١ بضم شركة مطبعة مصر ور . ماتوسيان إلى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر . وأخيراً صدر قرار جمهورى رقم ٣٥٢٦ بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٦٤ بإدماج مطبعة مصر ومطبعة ر. ماتوسيان فى الدار القومية للطباعة والنشر .

وقد تأسست هذه الدار الأخيرة بالقاهرة سنة ١٩٥٩ ، وذلك لطبع ونشر المطبوعات على اختلاف أنواعها سواء كانت فى صورة صحيفة أو كتاب أو نشرة أو غيرها من أدوات الثقافة العامة والتوجيه القومى وذلك داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها . وقد حصلت على حق نشر مطبوعات مصلحة الاستعلامات وهى : « كتب سياسية » و « كتب قومية » و « روايات عالمية » . وقد أضافت إليها سلسلتين وهما : « كتب ثقافية » و « اخترنا لك » . ولم يكن لدى هذه الدار مطابع فى أول الأمر ثم أخذت تقتنى آلات الطباعة شيئاً فشيئاً . وفى أول يناير سنة ١٩٦٢ ضمت إلى المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة، فأضافت إلى سلاسلها مجموعة « الكتاب الماسى » ومجموعة « من الشرق والغرب » ومجموعة « مذاهب وشخصيات » ثم مجموعات « اخترنا للفلاح والعامل » و « اخترنا للطالب » و « اخترنا للجندى » . ولدى الدار مطابع حديثة فى روض الفرج للطباعة البارزة والملساء (أوفست) ومطبعتا مصر ور . ماتوسيان سابقاً ، ومطابع فى شارع الصحافة التى كانت تطبع عليها جريدة التعاون . وإلى جانب مجموعات الكتب التى ذكرناها تقوم هذه المطابع بطبع مجلات الأرب أوبزرفر الأسبوعية والأرب رفيو الشهرية وتحرران باللغة الإنجليزية ومجلة الأوبسر فاتورآراب الأسبوعية وتحرر باللغة الفرنسية .

وأنشأت الدار القومية للطباعة والنشر عدة مكتبات فى القاهرة والإسكندرية وبيروت وطرابلس لبنان والجزائر وبغداد .

وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦٠ تأسست دار ومطابع الشعب واحتلت المبنى الذى كانت تشغله جريدة الشعب ومطابعها بشارع قصر العينى بالقاهرة . ويعود تاريخ هذه الدار إلى سنة ١٩٣٦ ، حين تأسست جريدة المصرى التى احتلت هذا المبنى حتى سنة ١٩٥٤ ثم سحبت رخصتها ووضعت تحت الحراسة مدة سنتين واستولت عليها بعد ذلك وزارة الثقافة والإرشاد وأدارتها أربع سنوات نقلت بعدها إلى جريدة الشعب حتى يوليه سنة ١٩٥٩ حين توقفت هذه الجريدة عن الصدور . وظلت هذه الدار على تبعيتها لشركة الإعلانات الشرقية ، إحدى شركات دار التحرير إلى أن صدر قرار المشرف العام على الاتحاد القومى بنقل ملكيتها إلى هذا الاتحاد . ومنذ ذلك التاريخ عرفت باسم دار ومطابع الشعب . ويتبع هذه الدار فرعان أحدهما فى دير النحاس والآخر فى بولاق . وتوجد فى كل منهما طابعة دوارة (روتاتيف) بكل لوازمها والورش الملحقة بها . وقد رئى فى سنة ١٩٦٢ تجميع طابعتى الروتاتيف فى دير النحاس حيث تم فعلا نقل طابعة بولاق . وقررت الإدارة تحويل بولاق إلى مخازن . وكانت أول خطوة بعد سبتمبر سنة ١٩٦٠ هى تحويل المطابع من عمليات للطبع الصحفى التى كانت متخصصة فيها إلى العمليات التجارية ، لا سيما عمليات طبع الكتب ، وذلك للمساهمة فى أداء الرسالة التى تضطلع بها وزارة التربية والتعليم . وكان من نتيجة ذلك أن تطورت وسائل التشغيل فى الدار واستدعى الأمر إنشاء أقسام جديدة مثل قسم المونوتيب الذى لم يكن له وجود من قبل . كما ركزت الدار اهتمامها على التوسع فى قسم الطبع المسطح ، وذلك بشراء مجموعة كبيرة من الآلات الطباعية المختلفة ذات الأحجام الكبيرة والصغيرة وذلك لسد حاجاتها . واعتنت هذه الدار كذلك بقسم التجليد ، حيث أصبح يغطى جميع العمليات المطلوبة ــ وهى كثيرة ــ دون الحاجة إلى الاستعانة بالورش الكبيرة ، وذلك بعد أن دعمته بكثير من الآلات والأدوات الحديثة ؛ وترتيباً على كل التنظيمات التى

طرأت على المطابع ارتفع عدد المشتغلين بالدار إلى حوالى أربعمائة عامل وموظف بينما كان عددهم من قبل لا يتجاوز ١٨٠ بين عامل وموظف . كما أمكن تهيئة قسم مستقل مستكمل لمطابع الأوفست بجميع ورشه . واستطاعت هذه الدار الحصول على وحدتين جديدتين من وحدات المونوتيب ، ولم تترك فرصة لتدريب

أبنائها على كل عمليات الطباعة المستحدثة ؛ فأقدمت على تجربة طبع الصحف على الورق الخفيف Bible Paper ، كما طبعت على هذا الورق نفسه جزئى عم وتبارك من القرآن الكريم . وقد أسفرت التجربة على نجاح طيب . كما طبعت تجربة لمجلتى « الحقائق » و « التعاون » على هذا الورق الخفيف .

وقد انخفض عدد الصحف عما كان عليه فى سنة ١٩٥٢ إذ وصل عدد المسجل منها فى تلك السنة إلى ٥٢٣ صحيفة عدا ٢٩ كانت تقوم بإصدارها الوزارات والمصالح و ٤٩ مجلة تصدرها الجامعات والمعاهد والمدارس . وتشير آخر إحصائية عندنا — وهى إحصائية سنة ١٩٦٤ إلى أن عدد الصحف يبلغ ٤١٣ صحيفة ، فى حين ارتفع عدد الصحف التى تصدرها الوزارات والمصالح إلى ١٠٣ وعدد المجلات التى تنشرها الجامعات والمعاهد والمدارس إلى ٣٦٤ . وعلى الرغم من هذا الهبوط فى عدد الصحف فقد ازداد عدد المطبوع منها زيادة كبيرة نظراً لانتشار التعليم والوعى بين أبناء الشعب ونظراً لارتفاع مستوى الدخل عموماً . وكان أن بذلت المؤسسات الصحفية جهدها فى زيادة سرعة الجمع الآلى والطبع الدوار ، وفى اختصار قاعدة الحروف العربية وصنع أبناط صغيرة . وقد حققت فى هذا المضمار تقدماً ملحوظاً .

فى سنة ١٩٦١ أدخلت مؤسسة الأهرام قاعدة جديدة على ست وحدات من من آلات الأنترتيب بعد أن اختصرت المتاريس أو القوالب من ١٢٣ إلى ٩٠ ، فارتفع الإنتاج من ٨٠ سطراً إلى ١٢٠ سطراً فى الساعة بنط ٩ . وفى مطابع الأهرام الآن عشرون وحدة جمع أنترتيب . كما توجد آلة التلتيب ستر ، وهى آلة للجمع الآلى الخالص تعمل بوساطة شريط من الورق المثقوب وتجمع ٤٥٠ سطراً فى الساعة دون الحاجة إلى عامل . وفى يناير ١٩٦٥ بدأت الأهرام تستخدم فى بعض أبوابها بنط ٧ أسود . وانفردت هذه الدار الصحفية دون غيرها من الدور باستيراد آلات الكليشوجراف فمطابعها مزودة بوحدة لحفر كليشيه الظلال وبوحدتين لحفر الكليشيه الخطى . والكليشوجراف آلة الكترونية تختصر عملية الحفر على الزنك إلى الثلثين . أما آلة الطباعة الدوارة (الروتاتيف) فتتكون من ست وحدات بأربعة مخارج طى .

وإذا انتقلنا إلى مطابع شركة الإعلانات الشرقية التى تطبع فيها صحف الجمهورية

والمساء والبروجريه إجبسيان والإجبشيان جازيت ومجلة الكاتب الشهرية ومجلة المجلة ومنبر الإسلام ، عدا الدوريات العلمية والكتب ، وجدنا أن ملكيتها قد انتقلت فى سنة ١٩٥٤ من محمود أبو الفتح إلى هيئة التحرير ثم إلى الاتحاد القومى فالاتحاد الاشتراكى العربى . وكان أول ما فعلته الإدارة الجديدة هو إنشاء قسم للطبع بالروتغرافور أو الطباعة الغائرة . وقد طبعت فى هذا القسم مجلة التحرير . وفى سنة ١٩٥٦ حل محل الثلاث الطابعات الدوارة القديمة طابعة روتاتيف حديثة ذات أربع وحدات فى استطاعتها أن تطبع ١٦٠ ألف نسخة فى الساعة من صحيفة تقع فى ثمان صفحات . وفى قسم الطباعة التجارية تضاعف عدد آلات الطبع البارز وزيد عدد آلات الجمع اللينوتيب والمونوتيب وزاد عدد العمال بنسبة ٢٥٠٪ . ومطابع شركة الإعلانات الشرقية أول مطبعة فى مصر بعد مطبعة بولاق تطبع الكتاب العربى على طابعات دوارة (روتاتيف) .

واشترت مؤسسة دار الهلال التى تصدر عنها مجلات الهلال والمصور وإيماج وحواء والكواكب وسمير وميكى طابعة روتغرافور مكونة من خمس وحدات سرعة أربعة عشر ألف نسخة فى الساعة . وقد زودت بجهاز أوتو ترون أو عين سحرية ، وهو جهاز الكترونى لضبط الألوان بعضها على بعض فى الطابعات السريعة . أما الألوان نفسها فكانت تستعمل لها الألواح الزجاجية فحلت الأفلام محلها . وزودت المؤسسة أقسام التصوير فيها بآلة تصوير حديثة تمتاز بالدقة المتناهية وبالسرعة . وأصبحت كثافة الأفلام تقاس بجهاز مخصوص يسمى الدانسيتوميتر . وتقدم فن الرتوش تقدماً ملحوظاً فى السنوات الأخيرة ، وخاصة رتوش الصور الملونة . واستقدمت الدار خبيرين فى الروتغرافور أحدهما فرنسى والآخر ألمانى ، كما أرسلت بعثة إلى ألمانيا الغربية للتخصص فى التصوير والرتوش والحفر . وتقوم المؤسسة بطبع حوالى خمس وعشرين مجلة بين أسبوعية وشهرية معظمها بالألوان غير الكتب والنشرات والكتيبات وما إليها .

وعندما انتقلت مؤسسة روز اليوسف إلى دارها الجديدة بشارع قصر العينى ، أدخلت طباعة الأوفست وكانت قبل ذلك معدة فقط للطبع البارز . وعنيت المطبعة بطباعة الألوان فجلبت طابعة أوفست دوارة بأربعة ألوان تطبع ٨٠٠٠ نسخة فى

الساعة ، وجهزت نفسها بقسم فوتوليتو أوفست . وإلى جانب طابعة الأوفست الدوارة جلبت المؤسسة طابعة أوفست مسطحة بلون واحد . وسارت الطباعة البارزة مع الطباعة الملساء جنباً إلى جنب . وزود قسم الحفر على الزنك بكل مستحدث فى هذا الفن . ولكى تقوم المؤسسة بإجابة كل ما يطلب منها من أعمال ، وسعت قسم اللينوتيب وأنشأت قسماً لطبع الكتب زودته بآلة لجمع الملازم بست محطات .

أما مطبعة الزمان والجورنال ديجيت فقد باعها صاحبها إلى هيئة التحرير فطبعت عليها صحيفة الجمهورية قبل أن تنتقل إلى مطابع شركة الإعلانات الشرقية ثم طبعت عليها جريدة التعاون قبل أن تنتقل إلى دار ومطابع الشعب . وتجمع حروف صحيفة الجورنال ديجبت بآلاتها وتطبع فى مطابع مؤسسة الأهرام .

وسارت مؤسسة دار أخبار اليوم فى الطريق نفسها التى سارت عليها سائر المؤسسات الصحفية فضاعفت عنايتها بالطباعة من حيث الكم وزودت عدد آلاتها ووسعت أقسامها المختلفة ، لا سيما القسم التجارى وطباعة الكتب ، كما ابتكرت حرفاً جديداً اختصر عملية الجمع الآلى كثيراً .

وشعرت الحكومة بالنقص فى الأيدى العاملة المتخصصة التى تحتاج إليها المطابع فسارعت إلى إنشاء مصلحة الكفاية الإنتاجية والتدريب المهنى التى قامت فى أكتوبر سنة ١٩٦١ بافتتاح مركز للتدريب المهنى لحرف الطباعة بناحية الحضرة بالإسكندرية ويتسع هذا المركز فى الوردية الواحدة لتدريب ١٠٠ تلميذ صناعى . وفى أكتوبر ١٩٦٣ افتتح فى امبابة بالقرب من القاهرة مركز آخر يتسع لمائة تلميذ أيضاً . ويوزع المركزان تلاميذهما على المهن الآتية : تصوير ميكانيكى ، رتوش ومونتاج ، تحضير ألواح أوفست ، حفر كليشيهات ، طبع أوفست ، جمع يدوى ، جمع آلى (لينوتيب) ، جمع آلى (مونوتيب ثقب) ، جمع آلى (مونوتيب سبك) ، صب الفورم (ستريو) ، الترسيب الكهربائى (جلفانو) ، طبع الحروف ، التجليد .

وزادت الكميات المستوردة من آلات الطباعة وأجهزة صناعة الحروف وحفر الكليشيهات كما بدأت المصانع المحلية فى إنتاج بعض تلك الآلات . وإن القوانين الاشتراكية التى صدرت فى يوليو سنة ١٩٦١ ، لاسيما الخاصة منها بخفض ساعات

العمل ، أدت إلى زيادة عدد العمال الذين يعملون فى الطباعة ورفع مستواهم الاجتماعى والثقافى والمادى .

وقد بلغ عدد عمال الطباعة فى سنة ١٩٦٣ عشرين ألف عامل ، عدا عمال المطابع الحكومية . ويزيد هذا العدد بمعدل ألفى وخمسمائة عامل فى السنة .

وتصدر مصر الكتب إلى كل من سوريا والأردن والجزائر والعراق والسعودية والسودان واليمن وتونس وفلسطين ولبنان وليبيا والمغرب وملاييزيا والبحرين والفلبين والكويت وأندنوسيا وعدن وتايلاندوأثيوبيا والصومال ومالى والسنغال وتانزانيا وسيراليون وغانا وغينيا وكينيا ونيجريا والصومال الفرنسى والولايات المتحدة الأمريكية والأرجنتين. ويأتى لبنان فى مقدمة عملائنا فى استيراد الكتب[١] .

وإن العناية الفائقة التى خصت بها الدولة التعليم والثقافة والأعلام قد دفعت عجلة الطباعة دفعات إلى الأمام . ونستطيع أن نقول إن سنوات ما بعد ١٩٥٢ قد تميزت فى ميدان الطباعة بزيادة عدد المطابع وعمالها زيادة ملحوظة وبانتشار الطباعة الملساء (الأوفست) وبإقبال المطابع على إحلال الجمع الآلى محل الجمع اليدوى وبإدخال وسائل التجليد الآلى الحديثة توفيراً للوقت والجهد ، وباختفاء المطابع الأجنبية من البلاد وبظهور قاعدة جديدة للحرف العربى تسهل عملية الجمع وتختصرها .

---

(١) الكتاب السنوى لاتحاد الصناعات بالجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٤ .

الباب السادس

الطباعة في العراق



الفصل الأول

نشأة الطباعة فى العراق

١٨١٦ - ١٨٦٩

دخل الفن المطبعى العراق متأخراً لأسباب عديدة أهمها تأخر البلاد ثقافيا واقتصاديا وعمرانيا ومدنياً وعدم اهتمام المحتل التركى بإدخال أسباب الحضارة الحديثة خوفاً من أن يهب الشعب العراقى وغيره من الشعوب التى كانت ترزح تحت سيطرته مطالباً بالحرية وبحقه فى الحياة الكريمة .

ويقول رفائيل بطى إن الطباعة دخلت العراق على يد الأجانب [١] ، غير أن رزوق عيسى يذكر أن أول مطبعة حجرية عرفتها العراق كان موضعها فى الكاظمية وطبعت كتاب « دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع الزوراء » تأليف الشيخ رسول أفندى الكركوكى . وقام بطبعه مرزا محمد باقر التفليسى سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢١ م)[٢] .

ولكن يبدو أن المؤرخين لم يتفقوا بعد على تاريخ طبع هذا الكتاب . إذ يذكر ستيفن لونكريك أن الكتاب المذكور طبع بأمر من داود باشا فى بغداد سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م)[٣] .

وإن صدق قول هذا الباحث ، فإننا نعتقد أنه يشير إلى مطبعة دار السلام ببغداد التى أسسها بالفعل الميرزا باقر التفليسى ، وهو تركى تجنس بالجنسية الإيرانية ، وطبع هذا الكتاب الذى هو ذيل للكتاب المعروف باسم (جلسن خلفاء فى تاريخ العراق) .

وقد أتانا رفائيل بطى برأى جديد ذكره عبد الله حسين فى كتابه « الصحافة

---

(١) رفائيل بطى : الطباعة فى العراق مجلة لغة العرب المجلد الرابع ، ٢ أيلول سنة ١٩٢٦ ص ١٥٠ .

(٢) مجلة لغة العرب ، تشرين أول ، ص ٢٠٦ ، المجلد الرابع .

(٣) ستيفن لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، بيروت سنة ١٩٤٩ ، ص ٣١٣ .

والصحف » نقلا عن مجلة « منبر الأثير » ص ٢٣ الجزء الثالث من السنة الأولى .

ويقول رفائيل بطى إنه كانت هناك صحيفة عراقية سبقت « الوقائع المصرية » فى الصدور تسمى « جورنال العراق » ، أسسها داود باشا الكرجى وزير بغداد سنة ١٨١٦ ، وكانت تطبع فى مطبعة حجرية باللغتين العربية والتركية . ومع أنه لم يعثر على أية نسخة من نسخ تلك الصحيفة ، فإن بعض الفرنجة الذين زاروا العراق فى تلك الحقبة ذكروها فى كتبهم التى ألفوها عن رحلاتهم[١] .

ومهما يكن من أمر تلك المطابع الحجرية فإن العراق لم ترسخ أصول الطباعة فيه إلا منذ سنة ١٨٥٦ ، حين جلب الآباء الدومنكيون إلى ديرهم بالموصل مطبعة كاملة العدة ، كان لها أطيب الأثر فى نشر الثقافة .

ويقول إبراهيم حلمى إن سبب تأخر الطباعة فى العراق أن العراقيين « لايتشبثون بمشروع ولا يعقدون شركة ولا ينشئون محلا أو غير ذلك إلا بعد أن يشاهدوا تراثها وفوائدها بأعينهم ، ولو أدى الأمر إلى قعودهم وتأخرهم عن مجاراة الأمم الراقية ، وبعد أن يستثمرها الأجانب ويتمكنوا من رقابهم والاستيلاء على منابع ثروتهم[٢] » .

غير أنه يبدو لنا أن قعود العراقيين عن إنشاء المطابع ليس مرجعه طبيعة العراقيين فقط . إن أحوال البلاد وكبت الحريات وركود الحركة الاقتصادية وقلة عدد القارئين الكاتبين لم تكن لتشجع أفراد هذا الشعب العربى على فتح المطابع .

ولم يبدأ العراقيون فعلا باقتناء المطابع إلا بعد أن رأوا بأعينهم الفوائد التى عادت على بلادهم من إنشاء مطبعة الحكومة . وإن بعد البلاد عن أوربا وصعوبة مواصلاتها كانا كذلك من العوامل الهامة التى حالت دون تقدم الطباعة فى العراق .

---

(١) عبد الله حسين : الصحافة والصحف ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٤٨ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) إبراهيم حلمى : الطباعة فى دار السلام والنجف وكربلاء ، مجلة لغة العرب السنة الثانية ١٩١٣ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

مطبعة كربلاء الحجرية

١٨٥٦

بعد أن طبعت مطبعة الميرزا باقر التفليسى كتاب دوحة الوزراء ، يبدو أنها توقفت عن كل إنتاج ، وظل القطر العراقى بلا مطبعة حتى سنة ١٨٥٦ ، أى ظل ستاوعشرين سنة يقرأ الكتب المنسوخة أو المطبوعة التى تصل إليه من الآستانة والقاهرة ، إلى أن فكر أحد الفرس فى إنشاء مطبعة حجرية فى مدينة كربلاء .

وأول كتاب صدر عنها يحمل تاريخ سنة ١٢٧٣ ﻫ (١٨٥٦ م) . وأغلب مطبوعات تلك المطبعة كان يختص بأعمال تجارية وكتب أدعية ورسائل دينية تتعلق بزيارة عتبات أهل البيت (رضى الله عنهم) . وأفضل ما طبع فيها كتاب « مقامات الألوسى » . وتوقفت المطبعة نهائياً قبيل الحرب العالمية الأولى . وأكبر الظن أنها لم تستطع منافسة مطابع الحروف التى كثر عددها فى بغداد فى مطلع القرن العشرين .

مطبعة الآباء الدومنكيين فى الموصل

١٨٥٩

كانت الموصل أول مدينة فى العراق تعرف الطباعة بالحروف المتفرقة ، فقد هبط الآباء الدومنكيون بهذه المدينة فى سنة ١٨٥٦ . وجلبوا أول ما جلبوا مطبعة حجرية ، غير أنهم لم يلبثوا أن وجدوا أنها غير كافية ولن تفى بالغرض الذى من أجله أنشئت . فلم يكن منهم إلا أن ابتاعوا سنة ١٨٥٩ مطبعة حروف كاملة المعدات اعتمدوا لها مبلغاً كبيراً من المال .

وفى سنة ١٨٦٠ وهبت جمعية مدارس الشرق بباريس ستة آلاف فرنك للمطبعة ومجموعات من الحروف العربية والسريانية والفرنسية من المطبعة الأهلية

بباريس . أما الحروف الكلدانية فقد جلبت من مطبعة المرسلين الأنجليكان فى بلاد الفرس .

وامتازت المطبعة الدومنكية كذلك بأنها كانت أول مطبعة فى العراق ينشأ فيها مسبك لصب الحروف . ثم أضيف إليها قسم جديد خاص بتجليد الكتب وتذهيبها على الطريقة الأوربية الحديثة . وكان العراقيون قبل ذلك يجلدون كتبهم على الطريقة القديمة .

بيد أن أول كتاب أنتجته تلك المطبعة كان كتاباً دينياً هو « رياضة درب الصليب » سنة ١٨٦١ . ومن أشهر الذين عملوا فيها المطران إقليميس يوسف داود السريانى الموصلى .

مطبعة كامل التبريزى ببغداد
١٨٦١

وإن عدنا إلى بغداد وجدناها لا تزال خالية من المطابع ، بعد أن أغلقت مطبعة دار السلام أبوابها . وفى سنة ١٢٧٨هـ (١٨٦١) أسس كبير من كبراء الفرس يدعى الميرزا عباس مطبعة حجر . وكان خطاطها محمد جواد الفارسى الأصل . وهكذا نجد أن مطابع العراق الأولى كانت مطابع فارسية أو مطابع رهبان .

ولم تكن بغداد ولا العراق فى هذه الحقبة بحاجة إلى أكثر من هذه المطبعة لأن عدد القارئين والكاتبين كان قليلا ؛ ومع قلتهم لم تكن حالتهم المالية تسمح لهم باقتناء الكتب . لذا فقد سار النسخ جنباً إلى جنب مع الطبع إلى قرابة السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر .

المطبعة الكلدانية بالموصل

١٨٦٣

أنشأ هذه المطبعة الشماس روفائيل مازجي الآمدى فى سنة ١٨٦٣، وهى أول مطبعة ينشئها عراقى . واستحضر معداتها من باريس على نفقته وزودها بحروف عربية وكلدانية وفرنسية ومسبك للحروف .

غير أن الشماس روفائيل لم يعش طويلا بعد إنشاء المطبعة، فقد توفى عام ١٨٦٦ بوباء الكوليرا . وكان عمال المطبعة قد تعلموا الفن المطبعى فى مطبعة الآباء الدومنكيين وأتقنوه . إلا أن المطبعة اضطرت أن تغلق أبوابها بعد وفاة مؤسسها .

تلك كانت حال الطباعة فى العراق حتى سنة ١٨٦٩ . فالمطابع تفتح ثم لا تلبث أن تغلق أبوابها لقلة عدد من كان يشترى مطبوعاتها . وإن ثبتت واحدة فى الميدان — وهى مطبعة الآباء الدومنكيين — فلأن المساعدات المالية التى تأتيها بانتظام من فرنسا تسد عجزها ، ولأن الحكومة العثمانية لا تستطيع أن تضايقها نظراً لحماية فرنسا لها .



الفصل الثانى

الطباعة الرسمية تدخل الميدان

١٨٦٩ – ١٩١٨

وصل مدحت باشا إلى بغداد فى الثلاثين من أبريل سنة ١٨٦٩ . وقد استدعى من أوربا ليقوم بتنظيم العراق وإصلاحه . وقد أدى هذا الوالى للعراق خدمات جليلة ؛ فقد أكمل ما بدأ بتشييده نامق باشا من الأبنية العامة . وأصدر صحيفة رسمية وأسس المصانع العسكرية وأمر ببناء مستشفى ودار للعجزة وملجأ للأيتام . وأنشأ عدداً كبيراً من المدارس ومد خطا للترام إلى الكاظمية وانتشر فى عهده التعليم الابتدائى . إلا أن الباب العالى ما لبث أن توجس خيفة على نفسه إذ خشى على مركزه فى العراق من جراء تلك الإصلاحات الخطرة ؛ فما كان منه إلا أن استدعى مدحت باشا من بغداد فى أوائل سنة ١٨٧٢ .

ومن آثار هذا الوالى مطبعة الولاية ببغداد التى أنشئت فى سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) وهى أول مطبعة حروف ببغداد وعلى أثر افتتاح تلك المطبعة أغلقت مطبعة كامل التبريزى الحجرية أبوابها بعد أن عملت حوالى ثمانى سنوات . وكانت مطبعة الولاية تعرف أيضاً باسم مطبعة الزوراء نسبة إلى بغداد التى كانت تسمى أيضاً بهذا الاسم ، وكانت تطبع فيها صحيفة الحكومة المسماة « الزوراء » والتى أنشأها مدحت باشا فى سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) .

وجلب مدحت باشا أدوات المطبعة من باريس مع مطبعة حجرية وهى أول مطبعة عراقية تدور بالبخار وتزود بالأجهزة الحديثة المختلفة . وطبعت فيها صحيفة « الزوراء » باللغتين التركية والعربية . وكان مديرها الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى . وفى سنة ١٨٩٣ أصبح فى هذه المطبعة تسع طابعات ، واحدة منها تدار بالبخار واثنتان تداران باليد وأربع طابعات حجرية وآلة واحدة لتحسين الأقمشة وأخرى لعمل المظاريف . وصدرت عن تلك المطبعة فى تلك الفترة « سالنامة »

الولاية باللغة التركية .

غير أنه ما لبث أن أصاب المطبعة الوهن وكادت تتوقف فاستأجرها محمد رشيد الصفار صاحب جريدة الزهور بمائة وخمسين ليرة عثمانية فى السنة . واشترى لها الحروف من الآستانة ولبنان كما اشترى لها مسبكاً . وغدت فى سنة ١٩١٣ من أكبر مطابع العراق شهرة وأدقها فناً .

أما مطبوعاتها فقليلة ، وهى عبارة عن بيانات رسمية وجداول حسابية ووصولات تجارية . وطبعت هذه المطبعة عدداً قليلا من الكتب .

وأحضر مدحت باشا مع مطبعة الولاية فى سنة ١٢٨٦ ﻫ (١٨٦٩ م) مطبعة حجرية كاملة المعدات أطلق عليها اسم مطبعة الفيلق ، وكانت تعرف أيضاً بالمطبعة العسكرية . وكانت تقوم بطبع مطبوعات الجيش المختلفة ، وهى مطبوعات سرية لا يطلع عليها إلا كبار الضباط ، فكانت الرقابة عليها شديدة . ويقال إنها ضمت بعد ذلك إلى مطبعة الولاية .

وأسس الوالى تحسين باشا فى سنة ١٢٩٢ﻫ (١٨٧٥ م) مطبعة الولاية بالموصل . وأمر بجلب آلاتها وأدواتها من الآستانة . وساهم الآباء الدومنكيون فى إدارتها فنيا . أما الناحية الإدارية البحتة فقد تولاها مكتوبجى الولاية ومن يتبعه من الكتبة .

وقامت المطبعة بطبع الأوراق الرسمية والدفاتر الخاصة بأعمال الحكومة والتقاويم التركية المعروفة باسم « موصل سالنامه سى » ، وصحيفة الحكومة « موصل » . ولم تكن هذه المطبعة مقصورة على المطبوعات الحكومية ، بل كانت تنجز أيضاً كل ما يقدمه إليها الأهالى من مطبوعات .

وطبعت مطبعة الولاية بالموصل جريدة « نينوى » لسان حال الاتحاديين العثمانيين ؛ كما طبعت جريدة « نجاح » لسان حال حزب الائتلاف ؛ وصحيفة « جكه باز » الهزلية وكانت تحرر باللغة التركية فقط .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى صادر الأتراك مطبعة الآباء الدومنكيين بالموصل بسبب تبعيتها لدولة معادية هى فرنسا ، ونقلوا معظم أدواتها ومعداتها وحروفها إلى مطبعة الولاية التى استطاعت أن تجيب الطلبات العديدة التى كانت تصل إليها خلال سنوات الحرب ، دون أن تشكو من أى نقص .

* * *

وفى الربع الأخير من القرن التاسع عشر نشأت بعض المطابع الصغيرة فى العراق فقد أسس عبد الوهاب نائب الباب فى بغداد سابقاً مطبعة فى سنة ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) أطلق عليها اسم المطبعة الحميدية ببغداد . وكانت مطبوعاتها على قلتها غير ذات قيمة . ولم تعش المطبعة طويلا لعدم الإقبال عليها وقلة العناية بها . وكانت عبارة عن طابعة حجرية واحدة .

وأسس الحاخام يهوذا بيخور فى سنة ١٨٨٤ أول مطبعة إسرائيلية فى العراق . وكان فيها حروف عبرية لطبع الكتب الدينية ، وحروف عربية لطبع الأوراق التجارية وبطاقات الزيارات والظروف والخطابات وما إليها . وظلت المطبعة تعمل بدون ترخيص إلى سنة ١٩٠٨ ذلك أنها كانت لا تطبع سوى كتب الطقوس الدينية . ولكن بعد أن نالت الترخيص ، اشترى لها صاحبها آلة طباعة تدار بالقدم وحروفاً عربية وفرنسية وتركية . وقد لاقى صاحبها الأمرين من قلة عدد العمال الذين يجيدون عملية صف الحروف .

وأنشأ السريان اليعاقبة بمساعدة الإنجليز مطبعة فى دير الزعفران الواقع شرقى ماردين ، وكان ذلك فى سنة ١٨٨٧ . وطبع فى تلك المطبعة بعض الكتب الدينية بالسريانية والكرشونية . ولقلة دراية رهبان الدير بالفن المطبعى اضطروا أن يبيعوها بعد ثلاث سنوات إلى الحكومة التى نقلتها إلى ديار بكر .

وأنشأ جلبى زاده محمد على أول مطبعة بالبصرة سنة ١٨٨٩ . وكان موظفاً فى دائرة الأملاك السنية . وطبعت فى هذه المطبعة جريدة « البصرة » باللغتين العربية والتركية ، وكانت لسان حال الولاية . ولما نقل صاحبها إلى بيروت اشترت الحكومة المطبعة والجريدة .

وفى بغداد أسس إبراهيم باشا مدير الأملاك المدورة فى سنة ١٨٩٠ مطبعة دار السلام . ولم تكن هذه المطبعة تعنى كثيراً بنشر الكتب . وقد نال أحد كتبها وهو « بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب » لمحمود شكرى الألوسى الجائزة الأولى فى معرض أسوج الدولى . وكانت المطبعة تنشر أيضاً « دار السلام تقويمى » وهو تقويم سنوى باللغة التركية . وطبعت فيها أيضاً كتب فارسية وإعلانات وأوراق متنوعة ومنشورات مختلفة باللغات العربية والتركية والفرنسية .

وأنشأ الحاخام عزرا دنكور فى بغداد سنة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢ م) ثانى مطبعة إسرائيلية فى بغداد . واشترى أدواتها من أوربا . وكانت من أكبر مطابع العاصمة فى ذلك العصر . وطبيعى أن تهتم مطبعة دنكور بطبع الكتب العبرية والأوراق التجارية . وكانت تعنى عناية خاصة بنشر الكتب التى تدعو إلى الصهيونية . وطبعت فيها جريدة « التفكر » لسان حال جمعية الاتحاد العثمانى الإسرائيلى .

وأنشأ محمود الشابندر ، وهو من كبار تجار بغداد مطبعة أسماها مطبعة الشابندر ، وكان ذلك فى سنة ١٩٠٧ وكانت معدودة من مطابع بغداد الكبرى إذ زودها صاحبها بمحركين بخاريين لإدارة بعض طابعاتها التى كانت تطبع بسرعة ثلاثة آلاف نسخة فى الساعة . وكان فى المطبعة حروف عربية وتركية وفارسية وفرنسية دقيقة الصنع . وكان مديرها الفنى أحد الإسرائيليين العراقيين . وطبعت تلك المطبعة كتباً وصحفاً مثل « القسطاس » و « الوجدان » و « كرمة ونرمة » .

وأنشأ جلال الدين الحسينى مطبعة النجف فى سنة ١٣٢٨ هـ (١٩٠٩ م) ولكنه ما لبث أن باعها إلى محمود اليزدى الذى اشترى لها محركاً بخارياً . ولم تعش تلك المطبعة طويلا . ولم تنتج إلا عدداً يسيراً جداً من الكتب .

وكانت مطبعة الآداب ببغداد أول مطبعة عراقية تؤسسها شركة . ففى سنة ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) تكونت شركة من كبار رجال الجعفرية وأسسوا مطبعة أطلقوا عليها اسم « مطبعة الآداب » . وأوكلوا إدارتها الفنية لفرنسيس الموصلى .

وقامت هذه المطبعة إلى جانب نشر الكتب المختلفة ، بطبع عدد كبير من الصحف والمجلات العراقية ، مثل مجلة لغة العرب للأب أنستاس مارى الكرملى ومجلة « العلم » ومجلة « الحياة » ومجلة « تنوير الأفكار » و « الرياض » و « الرصافة » و « المصباح » و « صدى بابل » و « النوادر المضحكات » . وكانت مطبوعات تلك المطبعة متقنة الطبع .

وأسس عيسى محفوظ مطبعة بالموصل فى سنة ١٩١٠ واستحضر أدواتها وآلتها من باريس . وكانت تطبع بالحروف العربية والحروف الإفرنجية . وصدرت عن تلك المطبعة صحيفة « نينوى » باللغتين العربية والتركية وجريدة « جكه باز » الهزلية باللغة التركية .

وفى خلال الحرب العالمية الأولى صادرت الحكومة التركية المطبعة مدة عشرة شهور ، وطبعت فيها صحيفة « حقه طوغرو » أى دعوة الحق . وكانت تدعو لسياسة الأتراك باللغات التركية والعربية والفارسية والكردية .

وأنشأ سليمان الدخيل فى سنة ١٩١٠ مطبعة ليطبع عليها جريدة « الرياض » الأسبوعية ومجلة « الحياة » الشهرية . وقامت المطبعة إلى جانب ذلك بطبع بعض الكتب .

وأنشأ عبد الله الزهير جريدة « الدستور » بالبصرة فى سنة ١٩١٢ وكانت لسان حال الحزب الذى يعارض حزب الاتحاد والترقى . واشترى لها الحزب مطبعة من أوربا .

وكانت صحيفة « العرب » فى سنة ١٩١٨ أول صحيفة عراقية تنشر صوراً مطبوعة بالزنكغراف . إلا أن الصور لم تكن واضحة مما يدل على أن هذا الفن لم يكن قد وصل إلى نتيجة مرضية .

ويلاحظ على تلك الفترة من تاريخ الطباعة فى العراق أنها امتازت بكثرة مطابع الصحف وإقدام العراقيين على افتتاح المطابع وانتشار المحركات البخارية فى إدارة المطابع الكبيرة وظهور الصور الزنكغرافية فى المجلات وتكوين الشركات لتأسيس المطابع ودور النشر . ويبدو أن نسيم الحرية الذى هب على هذا القطر العربى فى الفترة القصيرة التى نعم خلالها بولاية مدحت باشا ، حفز رجال الفكر العراقيين على العمل من أجل حرية بلادهم . وكان لابد لهؤلاء من المطابع ينشرون بها مبادئهم . ومع نسيم الحرية نشطت الحركة التجارية . وكان لابد كذلك من مطابع لطبع كل ما يحتاج إليه رجال المال والأعمال من مطبوعات . وهكذا تمكن العراق قبيل الحرب العالمية الأولى من أن يسبق سوريا فى مضمار الطباعة وأن يستغنى عن استيراد أغلب المطبوعات التى كانت تأتيه من الأستانة ومن الأقطار العربية الأخرى .



الفصل الثالث

بين الحربين العالميتين

١٩١٩ – ١٩٣٩

لما انتهت الحرب العالمية الأولى قرر مؤتمر الحلفاء الذى عقد بسان ريمو فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ انتداب بريطانيا على العراق . فما كان من الإنجليز إلا أن حكموا العراق عسكريـًّا وألحقوه بحكومة الهند . وكان لهذا التصرف أسوأ الأثر فى نفوس العراقيين فهبوا يدافعون عن استقلالهم . وبدأت الثورة العراقية فى ٣٠ مايو سنة ١٩٢٠ . وهاجم الوطنيون العراقيون الجيوش البريطانية فى عدة مواقع . وبعد كفاح دام خمسة شهور تمكن المحتلون من إخماد الثورة ؛ ولكنهم اضطروا إلى الاعتراف باستقلال العراق وتعهدوا بمساعدة العراقيين فى إنشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة . كما اعترفوا بإلغاء الانتداب .

وفى ١١ يولية سنة ١٩٢١ رأى مجلس الشورى العراقى أن يتولى عرش العراق الملك فيصل الأول فتحققت رغبة المجلس : ونودى به ملكاً فى ٢٣ أغسطس من السنة نفسها .

وهكذا بدأ العراق حياة جديدة فيها الشىء الكثير من الاستقرار . واستطاع بفضل جهود رجال حكومته أن ينهل من الحضارة الأوربية ما ينهض به كبلد متمدن حتمـًّا . فأنشأ المدارس الابتدائية والثانوية والعالية. وأسس الجامعة العراقية بمختلف كلياتها . ونشطت الحركة التجارية مع الخارج وأنشئت بعض الصناعات . وأخذ البترول العراقى يغزو أسواق العالم . وانتشر العمران شيئاً فشيئاً فى أنحاء البلاد . وتألفت الأحزاب وتعددت الصحف السياسية والمجلات العلمية والأدبية . وكان لا بد للطباعة أن تتجاوب مع هذا النشاط الذى دب فى أرجاء العراق .

وقد رأينا فى الفصل السابق كيف بدأت الطباعة تتقدم فى هذا البلد العربى فى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكيف ازداد عدد المطابع فيه . غير أن الحرب العالمية الأولى ما لبثت أن أصابت هذا الفن فى العراق بنكسة ، لعدم ورود

الورق وقطع الغيار . واضطرت بعض المطابع إلى إغلاق أبوابها واستمرت مطابع أخرى تشتغل يوماً وتتعطل أياماً حتى انتهت الحرب فتنفس الناس الصعداء وبدأوا يتطلعون إلى مستقبل زاهر . غير أن الثورة ما لبثت أن اندلعت ، وهب العراقيون يدافعون عن كيانهم ضد المحتل الجديد . وتوقفت حركة الإصلاح بعض الوقت . وعندما استتب الأمر عكف العراقيون حكومة وشعباً على بناء صرح دولة جديدة . وكان من الطبيعى أن تساهم الطباعة فى هذه الحركة ، فأخذت المطابع تنتشر هنا وهناك ، وبدأت المطابع القديمة تجدد نفسها وتتزود بأدوات حديثة استوردتها من المصانع الأوربية . واختفت مطابع وظهرت مطابع .

واستطاع الرهبان الدومنكيون بفضل التعويضات التى أخذوها من حكومة الاحتلال البريطانى أن يعيدوا بناء مدرستهم . ولكن لم يبذلوا أى مجهود لإعادة تشغيل مطبعتهم بالموصل .

أما مطبعة الحكومة بالموصل فقد جدد قسم كبير منها ، وجلبت إليها طابعات وحروف جديدة .

وأعاد الإنجليز مطبعة « نينوى » بالموصل إلى صاحبها فطبعت فى عهدها الجديد صحيفة « صدى الجمهورية » ، وكانت تصدر مرتين فى الأسبوع . وقامت المطبعة إلى جانب ذلك بطبع المطبوعات التجارية وأغلفة السجاير . واشتهر صاحبها بفن الحفر والذوق السليم ، مما رفع شأن مطبعته وجعلها تتبوأ المركز اللائق بها بين مطابع العراق . وفى هذه المطبعة طبعت مجلة « النادى العلمى » وكانت تصدر بالموصل بعد أن احتلها الإنجليز .

وفى الثامن عشر من شهر أبريل سنة ١٩١٧ تأسست مطبعة الحكومة ببغداد وعين لها مدير إنجليزى . وكانت ميزانيتها فى تلك السنة ١٣٢٤٩٨ روبية . ولم يتجاوز عدد عمالها الثلاثين . وتقع المطبعة إلى جوار مبنى مديرية الآثار القديمة ببغداد .

وتأسست بالنجف سنة ١٩٢٢ المطبعة العلوية بعد محاولات بدأت قبل الحرب . وكان هدف المطبعة نشر العلوم والآداب العربية وإحياء آثار السلف . وقد خرج من تلك المطبعة عدد كبير من المؤلفات القديمة والحديثة . وطُبعت فيها جريدة « النجف » وكان يعاب على تلك المطبعة افتقارها إلى الحروف المشكلة .

وفى تلك السنة أسس المطران جورج دلال المطبعة السريانية لطبع المنشورات الدينية ونشر الكتب القديمة والكتب المدرسية والمجلات والكتب الدينية التى تبث الورع والتقوى ومحبة القريب . وقامت الكنيسة السريانية ببغداد بإدارتها . وتعتبر من مطابع الدرجة الثانية ببغداد .

وانتشرت المطابع فى العاصمة العراقية انتشاراً سريعاً . ونذكر من تلك المطابع « مطبعة العراق » وقد زودت بأحدث آلات الطباعة التى تدار بالكهرباء وبحروف عربية وإفرنجية وآلات خاصة للقص والتصحيف . وشب حريق فيها سنة ١٩٢٣ فالتهم جزءاً كبيراً من الملازم المطبوعة والمعدة للطبع . وكانت المطبعة فى شارع الأكمكخانة ببغداد . ومن مطبوعاتها « تقويم العراق » .

وكان يوجد فى بغداد عدا تلك المطبعة ومطبعة الحكومة ، مطبعة دار السلام والمطبعة السريانية الكاثوليكية والمطبعة الوطنية ومطبعة دنكور والفلاح ومطبعة شركة تايمس أوف ميزوبوتاميا ومطبعة شوع بيخور ومطبعة الزهور . وهو عدد لا بأس به بالقياس إلى حالة العراق فى تلك الحقبة من تاريخه .

وتأسست فى تلك الفترة بمدينة البصرة مطبعة شركة تايمس أوف ميزوبوتاميا ، وهى فرع المركز الأساسى لتلك الشركة ببغداد . وكانت تطبع بالإنجليزية والعربية .

وفى حوالى سنة ١٩٢٥ أنشأت الحكومة العراقية مطبعة المساحة وزودتها بطابعات أوفست كانت الأولى من نوعها فى العراق .

وتأسست مطبعة التفيض فى بغداد فى ١١ أغسطس سنة ١٩٢٧ وهى تابعة لجمعية التفيض الأهلية الخيرية ببغداد . وقامت المطبعة فى أول أمرها بطبع المطبوعات التجارية . وفى سنة ١٩٣٩ جلبت لها آلة لينوتيب واحدة لتنضيد الحروف العربية والإنجليزية . وكانت المطبعة تستورد ورقها من السويد رأساً . وجميع آلاتها تدار بالكهرباء .

ومن مطابع العراق المعروفة « مطبعة دار الشعب » التى يملكها جبران ملكون والسيدة أليس عيسى قدورى وقد تم تسجيلها فى سنة ١٩٣٠ : و « مطبعة الأهالى » لكامل الجاورجى ، وقد أنشئت فى سنة ١٩٣١ ؛ ومطبعة الأعظمى التى أسسها محمد صالح الأعظمى ، وقد وافقت الحكومة على فتحها فى سنة ١٩٣٦ .

لقد تميزت هذه الفترة من تاريخ الطباعة فى العراق بظهور مطابع حديثة يقتنى بعضها آلات اللينوتيب ويدور عدد كبير من طابعاتها بالمحركات الكهربائية . كما تميزت بظهور المطابع الكبرى . إلا أن مستوى فن الطباعة ظل دون المستوى الذى وصل إليه فى كل من مصر ولبنان . ويعود ذلك إلى الحكومة التى لم تهتم اهتماماً كافياً بتطوير هذا الفن وتدريب العراقيين عليه بإرسالهم إلى الخارج أو باستقدام الخبراء من مصر ولبنان أو من أوربا لهذا الغرض .

الفصل الرابع

ظهور المطابع الكبرى

١٩٤٠ – ١٩٥٨

لم تصب الطباعة فى العراق خلال الحرب العالمية الثانية بما أصيبت به فى الحرب العالمية الأولى . وكل ما فى الأمر أنه انقطع ورود الآلات الطباعية الجديدة وقطع الغيار وارتفعت أسعار الورق . إلا أن الرخاء الذى عمّ البلاد فى تلك الفترة شمل المطابع أيضاً ، فزادت الطلبات عليها زيادة كبيرة . وما كادت الحرب تنتهى حتى خف أصحاب المطابع القديمة يستوردون الآلات الحديثة . وأسست مطابع جديدة قبل نهاية الحرب وبعدها ، نذكر منها شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة ومطبعة شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة وشركة التجارة والطباعة المحدودة ومطبعة بغداد ومطبعة الأوقات العراقية وتمتلكها شركة التايمس للطبع والنشر .

وأسس شركة الرابطة للطبع والنشر المحدودة ببغداد السيد عبد الفتاح إبراهيم ، وكان ذلك فى سنة ١٩٤٤ . وكان صاحبها يملك مكتبة ثم رأى أن يضم إليها مطبعة لنشر الكتب التى يؤلفها الشباب العراقى المثقف . فكوّن شركة مساهمة اشترى جزءاً كبيراً من أسهمها . ويدير آلات المطبعة المختلفة والحديثة الصنع المحركات الكهربائية وزودت المطبعة بآلة لينوتيب لصف الحروف العربية والإنجليزية . ويعمل فيها حوالى ثلاثين عاملا . وللمطبعة مبنى خاص حديث تتوافر فيه جميع الشروط الصحية . وطبعت فيها صحيفة « الشعب » اليومية ، ومجلة « الفنان » الشهرية أو « البعث العربى » نصف الشهرية و « الأم والطفل » الشهرية ، و « نشرة دار الإذاعة العراقية » الشهرية ، ومجلة « سومر » وتصدر مرتين فى السنة ، وهى مجلة تبحث فى الآثار القديمة . هذا عدا المنشورات المختلفة والكراريس والمطبوعات التجارية والكتب .

وفى سنة ١٩٤٤ أيضاً أنشأ السيد جعفر حمندى مطبعة شركة النشر والطباعة

العراقية المحدودة ببغداد . وكان الغرض من إنشائها توسيع حركة النشر . وتقع المطبعة فى محلة سعدون ، خلف مدرسة الشرطة ببغداد . وتقوم بطبع الكتب والمجلات . واقتنت آلتى لينوتيب وطابعات إنجليزية وأمريكية وألمانية من أحدث طراز . أما قسم التصوير والحفر على الزنك والنحاس فقد جهز بأحدث الآلات .

وأسس المحامى أنور شاوول شركة التجارة والطباعة المحدودة فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وكان هو فى الوقت نفسه مديرها المفوض . وتشغل المطبعة بناء حديثاً تتوفر فيه وسائل الإضاءة والتهوية . وفى المطبعة آلة لينوتيب تنضد بها الحروف العربية والإنجليزية. وكان الغرض من إنشاء تلك المطبعة تجارياً . ولكنها نشرت فى الوقت نفسه كتباً أدبية وتاريخية وعلمية ومدرسية . وطبعت مجلة « القضاء » ومجلة « غرفة التجارة » .

وفى سنة ١٩٤٨ أنشأ موسى حبيب مطبعة بغداد لطبع صحيفة كان يزمع إصدارها وأهم مطبوعات تلك المطبعة الكتب المدرسية المختلفة وأشرف صاحبها عليها وأدارها وصحح تجاربها . وفى المطبعة آلة لينوتيب واحدة لتنضيد الحروف العربية والإنجليزية .

وفى سنة ١٩٤٩ تأسست مطبعة الأوقات العراقية وتعتبر من أكبر مطابع بغداد وأحدثها معدات .

وعلى الرغم من حداثة عهد العراقيين بفن الحفر على الزنك والنحاس ، فقد توصلوا إلى نتائج لا بأس بها . ولا شك فى أنهم سيملكون أعنة هذا الفن الرفيع إن هم استعانوا بخبرة أصحابه فى مصر ولبنان وأوربا .

الفصل الخامس

نحو مستقبل أفضل

١٩٥٨ — ١٩٦٥

كان الاقتصاد الوطنى حتى ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ قائماً على أساس صرف عوائد النفط فى الوجوه الإنشائية الاستهلاكية . وكان الغرض من هذه الخطة التى وضعت بكل إحكام منع العراق من النهوض اقتصادياً وصناعياً والحيلولة بين الثورة الصناعية ودخولها العراق .

وإذا انتقلنا إلى مجال التعليم والفكر وجدنا أصحاب الأمر فى عراق قبل الثورة قد ربطوا الشعب ببرامج وضعها المستعمرون أو الرجعيون الضالعون معهم . وكان أخص خصائص هذه البرامج منع ظهور أية روح خلاقة بين الشباب ، تعمل على النهوض ببلادها ومواكبة الركب الذى بدأ يحث الخطى فى عدد كبير من البلاد النامية بعد الحرب العالمية الثانية . وطبيعى أن يكون إنتاج المطابع مسايراً للسياسة الرسمية ، وألا تزدهر المطابع إلا فى الحدود التى رسمت لها .

ثم قامت ثورة ١٤ تموز (يولية) ١٩٥٨ محطمة هذا النظام الجامد الذى فرض على العراقيين فرضاً ، وبدأ الأحرار يتطلعون إلى مستقبل مشرق يعمل فيه الناس جميعاً لمصلحة الوطن ورخائه . إلا أن الأمور لم تسر للأسف فى الطريق التى شقت لها ؛ فقد صدر قانون الإصلاح الزراعى ، ولكنه لم يأت بالثمرة المرجوة بسبب الصراع الدامى الذى نشب بين أبناء العراق بعد الثورة .

بيد أن الحكومة — وهذا هو الوضع فى البلاد — لم تتمكن من الاهتمام بصناعة الطباعة والعناية بها . ولم يحاول الأفراد من جهتهم عمل شىء يدفع عجلة الطباعة إلى الأمام ، وغاية ما حدث فى هذه الآونة أن قررت وزارة الصناعة تأليف لجنة تمثل فيها كل من وزارة الإرشاد والمالية والتجارة ومديرية تنمية الصناعات الأهلية العامة واتحاد الصناعات العام وغرفة تجارة بغداد ونقابة عمال ومستخدمى المطابع ، وذلك

لدراسة إمكانيات المطابع العراقية للقيام بعمل وطبع علب الكرتون والماركات والصكوك والمستندات والمؤلفات والتراجم تمهيداً لحماية هذه الصناعة الوطنية من المزاحمة الخارجية [١] . وأدت هذه السياسة التى انتهجها العراق الرسمى إلى خفض عدد الكتب المصدرة إليه فبلغت قيمتها ١٥ ألف جنيه فى سنة ١٩٦٢ مقابل ٥١ ألفاً سنة ١٩٦١ و ٦٠ ألفاً سنة ١٩٦٠ ، وكانت قد سجلت رقماً قياسياً فى سنة ١٩٥٨ فبلغت ١٠٧ آلاف جنيه[٢] . غير أن الإقلال من استيراد الكتب من خارج العراق ومن الجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة ، لم يؤثر بشكل محسوس على الطباعة فى هذا البلد العربى ، لا من حيث الكم ، ولا من حيث الكيف ، ذلك أن الحكومة قد انشغلت ابتداء من أول مارس ١٩٦١ بالثورة التى أشعلها الأكراد فى لواء أربيل و بالمطالبة بضم إمارة الكويت إلى العراق .

بيد أن عدم استقرار الأحوال لا يشجع الأفراد على القيام بأى مشروع جديد ، وهكذا كتب على الطباعة أن تقف مكانها لا تتطور لتتجاوب مع التطور الذى أصابها فى بلاد عربية أخرى .

كان لابد إذن من ثورة تقوم انحراف ثورة ١٤ تموز . وقد قامت هذه الثورة فى ٨ فبراير ١٩٦٣ (ثورة ١٤ رمضان) وقضت على جميع من أساء إلى العراق فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه . غير أن الأمر لم يستتب تماماً إلا بعد قيام ثورة ١٨ تشرين ثان (نوفمبر) ١٩٦٣ وتولى الرئيس عبد السلام عارف زمام الحكم فى البلاد . وقد أعادت ثورة تشرين الثانى النظر فى قانون الإصلاح الزراعى وأصدرت عدة قوانين تكفل عدالة توزيع الأراضى . وفى ١٤ تموز (يولية) ١٩٦٤ صدرت أول قوانين تمهد الطريق للسير نحو الاشتراكية تحقيقاً لإرادة الشعب ، فأممت جميع البنوك وشركات التأمين كما أممت كبريات الشركات الرأسمالية الخاصة بصناعات الأسمنت ومواد البناء و بعض شركات الغزل والنسيج والسجاد والجوت والزيوت . . . كما صدر قانون يحظر أن يمتلك الفرد فى أية شركة مساهمة مضى على تأسيسها خمس سنوات أسهماً تزيد قيمتها الاسمية على عشرة آلا ف دينار .

---

(١) مجلة الطباعة ، العدد الخامس ١٩٦٠ ، ص ٣٦ .

(٢) أحمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٦٢ .

واهتمت الحكومة العراقية بالتعليم اهتماماً كبيراً . ويوجد فى العراق اليوم عدا جامعة بغداد ، ٢٤٧مدرسة ثانوية منها ٧٧ مدرسة للبنات وعدد طلبتها وطالباتها ٧٣٩١١ . أما المدارس الابتدائية فعددها ٢٣٣٩ مدرسة منها ٨٠١ مدرسة للتعليم المختلط ويبلغ عدد تلاميذها نصف مليون تلميذ .

وفى مجال السينما والمسرح والفن التشكيلى بدأ العراق يخطو خطوات لا بأس بها ، ولو أنها فى حاجة إلى شىء كثير من التدعيم[1].

وتتضمن الخطة الخمسية الأولى فى العراق تنفيذ ١٨ مصنعاً جديداً تتكلف حوالى ١٨٠ مليون دينار وتؤدى إلى تشغيل حوالى ٥٠ ألف عامل [2].

وكان لابد لهذه النهضة التى شملت جميع المجالات فى هذا البلد العربى من أن تصاحبها نهضة طباعية . فقد بلغ عدد المطابع الحكومية ستة . أما المطابع الأهلية ، فقد وصل عددها إلى ١٤٦ مطبعة . وفى العراق اليوم طباعة ملساء (أوفست) وورش لحفر الأنماط الخطية والظلية (الكليشيهات) وطابعتان دوارتان (روتاتيف) لطبع الجرائد ، فضلا عن آلات الجمع اللينوتيب والأنترتيب (الجمع السطرى) وآلات المونوتيب التى اقتناها عدد كبير من دور الطباعة فى بغداد والبصرة والموصل .

وشجع هذه النهضة المطبعية وجود٣٥ مجلة تصدر فى بغداد منها نصف الأسبوعية والأسبوعية والشهرية والفصلية ، و ١٦ مجلة تصدر فى الألوية . ومن هذه المجلات ما يحرر بالفارسية والتركية والكردية والإنجليزية . ويصدر فى بغداد خمس صحف يومية تحرر جميعها بالعربية ما عدا واحدة تحرر باللغة الإنجليزية .

---

(١) راجع مقال الأستاذ مصطفى إبراهيم مصطفى : حول الحركة الفنية فى الجمهورية العراقية . جريدة الأهرام فى ٢٩ مايو ١٩٦٥ .

(٢) من حديث للسيد أديب الجادر وزير الصناعة العراقى ، أدلى به لمراسل جريدة الأخبار فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٦٥ .

خاتمة

يبدو لنا من هذه الدراسة الوجيزة أن الطباعة فى العراق بدأت تتقدم من جديد بفضل الإنجازات التى تمت أخيراً ؛ ولا شك أن الدولة ستدخل الطباعة فى حسابها فى خطط التنمية التى تقوم بإعدادها ، فتنشئ المراكز لتدريب العمال على هذه الصناعة الدقيقة كما ترسل البعوث إلى الدول العربية الشقيقة التى قطعت أشواطاً بعيدة فى هذا المضمار .

لقد خطت الطباعة فى العراق خطوات مباركة من حيث الكم . فبعد أن كانت المطابع لا تتجاوز عدد أصابع اليدين فى نهاية الحكم العثمانى ، أصبح عددها فى سنة ١٩٥٢ مائة وإحدى وعشرة مطبعة ، وهو اليوم فى سنة ١٩٦٥ مائة وست وأربعون مطبعة[١] ، وهى زيادة لا بأس بها إن قدرنا الظروف العصيبة التى مر بها هذا البلد العربى فى تاريخه القريب .

---

(١) وزارة الثقافة والإرشاد ببغداد ، مديرية الاستعلامات العامة ، خطاب رقم ٥٤٢٢ بتاريخ ١٩٦٥/٣/٢٣ إلى سفارة الجمهورية العراقية ، الدائرة الثقافية بالقاهرة .

الباب السابع

الطباعة في فلسطين العربية والأردن واليمن والسعودية



الفصل الأول

فلسطين

١٨٣٠ – ١٩٦٥

إن تمتع فلسطين بمركز دينى ممتاز جعلها قبلة لأتباع الديانات السماوية . فكان يحج إليها آلاف المسلمين والمسيحيين واليهود حاملين معهم النذور والهبات ليقدموها إلى مختلف المؤسسات الدينية .

وقد عرفت فلسطين الطباعة على أيدى اليهود ، وكان ذلك فى سنة ١٨٣٠ [١] حين أنشأ نسيم باق مطبعة فى القدس لطبع الكتب الدينية اليهودية . وكانت مطبوعات تلك المطبعة باللغة العبرية . وصادفت نجاحاً كبيراً على الرغم من منافسة الناسخين الذين رفضوا التسليم بالأمر الواقع ومضوا يقاومون الطباعة فى القدس فترة طويلة ، ولكنهم اضطروا فى نهاية الأمر إلى الرضوخ والكف عن تلك المقاومة غير المجدية . وهكذا انتصرت الطباعة فى الأرض المقدسة وأخذت تنتشر شيئاً فشيئاً .

وظلت القدس حوالى ست عشرة سنة مكتفية بمطبعة نسيم باق . ثم رأى الرهبان الفرنسيسكانيون أن رسالتهم لن يكتب لها سعة الانتشار إلا إذا أسسوا مطبعة تساعدهم على بث تعاليمهم بين المسيحيين المنتشرين فى فلسطين والبلاد العربية المجاورة لها . ويمكن أن يقال إن القدس عرفت الطباعة المتقنة بفضل جهود هؤلاء الرهبان ، وإن الطباعة لم ترسخ فى الأراضى المقدسة قبل إنشاء تلك المطبعة .

قام بتأسيس مطبعة الفرنسيسكان فى سنة ١٨٤٦ راهب نمساوى يدعى فرتخنر Frotchner بتشجيع الإمبراطور فرانسوا جوزيف الأول[٢] . ولم يمض وقت طويل حتى استكملت هذه المطبعة معداتها . وكان أول كتاب لها «التعليم المسيحى بالإيطالية والعربية» . وقد جلبت أدواتها جميعاً من النمسا بما فى ذلك الحروف .

---

(١) شاهين مكاريوس : المعارف فى سوريا ، مجلة المقتطف ، الجزء الثامن من السنة السابعة ، أزار سنة ١٨٨٣ .

(٢) S. Ronzevalle S.J. : L'Imp. Cath. de Beyrouth et son œuvre en Orient, 1853 1903, Relations d'Orient An 1903, p. 12.

DIZIONARIO
ITALIANO-ARABO

CON AGGIUNTA

DI UN COPIOSISSIMO INDICE ALFABETICO

DELLE VOCI ARABE

PER CURA

D'UN RELIGIOSO FRANCESCANO

DI TERRA SANTA



GERUSALEMME
TIPOGRAFIA DEI PADRI FRANCESCANI
1878

قاموس إيطالى عربى مطبوع فى مطبعة الآباء الفرنسيسكانيين بالقدس سنة ١٨٧٨

ثم تبين للمشرفين على المطبعة أن الحروف المسبوكة فى المطبعة الكاثوليكية ببيروت أجمل وأوضح . فكفوا عن استيراد الحروف من النمسا وولوا وجههم شطر بيروت حيث ظلوا يستوردون الحروف فترة طويلة من الزمن .

وكان الرهبان الفرنسيسكانيون يزودونها بين الحين والآخر بأدوات الطباعة الحديثة، وكان فيها قسم للطباعة الحجرية . ولما اتسعت أعمال المطبعة رأى المشرفون عليها أن ينشئوا فيها قسما لسباك الحروف ليستغنوا به عن مسابك بيروت وليزودوا مطابع فلسطين بحروفه . وأضيف إلى المطبعة قسم للتجليد زود بأحدث الآلات . وجلبت المطبعة محركات بخارية لإدارة طابعاتها الكبيرة ثم استبدلتها بمحركات تدور بالبترول وحلت محل الأخيرة محركات تدور بالكهرباء .

وجددت المطبعة آلاتها فى سنة ١٩٠٠ وأدخلت الطريقة الحديثة فى سبك الحروف . وكانت المطبعة تنشر كتباً بالعربية والتركية والأرمنية والعبرية واليونانية والفرنسية والإيطالية .

وحذا حذو الرهبان الفرنسيسكانيين فى سنة ١٨٤٨ جماعة من الإنجليز أسسوا مطبعة بالقدس أسموها مطبعة لندن لانتشار الإنجيل بين اليهود . وأنشأ الأرمن فى السنة نفسها مطبعة وضعوها بديرهم المجاور لجبل صهيون وجميع كتب تلك المطبعة باللغة الأرمنية أو بالتركية ولكن بالحرف الأرمنى . وعلى الرغم من قلة نشاطها فقد عاشت أكثر من أربعين سنة .

وفى سنة ١٨٤٩ أنشأت جمعية القبر المقدس اليونانية مطبعة وضعتها فى مقر البطريركية . وقد عاشت إلى أن بلغت القرن العشرين على الرغم من أن إدارتها ظلت على ما هى عليه من القدم . ونشرت عدداً من الكتب الكنسية والمدرسية وبعض الكتب باللغة اليونانية . وكان لابد لمثل هذه المطبعة وسواها فى القدس أن تختفى لعدم مسايرتها للتطور الذى أصاب الفن المطبعى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

ولم يكتف اليهود بمطبعة نسيم باق بل أتبعوها بمطبعة أخرى أسسها داويد ساسون سنة ١٨٥٠ . إلا أن هذه المطبعة وغيرها من المطابع اليهودية التى أنشئت

بعدها كانت بدائية ولم يكن يتجاوز عدد عمالها الثلاثة على أكثر تقدير .

وأنشأ موسى شولمن مطبعة لطبع صحيفة بالعبرية تدعى البصلة . وكانت تعبر عن رأي اليهود التلموديين ، وظلت تعمل إلى حوالى سنة ١٨٨٥ . وفى سنة ١٨٦٥ أسس أحد اليهود ويدعى إسحق كويشنا صحيفة عبرية دعاها « شارسيون » وجاب لها مطبعة خاصة تقوم بطبعها . ويبدو أن هذه المطبعة تعطلت قبل سنة ١٩٠٢ .

وأنشأ أحد اليهود الروس واسمه لنكز Luncz مطبعة طبع فيها بعض الكتب العلمية ومجلة « أورشليم » . وأسس اليهودى فرمكن فى سنة ١٨٧٠ مطبعة صغيرة لنشر جريدة بالعبرية تدعى « حباسيليت » . وأكبر الظن أنها توقفت عن العمل كسواها من المطابع اليهودية الصغيرة . وفى سنة ١٨٨٢ افتتح يهودى اسمه حاى جاجين مطبعة لطبع الكتب العبرية .

وآخر مطبعة يهودية أنشئت بالقدس فى القرن التاسع عشر هى مطبعة ابن يهوذا وهو يهودى روسى أسس مطبعته فى سنة ١٨٩٠ ونشر صحيفة « النور » . وكان ابن يهوذا كاتباً متحرراً . وكان هدفه تعريف أبناء ملته بالتطورات الفكرية الجديدة التى حدثت فى العالم المتمدن فخاف رجال دينه من خطر هذه الأفكار الجديدة وسعوا به لدى الحكومة حتى عطلت جريدته . ولكن ابن يهوذا لم يسلم بالهزيمة فمضى يكافح حتى تمكن من الحصول على ترخيص بإنشاء جريدة بدلا من المعطلة أطلق عليها اسم « المحاسن » . ونشرت مطبعته عدداً لا بأس به من الكتب المدرسية لتعليم أبناء اليهود القراءة والتاريخ والجغرافيا . وقام صاحب المطبعة بتأليف معجم كبير باللغة العبرية .

ويستطيع المؤرخ أن يربط بين كثرة عدد هذه المطابع اليهودية فى فلسطين فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والحركة الصهيونية التى بدأت فى هذه الحقبة مستغلة الاضطهاد الذى وقع على اليهود فى بعض بلاد شرق أوربا . إلا أن هذه المطابع على كثرتها النسبية لم تكن فى مستوى مطبعة الرهبان الفرنسيسكانيين . ويبدو أن اليهود خارج فلسطين المؤمنين بالدعوة الصهيونية لم يكونوا قد فطنوا بعد إلى أهمية هذه الآلة الإعلامية أو أنهم فضلوا أن يركزوا دعايتهم أولا على شعوب أوربا وأمريكا قبل أن يوجهوها إلى يهود فلسطين أنفسهم .

وطبيعى ألا تزدهر المطابع اليهودية فى فلسطين خلال تلك الفترة ، ذلك أن أغلب اليهود هناك كانوا فى مستوى اجتماعى يعتبر القراءة والكتابة شيئاً يمكن الاستغناء عنه . وكان الذين يقرءون ويكتبون يكتفون باقتناء الكتب الدينية ويبالغون فى العناية بها وحفظها من التلف ليتوارثوها . يضاف إلى ذلك أن استهلاك هذه الكتب كان محلياً أى أنه لم يكن يتجاوز الأراضى الفلسطينية إلا فى الحالات النادرة .

وهكذا ظلت المطابع اليهودية فى حالة من التأخر إلى أن برزت مشكلة الصهيونية بوضوح عقب الحرب العالمية مباشرة . وبدأ اليهود ينظمون صفوفهم مطالبين بوطن قومى يجمع شملهم ويحول بينهم وبين الاضطهاد العنصرى على حد قولهم .

أما المطابع العربية التى ظهرت فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر فكانت مطابع صغيرة لا تعنى إلا بنشر الكتب الدينية مثلها فى ذلك مثل مطبعة المرسلين الكنائسية الإنجيلية التى أنشئت فى سنة ١٨٧٩ .

وأنشأ ألفونس أنطون الونصو « المطبعة الوطنية » فى أواخر القرن الماضى وهى فى مستوى « مطبعة حنانيا » التى أنشئت فى ذات العهد .

ولم تحاول الحكومة العثمانية أن تنشئ مطبعة رسمية فى هذا القطر أسوة بما فعلته فى الأقطار العربية الأخرى الواقعة تحت حكمها .

وظلت المطابع فى القدس خاصة وفى فلسطين عامة على ما هى عليه من تأخر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى هذا إذا استثنينا مطبعة الرهبان الفرنسيسكانيين . ولكن إذا قارنا بين حالة الطباعة فى فلسطين فى تلك الحقبة من تاريخها بحالة الطباعة فى سوريا ، لاحظنا أن الطباعة فى القطر الأول تمتاز عن حالتها فى القطر الثانى . فقد كان عدد مطابع القدس وحدها لا يقل عن إحدى عشرة مطبعة بينما لم تتجاوز المطابع فى سوريا نصف هذا العدد .

غير أن هذا التفوق النسبي الذى تمتعت به فلسطين فى الطباعة لم يلبث أن زال بسبب المحن التى نزلت بهذا القطر العربى الشقيق عقب التصريح الذي أدلى به اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ إلى اللورد روتشلد عن رضى بريطانيا على المشروع الذى يُراد به أن ينشأ فى فلسطين وطن قومى لليهود . واتفق الرأى فيما بين زعماء الصهيونية على المطالبة بإنشاء جمهورية يهودية

فى فلسطين تحت وصاية عصبة الأمم . وهب العرب يقاومون هذا المشروع وغدت فلسطين ميدان قتال منذ سنة ١٩٢٠ . واشتد الكفاح فى أغسطس سنة ١٩٢٩ .

وفى سنة ١٩٣٦ قام العرب فى فلسطين بثورة ضد الإنجليز ظلت مشتعلة حتى عام ١٩٣٩ . وبعد ذلك بست سنوات تشكلت لجنة بريطانية أمريكية لدراسة قضية فلسطين . وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ أعلن الصهيونيون إنشاء دولة إسرائيل بمساعدة أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وفرنسا .

وإن عدم الاستقرار الذى لازم القطر العربى الشقيق منذ الحرب العالمية الأولى جعل الطباعة فيه تتخلف عن الركب . لقد ترك الفلسطينيون العرب كل شىء وهبوا يدافعون عن أوطانهم . وأصيبت البلاد بنكسة ما زالت تعانى آثارها حتى اليوم .

ولكن الصهيونيين استطاعوا بفضل مساعدات بعض دول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية أن ينشئوا المطابع الحديثة لصحفهم وكتبهم التى يحررونها بالعبرية والفرنسية والإنجليزية . وفى تل أبيب والقدس المحتلة اليوم مطابع حديثة تخرج مختلف أنواع المطبوعات .

الفصل الثانى

الأردن

١٩٢٢ – ١٩٦٥

لم يكن لهذه الدولة وجود قبل الحرب العالمية الأولى . وقد أصبحت جزءاً من سوريا فى العهد الفيصلى . ولما اضطر الملك فيصل الأول إلى الانسحاب من سوريا احتل البريطانيون شرق الأردن وأقاموا فيه حكومة عربية تحت الانتداب البريطانى وولوا عليها الأمير عبد الله . وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت تلك الإمارة مملكة .

وأول مطبعة أنشئت فى هذه البلاد هى مطبعة خليل نصر . وكانت قد أسست فى حيفا سنة ١٩٠٩ ثم نلقت سنة ١٩٢٢ إلى عمان لتطبع عليها جريدة « الأردن » ، وهى أول جريدة تصدر فى هذا القطر العربى . وقد احتلت تلك المطبعة منذ تأسيسها المبنى الذى أنشئ لها خصيصاً فى طريق السلطة . وتقوم المطبعة بإنجاز مطبوعات الحكومة والجيش والمطبوعات التجارية والكتب والجرائد والمجلات . وقد انتقلت ملكية المطبعة بعد وفاة صاحبها إلى ورثته . وزودت بقسم للزنكغراف .

وظلت مطبعة خليل نصر وحدها فى الميدان زهاء أربع سنوات ، ثم زاملتها مطبعة حكومة الشرق العربى فى سنة ١٩٢٥ . وفى سنة ١٩٢٦ أنشئت المطبعة الوطنية لصاحبها محمد نورى السمان. وحفزه إلى إنشاء مطبعته ندرة المطابع فى شرق الأردن. وقامت هذه المطبعة بطبع المطبوعات التجارية والحكومية والجريدة الرسمية وأكثر الصحف المحلية، مثل صحيفة «الجزيرة» وصحيفة «صدى العرب» وصحيفة «الميثاق» و « الجامعة الإسلامية » ونشرة وكالة الأنباء العربية و « النسر » و « النشرة التجارية » و « الأخبار » و « الحوادث » و « الديار المقدسة » و « صوت الحق » و « التعاون الثقافى » .

ورابع مطبعة أنشئت فى المملكة الأردنية الهاشمية هى مطبعة الاستقلال العربى . فقد أنشأها جودت شعشاعة سنة ١٩٣٢ واختار لها مقرًّا يقع فى طريق

وادى السير . وقامت فى وقت من الأوقات بطبع الجريدة الرسمية وجريدة « الوفا » و « النهضة » و « الجهاد » و « فلسطين » ومجلة « الأردن الجديدة » و « حول العالم » والكتب المدرسية والمطبوعات الحكومية والتجارية . وتولى المطبعة فى عهدها الأول شير شورى[1] .

وتوجد فى الأردن مطابع أخرى قليلة الأهمية . إلا أن هذا القطر لا يزال يعتمد على البلاد العربية المجاورة فى استيراد الكتب المدرسية والعلمية والأدبية . أما مطبوعاته فإنها تستهلك محليًّا ولا يصدر منها شىء إلى الخارج .

وبانتشار التعليم فى ربوع تلك البلاد وتقدم الصحافة وانتعاش الاقتصاد ارتقى فن الطباعة فيها وازدهر فقد بلغت نسبة القارئين الكاتبين فى هذا البلد العربى ٨٥ ٪ من السكان حسب النشرة الإحصائية الرسمية و إحصائية الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية عام ١٩٦٢ ، وهى نسبة مرتفعة . ويبلغ عدد المطابع فى الأردن اليوم ١٠٦ مطبعة موزعة على ألويته . ويصدر فى هذا القطر العربى أربع صحف عربية يومية صحيفة يومية بالإنجليزية متقنة الطبع واضحة الحروف والصور والرسوم بالإضافة إلى خمس صحف أسبوعية عربية وثلاث مجلات نصف شهرية . هذا عدا النشرات الدورية التى تصدر عن الهيئات المختلفة . وفى الأردن مطابع حديثة تم تزويد عدد منها بأقسام للجمع الآلى منذ سنة ١٩٥٧ . ولن يمضى وقت طويل إلا وتتمكن مطابع عمان والقدس من إخراج المطبوعات الملونة المتقنة[2] .

---

(١) استقينا هذه المعلومات من سيادة المطران ميخائيل عساف رئيس أساقفة الروم الكاثوليك فى الأردن .

(٢) زودنا بهذه المعلومات القيمة السيد هانى خصاونة مدير مكتب الأعلام بسفارة المملكة الأردنية الهاشمية بالقاهرة .

الفصل الثالث

اليمن

١٨٧٧ ـ ١٩٦٥

كانت اليمن قبل الحرب العالمية الأولى جزءاً من الإمبراطورية العثمانية إلى أن قام الإمام يحيى بن محمد حميد الدين بثورة على الحكم التركى سنة ١٩١٠ ، فاجتاح على رأس أتباعه أكثر بلاد اليمن واحتل صنعاء العاصمة . ولكن الأتراك أرسلوا إلى الثائرين جيشاً بقيادة الفريق عزت باشا . وبعد قتال عنيف اضطر الإمام إلى الجلاء عن العاصمة ومفاوضة الأتراك الذين قبلوا أن يعقدوا معاهدة معه اعترفوا فيها بالاستقلال الداخلى لليمن . ولما قامت الحرب العالمية الأولى جلت القوات التركية عن البلاد وأصبح الإمام حاكمها المطلق واستقلت استقلالا تاماً اعترف به الأتراك فى معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣ .

وعلى الرغم من تأخر هذه البلاد ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ، فقد عرفت الطباعة منذ سنة ١٨٧٧ ، أى قبل أن تعرفها العربية السعودية بحوالى خمس سنوات [١]. وقد أمر بإنشاء أول مطبعة السلطان عبد الحميد الثانى فى مدينة صنعاء عاصمة البلاد . وكانت تطبع فيها جريدة « صنعاء » الأسبوعية الرسمية ، وهى لسان حال الحكومة التركية وتحرر باللغتين العربية والتركية .

وبعد أن نالت اليمن استقلالها ، استخدمت هذه المطبعة فى إصدار صحيفة شهرية اسمها (الإيمان) ثم صدرت عن هذه المطبعة أيضاً مجلة (الحكمة اليمانية)

ولما فشلت ثورة ١٩٤٨ استطاع الإمام أحمد أن يستولى على مطبعة الثوار التى كانت تصدر صحيفة (صوت اليمن) وأن ينقلها إلى تعز حيث أطلق عليها اسم (مطبعة النهضة) . وقد صدرت عن هذه المطبعة صحيفة (النصر) وهى أسبوعية ، وصحيفة (سبأ) [٢].

---

(١) فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، الجزء الثانى ، بيروت ١٩١٣ ، ص ٢٠٦ .
(٢) زودنا بهذه المعلومات الطالب اليمنى أحمد محمد الجحدرى .

وإلى وقت قريب كانت توجد فى صنعاء مطبعتان ، إحداهما فى قصر الملك ، ويُطلق عليه اسم « مقام الإمام » أو « المقام الشريف » . ويعود إنشاء هذه المطبعة إلى العهد العثمانى . وهى المطبعة التى كانت تطبع فيها جريدة « صنعاء » . وكانت تلك المطبعة تطبع إلى جانب الصحيفة بعض الكتب الصغيرة .

أما المطبعة الثانية فتتبع إدارة المعارف . وقامت هى والمطبعة الأولى بطبع عدد قليل جداً من الكتب يقال إنه لا يتجاوز الأربعين بين سنة ١٩٢٢ وسنة ١٩٥٢ . وتشتمل الكتب المطبوعة فى صنعاء على بحوث فى القرآن ورسائل فى مذهب الزيدية والفقه والحديث وكل ما يتعلق بالدين الإسلامى .

وقامت مطبعة إدارة المعارف بطبع كتاب فى تاريخ اليمن ليدرس فى المدارس . وقبل إعلان الحرب العالمية الأخيرة ، كانت المطبعة قد بدأت فى طبع تاريخ الإمام يحيى .

وقلما كان أطفال المدارس الأولية يستعملون كتباً مطبوعة . إلا أن بعض مدارس صنعاء استخدمت كتاب « القاعدة البغدادية » المطبوع بالقاهرة فى مطبعة عيسى البابى الحلبى . واقتنت إدارة المعارف مجموعة صغيرة من المطبوعات المدرسية . أما تلاميذ « المدرسة العلمية » ، فإنهم كانوا لا يستخدمون سوى المخطوطات التى يقومون بنسخها بأنفسهم . وطبع فى مطبعة إدارة المعارف أيضاً كتاب فى قواعد اللغة العربية ، وكتاب « العلماء والمتعلمين » . والكتاب الأخير قد تم تأليفه فى القرن العاشر للهجرة ويتناول كيفية نسخ المخطوطات وتعليم الخط .

ولجأ اليمنيون إلى مطابع القاهرة فى طبع كتبهم وجدير بنا أن نذكر أن من بين المطبوعات اليمنية المطبوعة فى العاصمة المصرية الكتب الثلاثة التى ألفها عبد الواسع والتى عالج فيها المسائل التاريخية والجغرافية والشئون العامة . وكان بعض المؤلفين اليمنيين يذهبون إلى الهند أو أندونيسيا لطبع كتبهم فيها[١] .

وتقوم مطبعة إدارة المعارف أو المطبعة الرسمية بطبع أوراق الحكومة . وقد استوردت هذه المطبعة من إنجلترا وجددت عدة مرات .

---

(١) ر . ب . سارجنت : الأدب العصرى فى الجنوب الغربى لشبه جزيرة العرب ، مجلة الأدب والفن ، السنة الثانية ، سنة ١٩٤٤ ، من ص ٢٧ إلى ص ٣٠ .

ذلك كان حال الطباعة فى اليمن قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ . وما أن أعلنت الجمهورية حتى طلبت الحكومة اليمنية الجديدة من حكومة الجمهورية العربية المتحدة أن ترسل لها خبيراً فى الطباعة . وقد وصل هذا الخبير [1] إلى صنعاء فى ١٥ مايو ١٩٦٣ فوجد فى مطبعة الحكومة آلات مطبعية موضوعة بجوار الحائط . وفهم الخبير أنه وصل إلى المطبعة منذ حوالى ثمانى سنوات أربعة صناديق بها آلات طباعة ، وبفتحها تبين أن بها آلات طباعة مفكوكة فى حاجة إلى تركيب . وقد استدعت الحكومة اليمنية فى ذلك الوقت أحد الخبراء لتركيبها ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ؛ فتركت محتويات هذه الصناديق مختلطة بعضها ببعض . وقد تم تركيب هذه الآلات وبدأت تعمل . وهى تدور بوساطة محرك كهربائى . وكانت هذه المطبعة تشترى حروفها من المسابك اللبنانيةوهى ، الآن تشتريها من المسابك المصرية . وفى هذه المطبعة سبع طابعات فى حالة جيدة لا تنقصها إلا الأيدى الخبيرة لإدارتها . وفى قسم التجليد آلة تخريم تدار بالقدم وأخرى تدار باليد . وفى استطاعة هذه المطبعة أن تقوم بطبع الجريدة الرسمية والكتب المدرسية والدفاتر والاستمارات والنشرات الدورية وجريدة يومية . ولا تزال الجمهورية العربية اليمنية تعتمد على القاهرة وعدن فى صنع كليشيهاتها الخطية والظلية . وقد اقترح الخبير المصرى إنشاء قسم لحفر الكليشيهات فى مطبعة صنعاء .

أما مطبعة تعز ففيها قسم لجمع الحروف جددت حروفه أخيراً . وفى قسم الطبع ست آلات تدار بمحرك كهربائى . ويحتاج قسم التجليد إلى آلة قص أوتوماتيكية ومكبس ورق ليستكمل معداته . وتقوم هذه المطبعة بطبع جريدة (الأخبار) اليومية و (الثورة) نصف الأسبوعية و (الجمهورية) الأسبوعية ، وبعض المطبوعات الصغيرة . وإلى وقت قريب كانت المصالح الحكومية بتعز تقوم بطبع أغلب مطبوعاتها فى عدن لقصور المطبعة الحكومية .

وإن الشبان اليمنيين الذين أرسلوا إلى الجمهورية العربية المتحدة للتدرب على الطباعة فى مطابعها ، وخبراء الطباعة المصريين الذين ذهبوا إلى اليمن ، وتزويد مطبعتى

---

(١) هو السيد / محمد زكى خليل ، خبير الطباعة بوزارة الصناعة وقد كتب تقريراً مفصلا عن حال مطبعتى صنعاء وتعز الحكوميتين وذلك فى ٢٩ مايو ١٩٦٣ .

صنعاء وتعز بكل ما تحتاجه من آلات ومعدات ، سواء من الجمهورية العربية المتحدة أو من الخارج قد بدأت تظهر آثارها على الطباعة فى اليمن . ولن يمضى وقت طويل إلا ويستغنى هذا القطر العربى عن كل معاونة خارجية فى هذا المضمار .

الفصل الرابع

العربية السعودية

١٨٨٢ — ١٩٦٥

كانت المملكة العربية السعودية قبل الحرب العالمية الأول جزءاً من الإمبراطورية العثمانية . وكان أهلها يعيشون على البداوة . وإن بلاداً هذه حالها من الصعب أن ينتشر التعليم فى ربوعها . وهكذا حرمت من فوائد المطبعة حتى أوائل الربع الأخير من القرن التاسع عشر . فقد استحضرت الحكومة العثمانية عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) مطبعة تدار بالقدم . وأطلقت الحكومة عليها إذ ذاك اسم « حجاز ولايتى مطبعة سى » أى مطبعة ولاية الحجاز[١] .

وفى سنة ١٣٠٢ استحضرت الحكومة التركية طابعة متوسطة . وبعد عدة سنوات جلبت مطبعة حجرية أطلق عليها اسم « المطبعة الأميرية » . وصدرت عن تلك المطبعة منذ سنة ١٣٠١ هـ صحيفة باسم « الحجاز » . وقد أدت تلك المؤسسة خدمات جليلة فى سبيل رفع المستوى العلمى والثقافى برغم الظروف والملابسات التى كانت تكتنف الحجاز سياسياً .

وخلال الحرب العالمية الأولى صادرت الحكومة التركية مطبعة « زحلة الفتاة ونقلتها إلى الحجاز لتدعم بها مطبعتها الرسمية .

ولما انتهت هذه الحرب نودى بالشريف حسين ملكاً على الحجاز ، فأسس فى سنة ١٩١٩ مطبعة صغيرة فى مكة لطبع جريدته الرسمية « القبلة » . ويقال إن الملك كان محرر هذه الصحيفة وناشرها وطابعها الوحيد وكانت المطبعة من طراز « تيب توب » ،قام بشرائها عبد الوهاب مظهر الأنصارى من محلات ديكنسون بالقاهرة

وعندما استتب الأمر للملك عبد العزيز آل سعود أطلق على المطبعة اسم « مطبعة أم القرى » . وقد عنيت هذه المؤسسة فى عهدها الجديد بفن الطباعة ،

---

(١) الشيخ رشدى ملحس : الصحافة والمطابع فى الحجاز ، جريدة أم القرى ، رقم ٢٠٧ ، فى شهر رجب ١٣٤٧ . والعدد ٢١١ الصادر بتاريخ ٣٠ رجب ١٣٤٧ .

فأحضرت بعض الخبراء وعقدت معهم اتفاقاً على تعليم بعض الحجازيين هذا الفن على أصوله ، وكان ذلك فى سنة ١٣٤٦ (١٩٢٧ م) ، ثم أخذ تفكير المسئولين يتجه نحو ترقية هذا الفن وتشجيعه ، فأرسلت فى سنتى ١٩٣٧ و ١٩٣٨ بعثة مؤلفة من سبعة عشر شخصاً للتخصص فى فن الطباعة فى مطبعة بولاق .

وفى سنة ١٩٣٧ سميت مطبعة « أم القرى » مطبعة الحكومة بناء على تعليمات صدرت من وزارة المالية .

وفيما عدا صحيفة « الحجاز » فقد صدرت عن تلك المطبعة صحيفة يومية منذ سنة ١٣٢٧ ﻫ باسم « شمس الحقيقة » استمرت بضعة شهور ثم توقفت . وفى العهد الهاشمى كانت تصدر عنها جريدة دينية سياسية اجتماعية مرتين فى الأسبوع باسم جريدة « القبلة » ، ظهر العدد الأول منها فى ١٥ شوال سنة ١٣٣٤ ﻫ . ثم انقطعت عن الصدور يوم ٢٥ صفر سنة ١٣٤٣ ﻫ . وفى عام ١٣٣٨ ﻫ ، صدرت عنها جريدة « الفلاح » . غير أنها لم تكن منتظمة . وفى عهد السعوديين ظهر العدد الأول من جريدة « أم القرى » فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ ﻫ . ولا تزال تصدر حتى اليوم . وفى عام ١٣٤٧ ﻫ ظهرت مجلة (الإصلاح) وهى مجلة دينية .

وقامت المطبعة بإنجاز الطوابع وأوراق التمغة ومجلة « الحج » وتقويم « أم القرى » السنوى . هذا إلى جانب المطبوعات اللازمة للحكومة والأنظمة والتعليمات والقوانين واللوائح لمختلف المصالح والوزارات . وتستورد الورق من السويد والنرويج والولايات المتحدة وبريطانيا وفنلندة .

ومطبعة الحكومة السعودية فى مكة تعد أكبر مطبعة فى شبه الجزيرة العربية . وهى تساير فى تقدمها تقدم البلاد . وإن المتصفح لكتاب طبع فى تلك المطبعة منذ عشرين سنة وكتاب طبع اليوم يجد الفرق شاسعاً بين المستوى الفنى لطبع الكتابين .

وتوجد فى مكة أيضاً مطبعة للشركة العربية للطبع والنشر تقوم بإصدار جريدة « البلاد السعودية » وتعنى إلى جانب ذلك بإنجاز المطبوعات التجارية المختلفة . وقد تأسست هذه المطبعة سنة ١٣٥٥ ﻫ (١٩٣٥ م) . وتوجد أيضاً فى مكة المطبعة العربية . وقد أسست بعد ذلك بحوالى خمس سنوات لتطبع مجلة « المنهل » وبعض

المطبوعات التجارية . وإلى جانب هاتين المطبعتين توجد مطابع صغيرة لطبع البطاقات وما إليها مثل مطبعة الحرم .

وأنشأ على وعثمان حافظ « مطبعة جريدة المدينة المنورة » فى سنة ١٩٣٦ م . وتولى إدارة المطبعة منذ تأسيسها إلى سنة ١٩٣٨ عباس سنبل ثم تولى أمرها خالد حافظ شقيق صاحبى المطبعة . وأدوات الطباعة جلبت من القاهرة . أما الحروف فمن مسبك التمدن بمصر . وإلى جانب الجريدة تقوم المطبعة بإنجاز المطبوعات التجارية المختلفة وأوراق الدوائر الرسمية .

وفى المدينة المنورة مطبعة ثانية تدار بالقدم ملحقة بمدرسة العلوم الزراعية .

وهكذا تساير الطباعة فى المملكة العربية السعودية حركة التقدم التى ظهرت واضحة فى تلك البلاد منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية . وفى جدة منذ سنة ١٩٥٢ مؤسسة باسم « مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر » مديرها العام السيد أحمد عبيد . وقد زودت بأحدث الطابعات وبآلات الجمع المعروفة باللينوتيب أما عمالها فهم مدربون على هذا الفن بما فيه الكفاية .

وقامت هذه المؤسسة بإنتاج جميع أنواع المطبوعات التجارية والحكومية ومجلات الإذاعة والحج والمنهل وجريدة الأضواء . وطبعت جريدة الرياض .

وإلى جانب هذه المطبعة الكبرى تأسس فى جدة مطابع أخرى كدار الأصفهانى وشركاه ومطبعة الفتح ومطبعة فضل الرحمن ومطبعة الشرق[١] .

ويستطيع المؤرخ أن يعتبر سنة ١٩٥٤ عاملا حاسماً فى رفع مستوى الطباعة كماً وكيفاً فى العربية السعودية. فى تلك السنة أنشئت وزارة للمعارف لمحاربة الجهل فى البلاد والقضاء عليه تماماً والمضى بالتعليم قدماً وفق النظم الحديثة والأساليب الراقية . وقد بلغت ميزانية هذه الوزارة فى عام ١٩٦٣ — ١٩٦٤ أكثر من ٢٤٥ مليون ريال . ووصل عدد المدارس الابتدائية إلى ١٤١٧ مدرسة ، بلغ عدد تلاميذها ١٥٦٧٨٠ . أما عدد طلبة المدارس الثانوية فقد وصل فى السنة الدراسية ١٩٦٣ — ١٩٦٤ إلى ٣١٠٧ تلاميذ . وبلغ عدد تلاميذ المدارس الصناعية

---

(١) حصلنا على هذه المعلومات عن طريق مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر بجدة وبفضل الاتصالات التى قام بها تلميذنا السعودى السيد محمد الصالح الجبرين .

المتوسطة ٢٣٠٥ ، وتلاميذ المدارس التجارية ٩٦٠ تلميذاً فى عام ١٩٦٤ . وأصبح عدد طلاب المدارس الزراعية المتوسطة ٧٩٨ طالباً . هذا إلى جانب فصول محو الأمية والدراسات المسائية ومدارس الثقافة الشعبية وطلبة جامعة الرياض بكلياتها الخمس وأعضاء البعثات فى الخارج . وعلى الرغم من تأخر هذا البلد العربى فى تعليم الفتاة ، فقد افتتح فى سنة ١٩٦٠ خمس عشرة مدرسة أصبح عددها اليوم ١٦٠ . كما شجع المجلس الأعلى لرعاية العلوم والفنون والآداب حركة التأليف والترجمة والنشر . وكان لابد لهذه النهضة التعليمية العارمة من مطابع تخرج الكتب المدرسية المزينة بالصور والرسوم والكتب العلمية المختلفة . وقد استطاعت المطابع الرسمية والمطابع الخاصة أن تلبى حاجة البلاد من هذه الكتب دون أن يتأثر مستوى الفن المطبعى . وتشجيعاً على فتح المطابع الحديثة تعفى الحكومة السعودية جميع آلات الطباعة ولوازمها من الرسوم الجمركية .

وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية كانت الوسيلة الرئيسية للنشر الأدبى والثقافى هى الصحف والمجلات ، ثم أخذ الأدباء ينشرون آثارهم فى كتب تطبع محليًّا ، بعد أن كانوا يتوجهون إلى مطابع الدول العربية المجاورة ، فنشطت طباعة الكتب الأدبية نشاطاً ملحوظاً ، ويزداد هذا النشاط سنة بعد أخرى .

وقد صاحبت ظهور وزارة الاعلام نهضة مطبعية وصحفية منقطعة النظير . فلأول مرة فى تاريخ المملكة العربية السعودية يصدر تنظيم حديث للصحافة يقضى باستبدال امتياز الصحف ومنحه لشركات أو لمؤسسات أهلية خاصة . ويقضى هذا النظام الجديد بإنشاء مؤسسات صحفية تسمى (المؤسسات الأهلية للصحافة) وتحمل كل منها اسماً مميزاً لها ويتولى أمرها مجموعة من المواطنين السعوديين تمنحهم الدولة امتياز إصدار صحيفة أو أكثر بناء على طلب يتقدمون به إلى وزارة الأعلام .

كما أن نظام المطابع والمطبوعات الذى صدر بمرسوم فى سنة ١٣٧٨ هـ (١٩٦٠م) قد خول لوزارة الإعلام الإشراف إشرافاً كاملا على الحركة المطبعية بالمملكة العربية السعودية ، فأوجب على كل صاحب مطبعة أو مكتبة أو محل رسم يريد مزاولة عمله أن يتقدم إلى وزارة الإعلام بطلب الترخيص له . ووسع هذا النظام من اختصاصات وزارة الإعلام ، فجعلها تختص بمراقبة المطبوعات الواردة من الخارج

قبل توزيعها ، والترخيص بما يجوز طبعه ونشره من المؤلفات والصحف وغيرها من المطبوعات وإصدار التراخيص الخاصة بالصحف وفتح المكتبات والمطابع ومحال الرسم .

وكان طبيعياً أن تتطور الصحافة كما تطور كل شيء فى المملكة العربية السعودية فتضاعف عدد الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية ؛ فمع كل صباح تصدر صحف (البلاد) و (المدينة) و (الندوة) و (عكاظ) و (اليمامة) و (الجزيرة) . ويطالع القارئ السعودى عدداً وفيراً من المجلات التى تنشر الموضوعات الأدبية والعلمية والثقافية مثل (المنهل) وهى أقدم مجلة سعودية ، و (الحج) و (الرابطة الإسلامية) و (المعرفة) و (قافلة الزيت) و (الإذاعة) وغيرها . ويبلغ عدد توزيع هذه الصحف بين ١٨ و ٢٢ ألف نسخة يومياً . ويبلغ عدد توزيع المجلات من ٥ إلى ٧ آلاف نسخة ، وهى أعداد طيبة لو عرفنا أن عدد سكان هذه المملكة المترامية الأطراف يبلغ حوالى سبعة ملايين نسمة .

وابتداء من سنة ١٩٦١ ظهرت المطابع الكبيرة فى المنطقة الشرقية من البلاد لتواجه مطالب التطور الذى أصاب هذا الجزء من المملكة بعد تقدم صناعة استخراج البترول وتكريره ، ولتلبى رغبات التجار والشركات ، لا سيما شركة الزيت العربية السعودية (أرامكو) التى كانت تطبع أغلب مطبوعاتها فى بيروت . وكان قد صدر قانون فى السعودية يمنع طبع أى مطبوع خارج المملكة واستثنيت من هذا القانون مجلة (قافلة الزيت) ريثما تتمكن المطابع السعودية من طبعها بنفس المستوى الذى تطبع عليه فى لبنان .

أنشئت إذن مطابع المطوع فى الدمام سنة ١٩٦١ لهذا الغرض وزودت بآلات طباعة ألمانية بأحجام مختلفة ، تمتاز بالدقة المتناهية وبآلات لصب الحروف العربية والفرنجية طراز مونوتيب وبقسم للطباعة الملساء (أوفست) والفوتوليتو وحفر الأنماط الخطية والظلية على الزنك . ويعتبر قسم التصوير هذا من أكبر أقسام التصوير الطباعى فى الشرق العربى . أما قسم التجليد ، فهو مزود بأحدث الآلات . وأصبحت أغلب مطبوعات شركة أرامكو تطبع فى هذه المطبعة ، سواء كانت بالعربية أو بالإنجليزية . ويعمل بها بعض اللبنانيين وخبير إنجليزى واحد إلى

جانب الفنيين السعوديين الذين أثبتوا مهارتهم فى مجال الطبع الراقى .

وفى المنطقة الشرقية من البلاد توجد مطبعة هامة أخرى هى مطبعة (زنكغراف المنطقة الشرقية) فى مدينة الخبر ؛ وتأتى هذه المطبعة فى المرتبة الثانية بعد مطبعة المطوع من حيث الأجهزة وخبرة العاملين بها . وتطبع هذه المطبعة فيما تطبع جريدة (اليوم) التى تصدر أسبوعيًّا مؤقتاً[1] .

وهكذا انتشرت الطباعة فى أنحاء المملكة السعودية بعد أن كانت مركزة حتى وقت قريب فى مدن الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة . ولا شك أن الرخاء الذى يعم هذا البلد العربى بفضل النفط والصناعات القائمة عليه قد أتاح لحكومته أن توفر الخدمات من كل نوع — ومنها المطبعة — للمواطنين جميعاً .

---

(١) أدلى لنا بهذه المعلومات السيد / صهيب بسيسو الموظف بإدارة العلاقات العامة بشركة أرامكو .

الباب الثامن

الطباعة فى البحرين والكويت وقطر



الفصل الأول

البحرين

١٩٣٨ – ١٩٦٥

اشتهرت البحرين من قديم الزمن وإلى ما بعد الحرب العالمية الأولى بقليل بحسن لآلئها . أما اليوم ، فإن تجارة اللؤلؤ أصبحت لا شيء تقريباً بالنسبة للذهب الأسود الذى اكتشف فيها سنة **١٩٣٢** ، فقد بلغ إنتاج النفط ما لا يقل عن **٤٥,٠٠٠** برميل يومياً وترتب على هذا الكشف إنشاء صناعة تكرير البترول التى تعتبر من أضخم الصناعات من نوعها فى العالم ، ثم ما لبث أن أنشئ مصنع ضخم للبراميل . وبدأت البحرين تأخذ بسبل الحضارة الحديثة فأنشأت بعض الصناعات الخفيفة ونمت الحركة التجارية نمواً مطرداً وأصبح فيها أربعة مصارف ، وطبيعى وقد انتشر الرخاء بهذا القدر الكبير فى هذا القطر العربى ، أن يفكر أولو الشأن فيه فى نشر العلم . فقد أنشئت المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية للبنين والبنات ، كما أنشئت مدرسة لتعليم الصناعة ومعهد دينى . وفى البحرين معهد لتخريج المعلمين ودراسة فى التجارة ، هذا بالإضافة إلى مدارس الجاليات الأجنبية ، ولا يوجد فى البحرين اليوم طفل بلغ السابعة من عمره لم يدخل المدرسة .

وكان لابد للبحرين فى نهضتها الحديثة من الآلة التى لا يمكن أن يستغنى عنها بلد متحضر . وكانت فى ذلك أول بلد فى الخليج العربى ينشئ مطبعة ، فقد اشترى شاعر الخليج عبد الله على الزائد مطبعة من إنجلترا سنة **١٩٣٨** وأسماها مطبعة البحرين . قامت هذه المطبعة بطبع الأوراق الحكومية والكتب المدرسية والكراسات ودفاتر التجارة . وفى السنة الثانية لإنشائها ، أى فى سنة **١٩٣٩** أصدر صاحبها جريدة أطلق عليها اسم « البحرين » . ولم يقتصر نشاط هذه المطبعة على البحرين بل تعداها إلى جميع أقطار الخليج العربى . وطبيعى أن تقوم المطبعة بطبع عدة دواوين من الشعر الذى نظمه صاحبها وغيره من الشعراء . ولما توفى مؤسسها انتقلت ملكيتها

إلى ابنه الأستاذ على عبد الله الزائد الذى أضاف إليها بعض الآلات الطباعية الحديثة. وفى سنة ١٩٤٩ عرضت المطبعة للبيع فاشتراها آ ل مؤيد وعرفت منذ ذلك الوقت بمطبعة آ ل مؤيد وانتهى أمرها أخيراً إلى الأستاذ عيسى عبد الله الزيره صاحب المطبعة الشرقية .

أما المطبعة الشرقية فهى ثانى مطبعة أنشئت فى البحرين ، استحضر صاحبها آ لاتها من إنجلترا سنة ١٩٥٢ لما زاد انتعاش سوق الطباعة فى البحرين نتيجة للرخاء الذى عم البلاد . وفى هذه المطبعة آ لات جمع الحروف بنوعيها : اللينوتيب والمونوتيب وطابعة أوفست كاملة المعدات . وكانت لوحات الأوفست تعد فى أوربا ، أما اليوم فهى تعد فى هذه المطبعة ، مما يوفر على حكومة البحرين وشركة النفط مبالغ طائلة . ولما اتسع نشاط هذه المطبعة ، اشترى صاحبها مطبعة المؤيد فى سنة ١٩٦١ وأضاف إليها بعض الآلات لتساير التقدم المطبعى ، وهكذا أصبحت مطبعة المؤيد وشقيقتها المطبعة الشرقية من المطابع كاملة المعدات . وتقوم المطبعة الشرقية بطبع مجلة « هنا البحرين » التى تصدرها دائرة العلاقات العامة لحكومة البحرين ، كما تطبع الصحيفتين الأسبوعيتين اللتين تصدرهما شركة نفط البحرين ، وهما النجمة الأسبوعية وصحيفة Islander الإنجليزية ، وتطبع من الأولى تسعة آلاف نسخة ومن الثانية ٤٠٠٠ ، وتقوم هذه المطبعة أيضاً بطبع شيكات المصارف وجوازات حكومة البحرين . وطباعة الألوان فيها من أجود ما تكون طباعة الألوان ، وآية ذلك (دليل البحرين التجارى) ومطبوعات الدعاية المختلفة .

وفى البحرين مطبعة كبيرة اسمها مطبعة النجاح وهى مزودة بآلات الجمع المعروفة باللينوتيب ومطبعة أوفست كاملة المعدات تطبع بالألوان . وحكومة البحرين من خيرة عملاء هذه المطبعة التى تقوم إلى جانب ذلك بطبع المطبوعات التجارية .

أما المؤسسة العربية للطبع والنشر ، فقد تأسست فى أواخر سنة ١٩٦٣ وبدأ العمل فيها سنة ١٩٦٤ . واشترك فى إنشاء هذه المؤسسة أربعة من كبار تجار البحرين وأراد أصحابها لها أن تكون داراً لنشر الكتب والصحف فزودوها بآلات اللينوتيب وطابعات الأوفست من أحدث طراز . وتقوم هذه المؤسسة بطبع المطبوعات التجارية والحكومية ومطبوعات شركة نفط البحرين .

وإلى جانب هذه المطابع توجد مطبعة أوال وطباعة الأوفست فيها لا تقل بأى حال من الأحوال من حيث الجودة عما تنتجه مطابع أوربا وأمريكا . وآية ذلك التقويم السنوى الذى تطبعه لحساب شركة نفط البحرين المحدودة .

وهكذا نجد أن الرخاء الذى عم هذه البلاد العربية بعد اكتشاف النفط فيها بكميات وفيرة قد أثر فى جميع أوجه النشاط الأخرى ، ومن بينها النشاط المطبعى ، إذ أصبح فى البحرين أربع مطابع مجهزة بأحدث ما أنتجته صناعة الطباعة فى إنجلترا . وهذا العدد كبير بالنسبة لعدد السكان الذى لا يتجاوز مائة وخمسين ألفاً[١] .

هذا وما زالت البحرين تستورد الكتاب العربى من شقيقاتها البلاد العربية الأخرى ، ولا سيما من الجمهورية العربية المتحدة ولبنان .

---

(١) استقينا هذه المعلومات من تلميذنا السيد عبد العزيز عطية الله عبد الرحمن الخليفة ومن دليل البحرين التجارى .



الفصل الثانى

الكويت

١٩٤٧ – ١٩٦٥

كانت الكويت[١] قبل سنة ١٩٤٧ تستورد من الخارج كل مطبوع ، بما فى ذلك الكتب المقررة على تلاميذ المدارس وسجلات الدوائر الحكومية وأوراقها ومظاريفها وكل ما يلزمها من استمارات ونماذج مطبوعة . وفى تلك السنة – أى فى سنة ١٩٤٧ – أسس السيدان أحمد البشر الرومى وحمود عبد العزيز المقهوى (مطبعة المعارف) ، وهى أول مطبعة فى الكويت . وكانت عبارة عن طابعة صغيرة مستعملة جلبت من العراق وصناديق للحروف . وكان الغرض من إنشائها أن تفى بمستلزمات السجلات التجارية والدفاتر والملفات وما إلى ذلك . وكان لدائرة المعارف ٥٥٪ من أسهمها وللمؤسسين الباقى . وفى سنة ١٩٥٠ اشترت دائرة المعارف نصيب السيد أحمد البشر الرومى من الأسهم ، بينما استقل السيد حمود عبد العزيز المقهوى بمطبعة . وبعد ذلك بسنة بيعت (مطبعة المعارف) للسيد أحمد الغربللى ، بينما انفردت (دائرة المعارف) بمطبعتها المستقلة . وأغلب الظن أن أول كتاب أخرجته هذه المطبعة هو قصة « آلام صديق » للأستاذ فرحان السيد . كما صدرت عنها مجلة الكاظمية التى كان يحررها أحمد زين السقاف ، وهى أول مجلة كويتية تطبع فى دولة الكويت .

غير أن هذه المطبعة الصغيرة لم تكن لتفى بمطالب بلاد على أبواب نهضة شاملة ، فما كان من اللجنة التنفيذية العليا إلا أن أصدرت قراراً فى ١٣ ديسمبر ١٩٥٤ بإنشاء دائرة حكومية تتولى طبع ونشر الجريدة الرسمية وجميع المطبوعات الحكومية وأسمت اللجنة هذه الدائرة (دائرة المطبوعات والنشر) وعزمت على تزويدها بمطبعة حديثة .

---

(١) كان الأستاذ عبد الله عبد الرحمن الرومى الملحق الصحفى بسفارة دولة الكويت بالقاهرة خير عون لنا فى الحصول على أغلب المعلومات القيمة الموجودة فى هذا الفصل فله شكرنا خالصاً .

وافتتحت هذه المطبعة رسمياً فى ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ واستطاعت فى العام الأول من تأسيسها أن تطبع ١١,٤٦٩,٢٦١ مطبوعاً لمختلف دوائر حكومة الكويت ومؤسساتها . واستعانت فى دور إنشائها بخبرة الدكتور إبراهيم عبده أستاذ الصحافة السابق بجامعة القاهرة . كما أرسلت إلى الجمهورية العربية المتحدة نخبة من أبناء الكويت ليتقنوا الفنون المطبعية على اختلاف أنواعها .

وكان مقر مطبعة الحكومة يحتل فى بادئ عهدها بنائين متقابلين فى شارع دسمان بالكويت ، فى حين كان معمل الزنكغراف فى الشويخ . وعندما تم تشييد مبنى المطبوعات والنشر (وزارة الإرشاد والأنباء حالياً) نقلت جميع هذه الأقسام إليه . وقد قام بتصميم هذا البناء الضخم المهندس المصرى الدكتور سيد كريم . ويبلغ عدد من يعمل فى المطبعة حوالى ٧٠٠ ، بين موظف إدارى وفنى ومستخدم وعامل إدارى وفنى وعادى وتلميذ تحت التمرين . ولم يكن عدد هؤلاء العاملين يزيد على ١٥٧ فى سنة ١٩٥٧ . وفى المطبعة قسم للأنترتيب (الجمع السطرى) يعمل فيه عمال كويتيون مهرة تدربوا على هذه الآلة فى مصانع الأنترتيب بإنجلترا . وإلى جانب هذا القسم يوجد قسم المونوتيب والسوبر كاستر ، وهى آلة مهمتها سبك الرقائق والجداول والنقوش (الحلى المطبعية) كما يوجد قسم للجمع والتوضيب اليدوى .

أما قصة معمل الزنكغراف (التصوير والحفر) فقد بدأت فى أوائل سنة ١٩٥٧. وكانت الكويت قبل ذلك التاريخ ، ترسل الصور والرسومات إلى القاهرة وبيروت لصنع كليشيهات لها . ولما كان هذا الإجراء يضيع الكثير من الوقت والجهد ، فقد استوردت الحكومة آلات وأدوات من ألمانيا لتكون نواة لمعمل للحفر والتصوير (الزنكغراف) واستقدمت كذلك خبيرين ألمانيين فى الحفر على الزنك . وما لبث هذا المعمل أن تطور بسرعة وأصبح يتكون الآن من أقسام للتصوير والرتوش على الفيلم والطبع والحفر والرتوش على الزنك والمونتاج والتجربة . أما معمل الفوتوليتو فيتكون من الأقسام الآتية : التصوير والرتوش وطبع فيلم على فيلم (كونتاكت) من سالبية إلى إيجابية والمونتاج والطبع على ألواح زنك الأوفست . وقد اقتنت المطبعة كذلك ٣ آلات كليشوجراف تحفر بسرعة أى كليشيه يراد صنعه سواء كان

خطياً أم ظلياً . وإذا انتقلنا إلى قسم الطبع وجدناه ينقسم بدوره إلى عدة أقسام هى : قسم المكائن الكبيرة وقسم الهايدلبرج سلندر — ألوان ، وقسم المكائن الصغيرة الهايدلبرج وقسم الأوفست . أما قسم التجليد ، فقد زود بأحدث الآلات وأدقها . وقد أرسلت مطبعة الحكومة بعض الشبان الكويتيين إلى الجمهورية العربية المتحدة وإنجلترا وألمانيا ليتعلموا مختلف فنون الطباعة على أصولها .

وإلى جانب طباعة الكتب المدرسية والجريدة الرسمية ومجلة « الكويت اليوم » ومضابط مجلس الأمة والنشرات والملفات وجوازات السفر والتقارير السنوية ودليل الهاتف (التليفون) وتقارير الوزارات وإحصائياتها السنوية والبطاقات الشخصية للموظفين وإجازات قيادة السيارات . . . تقوم المطبعة بطبع مجلة (العربى) التى يعرفها كل قراء العربية كما تقوم بنشر التراث العربى والنشرات الإعلامية باللغتين العربية والإنجليزية .

وفى سنة ١٩٦١ ولأول مرة فى تاريخ الكويت تقوم مطبعة الحكومة بطبع المصحف الشريف وتختار له طريقة الطباعة الملساء (الأوفست) وأفخر الورق . ولما نفدت هذه الطبعة، طبعت ثانية فى سنة ١٩٦٣ على الورق الفاخر نفسه وبطريقة الطبع نفسها .

وإلى جانب هذه المطبعة الضخمة المزودة بأحدث المعدات ، يوجد فى الكويت اليوم خمس وعشرون مطبعة يمتلكها أفراد أو شركات خاصة . وكان هذا العدد لا يتجاوز فى سنة ١٩٥٨ سبع مطابع ، مما يدل على أن المطابع الأهلية استطاعت أن تشق طريقها بفضل النشاط المتعدد الذى تتميز به الكويت فى هذه المرحلة من تاريخها .

لقد استطاعت الكويت فى مدى ثمانى عشرة سنة أن تلحق بركب الطباعة وأن تتقدم بمطبوعاتها الصفوف بفضل اقتنائها كل آلة أو جهاز جديد فى هذا الفن وإدراك أولى الأمر فيها لأهمية هذه الوسيلة الإعلامية التى تتفوق على الوسائل الإعلامية الأخرى من عدة أوجه ، وازدهار الحالة الاقتصادية الشىء الذى يمكن هذا البلد من استيراد كل ما هو فى حاجة إليه .



الفصل الثالث

قطر

١٩٥٦ — ١٩٦٥

يبلغ عدد سكان إمارة قطر[1] حوالى ٦٥ ألف نسمة ، وتقوم وزارة المعارف بجهود متواصلة لنشر العلم والوعى فى البلاد ومكافحة الأمية بشتى الطرق . وقد أنشأت لهذا الغرض المدارس الليلية إلى جانب المدارس العادية وذلك لإتاحة فرصة التعليم لجميع المواطنين وخاصة الكبار الذين فاتهم سن التعليم . وإلى جانب ذلك توجد فى هذه الإمارة العربية دار للكتب بها حوالى ثلاثين ألف كتاب فى مختلف العلوم كما أن بها حوالى ١٠٠٠ مخطوط عربى وقسم لتجليد الكتب القديمة يقوم شهرياً بتجليد ما يقرب من ٣٥٠ كتاباً . وتتبع دار الكتب وزارة المعارف وتقوم بتزويد الأهالى مجاناً بالكتب التى يحتاجون إليها ، كما تزود مكتبات المدارس بكل الكتب اللازمة لها .

وليس فى قطر صحف بالمعنى المفهوم عندنا . غير أنه تصدر فى الوقت الحاضر بعض النشرات الإخبارية مثل (المشعل) وقد ظهر عددها الأول فى أواخر سنة ١٩٦١ ، وهى نشرة إخبارية شهرية لموظفى وعمال شركة نفط قطر ، تصدرها هذه الشركة باللغة العربية فى أربع صفحات وتقتصر على أخبار العاملين بالشركة .

وفى سنة ١٩٦١ أيضاً صدرت فى قطر الجريدة الرسمية لنشر القوانين التى تسنها الحكومة وكذلك اللوائح والقرارات وتوزع هذه الجريدة بالمجان . وتقوم كل مدرسة فى قطر بمناسبة انتهاء السنة المدرسية بإصدار مجلة مصورة، باللغتين العربية والإنجليزية .

كان لابد إذن لهذا النشاط التعليمى والاقتصادى من مطابع ؛ ففى سنة ١٩٥٦ أسس السيد عبد الله حسين نعمة (مطابع العروبة) وهى أول مطبعة تعرفها قطر .

---

(١) قدم لنا هذه المعلومات تلميذنا السيد عبد العزيز أحمد نعمة فله شكرنا خالصاً .

وقد استخدمت هذه الدار فى البداية آلتى طباعة من نوع هايدلبرج . ولما زاد الإقبال على الطباعة فى سنة ١٩٦٠ واشتدت حاجة البلاد للمطبوعات ، قامت هذه الدار باستيراد أربع آلات أخرى من الطراز نفسه . وفى سنة ١٩٦١ اشترت المطبعة آلة لينوتيب لصف الأحرف ،وافتتح فى سنة ١٩٦٢ قسم للأوفست يطبع بالألوان . ولا توجد لدى هذه الدار فى الوقت الحاضر معامل لحفر الكليشيهات ولكن تم التعاقد على توريد معمل كامل لذلك الغرض . كما تم استيراد آلة مونوتيب للحروف المشكلة .

وقد حفز النجاح الذى صادفته مطابع العروبة السيد خالد بن ناصر السويدى على تأسيس (مطبعة قطر الوطنية) وبدأت هذه المطبعة نشاطها فى سنة ١٩٥٩ . وفيها أربع آلات للطباعة من طراز (هايدلبرج) وقسم أوفست خاص بطباعة الألوان . وتقوم هذه الدار بطبع الإعلانات التجارية وبطاقات التهانى وبعض الكتب المدرسية .

وفى سنة ١٩٦١ تأسست فى قطر مطبعة ثالثة وهى (مطبعة أوفست) لصاحبها السيد على بن على . وتمتاز هذه المطبعة بإمكانياتها الكافية لطباعة الألوان على اختلاف أشكالها . كما أن بها أضخم آلات التصوير والحفر والطباعة . وتقوم هذه المطبعة بطبع مختلف أنواع الإعلانات التجارية وشيكات البنوك وبطاقات التهانى والمجلات المصورة المدرسية والكتب المدرسية كما تطبع بها صحيفة (المشعل) التى تصدرها شركة نفط قطر .

وهكذا نرى أن مطابع قطر الثلاث مطابع أهلية استطاعت بتشجيع الحكومة وازدهار الحالة الاقتصادية أن تتزود بكافة الآلات الحديثة . ولا شك أن فى إرسال بعض أبناء هذا البلد العربى للتدرب على الفنون المطبعية ودقائقها فى البلاد العربية التى تقدمت الركب فى هذا المضمار ، سوف يعود على هذا الفن فى هذا البلد العربى النامى بأجل الفوائد .

خاتمة

لقد استطاعت بلاد الشرق العربى التى ظلت واقعة تحت حكم العثمانيين نيفاً وأربعمائة عام ، أن تنفض عن نفسها غبار الجهالة وتمضى قدماً فى ركب الحضارة ، فزودت نفسها بالآلة التى لا يمكن أن يستغنى عنها بلد متحضر ألا وهى المطبعة .

وقاست المطبعة فى أول أمرها الأهوال وذاقت الأمرين ثم ما لبثت أن حطمت من يتعرض لها ويقف فى طريقها فى بعض بلاد الشرق العربى .

وعلى الرغم من تأخر وصول المطبعة إلى تلك البلاد ، فإنها اليوم تكاد تكون فى عدد كبير من بلاد الشرق العربى فى مستوى الطباعة الأوربية والأمريكية ، وإن نظرة سريعة نلقيها على المطبوعات المختلفة التى تصدر عن هذه البلاد العربية كافية لتعطينا فكرة واضحة عن التقدم الذى أصابه الفن المطبعى فيها . وإذا كانت الطباعة فى بعض بلاد الشرق العربى لا تزال فى دور الطفولة ، فإننا نلمح عن بعد دلائل نهضة مطبعية لن تلبث أن تنمو وتزدهر .

مَصَادِرُ البَحْثِ وَمَرَاجِعُه



مصادر البحث ومراجعه

١ – وثائق لم تنشر

- محفوظات عابدين
- محفوظات القلعة
- محفوظات وزارة الداخلية
- محفوظات وزارة المالية المصرية
- محفوظات المطبعة الأميرية ببولاق
- محفوظات دير المخلص بلبنان
- محفوظات دير مار يوحنا الصابغ بلبنان
- سجلات الرسالة المارونية بالقاهرة

٢ – كتب عربية ومعربة

- إبراهيم بن عبد الغفار الدسوقى : مقالة شكرية للحضرة الإسماعيلية على إنشاء دار الوراقة ببولاق ، سنة ١٢٨٨ هـ
- إبراهيم عبده : تاريخ الوقائع المصرية : بولاق ١٩٤٢
: جريدة الأهرام ، تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة ، دار المعارف بمصر ١٩٥١
: تطور الصحافة المصرية ، الطبعة الأولى ، مطبعة التوكل بمصر ١٩٤٤
: تاريخ الطباعة والصحافة فى مصر خلال الحملة الفرنسية ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ١٩٤٩

: أعلام الصحافة العربية ؛ الطبعة الثانية ، المطبعة النموذجية ١٩٤٨

: دراسات فى الصحافة الأوربية ، تاريخ وفن ، الطبعة الأولى ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١

– ا . حاج (الأب) : صفحة من تاريخ الرهبانية الباسيلية الشويرية الملكية ؛ المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٤٨

– أحمد البهى ومحمد الببلاوى : فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة الخديوية (خمسة أجزاء) ؛ المطبعة العثمانية بمصر ، ١٣٠٥ هـ – ١٣٠٨ هـ

– أحمد زكى : خلاصة وجيزة على مباحث وأعمال لجنة إصلاح وتحسين الحروف العربية ، بولاق ١٩٠٣

– أحمد عبد الرحيم (الشيخ) : أنواع الخطوط الموجودة للطبع فى مطبعة بولاق ، (بدون تاريخ)

– أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٨

– أحمد فوزى : ثورة ١٤ رمضان ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٣

– أحمد محمد حسن وايزيدور فلدمان : مجموعة القوانين واللوائح المعمول بها فى مصر (جزءان) مطبعة مصر ١٩٢٦

– إسماعيل سرهنك (باشا) : حقائق الأخبار عن دول البحار (جزءان) ، القاهرة ١٣١٢ – ١٣١٤ هـ

– الجبرتى (الشيخ عبد الرحمن) : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (أربعة أجزاء) بولاق ١٢٩٧ هـ

– العيد المئوى لنقل المطبعة الأميركانية إلى بيروت ، ٨ أيار ١٨٣٤ – ٨ أيار ١٩٣٤

– الكتاب الذهبى لاتحاد الصناعات المصرية ؛ مطبعة شندلر بالقاهرة ١٩٤٨

– الكتاب الذهبى ليوبيل المقتطف الخمسينى ١٨٧٦ – ١٩٢٦ ، مطبعة المقتطف والمقطم بمصر ١٩٢٦

– الكتاب السنوى لاتحاد الصناعات المصرية ١٩٥٠ – ١٩٦٤ ، مطبعة شركة الإعلانات الشرقية .

– إميل زيدان : مختارات جرجى زيدان : مطبعة الهلال ١٩١٩

– أمين سامى : التعليم فى مصر ، القاهرة ١٩١٧
: تقويم النيل (الجزءان الثانى والثالث) ، مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٦
– بطرس خويرى (الأب) : تاريخ الرسالة المارونية فى القطر المصرى ، القاهرة ١٩٢٧
– بولس مسعد (الأب) : كتاب اليوبيل القرنى الثانى للرهبانية الحلبية المارونية فى وادى النيل ، مطبعة لابترى بالقاهرة ١٩٤٥
– تاريخ جودت ، ترجمة عبد القادر الدنا ، المجلد الأول ، مطبعة جريدة بيروت ١٣٠٨ هـ
– تذكار العيد الفضى لمطبعة المعارف ومكتبتها ؛ مطبعة المعارف ١٩١٦
– تقويم العراق سنة ١٩٢٣ ؛ مطبعة العراق ببغداد ١٩٢٣
– تقويم سنة ١٣٢٠ هـ ، عمل بإدارة عموم المساحة ، بولاق ١٩٠٢
– جورج جندى (بك) وجاك تاجر : إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤٧
– جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٣٧
تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر (جزءان) ، الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٢٢
– حسين حسنى : أنموذج فى مصنوعات المطبعة السنية ، بولاق بدون تاريخ
– حمدى الأعظمى : دليل القوانين والأنظمة المرعية فى العراق منذ تأسيس القوانين فى الحكومة العثمانية من سنة ١٢٧٤ هـ إلى أواخر سنة ١٣٥٨ هـ ؛ مطبعة التفيض الأهلية ببغداد ١٩٤٠
– خليل مطران : تاريخ بشارة تقلا باشا ؛ مطبعة الأهرام بمصر ١٩٠٢
– ديمتريوس حاطوم (الارشمندريت) : المطبعة الشويرية بين الأمس واليوم ، مطبعة الرهبانية الشويرية ببيروت ١٩٥١

– رمزى تادرس : الأقباط فى القرن العشرين (خمسة أجزاء) ؛ مطبعة جريدة مصر ١٩١٠ – ١٩١١

– روبير أبيلا : قانون المطبوعات اللبنانى ونصوص أخرى ذات علاقة بالصحافة ، المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٤٢

– رياض شمس : حرية الرأى (جزءان) ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٤٧

– ستيفن همسلى لونكريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ؛ الطبعة الثانية ، دار الكشاف ، بيروت ١٩٤٩

– سركيس (يوسف اليان) : معجم المطبوعات العربية والمعربة ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨) م

– عبد الحميد أبو هيف : تقرير عن حالة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٤ ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٥

– عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية الجزءان الأول والثانى .

عصر محمد على ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧ م

مصطفى كامل ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٩

– عبد الرحمن خضر : قانون المطبوعات والمطابع وتعديلاتها ؛ بغداد بدون تاريخ

– عبد الله حسين : الصحافة والصحف ؛ مطبعة لجنة البيان العربى ، الطبعة الأولى ١٩٤٨

– على مبارك : الخطط التوفيقية ، عشرون جزءاً من أربعة مجلدات ، بولاق ١٣٠٥ هـ – ١٣٠٦ هـ

– عمر طوسون (الأمير) – : البعثات العلمية فى عهد محمد على ، ثم فى عهد عباس الأول وسعيد : الإسكندرية ١٩٣٤

الصنائع والمدارس الحربية فى عهد محمد على باشا ، مطبعة صلاح الدين الكبرى بالإسكندرية ، الطبعة الثانية ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م

– فهرست القوانين والأنظمة والبيانات المنشورة فى العراق والصادرة ما بين ١١

مارس ١٩١٧ و ٣١ كانون الأول ١٩٢٧ ، وزارة العدلية ، العراق بغداد ، مطبعة الفرات ١٩٢٩

— فؤاد حمزة : البلاد العربية السعودية ، مطبعة أم القرى ١٣٥٥ هـ

— فيليب دى طرازى (الفيكونت) : تاريخ الصحافة العربية (جزءان فى مجلد واحد) ، بيروت ١٩١٣

: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان (جزءان)

: السلاسل التاريخية ، بيروت ١٩١٠

— قانون المطبوعات وقانون نقابة الصحافة اللبنانية ، بيروت ١٩٤٩

— قدرى قلعجى : مدحت باشا ، دار العلم للملايين ، مطبعة الكشاف ببيروت ١٩٤٧

— قواعد عمومية لتشغيل المطبوعات الأميرية من حيث التصحيح ؛ بولاق ١٩١١

— كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر (مجلدان) ، ترجمه عن الفرنسية محمد مسعود ، القاهرة ، بدون تاريخ

— كمال مصطفى : الصحافة والأدب فى مائة يوم ، مطبعة الأنوار مصر ١٩٣٨

— لائحة الطباعة ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤

— لائحة المخازن ، بولاق ، بدون تاريخ

— لويس شيخو (الأب) : الآداب العربية فى القرن التاسع عشر (جزءان) بيروت ١٩٢٤

— محمد أمين بهجت : تقرير عن معرض الطباعة بمدينة ليبزج ، بولاق ١٩٣٢

— محمد بكرى : تقرير عن الأعمال والتحسينات والمنشآت ؛ المطبعة الأميرية ١٩٤٣

— محمد على (الأمير) : مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس باشا الأول ، بدون تاريخ وبدون اسم مطبعة .

— محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل : بناء دولة مصر محمد على ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٤٨

— محمد كرد على : خطط الشام (ستة أجزاء) ، دمشق ١٩٢٥ — ١٩٢٨

– محمد مختار : التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية ، بولاق ١٣١١ هـ

– مطبعة المعارف وأصدقاؤها منذ نشأتها إلى الآن ١٨٩٠ – ١٩٣١ ، مطبعة المعارف ١٩٣١

– نبذة تاريخية فى أصل دار الكتب المصرية وتأسيسها وحركة أعمالها ومطبوعاتها ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٧

– نقابة أصحاب المطابع بدمشق : حقائق ملموسة وحقوق مهضومة : رفعت رسمياً إلى المجلس النيابى السورى ، دمشق ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧ م

– نقولا التركى : ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية طبع فى مدينة باريز المحمية بدار الطباعة السلطانية سنة ١٨٣٩ ميلادية

– نماذج حروف مسبك المطبعة المارونية بحلب ، حلب ١٩٣٧

– وزارة المالية : لائحة الطباعة ، المطبعة الأميرية ١٩٣١

٣ – مخطوطات

– السيد صالح مجدى : حلية الزمن فى وصف مناقب خادم الوطن – مخطوط بدار الكتب المصرية ١٢٩٠ هـ

٤ – بحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة

– أبو الفتوح أحمد رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ولمحة فى تاريخ فن الطباعة رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب بالجيزة سنة ١٩٣٦

٥ ـ مقالات فى صحف ومجلات

ـ إبراهيم حلمى : الطباعة فى العراق ، مجلة لغة العرب ، الجزء الثانى ١٩١٢ — ١٩١٣

ـ الفونس صباغ (الأب) : تاريخ المطبعة المخلصية ، الرسالة المخلصية ، أكتوبر سنة ١٩٥١ ، العدد الثامن ، السنة الثامنة عشرة

ـ توفيق اسكاروس : تاريخ الطباعة فى وادى النيل ، مجلة الهلال ، السنة الثانية والعشرون ، نوفمبر ١٩١٣ وديسمبر ١٩١٣ ومارس ١٩١٤

ـ ر . ب . سارجنت : الأدب العصرى فى الجنوب الغربى لشبه جزيرة العرب ، مجلة الأدب والفن ، الجزء الثانى ، السنة الثانية ١٩٤٤

ـ رفائيل بطى : تاريخ الطباعة العراقية ، مجلة لغة العرب ، الجزءان الرابع والخامس ١٩٢٦ — ١٩٢٧

تاريخ مطبعة الحكومة بالموصل ، مجلة لغة العرب ، الجزء الخامس ١٩٢٧

ـ شاهين مكاريوس : المعارف السورية ، مجلة المقتطف ، الجزءان السابع والثامن من السنة السابعة ، شباط وآذار ١٨٨٣

ـ عبد المولى الطريحى : المطبوعات الحديثة فى النجف ، مجلة لغة العرب ، الجزء السابع سنة ١٩٢٩

ـ فؤاد أفرام البستانى : الشماس عبد الله زاخر ، مجلة المسرة ، عدد ممتاز ، تموز ١٩٤٨

ـ لويس شيخو (الأب) : تاريخ فن الطباعة فى المشرق ، مجلة المشرق ، السنة الثالثة ، الأعداد ٤ ، ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ سنة ١٩٠٠ ، والسنة الرابعة ، الأعداد ٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٠ سنة ١٩٠١ ، والسنة الخامسة ، الأعداد ٢ ، ٩ ، ١٨ سنة ١٩٠٢

ـ نجيب صروف : الطباعة والصحافة ، مجلة المقتطف ، الجزء الرابع والعشرون سنة ١٩٠٠

– نسيب شهاب : النهضة العلمية فى لبنان ، مجلة الرابطة الأدبية ، الجزء الأول ، السنة الأولى ، أول أيلول ١٩٢١

– مجلة المقتطف : تاريخ الطباعة ، الجزء السادس ١٨٨١ – ١٨٨٢ ، من ص ٢٥ إلى ص ٢٨ ، ومن ص ٥٨ إلى ص ٦٢

: حروف الطبع العربية ، الجزء الثامن والعشرون سنة ١٩٠٣

: الصينيون مخترعو الورق والطباعة ، الجزء التاسع والستون سنة ١٩٤١

: الليتوغرافيا أو طبع الحجر ، الجزء السادس ، سنة ١٨٨١ – ١٨٨٢

– جريدة الأهرام : المجموعة كلها

– المجلة المطبعية : ثلاثة أعداد صدرت سنة ١٩٠٩

– جريدة المؤيد : المجموعة كلها

– الوقائع المصرية : المجموعة كلها

– مجلة الهلال : السنة السادسة ، ديسمبر ١٨٩٧

: السنة الثامنة ، الجزء الخامس عشر ، مايو ١٩٠٠

: السنة التاسعة ، مارس ١٩٠١

– مجلة عين شمس : السنة الأولى سنة ١٦١٧ قبطية

– نشرة الرهبانية الباسيلية الحلبية ، أيلول ١٩٤٨

– مجلة الطباعة (بيروت) : العدد الخامس ، ١٩٦٠

٦ – وثائق مطبوعة

– مجموعة القرارات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات والمنشورات (٩ مجلدات) ، بولاق ١٨٨٥ – ١٨٩٣

المصادر الفرنجية

١ – كتب المراجع

— Deny (J.) : Sommaire des Archives Turques; Le Caire 1930.

— Maunier (René) : Bibliographie Economique, Juridique et Sociale l'Egypte Moderne, Le Caire, Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale 1918.

— Michaud : Biographie universelle ancienne et moderne, Tomes XXVI et XLIII. Paris, chez Madame C. Desplaces, 1858. 2 Volumes in 8.

٢ – وثائق مطبوعة

— Budget du gouvernement pour l'Exercice 1883, Le Caire, Imprimerie Nationale de Boulaq.

— Budget du gouvernement Egyptien pour l'Exercice 1886, Le Caire, Imprimerie Nationale; Section des Finances, 1886.

— Commission de Révision des Budgets de l'Etat, Ministère des Finances, 1884.

— Correspondances de Napoléon I, Tomes IV, V et VI, Paris Imprimerie Nationale, 1858-1869; 3 Volumes in 4.

— Doin (G.) : L'Egypte de 1828 à 1830. Correspondance de France en Egypte. Roma 1935.

— Keller (A) : Correspondances, Bulletin et Ordres du jour de Napoléon T. IV.

— Perron (A) : Lettres du Docteur Perron du Caire et d'Alexandrie à Mr. Jules Mohl à Paris 1838-1854. Editées par Y. Artin Pacha. Le Caire 1911.

— Recueil de tous documents officiels du Gouvernement Egyptien. Imprimerie Nationale de Boulaq.

— Talamas (Georges bey) : Recueil de la Correspondance de Mohamed Ali, Khédive d'Egypte, du 1er. Avril 1807 au 12 Juillet 1848. Le Caire, Imprimerie Nationale 1913.

٣ – وثائق لم تطبع

— Ministère de la guerre; Archives historiques. Dépot de la guerre. Paris.

٤ – بحوث مطبوعة على الآلة الكاتبة

— Amin Sami Wassef : L'information et la presse officielle en Egypte, jusqu'à la fin de l'occupation française. Thèse de doctorat présentée à l'Université de Paris en 1952.

— Geiss (A.) : L'Histoire de l'Imprimerie en Egypte — Suite — Epoque Contemporaine. (conservé à la bibliothèque de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, Le Caire.)

— Sachot (Octave) : Rapport adressé à S.E. Victor Duruy, Ministre de l'Instruction Publique, sur l'état des sciences, des lettres et de l'instruction publique en Egypte, dans la population indigène et dans la population européenne. Paris 1868. (Autographie).

٥ – الكتب

— Annuaire de la République Française pour l'an VII. Le Kaire, Imprimerie Nationale, an VIII.

— Bourrienne (Louis — Antoine Fauvelet de) : Mémoires sur Napoléon, Le directoire, le consulat, l'empire et la restauration. Tome II. Paris, Ladvocat, 1829. 1 Volume in 8.

— Boutigny (Henri) : L'Homme propose ... Le Caire 1950.

— Bowring : Report on Egypt and Candia. London 1840.

— Brocchi (G. B.) :

Giornale delle Osservazioni fatte ne' viaggi in Egitto, nella Siria e nella Nubia, Vol. I. Bassano 1841.

Giornale Esteso in Egitto nella Siria E nella Nubia, Vol. I. Bassano 1841.

—Burckhardt (J.) : Travels in Syria and Holy Land 1822.

— Cadalvène et Breuvery : L'Egypte et la Nubie. Paris 1841.

— Carra de Vaux : Les penseurs de l'Islam, Tome V, Les sectes, le libéralisme moderne. Paris, Paul Gouthner, 1936, 1 Volume in 16.

— Carret (Jean-Marie) : Voyageurs et écrivains français en Egypte. Tome I. Le Caire, Institut français d'Archéologie orientale, 1932, 1 Volume in 4.

— Carter (Thomas Francis) : The invention of printing in China and its spread westward, New York, Columbia University Press 1925.

— Charles-Roux (François) : Bonaparte Gouverneur d'Egypte. Paris, Librairie Plon 1936.

— Charon (le père Cyrille) : Histoire des patriarcats melkites (Alexandrie, Antioche, Jérusalem), Tome III, les institutions. Rome, Forzani et Cie, Imprimeurs du Sénat, 1909.

— Crosthwaite : Report on government printing and stationary for the financial year 1922-1923.

— De Hammer : Histoire de l'Empire Ottoman, Tomes XIV et XVI.

— Deherain (Henri) : Dans Hanotaux "Histoire de la nation égyptienne, Tome V. L'Egypte turque, pachas et mameluks du XVI au XVIII siècle. L'expédition d'Egypte du général Bonaparte. Paris, Plon 1937, 1 Volume in 4.

— Delaroque : Voyage au Liban et Syrie. Paris 1776.

— Desgenettes : Souvenirs d'un médecin de l'expédition d'Egypte. Paris 1893. Un volume in 16.

— Dor (bey) : L'instruction publique en Egypte, Paris 1872.

— Driault (Edouard) : Le règne de Mohamed Ali, dans "Précis d'histoire d'Egypte, Tome III".

— Dupont (Paul) : Histoire de l'Imprimerie. Imprimerie Paul Dupont. Paris 1854.

— Edmond (Charles) : L'Egypte à l'Exposition Universelle de 1867.

— Galland (Antoine) : Tableau de l'Egypte.

— Gaulmier (Jean) : L'idéologue, Volney, Imprimerie Catholique, Beyrouth 1951, 1 Volume in 8.

— Gyffard (P.) : Les Français en Egypte.

— Goin : L'Egypte au dix-neuvième siècle.

— Guemard (Gabriel) : Une œuvre française. Les réformes en Egypte

d'Ali bey El Kébir à Mohamed Ali. Le Caire, Imprimerie P. Barbey, 1936, 1 Volume in 8.

— Hamont (P.N.) : L'Egypte sous Mehemet Ali, Tome II. Paris 1843.

— Hartmann (M.) : The arabic press of Egypt 1899.

— Institut français d'Archéologie orientale de 1881-1909. Imprimerie de l'Institut 1909.

— Jock (R.P. Timothée) : Jésuites et Chouéirites ou la fondation des religieuses basiliennes chouérites de Notre - Dame de l'Annonciation à Zouk - Mikail, Liban (1730-1746). Chez l'auteur, 45 Broad Street, Central Falls, R.I. (U.S.A.) Sans date d'impression.

— La Description de l'Egypte ou Recueil des observations et des recherches qui ont été faites en Egypte pendant l'expédition de l'armée française, Tome XVI et XVIII, Paris, imprimerie de C.L.F. 1826, 2 Volumes in 8.

— Lane (Edward William) : An account of the manners and Customs of the modern egyptians, Written in Egypt during the years 1833, 1834 and 1835. London 1944. Everyman's Library Edition.

— Limongelli (S.) : L'Arte italiana nella stamperia nazionale d'Egitto. Cairo 1911.

— Lindry (Lord) : Letters on Egypt and the Holy Land. 1818.

— Lindsay (Lord) : Letters on Egypt, Edom and the Holy Land, vol. I. London, Henry Colburn 1838.

— Lushington (Mrs. Charles) : Narrative of a journey from Calcutta to Europe by way of Egypt, in the years 1827-1828. London, John Murray, 1829.

— Mengin (Félix) :

Histoire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed-Ali. Deux volumes. Paris 1823.

Histoire sommaire de l'Egypte sous le gouvernement de Mohammed-Ali. Paris, 1839.

— Merruau : L'Egypte Contemporaine. Paris 1858.

— Michaud (M.) et Poujoulat (M.) : Correspondance d'Orient (1830-1831). Tome III et VII. Bruxelles 1841.

— Ministry of Finance, Survey of Egypt : A short description of the reproduction office activities. Giza (Orman), Egypt 1946.

— Ministry of Finance, Survey of Egypt : Report on the Work of the Survey of Egypt 1927-1928. Published by order of Hussein Sirry bey, Surveyor General of Egypt. Cairo Government Press 1929.

— Ministry of Finance, Survey of Egypt : Report on the work of the Survey of Egypt 1928-1929. Published by order of Hussein Sirry bey, Surveyor General of Egypt. Cairo Government Press 1931.

— Munier (Jules) : La presse en Egypte, Le Caire 1930.

— Murray (G.W.) : The Survey of Egypt, 1898-1948. Survey of Egypt Press 1950.

— Nasralla (père Joseph) : L'Imprimerie au Liban, Imprimerie Saint-; Paul, Harissa, Liban.

— Paton (A.A.) : A history of the egyptian revolution. Vol. I & II, London 1863.

— Planat (Jules) : Histoire de la régénération de l'Egypte Lettres écrites du Kaire à Mr. le Comte Alexandre de Laborde. Paris 1830, avec 4 planches in 8.

— Ramadan (A.M.S.) : Evolution de la législation sur la presse en Egypte, Paris 1935.

— Reybaud et Vaulabelle : Histoire de l'Expédition Française en Egypte.

— Reynold A. Nicholson (M.A.) : A Literary history of the arab, London 1930.

— Rigault (A) : Le général Abdalla Ménou et la dernière phase de l'expédition d'Egypte. Paris 1911.

— Ronchette (Alexandre) : L'Egypte et ses progrès sous Ismail pacha, Marseille 1867, in 8.

— Rousseau (M.F.) : Kleber et Ménou en Egypte, Août 1799 — Septembre 1801, Paris 1900.

— Saint-John (James Augustus) : Egypt and Mohammed Ali, or, Travels in the Valley of the Nile, London, Longman 1834, 2 vols.

— Saint John : Egypt and Nubia, London 1845. Vol. I.

— Van Berchem : Matériaux pour un corpus inscriptiorum arabicarum, Tome I, Extrait des mémoires de la mission Archéologique française du Caire, Paris Leroux, 1894, 1 Volume in 8.

— Volney (C.F.) : Voyage en Syrie et en Egypte pendant les années 1783, 1784 et 1785.

— Wiet (Gaston) : Les inscriptions arabes d'Egypte (Extrait des comptes-rendus des séances de l'académie des inscriptions et belles. lettres, 1913). Paris, A. Picard, 1913, 1 Volume in 8.

— Yates (W.H.) : The modern history and condition of Egypt, 2 Volumes London 1843.

٦ – الدوريات

— Le Courrier de l'Egypte 1798-1801.

— La Décade Egyptienne 1798-1801.

— Le Bosphore Egyptien.

— La Bourse Egyptienne.

— L'Art Graphique en Egypte.

٧ – مقالات فى المجلات العلمية

— Arminjon : Les universités musulmanes d'Egypte, Revue de Paris, Tome V, 1904.

— Belin (François-Alphonse) : Notice nécrologique et littéraire sur Marcel (1776-1854). Journal asiatique, 5ième série, Tome III, 1854.

— Bianchi (T.) : Catalogue général des imprimés de Boulac. Journal asiatique du 17 décembre 1836, Vol. I, 4ième série, Tome II.

— Bonola (F.) : Una visita a Mohemed Ali nel 1822. La prima stamperia et il primo giornale. Revue internationale d'Egypte, Tome II, No. 2, Octobre 1905.

— Canivet (R.G.) :

L'expédition d'Egypte. La commission des sciences et des arts. La revue internationale d'Egypte, Tome III, No. 1, Janvier 1906.

L'expédition d'Egypte. La bibliothèque de l'expédition, La revue internationale d'Egypte, Tome IV, No. 4 et 5, Août — Septembre 1906.

L'imprimerie de l'expédition française, Bulletin de l'Institut Egyptien, série 5, Tome III, 1909.

— Cattaui (J.A.) : Note sur la fabrication du papier en Egypte, Egypte Contemporaine, VIII, 1917.

— Fevret (Maurice) : Essai de délimitation du proche et du moyen orient, Revue de Géographie de Lyon, 1952, No. 2.

— Geiss (Albert) :

Histoire de l'imprimerie en Egypte, 1ière partie, "L'imprimerie de l'expédition française en Egypte". Bulletin de l'Institut Egyptien, 5 ième série, Tome I, 1907.

Histoire de l'imprimerie en Egypte, 2ième partie, "L'établissement typographique du pacha. Les débuts de l'imprimerie de Boulac." Bulletin de l'Institut Egyptien.

— Peron (A.) : Lettres sur les écoles et l'imprimerie du pacha d'Egypte. Journal Asiatique, 4 ième série, Tome II, 1843.

— Reinaud : De la gazette arabe turque imprimée en Egypte. Journal asiatique, 2ième série, Tome VIII 1831.

— Ronzevalle (S. J.) : L'imprimerie catholique de Beyrouth et son œuvre en Orient, 1853-1903. Fascicule supplémentaire des Relations d'Orient, Bruxelles, Polleunis et Ceuterick, imprimeurs, 37 rue des Ursulines, 1903.

— Taillefer (A.) : Notice historique et biographique sur J.J. Marcel (1776-1854). Tirage à part d'uns article publié dans La Revue d'Orient, de l'Algérie et des Colonies. Bulletin des Actes de la Société Orientale Algérienne et Coloniale de France, Tome XVI, 1854, 1 Volume in 8.

— Yacoub Artin pacha : Etude statistique sur la presse égyptienne, Bulletin de l'Institut Egyptien 1905.



فهرس الكتاب

صفحة

صفحة

الباب الثالث

صفحة

الباب الرابع

صفحة

الباب الخامس

صفحة

صفحة

صفحة